

الإمام يحيى وبنائه الذرية اليمانية الحويطية
١٩٣٧/١٣١٨ - ١٩٤٤/١٣٢٤ م

سيرة الإمام
يحيى بن محمد حميد الدين

المسماة
كنية الحكيم من سيرة أسام الأئمة

تأليف
المؤرخ السادة الثاني
عبدالكريم بن أحمد مطهر
ت ١٩٤٧/١٣٦٦ م

الجزء الثاني

دراسة وتحقيق
الأستاذ الدكتور محمد بن علي بكال
بمشاركة الأستاذ

الإمام يحيى وبناء الدولة اليمنية الحديثة

١٣٣٧/١٩١٨ - ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م

سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين

المسماة
كثيثة الحكم من سيرة إمام الأمة

تأليف

المؤرخ العلامة

عبد الكريم بن أحمد مطهر

ت ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م

للطرو السابني

دراسة وتحقيق

الأستاذ الدكتور محمد عيسى ضابط الجنية

جامعة البرنوك

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

رقم التصنيف: ٢١٠٩٢

المؤلف ومن هو في حكمه: عبد الكريم بن أحمد مطهر

تحقيق د. محمد عيسى صالحية

عنوان الكتاب: سيرة الامام يحيى بن محمد حميد الدين

المسماه كتبية الحكمة من سيرة امام الامة

الموضوع الرئيسي: ١- الديانات

٢- العلماء المسلمون - تراجم

رقم الإيداع: (١٩٩٧/١٠/١٥٦٨)

بيانات النشر: عمان: دار البشير

تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر (١٩٩٧/١٠/١٢٣٩)

مركز جوهرة القدس التجاري - العبدلي - هاتف: ٦٥٩٨٩٢/٦٥٩٨٩١ - فاكس: ٦٥٩٨٩٣
تلکس: ٢٣٧٠٨ بشير - ص.ب: ١٨٢٠٧٧ / ١٨٣٩٨٢ - عمان ١١١١٨ الأردن

دار البشير

Dar Al-Bashir

For Publishing & Distribution

Jerusalem Jewel Trade center Al-Abdali - Tel: 659891 / 659892 - Fax: (659893)

Tlx. (23708) Bashir - P.O.Box. (182077) - (183982) - Amman 11118 Jordan

كتيبة الحكمة من سيرة إمام الأمة أمير المؤمنين
وسيد المسلمين ودرة تاج الأئمة
الهادين مولانا الإمام
المتوكل على الله المعين
أبي أحمد يحيى
بن

الإمام المنصور بالله رب العالمين محمد بن يحيى حميد الدين ضاعف الله أيامه
وأدام سلطانه وسلامه جمع الفقير إلى عفو باريه
وغفرانه احقر خدامه عبدالكريم بن أحمد
بن عبدالله مطهر ستر الله عيوبه
ومحى ذنوبه وملاً من
زلال العفـو
ذنوبه
آمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي يَسَّرَ بمواهبِ العقولِ فتحَ كنوزِ الاعتبارِ والمكنونِ، وأنشَقَ النفوسَ الزاكيةَ من أَرَجِ النظرِ الصحيحِ نفحاتِ اليقينِ المصونِ، وأرشدَ بوحيه المتلوِّ إلى ما في التفكرِ في الكائناتِ من العلمِ المخزونِ، وتسويجِ المدارِكِ الإنسانيةِ بإكليلِ الوقوفِ على سنةِ الله، التي قد خَلَّتْ في عبادِهِ، وبمثلِها يتحلَّى العارفونَ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدهُ، لا شريكَ له، شهادةً تكفلُ بالنجاةِ حينَ يخسرُ المبطلونَ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدهُ ورسوله الشافعُ المشفعُ الأمينُ المأمونُ، صلى اللهُ وسلَّم عليه صلاةً وسلاماً يحدو بهما حادي الاعترافِ بالقصورِ، وإن كنتُ لا أرضى بالدونِ، ويتضاعفُ تعدادُهُما بمقدارِ ما تتعدَّدُ إليه الأحيانُ والأيامُ والسنونُ، وعلى آله قرناءً وحيه، وأكرِّمُ به وبهم من قرناءً ومقرّونَ، ورضي اللهُ عن صحابته الراشدين الذين جاهدوا في سبيله إلى أن أتاهم ربُّ المنونِ، وبعد،

فإنه لما كان التاريخُ ديوانَ العِبَرِ ومطمَحَ أنظارِ ذوي الفكرِ، ومسرحاً للتجاربِ العديدةِ وآلةً لتثقيفِ العقولِ بمعرفةِ الآراءِ السديدةِ، رَفَعَتْهُ النفوسُ إلى ما لا يخفى من عظمِ المكانةِ، ووَجَدَتْهُ خَيْرَ كَفِيلٍ بسردِ أخبارِ العصورِ على شريطةِ الأمانةِ، وإنما المرءُ حديثٌ بعده، إذا انقضتِ المدةُ. وفي كلِّ من الأخبارِ عِظَاتٌ، والمنقولُ من السِّيرِ الحسنةِ وضدُّها يستوي في إفادةِ تلكِ الغاياتِ، وكفى بكتابِ اللهِ مرشداً فيما قَصَّ علينا من الأخبارِ، وأردفها بوجوبِ التأملِ بمصداقِ، فاعتبروا يا أولي الأبصارِ، ولا يكونُ التدوينُ كافلاً بنصبِ هذه الموازينِ إلا إذا خلصَ من أدرانِ الاختراعِ، وثبتَ على أساسِ البراهينِ، وإلا

كان من الأفك المذموم، والتضليل المشوم، وأين مرتبة الكذب الصراح من الصدق الوضاح، ولم تزل أيادي من سلف من أعلام العلماء ومهرة الأدباء تسدي إلينا من أحاديث سير الأئمة الراشدين من أهل البيت النبوي عليهم السلام، ومعاصريهم ما تشنّف به المسامع وتستلذه الأفواه، وتردده الألسن استحساناً كلما مرت ذكراه:

- الطويل -

إِعْدُ ذَكَرَ نِعْمَانٍ لَنَا إِنْ ذِكْرُهُ هُوَ الْمَسْكُ مَا كَرَّرْتَهُ يَتَضَوَّعُ

لا جرم، كان من الحسن المقبول، أن يحدو الخلف حدوهم فيما تلقى بالقبول.

وفي العصور الأخيرة من حوادث الزمان. ما يربو على العصور السالفة لدى الإمعان. ولا سيما عصر من نظم الله به شتات المسلمين وعمّر بسعوده الخارقة معالم الدين وأقام بسطوته القاهرة أساطين/ شرعه المبين، وحفظ بعزائمه الصادقة ثغور المؤمنين، تاج هام الأئمة الأكرمين، والشمس الساطعة في فلك الآل الميامين، المتقدم رتبة وإن تأخر عصرًا، والقائم بما استعصى على غيره من الأئمة الجهابذة عدلاً وذخراً، والممنوح من عناية الباري - سبحانه - بخوارق الأسعاف وغرائب العجائب، ولطائف الاتحاف، مولانا أمير المؤمنين وسيد المسلمين، وفذلكة تعداد الأئمة الهادين، إمام الزمان، وحجة الله النيرة بهذا الأوان، المتوكل على الله المعين^[١] يحيى^٢ بن أمير المؤمنين المنصور بالله رب العالمين^٢، ضاعف الله مدته، وعمّر بالنصر العزيز سدته، ومثّع الإسلام والمسلمين بأعوامه المسعوده، وأيامه الزاهرة المحموده، فإنه عصر اشتمل من

[١] سقطت من س.

[٢ - ٢] في س، محمد بن يحيى حميد الدين

وقائع الجهادِ على ما أشرقَ به وجهَ الدين، ومن مواطنِ الصِّدامِ والمصابرةِ على ماقرَّتْ به عيونُ المؤمنين، وعظُمتْ به النكابةُ في الظالمين والضَّالِّين، فالملاحمُ تَلَوَّ الملاحم، والعزائمُ الصادقةُ على أثرِ العزائمِ، إلى أن عاد وجهُ الزمانِ مَبِيضاً، وجمعُ المخدولين منفصلاً، وصينَ ناموسُ الشرعِ القويمِ من الابتذالِ، وأصبحتْ -وللهِ الحمد- شوكةُ الدين مرموقةً بعين الأجلالِ، واعتقد الخاسرون أن أمامَ مطامِعهم منزلةَ كلِّ أسدٍ رثبال، لا يهابُ معامعَ الوغى وأهوالَ النزالِ، وانضمَّ إلى ذلك ما انتظمَ في لَبَّةِ الأوانِ من عنايتهُ بجمع ما تشتَّتْ من آثارِ الإحسانِ، وظهرَ ظهورَ العقدِ الفريدِ في عنقِ الحسنةِ لكلِّ إنسان، فحيثما وجهتْ رائدَ الطرفِ وجدتْ الصالحاتِ في طورِ الحياةِ وأصنافَ الجانحاتِ مرميةً إلى حفرةِ الوفاة. وهيئات أن يكفلَ بتعدادِها حساب، أو يحوي جمَّ مناقبِها دفنًا كتاب.

وقد عني جمعُ من الأفاضلِ الأعلامِ بجمع سيرته، عليه السلام، فإنه مجدَّدُ هذه العصورِ، المعنيُّ بالحديثِ المشهور^(١)، وأتوا بالعُجابِ من منحِ الربِّ الوهابِ، وما اشتملت عليه أيامُ المعاركِ والسلمِ من مظاهرِ صنعِ الله الجميلِ الذي لا يتكيَّف بتجنيدِ الجنودِ وحشرِ كلِّ قبيل، ووصفوا تجلِّي السعادةِ في هيولائها^[١] البديعة، وإقبالَ الأمانِ والمطالبِ إلى معالي كنفه السعيدِ بخطوتها السريعة، وما ظهرَ عنه في مواطنِ الأزمةِ من الصبرِ والثباتِ، والوقوفِ أمامِ الشدائدِ بقلبٍ لا يتزلزلُ وإن مادت الراسيات، لا يهتُمُّ غيرُ السعيِ في مطابقةِ

(١) الحديث المقصود «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها» انظر، حلية الأولياء، ٩/٩٧، توالي التأسيس للحافظ، ٤٨ الحاكم، ٤/٥٢٢، الخطيب البغدادي، ٢/٦١، مناقب البيهقي، ١/١٣٧، والحديث: «إن في هذه الأمة محدثين» انظر، تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي، ٣٤، صحيح البخاري، ٤/١٤٩، صحيح مسلم، ٧/١٤٥ (ط الاستانة، ١٣٢٩هـ)، مسند أحمد، ٢/٣٣٩، ط مصر.

[١] في س، هيولاه.

/ مراد الله عز وجل، كَثُرَ جمعُ الأنصارِ أو قل. وعرفَ بذلك المتأملُ أن الله سبحانه قد رزقه خصائصَ رفَعَتْ قدرَهُ العَظِيمَ وأقعدتُهُ على الرفرفِ الأعلى من مقام الهداةِ إلى الصراطِ المستقيم. فالحثُّ على الوقوفِ على مواقف جهاده وأيامه وما نظمته سيرته المباركة من متينِ أحكامه وإحكامه من شأنِ ذوي العرفان وحلفاءِ التقوى والإيمان.

ولما كانت أو آخرُ سنةٍ ستِ وثلاثين بعد ثلاثمائة وألف، وهي السنة الخامسة عشر من خلافته - [١] عليه السلام - تقريباً خفيت أنوارُ جمعِ السيرة فيما علمتُ، فانتدبتُ للقيام بهذا الواجب بعد الإيعاز، والإلزام من طاعته فرضُ لازب، وطالما ثَبَّنني العجزُ والقصورُ ونهائي عن التقربِ من شواطئ هذه البحور حتى عرفتُ أني لست بمعدور، فأقدمتُ إقدامَ مَنْ خالطه الوَجَلُ، مستعيناً بالله تعالى، وقلتُ: مكرهٌ أخوك لا بطل. وهل عند رسمِ داريس من معول؟ فمن وقف مني على عشرة أو زلّة، فليعذرُ لأنه قد بطل العجبُ بمعرفةِ العلةِ وقد جعلتُ مبدأها تاريخَ انتقالِ مولانا الإمام - أيده الله - من محروسِ السُّودَةِ (١) إلى حَمْرٍ (٢). ولغاية ما شاءه الله إن طال أمدُ العمر،

(١) السُّودَة: بلدة عامرة في الشمال الغربي من صنعاء على مسافة ١٠٧ كم، وتبعد عن عَمْران، ٥٨ كم، وتدعى سُوْدَة شَنْب، وسودة ابن المعافى، بذروة جبل يطل على وادي أخرف ولقمان الشهريرين في بلاد حاشد مقر قيادة الإمام، والسودة أيضاً من خارف من بلاد حَمْرٍ، انظر، فرجة الهموم، ٣٦، البدر الطالع، ١٠٣/٢، نشر العرف، ١٧٤/٢، اليمن الكبرى، ٨١، هجر العلم ومعاقلة، ٩٨٥، حياة الأمير، ٦٢٢.

(٢) حَمْرٍ: بلدة في حاشد، وهي مركز بين صُريم، وحَمْر الحالية شرق المدينة القديمة، وهي شمال صنعاء، انظر، الإكليل، ١٦١/٨، نشر العرف، ٧٨٠/٢، معالم الآثار، ٦٧، معجم الحجري، ٣١٠/١، معجم المقحفي، ٢١٩.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ عَمَلِي عَمَلًا مَبْرُورًا، وَسَعِي فِي هَذِهِ السَّبِيلِ سَعِيًّا مَشْكُورًا.
إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَبِالإِجَابَةِ جَدِيرٌ، فَأَقُولُ وَاللَّهِ التَّوْفِيقُ:

إِنَّهُ كَانَ انْتِقَالَ مَوْلَانَا^[١] الإِمَامِ^[١] - أَيَّدَهُ اللَّهُ -، بِمُوكِبِهِ الْعَالِي مِنْ مَدِينَةِ
السُّودَةِ مُتَوَجِّهًا نَحْوَ مَدِينَةِ حَجْرٍ فِي بَقِيَّةِ مِنْ نَهَارِ يَوْمِ الإِثْنَيْنِ خَامِسَ عَشَرَ شَهْرِ
شَوَالِ سَنَةِ ١٣٣٦، فَوَصَلَهَا^[٢] فِي بَقِيَّةِ مِنَ اللَّيْلِ الْمَسْفِرَةِ عَنْ صَبَاحِ الثَّلَاثَاءِ مِنْ
الْيَوْمِ الَّذِي يَلِي يَوْمَ عَزْمِهِ الْمُبَارِكِ^[٢]. وَلَمَّا اسْتَقَرَّ هُنَاكَ وَفَدَتْ إِلَيْهِ وَفُودُ الْقَبَائِلِ
مِنْ حَاشِدٍ^(١) وَغَيْرِهِمْ، حَتَّى ضَاقَتْ الْمَدِينَةُ بِالْوَافِدِينَ وَالْأَجْنَادِ.

وَقَدْ كَانَ فِي أَثْنَاءِ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ، وَمَوْلَانَا الإِمَامُ مُقِيمٌ
بِالسُّودَةِ، ظَهَرَ مِنْ يَزِيدِ الظَّاهِرِ^(٢) إِخْلَالٌ بِالطَّاعَةِ، وَشَدُودٌ عَنِ الْجَمَاعَةِ، فَتَعَدَّوْا
عَلَى بَعْضِ الْمَسَافِرِينَ فَهَبُوهُمْ، وَلَمْ يَزَلْ مَوْلَانَا الإِمَامُ يُوَالِي لَهُمُ النَّصَائِحَ، وَيُنْهَاهُمْ
عَنِ التَّوَرُّطِ فِي مَضَائِقِ الْقَبَائِحِ. فَلَمْ يَنْتَهَوْا، فَعَزَمَ عَلَى تَأْدِيبِهِمْ وَمَعَاقِبَةِ شَرَارِهِمْ.

وَفِي خَامِسِ وَعِشْرِينَ شَهْرِ شَوَالِ وَجَّهَهُ مَوْلَانَا الإِمَامُ السَّيِّدَ الْمُقَدَّمَ
الْمُجَاهِدَ / الْمَشْهُورَ فِي مِيَادِينِ الصُّدَامِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى أَبُو مَنْصَرٍ^(٣)، وَمَعَهُ خُمْسٌ / ٤

(١) حاشد: إحدى كبريات قبائل همدان، تنسب إلى حاشد بن جشم، قبيلة ذات أراضٍ
واسعة، تشمل جبال الأهنوم وظلمة وعذر والعصيمات وحارف وغيرها، حولها انظر،
معجم الحجري، ٢ / ٢١٣ - ٢٢٦، معجم المقحفي، ١٤٣ - ١٤٥ أقرة العيون، ٣٢٢،
صفة جزيرة العرب، ٢٤٢ - ٢٤٦.

(٢) يزيد الظاهر: تسيع الظاهر من اتساع بني صريم، ويشمل مدينة حجر والوادي ويشيع
والعقيلي، والمقصود جبال عيال يزيد من بلاد الظاهر شمال صنعاء، انظر، معجم
الحجري، ٢ / ٥٦٣، أئمة اليمن، ٣ / ٧٣ (سيرة الإمام يحيى).

(٣) عبدالله بن يحيى بن غالب، أبو منصور: من من قواد الإمام المنصور بالله عامل مدينة ثلا
وناحيتها حتى مات ثم خلفه ابنه عبدالله ت ١٣٧٨ هـ، انظر، حياة الأمير، ٥٦٤،
هجرة العلم ٢٨٤.

[١ - ١] في س، المتوكل يحيى بن محمد حميد الدين. [٢ - ٢] سقطت من س.

مئة رام، وأمره بالعزم بمن معه إلى عيال يحيى وأصحابه بأحد المدافع، فحطَّ
رحالُه هنالك، ورتبها جميعاً، ثم تابع مولانا الإمام إرسال الجنود إليه حتى
غصت القرى بجنود الحق.

وفي ثالث شهر ذي القعدة الحرام، انتقل مولانا الإمام من حَجْر إلى دَعَّان^(١)،
إحدى قرى جبل عيال يزيد^(٢)، ومعه من عُقال حاشد وبكيل^(٣) وأفرادهم ما
ينوف على ألف نفر، فامتألت تلك الناحية بالجنود وغيظ الحسود، وهنالك
شرع الإمام بتأديب مَنْ تظاهر بإخلال الطاعة، وألزم أهل الجبل كافة بتسليم
ما لديهم من الغرامات وقروض عين المال، وما لديهم من السلاح لبيت
المال، فانقادوا رهبة ورغبة، وألزمهم أيضاً بإيصال المعتدين على المسافرين،
فأوصلوا غالبهم، وأوصلوا أيضاً ما أمروا به من الرهائن المختارة من أفلاذ
أكبادهم فوق رهائنهم التي كانت بمحرويس السودة، حتى جاوز عدد
رهائنهم ثمانين. ومن فر من المعتدين أخربت بيوتهم إلى القرار، وذاقوا بذلك

(١) دَعَّان: بلدة في ظهر جبل عيال يزيد من همدان في الشمال الغربي من مدينة عَمْران
بمسافة ١٨ كم، انظر، الأكليل، ١٦٢ / ٨، اليمن عبر التاريخ، ٣٦٩، معجم
المقحفي، ٢٣٥ .

(٢) عيال يزيد: جبال لقبائل بكيل في ناحية عَمْران، من قراهم، جَوْب، الخدرة، عيال
يحيى، الأكهوم، الصرارة، بنو قطيل وغيرها، يتصل من شماله ببلاد عبد وحاشد
والسودة، ومن شرقه بناحية ريده والبون ومن جنوبه ببلاد عَمْران وثلاً ومن غربيه بثلاً
وقارن وما إليها، انظر، معجم الحجري، ١ / ١٢٥، ٢ / ٧٨٢ معجم المقحفي، ٧١١ .
(٣) بكيل: بطن من همدان، بنو بكيل بن جُشَم، بلادها ما بين صنعاء وصعدة في الجانب
الشرقي، وهي بلاد واسعة فيها كثير من النواحي ولها فروع كثيرة، مشهورة معروفة،
انظر، معجم الحجري، ١ / ١٢٥-١٢٨، معجم المقحفي، ٨٣-٨٤ .

كأسّ الدمار. وسيقّ بعض المعتدين إلى حبس شُهارة^(١) المحروسة. وكُمّل بذلك ضبطُ أمورِ الجبل كافة، وتقريرُ أحواله. وإزالةُ ما استعصى من إشكاله، وتأهبَ مولانا الإمامُ لتقويضِ خيامِ الإقامةِ من دَعَّان والعزمِ في كنفِ العنايةِ إلى مدينةِ الرُّوضَةِ البهية^(٢). ولما قربَ ارتحالُ مولانا الإمامِ من هنالك. خاطبه السيدُ البليغُ عباسُ بنُ علي بنِ أحمد بنِ اسحق^(٣)، وكان من المصاحبين للحضرةِ الشريفةِ في تلكِ المواطنِ، بأبياتٍ يحثُّ بها مولانا الإمامَ على الرحيلِ، جاءَ منها بيت التاريخ.

أدود^{[١]ك(٤)} إن في العزم من دَعَّان خيرا. سنة ١٣٣٦ .

(١) شُهارة: جبل مشهور في بلاد الأهنوم، شمالي حجة، من معاقل اليمن المشهورة، منها شهارة الأمير نسبة إلى الأمير ذي الشرفين وشُهارة الفيش، الجبل المقابل لشُهارة الأمير، انظر، صفة جزيرة، ٢٣٨، البدر الطالع، ١/ ٢٥٨ نيل الوطر، ١/ ٢٩٩، نشر العرف، ١/ ١٢، معالم الآثار، ٧٠، معجم المقحفي، ٣٦٦ .

(٢) الرُّوضَة: متنزه صنعاء، كانت تسمى المناظر، روضة حاتم، شمالي صنعاء بمسافة ٨ كم، تنسب إلى السلطات حاتم بن أحمد بن عمران الهمداني، انظر، صفة جزيرة، ١٥٣، المفيد، ٣٣٥، مراصد الاطلاع، ٣/ ١٣١٥، نشر العرف، ٢/ ١٦١، صفحات مجهولة، ٢٠، معالم الآثار، ٢٧، اليمن عبر التاريخ، ٢١٨، حياة الأمير الوزير، ٦٢١، معجم المقحفي، ٣٧٦ .

(٣) عباس بن علي بن أحمد اسحق بن المهدي بن أحمد من نسل القاسم بن محمد، ولد بالجراف سنة ١٣٠٢ هـ، تولى أعمالاً عسكرية ومدنية كثيرة للإمام يحيى، منها كتابة الإنشاء، خرج مع البدر الأول إلى روما، تعين بعدها في مناخة، ت ١٣٦٥ هـ/ ١٩٤٥ م بعدن، كان عالماً كبيراً وادارياً ماهراً، انظر، نزهة النظر، ١/ ٣٢٧، حياة الأمير، ٥٥٥، هجر العلم، ١/ ٣٥٧ .

(٤) أدود: قرية صغيرة في جبل صبر الغربي، وتطل على وادي الضباب، انظر، حياة الأمير، ٩٤، معجم المقحفي، ٢٣ .

[١] في الأصل، أودود.

وفي اليوم الخامس عشر من شهر ذي العقدة الحرام، انتقل مولانا الإمام بموكبه السعيد إلى مدينة عَمْران^(١)، فبات بها ليلته، وباكراً في صباح الجمعة بالمسير والانتقال إلى بني ميمون^(٢) من قرى عيال سُريح^(٣)، ونزل هنالك ضيفاً على الشيخ ظهير الدين، راجح بن سعد، شيخ مشاريح عيال سُريح، وأقام هنالك صلاة الجمعة.

وفي اليوم الثاني، توجه وقد تزايدت الجموع، وصار الموكب يأخذ بالأبصار أبهةً وجلالا. ولم تنزل وفود القبائل تبادل بتلقيه في أثناء طريقه. كلهم يريدون التبرك برؤية طلعه المباركة، ويلتمسون الدعاء، وما وصل -أيده الله- إلى قرية المعمر^(٤) إلا وقد وصل إلى هنالك الوفد الذي عُيّن لاستقباله من أمراء الحكومة العثمانية، وهرع الكبراء من السادة والعلماء، والأعيان، وأفراد الناس ألوفاً حتى الصبيان، وكذلك أمراء الأتراك قاطبة/ من ملكيين^(٥) وعسكريين وقضاة، وخرج الناس من صنعاء أفواجا، وكان دخوله إلى الروضة البهية نهار ذلك

/ ٥

(١) عَمْران: مدينة شمال صنعاء بمسافة ٤٨ كم، بأعلى البون، مركز القضاة، يمتد أمامها سهل البون الخصب، انظر، الأكليل، ٢ / ١٨٥، صفة جزيرة، ١٦٧، المفيد، ٢٦٣، مراصد الاطلاع، ٢ / ٩٦٠، صفحات مجهولة، ٢٩، معالم الآثار، ٦٢، اليمن الكبرى، ٨١، ١٨٤، حياة الأمير، ٦٢٧، معجم المقحفي، ٤٦٤.

(٢) بنو ميمون: قرية من عُزل عيال سُريح، انظر، معجم الحجري، ٢ / ٤١٩، معجم المقحفي، ٣١٤.

(٣) عيال سُريح: من قبائل همدان، شمالي صنعاء بمسافة ٢٨ كم، ينسبون إلى سُريح بن سهل بن ضباع، انظر، صفة جزيرة، ١٣٧، معالم الآثار، ٦٣، تاريخ اليمن الثقافي، ٦٣ / ٣، معجم المقحفي، ٣١٣.

(٤) المَعْمَر: من قرى همدان، إحدى نواحي صنعاء، انظر، معجم الحجري، ٢ / ٧١٤.

(٥) المقصود الذين يقومون بالوظائف المدنية غير العسكرية.

اليوم دخولاً معظماً، قل أن تظفرَ العيونُ بمثله^[١] أو تكتحلَ بإثمدٍ شكله^[١]، لما اشتملَ عليه من جلالِ الموكبِ وعمومِ السرورِ في القلوبِ،^[٢] ومناطقتهِ للنجومِ بالمنكب^[٢]، ونزل -أيده الله- بعد أن تلقىَ المستقبلين بالطلاقة التي خصه الله بها^[٣] التي خصَّه الله بها، حتى عادَ كلُّ مَنْ لم يعرفه، وقد أخذ حبه -عليه السلام- -بمجامع قلبه-^[٣] بقصره العامرِ بمدينةِ الروضةِ البهية. وقد كان إكمالُ ما احتاج إلى إصلاح فيه، بعد أن شري لمولانا الإمام من ورثة الشيخ محمد البليلى. ولما استقرَّ ركابُه العالى هنالك أقبلت إلى الإمام وفودُ القبائل من كلِّ صوبٍ، ولا سيما قبائل الجهاتِ المجاورة لصنعاء، فكانوا يفتدون إليه كبارهم ويتلقاهم الإمام بما جُبِلَ عليه من الخُلُقِ الحسنِ،^[٤] وخلقِ اللِّسَنِ،^[٤] ويزوِّدهم بالدعاء، ويأمرهم بما يحتاجون إليه أثناء إقامتهم، ولم تزل وفودُ أمراء الأتراك تتعاقبُ بالوصولِ إليه إلى داره السعيدة، لقضاء حقِّ التهنة بالقدوم، وإظهارِ آثارِ الولاءِ المروم، وكذلك الأعيانُ والعلماءُ والساداتُ والفضلاءُ حتى أهلُ الذمة.

وقد كانَ وصولُ مولانا الإمام إلى هذه الجهاتِ نعمةً من نعمِ الله تعالى على عباده، ومنةً من المننِ الجسامِ التي خلَّصَ بها جسمَ الأحوالِ من فسادٍ، فإنَّ بعضَ قبائلِ هذه الجهاتِ قد كانوا شرعوا في التعادي بينهم. وسفِكت دماءٌ، وهبَّ كلُّ ذي شرٍّ لإظهار ما في خلدِه من الميلِ إلى الشرِّ، والتربع على منصَّةِ الجوارِ المذموم. فلما وصل مولانا الإمامُ خمدت تلك النيرانُ، وانطفأت من تلقاءِ نفسها، ببركةِ قدومه -عليه السلام- وتلك آيةٌ من آياتِ سعوده

[١-١]، سقطت من س.

[٢-٢]، سقطت من س.

[٣-٣]، سقطت من س.

[٤-٤]، سقطت من س.

الخوارق، وعلامةٌ على ما له عند الله من الفضل السابق، ورفعت إلى جنبه العظيم قصائدُ التهاني من الأفاضل والأدباء وهي كثيرةٌ،^١ منها ما نظمه جامعُ هذه الكلمات - ساعه الله - وقد وقع الاستطرادُ لذكرِ مجملِ ما كان من همته - أيده الله - وضبطه لأحوالِ جبلِ يزيد، وهي:

[الطويل]

وأنتم لها شأؤ يطوّل وعنوان
 فشمسُ الهدى لاحت وللدين سلطان
 تصوّل على أفقِ الضمائرِ فينان
 أساسٌ وأشتاتُ المناقبِ أركان
 ومن دونِ مَنَاهَا المشيّدِ كيوان
 على الثمنِ إلا كانَ للأرضِ رُجحان
 ربيعٌ ونعماءكم بها الأرضُ نعمان
 من الجيشِ أجنادٌ تحفُّ وأعوان
 يزلزلُ أكنافَ الطغاةِ إذا خانوا
 من الحُسنِ والإشراقِ أدناه فتان
 وفي طيِّ ما أجملتَ للمخِّ تبيان
 فغودرَ بالشاطيِ وقد عامَ إمعان
 يرؤمُ وفي طَوعِ القَريجةِ عَصيان
 عرفنا به كيفَ الضخامةُ تزدان
 كما راعَ ما فوقَ المشاهدِ إمكان

مواهبُ حسنِ الصُّنعِ فيكم هي الشأن
 ومهما تبدى من محيّاكم سني
 وممدودٌ ظلُّ الملِكِ والهَيبةِ التي
 وحيثُ نزلتُم فالعُلا في قصوركم
 تتيهُ بكم بيضُ المغاني فتشني
 وما قبّلتُ أرضاً سنا بكُ خيلكم
 عليكم جلالُ المجدِ بادٍ وطولكم
 تسيرُ العَالي حيثُ سرّتم كأنها
 ويقدمُ علياكم من النصرِ موكبُ
 ويكسوه لألاءِ الفتوحِ غلالةُ
 وفيكم لصنعِ الله سرٌّ ومظهرُ
 وكم رامَ مني الفكرُ حوضَ عُباها
 وألقى سفينَ النظمِ تجري بدون ما
 إمامُ الهدى لله بهجةٌ مقدم
 يقولُ أصيحابي وقدراقَ موكباً

/ ٦

[١] سقطت من س.

أما تنظرُ البدرَ المنيرَ كأنه
ولو لم يكن^١ غيثاً يصب^١ ورحمةً
ولا أبصرَ الرائي سحابَ مظلةٍ
وهل عرفتَ عينك قبل كتابنا
وقد ضاقَ منها الرحبُ واتسعتَ بها
يشوقُهُم روحُ الهنا ويسوقُهُم
وتسقيهُم البشرى كؤوسَ سرورها
وقد نشطوا في سيرهم وتمايلوا
لعمرك ما بالغتُ إن كنتُ قائلاً
وإن لِساني مثلُ فِكْرِي ومُقلتي
فقلْ عنده يا موكبَ العزِّ والسنا
وألْبستَ جثمانَ الإمامةِ خِلةً
ويا روضةً فازتَ بعودِ قديمها
وهبَّتْ عليك اليومَ نسمةٌ سأنح
ورقَ الهوى حتى لقد كادَ لطفُهُ
وقد لبستُ أيدي الغصونِ خواتماً
أتدرين مَنْ في قصرِكَ اليومَ نازلٌ
يلسُحُ على عرشِ الخلافةِ نورهُ
لقد شرفتُ منك البقاعُ بما جد
إمامُ الهدى ذاك المتوجُّ بالتقى

على الهندِ طودٌ لا يوازيه ثهلانُ
لما سمعتُ رعدَ المدافعِ آذانُ
عليه وطرفُ الشمسِ في الأفقِ يقظانُ
تراءتَ كما لاحتْ تلالُ وكثبانُ
صدورٌ وقرتْ بالمهابةِ أعيانُ
نسيمُ اللقا فالحالُ رَوْحٌ وريحانُ
فكلُّ لذي ذاك التدافعِ نشوانُ
حُبوراً كما مالتْ من الريحِ أغصانُ
بأن قُصاري الأمرِ في الوصفِ نقصانُ
بموقفٍ مبهورٍ وقلبي حيرانُ
تعاظمتْ حتى خرَّ للتاجِ تيجانُ
مِنَ الفضلِ لا ما كانَ يهواه ساسانُ
من اللطفِ قد طابتْ بجوكِ أزمانُ
سعيدٍ لها قلبُ التشوقِ حنانُ
يسيلُ ومالتْ للتحيةِ قضبانُ
من الزهرِ كالياقوتِ أو هي مرجانُ
على الطائرِ الميمونِ يعلوه لمعانُ
كما لاحَ فوقَ العرشِ قبلُ سليمانُ
هو الدينُ والدنيا إذا حارَ إنسانُ
وأبي تقى هذا له الخلقُ قد واتوا

٧ /

[١-١] الأصح، غيثُ الصبوبِ

طلسمٌ كنزِ المنح والنَّجحِ كلِّما
له كلِّ حينٍ في أعاديهِ فتكَّةٌ
وسلَّ زُمَرَ الباغينِ في الجبلِ الذي
دَعَاهُمُ إلى العدوانِ شيطانٌ بغيهِم
فَخَابُوا وما نالُوا سِوَى الحَسفِ خَطَّةً
عيالٌ يزيدي ما يزيدي شُرورَكُم
أرى لؤمَ هذا الأثمِ أغراكم على
ولولا أناةُ للإمامِ لكتنمُ
ولكنَّ مَوْلانا الإمامَ وحِلْمَهُ
وما زالَ بالرَّحْمَى عَطُوفاً وقلْبُهُ
وكمُ من يدٍ جارت على الدينِ بالبنا
فيا سَنَدَ الأمالِ والآلِ إنَّما
وأنتَ عمادُ الدينِ إنَّ زالَ زالَ ما
وأنتَ أميرُ المؤمنينِ فهل يُرى
فلا زلتَ في عرشِ التهاني مباركاً
وعُمُرْتُمُ ما عاشَ نوحٌ بقومِهِ
وهاك من الوشيءِ اليمايِّ حلةً
إذا أنشدتُ قالَ الخبيرُ بشانِها
ومن جنبِها أسنى صلاةٍ يزفُّها
محمدِ المختارِ والآلِ كلَّهم

/ ٨

أرادَ أتى المأمولُ يزجيه إذعانُ
لها المثلُ المضروبُ بالنصرِ برهانُ
تمنَّعَ ما ذاقوا وما ذاقَ حَوَّانُ
وقدَّ ضلَّ من يدعوهُ للغِيِّ شيطانُ
ورعَّهم الإذلالُ مدُّ هُدًى دَعَّانُ
سوى النقصِ تدنيه رماحُ وأشطانُ
سلوكِ غرورٍ فيه للمرىءِ حُسرانُ
حصيداً وتلكَ الدورُ لليومِ أكنانُ
حباكُم زلالَ العفوِّ والعفوِّ إحسانُ
رؤوفاً وأوصافُ الهدى فيه أفنانُ
ونعمى تراءت وهي للخلقِ بُستانُ
بقاؤك للأمالِ بالخيرِ إيدانُ
يقومُ به والحقُّ ما فيه كتمانُ
لذا اللقبِ المحروسِ في الناسِ صنوانُ
عليك وأصنافُ الهنا فيك ألوانُ
لأنَّ نداكم في الحقيقةِ طوفانُ
ينمُّ عليها من ثنايِّك ريجانُ
إلى مثلِها تصبو مشاةً وركبانُ
سلامٌ على من شرفَتْ منه عدنانُ
وأصحابِهِ ما باكرَ الروضِ هَتَّانُ

ومن هنا مولانا الإمام -أيده الله تعالى- القاضي الضياء لطف بن محمد الزبيري^(١) حاكم سنحان^(٢) بقصيدة فائقة. وقد وصلت إلى الحضرة الشريفة والدوحة المنيعة تهاً عديدة رَقَمها نبلاء السادة وفضلاء الأعيان، ولم تصل إلى أيدي التقييد، وهي لو ظفرت بها لنالت ما تريد.

٩ / ورفع السيد الهمام حسين بن علي عبد القادر^(٣) إلى مولانا الإمام قصيدة بديعة في غرض التهئة بالقدوم، وغيره من الأفاضل^(٤)، وكان الإمام -أيده الله- قد استصحب في أشغاله المباركة جماعة من الأعلام [مثل]^[٢٦] السيد الأجل الأمير عبد الله بن يحيى أبو منصور، والقاضي الوجيه عبد الرحمن بن حسين المحبشي^(٤) من حكام

(١) لطف بن محمد بن الطف بن سعد الزبيري ت ١٣٦٤هـ / ١٩٤٤م، كان عالماً ذكياً، كامل المروءة، كثير التواضع عمل بالتدريس والقضاء في سنحان والحديدة وكان الحاكم الأول بصنعاء ومن ثم من أعضاء محكمة الاستئناف، انظر، نزهة النظر، ٤٩١ / ١، حياة الأمير، ٥٨٤.

(٢) سنحان: قبيلة موطنها في الجنوب الشرقي من صنعاء، ناحية من نواحي قضاء صنعاء، ومناطقها سهلة، يحدها شمالاً صنعاء، وغرباً بنو مطر وجنوباً بلاد الروس، وشرقاً حوْلان، من أشهر جبالها كَنَن. انظر، الاكليل، ٢ / ٢٤٦، صفحات مجهولة، ٤١، معالم الآثار، ٣٦، ٣٩، أئمة اليمن، ٢ / ٤٠٥، حياة الأمير، ٦٢٢.

(٣) حسين بن علي عبد القادر ت ١٣٧٧هـ، عامل صنعاء، كان شاعراً أديباً، تولى للأتراك أعمالاً بصنعاء، كان مدير ناحية شبام ثم قائم مقام ذمار وكذا قضاء أنس، وعضواً في مجلس المبعوثان سنة ١٣٣٠هـ ثم تولى رئاسة بيلدية صنعاء ورئاسة القمسيون أي إدارة تكوين الجيش النظامي، كان مستشاراً للإمام، ولد بصنعاء سنة ١٢٩٦هـ، انظر، نزهة النظر، ٢٧٨، هجر العلم، ١٩٠٥ - ١٩٠٩م. حياة الأمير، ٥٤٧.

(٤) عبد الرحمن بن حسين بن عبد الرحمن المحبشي الشهاري ت ٢٩ ربيع الثاني ١٣٦٦هـ. أحد كبار الحكام في مقام (ديوان الإمام يحيى)، لازم الإمام يحيى في حمر والسؤدة القفلة والروضة، ولد بشهارة في صفر ١٢٩٢هـ، انظر، نزهة النظر، ٣٣٦.

[١-] سقطت من س. [٢] الإضافة من س.

الحضرة الشريفة وغيرهم^[١] من الأعيان، وأما المولى سيف الإسلام، أحمد بن قاسم بن [عبدالله بن]^[٢] الإمام^(١)، والمولى شيخ الإسلام القاضي العلامة علي بن علي اليماني^(٢) فكانا قد قَدِمَا قبل مَقْدَمِ الإمام، وكانا من جُمْلَةِ مَنْ استقبل مولانا الإمام في جمع كثير من علماء صَنْعَاءَ وِسَادَاتِهَا كَالْقَاضِي الْعَلَمَاءِ شَرَفِ الدِّينِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ الْعَمْرِيِّ^(٣)، وولده القاضي عبدالله بن حسين العمري^(٤)،

(١) أحمد بن قاسم بن عبدالله بن يحيى حميد الدين ت ٢٢ ربيع الأول ١٣٥٣ هـ، كان مجتهداً، له نبوغ في القيادة العسكرية وفنون الحرب، تولى أعمالاً كثيرة برَدَاعِ وَأَنْسِ، ولد بقرية القابل في صفر ١٢٧٧ هـ، انظر، نزهة النظر، ١٢٠، تحفة الإخوان، ٥٢، شرح أجود المسلسلات، ٣٤، حياة الأمير، ٥٣٢ .

(٢) علي بن علي بن أحمد بن علي اليدومي اليماني ت بصنعاء في ٢٧ شوال ١٣٥٠ هـ، شيخ الإسلام، عالم محقق في كثير من العلوم، هاجر إلى القفلة ١٣٠٨ هـ، مناصراً للإمام المنصور، كان مقصوداً لطلبة العلم، لازم الإمام يحيى، وكان يستشيره، دوام على التدريس وخاصة في المدرسة العلمية التي أنشأها الإمام يحيى بصنعاء سنة ١٣٤٤ هـ، ولد بصنعاء في صفر ١٢٧٢ هـ، انظر نيل الوطر، ١١٩/٢، نزهة النظر، ٤٣٨، شرح أجود المسلسلات، ٧١، المدارس الإسلامية، ٤١٥، هجر العلم، ٨٠٥، حياة الأمير، ٥٧٦ وفيه أنه توفي سنة ١٣٤٠ هـ.

(٣) الحسين بن علي بن محمد العمري ت بصنعاء في ٢ شوال ١٣٦١ هـ، شيخ الشيوخ، عالم محقق، اشتغل بالتدريس، تولى نظارة الأوقاف في العهد العثماني، أسهم في عقد صلح دَعَّان. ١٣٢٩ هـ/ ١٩١١ م وتولي في عهد الإمام يحيى رئاسة محكمة الاستئناف، ولد بصنعاء ١٢٦٥ هـ، انظر، نزهة النظر ٢٦٥، نشر العرف، ٢/٢٤٩، شرح أجود المسلسلات، ٦١، هجر العلم، ١٤٥٩، حياة الأمير، ٥٤٧ .

(٤) عبدالله بن الحسين بن علي بن محمد العمري ت قتيلاً ٧ ربيع الآخر ١٣٦٧ هـ، في المؤامرة التي استهدفت الإمام يحيى، عالم ذو دراية عالية بالعلم والسياسة والإدارة، =

[١] في س، وغيرهما.

[٢] عبدالله بن، إضافة من س.

وسيدي عبد الله بن علي عبدالقادر^(١) وأخويه سيدي عبد الرحمن^(٢) وسيدي حسين. وعلى الإجمال كان الاستقبال فخياً و^١الموكب عظيماً^(٣)، ولم يكن في المستقبلين والي اليمن محمود نديم بك، ولا قائد الجيوش توفيق باشا؛ لأنها كانا غائبين في جهة^[٢] لواء تعز^(٣) وزبيد^(٤)، عزمًا معاً قبل قدومه -أيده الله- لمداركة استحصال حاجات العساكر وغيرهم من البلاد المذكورة.

ولما استقر مولانا الإمام بالرؤضة وفدت إليه الأفاضل والعمال من الجهات

= كان الإمام يعهد إليه بكثير من أمور الدولة كأنه رئيس الوزراء، ولد بصنعاء في جمادى الأولى ١٣٠٤هـ، انظر، نزهة النظر، ٣٧٥، تحفة الإخوان، ٧٨، هجر العلم، ١٤٦٠، حياة الأمير، ٥٦٢.

(١) عبد الله بن علي بن عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم بن عبد القادر ت ١٣٥١هـ، بلغ مرحلة عالية من العلم، تولى قضاء يريم ونظارة الوصايا، رافق وفد العلماء إلى استانبول سنة ١٣٢٥هـ، بدعوة من السلطان عبد الحميد للتباحث في إصلاح أمور اليمن، ثم عمل حاكماً في عهد الإمام يحيى انظر، أئمة اليمن، ٣٢٠، هجر العلم، ١٩٠٤، حياة الأمير، ٥٦٦.

(٢) عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن عبد الله عبد القادر ت ٢٧ جمادى الأولى ١٣٣٧هـ بصنعاء، عالم مشارك تولي بلدية صنعاء في العهد العثماني، ولد سنة ١٢٨٨ انظر، نزهة النظر، ٣٤٦، هجر العلم، ١٩٠٥.

(٣) لواء تعز: مدينة مشهورة، أول من مدَّنها ومَصَّرها الملك المظفر، توران شاه الأيوبي سنة ٦٥٣هـ، في السفح الشمالي لجبل صبر، مركز القضاء تتبعها الجند وجبا وجبل صبر وغيرها، معجم الحجري، ١/١٤٥، معجم المقحفي، ٩١، البلدان اليمانية، ٥٥، اليمن الخضراء، ٨١، اليمن الكبرى، ٣٣، نشر العرف، ١/٢٢١، حياة الأمير، ٦١٣.

(٤) زبيد: وادي زبيد، مشهور يصب في تُهامة ثم في البحر الأحمر، خصب، واطلق اسم الوادي على المدينة التي كانت تسمى الحُصيب، يقال أن محمد بن زياد هو الذي اختطها، انظر، الاكليل، ١/٣٠١، الفضل المزيدي، المقدمة، البلدان اليمانية، ٨٩، معجم الحجري، ١/٢٦٢، معجم المقحفي، ١٧٦.

[١-١] سقطت من س. [٢] في س، جهات.

المتوسطة كذمار^(١) ويريم^(٢) وكوكبان^(٣) وحجة^(٤). وما برح منذُ وصوله يباشر الأعمال ويجلُّ عقد الأحوال،^[١] وما اتفق من العجائب أنه عقيب قدومه -أيده الله- رفع إليه بعض الفضلاء أن ابنة السيد الفاضل محمد بن قاسم الظفري^(٥)

(١) ذَمَار: جنوب شرق صنعاء على بعد ١٠٠ كم من صنعاء، بها كثير من المساجد والآثار، مركز اللواء، انظر، صفة جزيرة، ٧٩، الاكليل، ١/٥٥٢، صفحات مجهولة، ٢١، أئمة اليمن، ١/٤٦، اليمن الكبرى، ٥٤ معجم المقحفي، ٢٥١، حياة الأمير، ٦٢٠. (٢) يَرِيم: مدينة تقع إلى الجنوب من ذَمَار، في قاع الحقل، تبعد عنها ٤٠ كم، تتبع إدارياً إب، في سفح جبل يصبغ، انظر، الاكليل، ١٩/٢، صفة جزيرة، ١٣٢، طبق الحلوى، ٦٨ صفحات مجهولة، ٢١، معالم الآثار، ٩٧، تاريخ اليمن الثقافي، ١/١٠١، اليمن الكبرى، ٤٥، حياة الأمير، ٦٣٤.

(٣) كَوَكْبَان: جبل قرب صنعاء والمدينة شمال غرب صنعاء بمسافة ٥٠ كم، وإليه يُضاف شبام، انظر، الاكليل، ٢/٢٠٧، معجم البلدان، ٤/٤٩٤، مرصد الاطلاع، ١١٨٨/٣، قرة العيون، ٢٩٥، البلدان اليمانية، ٢٣٣، معالم الآثار، ٧٤، نشر العرف، ٥٤، ٢٧٢، هجر العلم، ١٨٧٠، حياة الأمير، ٦١٥.

(٤) حَجَّة: مدينة، شمال غرب صنعاء بمسافة ١٥٠ كم، بها حصن القاهرة على جبل يطل على مناطق بني قيس ووادي موروثهامة من الغرب، وعلى جبل مَسُور والشغادرة من الجنوب، وظفير حجة ومبين من الشمال وشرس وكحلان عفار من الشرق، وهي مركز لواء حَجَّة، انظر، معجم المقحفي، ١٥٧، البلدان اليمانية، ٨٣، اليمن الكبرى، ١٠٠، حياة الأمير، ٦١٦.

(٥) محمد بن قاسم الظفري، جاء في نزهة النظر، ٥٦٩، ٥٧٠، اثنان بهذا الاسم الأول: محمد بن قاسم بن محمد بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن ناصر شمس الدين الظفري ت في حُبَيْش ١٣٨٥هـ.

والآخر: محمد بن قاسم بن محمد بن أحمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن ناصر شمس الدين الظفري ت صنعاء شوال ١٣٣٨هـ.

[١] سقطت من س.

أحد سادة صنّعاء ألفها جني، وأنه قد تكلم: أنه لا يُفَارِقُ المذكورة إلا بأمر الإمام، واستمدَّ من مولانا الإمام الإذن لأبيها بإيصال ابنته إلى جهة الإمام السعيدة لأجل ذلك، فأذن له مولانا الإمام رغبةً في المثوبة ووقاية تلك المسكينة من مضايها. ولما حضر مولانا الإمام إلى المحلّ الذي قد أنزلت به مع حضور أبيها، تكلم الجني وحضر معه إخوته وأبوه إلى عشرة، وكانت المراجعة بينهم وبين الإمام. وفي النهاية ألزمه مولانا الإمام بترك التعرّض للشريفة المذكورة، وأخذ عليه العهود وعلى من حضر معه بذلك، وقفل السيد بابنته راجعاً إلى صنّعاء مسروراً بما تمّ / ببركته عليه السلام^[١]. وفي أثناء إقامة مولانا الإمام / ١٠ / بالروضة، أقيمت صلاةُ الجمع فيها مراتٍ في الصحراء لعدم إمكان إقامتها بجامعها^(١) المشهور لكثرة الحاضرين لأدائها من القبائل القريبة^[٢]. واهراع كافة أهل صنّعاء لحضورها عامتهم وخاصتهم. ولا تسأل عن منظر اجتماعهم العجيب ووقوف تلك الخلائق بين يدي الخلاق الرقيب^[٣]، وأدرك

= كان الأول عالماً، انتقل إلى مناخة للتدريس، ونصبه الإمام يحيى حاكماً في بلاد صَعْفَـان وبنى سعد من بلاد حراز وحين أيضاً عاملاً على بلاد هَمْدَان من أعمال صنّعاء، وتولى القضاء في بلاد الحُشَا وحُبَيْش من اليمن الأسفل وتوفي في محل وظيفته، وأما الآخر فقد كان عالماً، واسع المعرفة لازم التدريس في جامع صنّعاء وتوفي في شوال سنة ١٣٣٨ هـ، والخبر الوارد حوله يفيد بأن الثاني هو المقصود أما الأول فقد سار ذكره في باقي الحوادث بعد سنة ١٣٣٨ هـ، انظر، نزهة النظر، ٥٦٩، ٥٧٠ .

(١) جامع صنّعاء: المسجد الجامع، بني في السنة السادسة للهجرة، بأمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بناه وبر بن يُحْنَس أو فروة بن مُسَيْك المزدني أو أبان بن سعيد، انظر، جامع صنّعاء، ٩-٢٣، حياة الأمير، ٦١٤، مساجد صنّعاء لمحمد الحجري، ٢٣، طبق الحلوى، ١١٨ .

[١-] سقطت من س.

[٢] في س، المجاورة.

[٣-٣]، سقطت من س.

الإمام عيد الأضحى وهو بالروضة، فأقام صلاة العيد بمشهدها^(١) المبارك وحضرها خلائق لا يُحصون. وخرج من صنعاء أمراء الحكومة العثمانية أجمع لحضور الصلاة وأداء السلام على الإمام، ووقفت ثلثة من الجنود التركية لأداء رسم الاحترام على أسلوبهم المعروف، وأنفض الجمع بعد ذلك، وقد شاهد الناس من كمال الأبهة وفخامة الإمامة ما لم يعهدوه والقلوب مملوءة بالأفراح ومعاني الانسراح، ثم انقضت أيام السنة المذكورة.

ودخلت سنة ١٣٣٧، والإمام مقيم بالروضة، والبلاد التي تحت طاعة مولانا الإمام وأمرها إليه، خاصة صعدة^(٢) وجهاتها إلى أطراف بني جماعة^(٣)، وأطراف رازح^(٤) وكافة الجهات القبلية [والأهنوم^(٥)] وحجور

(١) المشهد: مصلى العيد في جهة مسجد فروة، وهي حارة من ظاهر شعوب بصنعاء، تنسب إلى المسجد الكائن فيها، انظر، مذكرات المؤيد بالله، ٤٤، جامع صنعاء، ١٠-١١.

(٢) صعدة: شمال صنعاء على بعد ٢٤٣ كم، كانت تسمى قبل الإسلام مجاع، انظر، صفة جزيرة، ٥٣، مراصد الاطلاع، ٨٥٤ / ٢، البلدان اليمانية، ١٦٣، نزهة النظر، ٢١ / ١، نشر العرف، ١ / ١٩٠، فرجة الهموم، ٣٦، حياة الأمير، ٦٢٣.

(٣) بنو جماعة: بطن من خولان، لهم بلاد واسعة من أعمال صعدة، تعرف ببلاد بني جماعة، انظر، قبائل العرب، ١ / ٢٠١، حياة الأمير، ٦١٣، ٦١٥، معجم المقحفي، ١٢٧.

(٤) رازح: من بطون خولان الشام، والجلبل المشهور فيها، جبل رازح، غرب شمال صنعاء، أحد قضوات صعدة، انظر، أئمة اليمن، ٣١ / ٢، نشر العرف، ١ / ٧٨٨، مذكرات المؤيد بالله، ٨٩، معجم المقحفي، ٢٥٨، صفة جزيرة، ٢٥٠.

(٥) الأهنوم: جبال شامخة في بلاد حجة في الشمال الغربي من صنعاء، سُميت بالأهنوم بن الحارث، أغلب قبائلها من بكيل، انظر، شرح أجود المسلسلات، ٢١، معجم المقحفي، ١٥، حياة الأمير، ٦١٠، معجم الحجري، ١ / ٩٥-٩٩.

الشام^(١) والشَّرْفَيْن^(٢) وبلادُ السُّودَةِ وكُحْلان تاج الدين^(٣) وعَفَّار^(٤) [١] والجهاتُ المتوسطةُ إلى أطرافِ يَريم، وأطرافُ مَخلاف العَوْد^(٥) بالاشتراكِ [٢] بينه وبينَ الدولةِ العثمانيةِ على وَفْقِ ما جرى، عليه الصلحُ [٣] بينه وبينَ الدولةِ العثمانيةِ على يدِ الوزيرِ أحمد عزت باشا الواصلِ إلى اليمنِ في أثناءِ سنةٍ واحدٍ وعشرين

(١) حَجُور: منطقة واسعة بالشمال الغربي من اليمن، من أوديتها مور، جبالها فصائل من جبال الشرفين، وتتبع حَجَّة إدارياً من قبائلها أسلم وأفلح وحجور الشام، والأهنوم والقَفَلَة وشُهارة، من أقسامها حجور الشام وحجور اليمن وحجور البُشَري، وبلاد الشرف الأعلى والأسفل، انظر، معجم المقحفي، ١٥٦، تاريخ اليمن الثقافي، ١ / ٥٥، مصادر الفكر الإسلامي، ٤١٠، اليمن الكبرى، ١٦٦، حياة الأمير، ٦١٦ .

(٢) الشَّرْفَيْن: شرف حَجُور الأعلى والأسفل، في الشمال الغربي من حَجَّة، ويتبعه كُحْلان الشرف، والشرف كثير في اليمن، انظر، الاكليل، ١٠ / ٨٦، صفة جزيرة، ١٢٦، المفيد، ١٤٨، نشر العرف، ١ / ٦٧، نيل الوطر، ١ / ٥٨، معجم الحجري، ٢ / ٤٥٠، معجم المقحفي، ٣٥١ .

(٣) كُحْلان تاج الدين: مدينة جبلية في الشرق الشمالي من حَجَّة بمسافة ١٧ كم، ويُقال لها، كُحْلان عَفَّار، نسبة إلى تاج الدين، محمد بن أحمد بن يحيى بن حمزة، شقيق عبد الله بن حمزة، انظر، معجم المقحفي، ٥٣٤، معجم الحجري، ٢ / ٦٦٣، هجر العلم، ١٨٠٨ وفيه تقع في سفح حصن كُحْلان من جهة الشرق، تبعد عن صنعاء ٩٠ كم.

(٤) عَفَّار: بلد من نواحي حجة شمالي شرق، على مقربة من كُحْلان تاج الدين، ينسب إليها بنو عَفَّار يفصلها عن حَجَّة وادي شَرس انظر، صفة جزيرة، ١٨٣، الاكليل، ٢ / ٨٨، معالم الآثار، ٧٦، نشر العرف، ٢ / ٦٨٥ .

(٥) العَوْد: مخلاف واسع من ناحية النادرة، شرق شمال إب انظر، صفة جزيرة، ٢٠٠، الاكليل، ٢ / ١٤٧، ٢ / ٣٦٧، معجم الحجري، ٢ / ٦١٨، معجم المقحفي، ٤٥٣ .

[١] الإضافة من س.

[٢] ف س، للاشتراك.

[٣] في ص، السلام.

وثلاث مئة وألف، وحكام مولانا قائمون بأعمالهم في حَراز^(١) ويَريم
وذَمَار وأنس^(٢) وصنعاء وعمران وحَجَّة وكوكَبان والنادرة^(٣) والجهات
المجاورة لصنعاء وغيرها. ووالي اليمن من قَبْلِ الدُولَةِ العُثمانيَّةِ محمود
نديم بك وقائدُ الجيوشِ التركيَّةِ أحمد توفيق باشا وقائدُ الجيوشِ المرابطةِ
بلحج سعيد باشا، ومن أطرافِ قضاءِ اللُحَيَّةِ^(٤) إلى نهايةِ قضاءِ المَخَا^(٥)
تحت أيدي العُثمانيَّةِ، والمستولي على قضاءِ أبي عريش^(٦) وصَبِيَّا^(٧) وبني

- (١) حَراز: صقع متسع غربي صنعاء بمسافة ٨١ كم، مركزه مَنَاخَة، وهو قضاء تابع
لصنعاء، ويتكون من مناطق جبلية، انظر، الأكليل، ١/٢٠٣، صفة جزيرة، ٢٠٩،
صفحات مجهولة، ٤٥، معالم الأثار، ٧٧ نيل الوطر، ١/٣٥٧، حياة الأمير، ٦١٧ .
- (٢) أنس: بلد واسع في الجنوب الغربي من صنعاء بمسافة ٦٠ كم، قاعدته صُوران، انظر،
معجم الحجري، ١/٢١-٣١، معجم المقحفي، ٥-٧ .
- (٣) النَادِرَة: اسم قضاء ناحية من قضوات إب شرق شمال إب ويشمل ناحية النَادِرَة
وخبان ودمت وقَعَطْبَة، جنوب صنعاء، في وادي بَنَّا، انظر، معجم المقحفي، ٦٥١،
معجم الحجري، ٢/٧٢٧، حياة الأمير، ٦٣٢ .
- (٤) اللُحَيَّة: ميناء يماني يقع على شاطئ البحر الأحمر إلى الشمال من ميناء الحُدَيْدَة، تقع
عند مصب وادي مور في ساحل المحالب، في الوسط بين الحُدَيْدَة جنوباً وبين ميدي
شمالاً، انظر، مراصد الاطلاع، ٣/١٠٠، المفيد، ٤٢، طبق الحلوى، ٩٠، اليمن
الكبرى، ٩٨، اليمن الخضراء، ٩٠، معجم المقحفي، ٥٤٨، هجر العلم، ١٩٢٩ .
- (٥) المَخَا: مدينة مشهورة على ساحل البحر الأحمر إلى الشمال من باب المنذب، غربي
مدينة تعز بمسافة ٩٤ كم، قديمة، ذكرتها النقوش باسم موزا، انظر، معجم المقحفي،
٥٧٠، معجم الحجري، ٢/٦٩٤ . طبق الحلوى، ٥٨، البلدان اليمانية، ٢٥٦ .
- (٦) أبو عريش: بلدة مشهورة في المخلاف السلياني، في الشرق من جيزان، تبعد عن مرفأ
جيزان بنحو ٣٥ كم هجر العلم، ١٤٢٣، اليمن الكبرى، ١١٧-١١٩ .
- (٧) صبيا: بلدة عامرة في المخلاف السلياني، ذكرها ياقوت، وقال: صبيا من قرى عَثْر من
ناحية اليمن، شمال جازان بنحو ٦٥ كم، وشمال شرقيها جبل عُكُوَة القريب من بلاد
الزرائب، انظر، هجر العلم، ٣/١١٥٤، البلدان اليمانية، ١٧٣ .

مروان^(١) وتلك الجهة السيد محمد بن علي الإدريسي^(٢) وهو موالي للنصارى إلا على المسلمين، ومنابدُ الموحدِين، وكافةُ جهاتِ لواءِ تعزّتِ يدِ الدولةِ العثمانيةِ، وأما أحوالُ ما عدا اليمنِ، فالحربُ الطاحنةُ بينَ الدولةِ العثمانيةِ وموافقِها من أممِ الافرنجِ كدولةِ الألمانِ،/ والنيمسا والبلغارِ وبينَ / ١١ / الإنكليزِ والفرانسةِ والايتاليانِ والجابونِ من أممِ الشرقِ الأقصى وأمريكا، ومن انضمَّ إليهم من دولِ النصرانيةِ غيرَ من ذكرنا فلم تزلْ مشتعلةً الوقودِ في كافةِ أنحاءِ المسكونةِ تقريباً، من أثناءِ سنةِ اثنتين وثلاثين وثلاثمائة إلى هذه الغايةِ. وقد تلفَ من الفريقينِ^{١١} أممٌ لا تُحصى وتحاربوا في البرِّ والمدافعِ والبنادقِ والجيشِ الجَرارةِ التي لم يُعْهَدُ مثلُ جموعِها منذُ كانتِ الحروبُ، حتى قُدِّرَتْ جيوشُ كلِّ دولةٍ بمتعددِ الملايينِ، والمليونُ ألفُ ألفٍ مقاتلٍ. وفي البحارِ بالبوابيرِ العظيمةِ المصفحةِ بالحديدِ والفولاذِ التي يقلُّ الواحدُ منها ألفاً من الجنودِ والمدافعِ الضخمةِ التي لا يُرمى بها ولا تُدارُ ولا تدخلُ فيها مرمياتُها إلا بالآلاتِ الهندسيةِ، والبابورُ عبارةٌ عن السفاينِ العظيمةِ المُسَيِّرةِ بقوةِ البخارِ المتولِّدِ من شدَّةِ غليانِ الماءِ بالنارِ، وفي الهواءِ بالطياراتِ التي بلغَ ما تحمُّلهُ إلى العشراتِ والمئةِ من الرجالِ مع مقذوفاتها الجهنميةِ، وهي مصنوعةٌ من الفولاذِ تطيرُ بقوةِ البخارِ المذكورِ بالآلاتِ سريعةِ الدورانِ فيتولَّدُ من سرعةِ

(١) بنو مروان: من قبائل تُهامةِ الشمالية وهم من بني مالك بن شهر، تسكن جبال السراة

الغربية الشمالية الواقعة على تهامة اليمن، انظر، حياة الأمير، ٦١٢ .

(٢) محمد بن علي بن محمد بن أحمد الإدريسي ت ١٣٤١ هـ، حاكم عسير والمخلاف

السلياني، أصله من فاس درس، في الأزهر ثم جاء إلى عسير، تعاون مع الإنجليز

والطليان، وشاغل الإمام يحيى بحروبه بمساعدة الإنجليز والطليان حتى احتل

الحُدَيْدَةَ، حول حروبه وعلاقاته انظر، تاريخ سينا لنعم شقير، ٦٦٦، ملوك العرب

لأمين الريحاني، ١/ ١٩٨، هجر العلم، ١١٥٧، الاعلام للزركلي، ٦/ ٣٠٣ .

[١-١]، سقطت من س.

دورانها صعودها بما أقلته في الهواء، وغير ذلك من الاختراعات العجيبة والأدوات الغريبة.

وكان الحرب بين الفريقين^(١) مستمراً، ولم تظهر الغلبة التامة لأحدهما مع بذل كل فريق ما في وسعه، ولقد نُقل إلينا أنّ القتلى الذين استشهدوا في جناق قلعة^(٢) أمّام مضيق بحر مرمرة، الموصل إلى استانبول^(٣) من العساكر العثمانية نحو من مئة وخمسين ألفاً، وهذا في معارك محل واحد.

فما بالك بسائر محال الحرب، وقد أصاب اليمن من نار هذا الحرب شرارة، فإنّ أمراء الحكومة العثمانية باليمن بعد إعلان الحرب المذكورة وجّهوا عساكرهم ومعدّاتهم إلى لحج^(٤)، وهي إذ ذاك بأيدي بني العبدلي^(٥)، وهم داخلون تحت حماية الإنكليز ورعايتهم، فصبّحوها بغاراتهم الشعواء، واشتعل الحرب بينهم وبين أجناد الإنكليز والعبدلي، فانهزم الإنكليزيون،

(١) جناق قلعة: اسم لمدينة وقلعة Canakkale، تربط بحر مرمرة ببحر ايجة (المتوسط)، عُرفت في العهد العثماني باسم القلعة السلطانية.

(٢) استانبول: عاصمة الدول العثمانية، ترتبط آسيا بأوروبا، معروفة ومشهورة، من أسماها القسطنطينية وبيزنطة والاستانة.

(٣) لحج: مغلاف ومدينة، في نهايته من الجنوب عدن، تبعد عن عدن بمسافة، ٤٠ كم، ومركزها الحوطة، كثيرة الخيرات، وفيرة المياه، انظر، البلدان اليمانية، ٢٤٥، اليمن الكبرى، ١٦٠، طبق الحلوى، ١٤٠، معجم الحجري، ٦٧٧/٢.

(٤) بنو العبدلي (ويجوز بالفتح)، سلاطين لحج ينسبون إلى عبدل، أحد أسماء حضرموت، وسلطان لحج منهم عبد الكريم بن فضل، الذي تسلطن سنة ١٣٣٦هـ، انظر، حياة عالم وأمير، ٢٥٣.

١] وقُتِلَ سلطانُ حجج^١ وفرَّ الباكون إلى عدن^(١) وثبتَ الجندُ العثمانيُّ في حجج وما جاورة إلى الغربِ من عدن، وما زال الجندُ العثمانيُّ مرابطاً هنالك، ومعهم كثيرون من أهلِ اليمنِ متطوعون للجهادِ، وكلُّما خرجَ الإنكليزُ من عدن أغاروا عليهم وردُّوهم إلى أمّاكنهم وغنموا من معدّاتهم والآتهم / وأعيانهم أمرهم. ١٢ /

و^٢] في أثناء شهرِ الحرامِ من العامِ الجديدِ رُفِعَتْ إلى المولى الإمامِ التهامي من الأفاضلِ، وهي كثيرةٌ، ومِنَ أَرْحَ الْعَامِ الْحَاجُّ الْجَمَالِي عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدِ صَلاَحُ الدِّينِ^(٢)، البادرة في التواريخ، والذي رفعه إلى المولى الإمامِ قوله: [الكامل]

بُشْرَى بِإِقْبَالِ الْإِمَامِ فَإِنَّهُ	فِي عَصْرِنَا وَافِي بِأَفْرَاحِ الْمُهْجِ
فَاللَّهُ يَنْصُرُهُ عَلَى كُلِّ الْعَدَى	وَيَدِيمُ دَوْلَتَهُ لِإِبْلَاحِ الْحُجَجِ
وَقَدُومُهُ بِالْفَتْحِ جَاءَ مُبَشَّرًا	وَالنَّاسُ حِينَ أَتَى أَتَوْا مِنْ كُلِّ فِجِّ
وَالْحَمْدُ لِلْبَارِي عَلَى إِقْبَالِهِ	فَلَقَدْ أَزَالَ بِيَمِينِهِ حَرَجَ الْهَرَجِ
وَبَشَائِرُ التَّائِيدِ أَشْرَقَ نَوْرُهَا	وَالْعُسْرُ زَالَ وَأَمْرُهُ عَنَّا عَرَجِ
وَالْمُسْلِمُونَ جَمِيعُهُمْ فِي رَاحَةٍ	وَالنَّصْرُ لِلْإِسْلَامِ فِي أَعْلَا دَرَجِ
وَلِذَلِكَ الْبُشْرَى أَتَى التَّارِيخُ قَدْ	لَا حَتَّ لِكُلِّ النَّاسِ أَنْوَارُ الْفَرَجِ

(١) عَدَن: مدينة مشهورة على ساحل بحر اليمن في الجنوب، مرفأ المراكب القادمة من الهند والحجاز والحبشة، يحميها جبل شمسان وبها قلعة حصينة، انظر، صفة جزيرة، ٥٣، معجم البلدان، ٨٩/٤، مراصد الاطلاع، ٩٢٣/٢، معجم الحجري، ٥٨٢/٢، طبق الحلوى، ٧٣.

(٢) علي بن أحمد صلاح الدين ت ١٣٧٩ هـ، عالم، أديب شاعر، له ولع بالتاريخ ونظم الألغاز، تولى الكتابة على بعض أعمال الوقف في نظارة السيد قاسم بن حسين أبو طالب، قاسم العزي، ولد في صنعاء في صفر ١٢٩٠ هـ، انظر، نزهة النظر، ٤٢٠.

[١-١]، سقطت من س. وعليها تعليق: فلينظر ذلك. كان السلطان هو أحمد بن علي العبدلي الذي مُنِحَ لقب "Sir" سير، وقد انسحب من عدن، وقد أصيب برصاصة أثناء الهرج والقوضى التي دبت في المعسكر، ووصل عدن جريحاً، وهناك فارق الحياة، انظر، جيكب، ملوك شبه الجزيرة العربية ١٠٣-١٠٤.

[٢] سقط من س حوالي ثلاث أرواق

وفيه وصل أوائل حجّاج بيت الله الحرام، ووصفوا بعض ما بلغهم من أخبار الشام والعراق، والخاصة من ذلك:

أنّه قبل سنتين من هذا التاريخ حصل الانحراف من الشريف حسين بن علي^(١) من ذوي عون، أشراف مكة، عن طاعة الدولة العثمانية، ولم يزل أسلافه تحت طاعة الأتراك من بداية استيلائهم على القطرين الشامي والمصري في القرن العاشر في زمن السلطان سليم بن بايزيد^(٢)، فانتموا إلى العثمانيين بعد أن كانوا في زمن الغورية الممتلكين للشام ومصر، ينتمون إليهم، فلما أزالهم السلطان سليم بادروا بالانتماء إلى الأتراك، واستمروا كذلك والأشراف لهم الحل والعقد في الحجاز بالاشتراك مع ولاية الأتراك.

ولما حصل الحرب العظيم، وكانت أمم الإفرنج قد أظهرت سيطرتها على الأمم وعلى الخاصة، ما تمكنت منه الإنكليز، فإنهم قد كانوا أغووا كثيراً من رؤساء المسلمين في جزيرة العرب واستهؤوهم واستمالوهم إليهم في صفة المعينين لهم، وكانوا يمدونهم بالأسلحة نكاية بالأتراك.

(١) الحسين بن علي بن محمد بن عبد المعين بن عون، من أحفاد أبي نُمي ابن بركات الحسيني الهاشمي ت ١٣٥٠ هـ في عمان، ودفن في القدس، آخر من حكم مكة من الهاشميين ونادى باستقلال العرب والانفصال عن الدولة العثمانية، حارب الأتراك، وقاد الثورة العربية الكبرى، خدعه الانجليز وأفشلوا آماله في وحدة العرب، انظر ملوك العرب، ٢٣/١، وما رأيت وما سمعت، ١٠٩، قلب جزيرة العرب، ٣١٦، الاعلام، ٢٤٩/٢

(٢) سليم بن يايزيد: يا ووز سلطان سليم بن يايزيد الثاني، تاسع سلاطين بني عثمان حكم من ١٥١٢ - ١٥٢٠ انظر Osman Lilar Albumu 1:49

ففي نجد استهوّوا بني سعود^(١). وفي البحرين وعمّان استمالوا مَنْ فيه من الخوارج، حتى دخلوا تحت حمايتهم. وفي الكويت ابن الصّباح^(٢)، وفي حضرموت^(٣) والشحر^(٤) ومكلاً^(٥) القعيطي^(٦) وهو تحت حمايتهم، واحتلوا عدن من البلاد اليمنية، واستمالوا العبدليين وغيرهم من قبائل السواحل، وكان القطر المصري تحت أيديهم، وكذلك الخليج الذي وقع حفره.

وكان الوصلُ به بين البحر الرومي وهو البحر الأبيض وبحر القلزم المسمى الآن بالبحر الأحمر فكان أيضاً تحت أيديهم، وقد كان الأتراك أرادوا اجتيازَه من الجهة الشامية، ليتوصلوا به للدخول إلى مصر، فصدّوا مراراً بما أعدّه الانكليز هنالك من القلاع والجنود، وساعدهم المصريون على ذلك فتيسّر لهم هذا الغزو المهول/ استمالة الشريف حسين بن علي للخروج عن طاعة العثمانيين، / ١٣

(١) عبد العزيز عبد الرحمن بن فيصل بن سعود ١٢٩٣هـ - ١٣٧٣هـ، مؤسس المملكة العربية السعودية، انظر، الاعلام ١٩/٤٢ وسيرته، أمين الريحاني: تاريخ نجد الحديث، فؤاد حمزة: البلاد العربية السعيدة، حافظ وهبة: جزيرة العرب، ومراجعته كثيرة.

(٢) المقصود بابن الصباح: الشيخ سالم بن مبارك الصباح (حكم ١٩١٧-١٩٢١م/ ١٣٣٦هـ-١٣٤٠هـ)، انظر، تاريخ الكويت الحديث، أحمد مصطفى أبو حاكم، ٣٤٢.

(٣) حضرموت: تعرف بالأحقاف قديماً، بلاد واسعة في جنوب اليمن، تقع إلى الشرق والشمال الشرقي من مدينة عدن، نسبت إلى حضرموت بن حمير الأصغر انظر، معجم الحجري، فرجة الهموم، ٣٧، المقتطف، ١٦، معجم المقحفي، ١٧٧، اليمن الخضراء، ١٢٦.

(٤) الشحر: مدينة من حضرموت، تطل على البحر الهندي، ميناء هام من موانئ حضرموت، ينسب إليها العنبر الشحري انظر اليمن الكبرى، ١٧٣، معجم البلدان، ٣/٣٢٧، اليمن الخضراء، ١٢٨، قرة العيون، ٣٠٤، معجم الحجري، ٢/٤٤٧.

(٥) المكلاً: على ساحل بحر اليمن، ميناء مشهور.

(٦) المقصود السلطان غالب بن عمر القعيطي.

وإعلان الانفصال عنهم، فثار بمن في مكة من الجند التركي وأسْرهم، واستولى على ذخائرهم ومهماتهم الحربية، وساق الأسرى إلى جدة^(١). وسلّمهم إلى الانكليز، ثم جهّز أولاده إلى الجهات قبائل الحجاز، فوجّه ولده فيصل^(٢) إلى العقبة^(٣)، وهي آخر مرسى للبحر الأحمر مقابل للقطر الشامي. وجاء إليها بحراً على بوابير الإنكليز، وبعضهم على المدينة المنورة - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - وما زالت الحروب بينهم ومعهم الانكليز يمدّونهم بالمال والذخائر والرجال وبين الأتراك سجالات، تارة لهم وتارة عليهم، حتى ثبتت أقدام الشريف فيصل ومن معه، واستولوا على العقبة، وأسروا من فيها من جنود الأتراك ثم تقدّموا إلى أن وصلوا إلى معان^(٤)، وهي بلدة كانت أعمالها مربوطة بولاية دمشق، واستولوا عليها، وتمكنوا بذلك من قطع السكة الحديدية^(٥) التي كانت ممتدة من دمشق إلى المدينة المنورة. قلت: وهذه السكة الحديدية اعتنى بتشيدها وبنائها السلطان عبد الحميد بن عبد المجيد العثماني في أواسط سلطنته، وتمّت بعد أعوام، أنفق فيها السلطان المذكور الأموال الوفيرة، والسكة

(١) جدة: تقع على ساحل البحر الأحمر، ميناء تجاري للسفن القادمة من الهند وعدن واليمن وعيذاب وسواكن ودهلك، معروفة من الحجاز، انظر، الروض المعطار، ١٥٧، الحضراوي، الجواهر المعدة، ١١، السلاح والعدة، لابن فرج، ٣٦.

(٢) فيصل بن الحسين بن علي ت ١٣٥٢ هـ، قاد قوات الشريف الحسين في معاركه ضد العثمانيين ونودي به ملكاً على سوريا ومن ثم على العراق، انظر عمر أبو النصر، فيصل بن الحسين، أمين الريحاني، فيصل الأول، الاعلام ٥ / ١٦٥.

(٣) العقبة: في جنوب الأردن، تقع على ساحل البحر الأحمر، ميناء الأردن، انظر، الروض المعطار، ٧٠.

(٤) معان: مدينة في بلاد الشام إلى الطريق إلى المدينة، هي في جنوب الأردن.

(٥) المقصود سكة حديد الحجاز، انظر حجاز تيمور يولى ط ١٣٢٨ هـ.

الحديدية عبارة عن بناءٍ ممرٍ للبوابير المسماة في اللغة الافرنجية بالشمندوفار^(١)، تُشَيَّدُ أولاً برصّ الأحجارِ بعدَ الترابِ ثم بالحشْبِ ثم بالحديدِ، ليكونَ مرورُ عجلاتِ البوابيرِ البريَّةِ فيها، ولها في سرعةِ السيرِ الغايةُ القصوى، فقد كانَ المسافرُ يصلُ من دمشقَ إلى المدينة المنورة في أربعةِ أيامٍ بعدَ أن كانت لا تقطعُها الرواحلُ إلا في أربعين يوماً والمسافرُ مع ذلك في البابورِ البري قاعدٌ كأنه في مكانٍ منْ غَرَفِ بيته لا يُصيِّبه ألمٌ ولا مشقةٌ.

وهذه البوابيرُ البريَّةُ مسيِّرةٌ بقوةِ البخارِ المتولِّدِ من فرطِ غليانِ الماءِ بالنارِ، وبواسطتها تمكَّنَ الأتراكُ من البقاءِ في المدينة المنورة لجلبهم الجنودَ والذخائرَ والنفقاتِ للجنودِ على هذا البابورِ، فلما وصلَ الشريفُ فيصلٌ إلى مَعانَ، وتمكَّنَ من قطعِ السكَّةِ الحديديةِ، زحفَ الشريفُ فيصلٌ وجنودُه والإنكليزُ وجنودُهم والفرانسويون على دمشقَ، وقد كان الإنكليزُ - بعدَ أن صدوا العثمانيين من اجتيازِ القنالِ - أنزلوا جنودَهم إلى مدينةِ غزة^(٢) والعريشِ^(٣)، ووقعتْ بينهم وبين الأتراكِ ومَنْ أعانهم من الألمانين، معاركٌ يشيَّبُ منها الوليدُ، وزحفوا منها إلى فلسطينَ، واستولوا على بيت المقدسِ وجميعِ بلادِ فلسطينَ، ثم زحفوا منها إلى الشامِ وجَرَّتْ بينَ الفريقينِ معاركٌ كبرى على أريحا^(٤) وبحيرةِ طبرية^(٥).

-
- (١) الشمندوفار: Chemins Defer، الكلمة فرنسية وتعني خطوط السكك الحديدية.
- (٢) غزة: مدينة في جنوب فلسطين، على ساحل البحر الأبيض المتوسط، بها قبر هاشم بن عبد مناف، انظر الروض المعطار، ٤٢٨.
- (٣) العريش: من مدن مصر، على الساحل، أول مدن مصر من فلسطين، الروض المعطار، ٤١٠، صبح الأعشي، ٣/٣٨٢، ياقوت، معجم البلدان مادة عريش.
- (٤) أريحا: مدينة فلسطينية قديمة، أقرب مدن فلسطين إلى نهر الأردن، مشهورة معروفة.
- (٥) طبرية: مدينة من بلاد الأردن بالشام، بناها طياريوس أحد ملوك الروم، تقوم على بحيرة، وهي معتبرة من مدن فلسطين المحتلة، انظر، الروض المعطار، ٣٨٥، البلدان لليعقوبي، ٣٢٧.
-

وفي نهايتها تفهقر العثمانيون، ووقع جنْدُ الأتراكِ في أيدي الإنكليز أسرى، حتى لقد قيلَ: إِنَّه بلغَ عددُ أسرى الأتراكِ في الشامِ إلى ما ينوفُ على سبعين ألفاً، والأمرُ لله وحده، ولما تمَّ لهم ذلك اجتمعَ على دمشقَ ودخلوها، وأسروا مَنْ فيها من الجنودِ، وانتهبوا ما فيها من المعداتِ. وتقلَّصَ ظلُّ سلطنةِ الأتراكِ عن البلدانِ الشاميةِ جميعاً، فإنهم بعدَ ذلك تتبَّعوها بلداً بلداً، واستولوا على مثلِ بيروتَ وطرابلسَ وحمصَ وعكا وصيدا وصورَ وناپلسَ. وزحفوا منها جميعاً إلى ولايةِ حلب، وتمَّ لهم ما أرادوا من الاستيلاءِ عليها، وعلى جهاتها واستقبلهم سكانُها بالترحيبِ، وهكذا انقضى زمنُ دولةِ الأتراكِ من تلك الأقطارِ.

/ ١٤

ولما تمَّ من الحوادثِ المهولةِ هذه ما تمَّ، وصادفَ وقوعُ أكثرِها في موسمِ الحج، كان الحُجَّاجُ يشاهدون إشعالَ النيرانِ من طرفِ الشريفِ حسين وأعوانه. وضربَ المدافعَ وغيرَ ذلك، مما هو علامةٌ على ورودِ البشائرِ فيسألون عن ذلك، ويُقالُ لهم: إن الشريفَ فيصلاً استفتحَ بلدَ كذا، فوردوا بهذه الأخبارِ، ورُفِعَ إلى مولانا الإمام -أيده الله- بعضُ منها، فاهتمَّ لها اهتماماً عظيماً، وظهرَ عليه أثرُ الأسفِ لما تحويه من وقوعِ الدولةِ العثمانيةِ في شبكةِ مكرِ النصارى، ومن أعاتهم مغتراً بوعودهم الكاذبةِ وإمدادهم له بالأموالِ في سبيلِ سعيهِ في مصلحتهم، لا قوةَ إلا بالله.

ولقد بذلَ الإنكليزُ غايةَ مجهودهم في استمالةِ مولانا الإمامِ إلى نقضِ ما بينه وبينَ حكومةِ الأتراكِ من الصلح، فأبَتْ نفسُه الكريمةُ وحميتُه الدينيةُ وأنقتهُ الهاشميةُ إلا الوفاءَ بالعهودِ والاستمرارِ على السعيِ المحمودِ. بل لم تنزلْ يدهُ الطولى تمدُّ إلى الأتراكِ - في أثناءِ هذا الحربِ العظيمِ، بالجُمِّ من الأموالِ، ولا سيما بعدَ

إحكامهم حلقات الحصار البحري على مَنْ باليمن وانقطاع المدد عنهم من كلِّ جهة، وهكذا شأن مَنْ كلُّ أعماله يُرادُّها وجهُ الله عزَّ وجل، ولا يشوبها وزنُ الطمع المُفْضي للوقوع في مزالق الزلل، فجزاه الله عن المسلمين خيراً، فلقد أبقى للديار اليمنية الداخلة تحت طاعته سمعةً يتعطرُّ منها جيبُ الزمان، ويستنشقُ عندَ ذكراها نفحاتِ مدادِ الرحمن^[١].

وفي اليوم التاسع من شهرِ صفر، وصلَ والي اليمن محمود نديم بك ورئيسُ الجنودِ التركيَّةِ وقائدُها أحمد توفيق باشا إلى صنعاء عائدين من اليمن الأسفلِ وجهاتِ زَيد، وكانت طريقيُّهما من الجهةِ العدنية^[٢] إلى إب^(١) فيرِيم وذَمَار وما بعدَها إلى صنعاء^[٣]، وخرجَ الناسُ لاستقبالهما وظهرَ عليهما بعضُ إماراتِ الانزعاج.

وفي اليوم الثاني، وهو عاشرُ الشهرِ بادرا بالوصولِ إلى مولانا الإمام وتشرفا بزيارته، وأبلغا مولانا الإمامَ ما قد وصلَ إليهما من الأخبارِ المدهشةِ السريعةِ، وكانت حقيقةً ما وصلا إليهما أنها في أثناءِ عودهما إلى صنعاء لم يرِعْهُمَا إلا ورودُ نبأ تلغرافي في كتبٍ مِنْ لحج، بعدَ أن تُلقي من عدن بواسطة الإنكليز، وكان عليه اسمُ الصدرِ الأعظم أحمد عزت باشا^(٢)، وهذا اللقبُ في الدولةِ العثمانية لرئيس وزراء السلطان، ولم يكنْ محرراً بأحرفِ الكتابة وقواعدِها بل بالآلةِ المسماةِ بالشفيرة، فلما صار حل تلك الأعداد،/ كان ما تضمَّنَه^[٢] عبارةً عن ١٥ /

(١) إب: مدينة عامرة تبعد عن صنعاء ٢٠٠ كم جنوباً غرباً في رأس ربوة متصلة بجبال بَعْدَان، وعلى بُعد ٦٥ كم من تعز، انظر، مراصد الاطلاع، ١/ ١٠، معجم البلدان، ١/ ٦٤، تاريخ مدينة صنعاء، ٦١٧، البلدان اليمنية، ١١٥، حياة الأمير، ٦٠٧.

(٢) حول الهدنة والتلغرافات انظر، هدية الزمن ٢٤٢-٢٦٠ والوثائق ص ٣٠٣-٣١٤، وقد ناقشنا هذه التلغرافات في الدراسة وأوضحنا رأي الإمام فيها.

[١-١] سقطت من س. [٢] في ص، نصه.

الإفادة بوقوع الهزائم المتوالية على الدولة العثمانية والألمان، ومن إليهم، وأن الدولة قد اضطرت بعد فرار وزرائها الذين تولوا أمر الحروب إلى ترتيب الوزراء الآخرين والمبادرة إلى طلب الصلح من الإنكليز والفرانسويين ومن إليهم، وكان عقد الهدنة بين الفريقين مدة ثلاثة أشهر، وجاء من شروط عقد الهدنة^[١] التي رُتبت بين الفريقين^[١] أن على الدولة العثمانية أن تضع قوتها البحرية والبرية ومعداتها تحت تسلط الإنكليز ومن إليهم، وأن يحتل الإنكليز ما أرادت من بلدان الدولة العثمانية الباقية تحت يد الدولة العثمانية إلى وقت عقد الهدنة. وأن الجنود الباقية في مثل اليمن والمدينة المنورة وعسير ونحوها، يكون منهم تسليم أنفسهم ومعداتهم إلى يد الإنكليز، وغير هذا من الشروط التي لا يطيق تحملها ذو حياة، وألزم الصدر الأعظم أمير الجنود التركية ههنا - أعني في اليمن - بالعمل بمقتضاها^[٢] والترامي إلى أحضان العدو الكافر، نسأل الله السلامة من الخذلان، ولما أفاض المذكوران حديثهما^[٣] ورفعاه إلى مسامح مولانا الإمام، قابلهما بالثبوت ولزوم التأني والتعميم على عدم التسلم^[٣] إلى الكافر، ووعدهما الإمام بكل جميل والتزم لهما بالإنفاق على الجنود، وبقاء الأمور جارية على محورها المعهود، وأفادهما بأنه لا ينبغي الاطمئنان إلى خبر كان مصدره العدو، وأما كونه بالشفيرة السرية فتطرق إليه احتمال عثور الإنكليز في البلدان الشامية أو العراقية، التي استولوا عليها، على مفتاح حلها^[٤]، وبعد بذل المجهود من مولانا الإمام في صد المذكورين عن العمل بمقتضى ذلك البناء، استقر الحال على أن يكون من مولانا الإمام الدخول إلى

[١] في س، بمقتضى هذا.

[٣-٣] سقطت من س.

[٤] في س، سرها وحلها.

[٣-٣] سقطت من س.

صنعاء واستلام قصر غمدان^(١)، والمعدات الموجودة فيها، وكذلك في سائر الجهات، وأرسل مولانا الإمام أمراً شريفاً إلى قائد الجنود التي بلحج سعيد باشا يلزمه فيها بالتوقف عن تسليم نفسه، ومن معه من الجنود والمعدات الحربية، وكانت شيئاً، وعدداً وثيراً، وكان أرسله بواسطة التلغراف، وقابل مولانا الإمام -أيده الله- هذه الحوادث المريعة بثبات الجأش التي لا تزغعه زوابع الحادثات الكوارث، وكان ذلك ديدنه -عليه السلام- فلم يكن ممن يغره الانتصار ولو عظم، ولا يقعد همته الصادقة مهول الانكسار وإن جُسم.

لا زال يتلقى الأمور بترؤ وبصيرة، فيبرزها في أكمل خطة منيرة، وكان من عناية الله -سبحانه- بشأنه وشأن المسلمين، ما ألهمه الله للقيام به من دون عادة مألوفة، وهو عزم ذاته الشريفة على الوصول إلى الروضة قبل أن يظهر أثر من آثار هذه الكوارث، فصادف وقوعها وهو مقيم بالروضة وعلى قرب تمكن به من تلافي رمق هذه الأقطار ووقايتها من أخطار الكفار، ولولا وجوده -أيده الله- لتمكّن الكافر من الاستيلاء على البلاد، / صفواً عفواً خلّوها من المدافع / ٦ وعموم الدهشة بالخبر الفاجع، فكان قربه - عليه السلام - ووجوده رحمة من الله لعباده، ولطفاً أزال عنهم خطر الكفر وفساده.

وفي صباح اليوم الثاني من تلك الملاقاة، وهو يوم الجمعة، حادي عشر الشهر المذكور، بادّر مولانا الإمام بإرسال السيد العلامة الهمام، جمال الإسلام، عليّ بن عبد الله الوزير، ومعه عصا بة نافعة إلى جهات حراز، لاستلام حصونها

(١) غمدان: قسبة صنعاء، كان الضحاك بناه على اسم الزهرة بجوار جامع صنعاء، خرّبه عثمان بن عفان، كان يتكون من أربع عشرة طبقة، وإذا قعد فيه ملوك اليمن واشعلت السرج، رئي ذلك على مسيرة أيام، انظر، الروض المعطار، ٤٢٩ / صبح الأعشى ٤٠ / ٥، الاكليل، ١٢ / ٨، معجم ما استعجم، ٣ / ١٠٠٢، البلدان البيانية، ٢١٩ .

وترتيبها خوفاً عليها من الباطنية^(١)، سكان حراز، لأنهم كانوا يُظهرون الانحراف عن الموالاتة، ولاستلام ما هنالك من المدافع والذخائر الحربية، فتم ذلك في أقرب مدة على أحسن ما يرام، وضُبطت تلك الجهات ورُتبت حصونها، ودخل الباطنية، الذين هنالك، تحت الطاعة والموالاتة.

وبعد صلاة الجمعة أرسل مولانا الإمام السيد العلامة عبد الله بن أحمد الوزير^(٢)، وكان مقيماً بحضرة الإمام منذ وصوله من ذمار، بعصاية نافعة إلى صنعاء، وأمره الإمام بترتيب قصر صنعاء وأبوابها، وأعقبه بأخرين للنظر فيما يُخشى فواته من المهمات.

(١) الباطنية: يقصد بها الاسماعيلية، حيث انفصلت عن الجعفرية واعتبرت الأئمة من نسل إسماعيل، ويطلق عليهم في بعض الأحيان، المكارمة، والمكارمة طائفة اسماعيلية يسمون السليمانية نسبة إلى سليمان بن حسن، من أعيان المئة الحادية عشرة، سكنوا حراز وغراس من يريم والمزاحن من العُدين، وطيبة من همدان، ورئاستهم في يام نجران وطائفة أخرى هي الدود نسبة إلى داود بن قطب شاه ويسكنون بالشرقي، اليعابر وبني مقاتل في حراز ورئاستهم بيد سلطان البهرة في الهند، انظر، هجر العلم، ١٦٩٤، حياة الأمير ٦٣٩، ٦٤٠.

(٢) عبد الله بن أحمد بن محمد الوزير ٣٠ جمادى الآخرة ١٣٦٧ هـ في ساحة حورة في حجة إعداماً، ولاة الإمام يحيى الحكم والقضاء في ذمار سنة ١٣٣٤ هـ وقد مهدّ الحدأ وعمّمة ووصاب العالي والسافل وجبل راس من أعمال زبيد وحيس والمخا، وامتدّ نفوذه إلى إب وحاشد وأرحب وتهامة، وشهر أمر حملاته العسكرية وخاصة في معارك البيضاء، وكان الممثل للإمام في اتفاقية الطائف ٦ صفر ١٣٥٣ هـ، وكان لأحداث ١٣٦٨ هـ/ أثرها إذ غدا الإمام ومن ثم القي القبض عليه وأُعدم، انظر، هجر المعلم، ١٩٦ - ٢٠٧، مجلة المنار مجلد ٣٤ ج ٣ تاريخ ٣٠ ربيع الأول ١٣٥٣ هـ، ١٩١، حياة الأمير، ٥٦١.

وفي نهارِ الأحدِ الموافق ثالثَ عشرَ الشهرِ المذكورِ، كان دخولُ مولانا الإمام، أيده اللهُ، إلى صنعاءَ دخولاً معظماً، لم يُعْهَدْ مثلهُ وخرجَ الناسُ زرافاتٍ لتلقِيه، وكان مع مولانا الإمام كثيرون من عُقَّالِ حاشد وأرحب^(١) ونهيم^(٢) وخَوْلان^(٣)، فقصدَ مولانا الإمامُ جامعها المقدَّس، فصلىَ به صلاةَ العصر، ثم انتقلَ من هنالك إلى دار القاضي العلامةِ حسينِ بن علي العمري بمحروس، بئر العزب^(٤)، واستقرَّ بها. وواجهَ هنالك كافةَ الأفاضلِ والعلماءِ والأشرافِ وكافةَ أمراءِ الأتراكِ وقضائهم، وشرعَ في ضبطِ الأمورِ وتحريِ مصالحِ الجمهورِ،

(١) أَرْحَبُ: قبيلة كبيرة من همدان، واطلقت على ناحية تابعة لمحافظة صنعاء تبعد عنها بمسافة ٥٠ كم شمال شرقيها، يحدها شمالاً وادي ذيبين وجنوباً بني الحارث وشرقاً بلاد الجوف وبعضَ نهم وغرباً همدان وطرفاً من حاشد، انظر، الأكليل، ١٠ / ١٣٤، البلدان اليمانية، ٢١، اليمن الكبرى، ٧٣، نشر العرف، ٢ / ٢٧٤، معجم المقحفي، ٢٤، حياة الأمير، ٦٠٩.

(٢) نِهْم: قبيلة من بكيل الهمدانية، مساكنها في الشرق الشمالي من صنعاء، على بعد ٥٨ كم، تتصل من شمالها بالجوف وبلاد سُفيان ومن شرقيها بالجوف ومن جنوبها ببلاد حشيش وخولان العالية، ومن غربيها ببلاد أرحب، انظر، الاكليل، ٢ / ٤٥٣، صفة جزيرة، ١٥٤، نشر العرف، ٢ / ١٩٤، معجم الحجري، ٢ / ٧٤٦، اليمن الكبرى، ١٩٤، معالم الآثار، ٣٧.

(٣) خَوْلان: من القبائل اليمانية الكبرى وهي ثلاث أقسام، خولان صنعاء وخولان صعدة وخولان قضاة وهي خولان ابن عامر ولكل فرع بلادها الواسعة، انظر، معجم الحجري، ١ / ٣١٣، معجم المقحفي، ٢٢٢ - ٢٢٥ نشر المحاسن اليمانية، ٨١، البلدان اليمانية، ١٠٤، اللباب، ١ / ٤٧٢.

(٤) بئر العزب: بالغرب من صنعاء القديمة، وكان يفصله سور قصر السعادة ومباني حكومية، ويصله بصنعاء باب السباح، يحده غرباً قاع اليهود وشرقاً صنعاء وشمالاً بني الحارث وجنوباً بعض قاع صنعاء، انظر، صفات مجهولة، ٣٦، حياة الأمير، ٦١٢.

وبثَّ الأمانَ وكفَّ أيدي الرُّعاع، وصدرَ أمرُه الشريفُ بمنع الدخول من أبواب صنعاء بالسلاح، ورتَّب هنالك أمناءَ لقبضِ سلاح كلِّ واصل، وكان الأمر الشريفُ يتضمَّنُ منعَ البنادقِ لا ما عداها، فجرى ذلك على أكمل أسلوبٍ، وكان في ذلك من المصلحةِ العامة ما ظهرَ أثره المحمودُ من منع وقوع الحوادثِ والفتنة بين أهل صنعاء، ومَن وردَ عليها أو مِن الواصلين فيما بينهم على كثرة مَن يردُّ إليها من البلادِ المجاورة لها، ومن سائر الجهات، ولا سيما وقت اجتماع الجنودِ وبلوغِ عددهم، إلى الآلاف العديدة.

وفي يوم وصوله - عليه السلام - تلقى الوافدين إليه من أعيانِ لواءِ تعز، وهم السيدُ أحمد بن علي عبدالجبار^(١)، وكان يُلقَّب بالباشا، والقاضي عبدُ الرحمن بنُ علي الحداد^(٢) حاكمُ لواءِ تعز من قبَلِ / الدولة العثمانية، والشيخُ إسماعيل / بنُ محمد باسلامه^(٣)، عاملُ قضاءِ إب من قبَل الأتراك، وأربعةٌ من

(١) أحمد بن علي بن عبدالكريم بن عبدالجبار المجاهد ت ربيع الأول، ١٣٦٧ هـ، عالم في كثير من العلوم، تولى القضاء في سن مبكرة وتدرج حتى صار حاكماً للواء تعز، وكان خطيب جامع الملك المظفر، ومدير المدرسة العلمية بتعز، شارك في الحرب الكونية الأولى إلى جانب العثمانيين كان يلقب بالباشا من ذرية أحمد بن المتوكل على الله قاسم بن حسين، ولد سنة ١٣١١ هـ، نظر، هجر المعلم، ١١٧٨.

(٢) عبد الرحمن بن علي بن ناجي الحداد توفي سنة ١٣٤٠، أديب، شاعر، تعين للفتوى في إب، رافق وفد العلماء إلى استانبول سنة ١٣٢٥ هـ، وعينه الإمام لقضاء تعز، نظم الاختيارات الامامية للإمام يحيى وشرحها، وله تحفة الأصفياء وتحفة الإخوان، ولد في إب سنة ١٢٩٣ هـ، انظر نزهة النظر، ٣٤٧، حياة الأمير، ٥٢٦ وفيه خلاف في الولادة والوفاة.

(٣) اسماعيل بن محمد بن سلامة ت ١٣٥٢ هـ كتب محمد بن علي الأكوخ كتاب عالم وأمير ط ١٤٠٧ والعالم هو أحمد بن عبد الله بن يزيد بن صلاح مطهر هجر العلم ٤٣٩، حياة الأمير، ٥٣٨، عامل قضاء إب وحاتم اليمن للأتراك ترقى حتى رتبة قائم مقام، عينه الامام بعد انضمامه عليها.

أولادِ الشيخِ عليِّ بنِ عبدِاللهِ بنِ سعيدِ بنِ أحمدَ بنِ عليِّ سعدٍ من مشايخِ العَدَينِ، والشيخِ محمدِ بنِ عبدِالوهابِ بنِ محمدِ بنِ قاسمِ، والشيخِ محمدُ بنُ عبدِالواحدِ بنِ محمدِ بنِ قاسمِ، والشيخِ عبدِالواسعِ نعمان^(١) من مشايخِ الحُجَريَّةِ^(٢)، والشيخِ عليِّ ناصرِ الكمرانيِّ نائباً عن الشيخِ محمدِ ناصرِ باشا^(٣)، عاملِ القماعة^(٤)، وغيرها من الجهاتِ المتاخمةِ لها، والحاجِّ محمدِ عايضِ العُقَابِ^(٥) من مشايخِ حُبَيْشِ^(٦)، فتلقَّاهم مولانا الإمامُ أحسنَ تلقَّى، وأكرمَهُم أوفراً إكراماً، وكثرتِ المراجعةُ بينهم وبينَ مولانا الإمامِ فيما يكونُ به الموالاةُ، وانتظامُ أمرِ الطاعةِ وصيانةُ البلادِ من أخطارِ الكُفَّارِ، وإيقافُ العساكرِ التركيَّةِ المقيمةِ بلحجٍ من التسلُّمِ إلى أيدي الانكليزِ، ووقوفُهُم في مكانهم.

(١) عبدالواسع أحمد نعمان: من شيوخِ الحجريَّة، وعاملِ ناحيةِ المقاطرةِ ت ١٣٣٩ هـ. في معركةِ المقاطرةِ، انظر، حياة الأمير، ٥٦٩.

(٢) الحُجَريَّة: بلادٌ واسعةٌ جنوبَ تعزٍ، كانت تسمى قديماً بأسمِ المعافرِ، مركزها اليوم «التربة» من قرىِ مَخلافِ ذبَحانِ، انظر معجمِ المقحفِي، ١٥٥، معجمِ الحجريِّ، ٢٣٢/١ - ٢٤٢.

(٣) محمد ناصر مقبل، (باشا القماعة): ولاة الأتراك الضالِح سنة ١٣٣٣ هـ. بالإضافة إلى قائمِ مقاميةِ القماعة، وأقبل الامامِ يحيى بعد دخوله صنعاء ١٣٣٧ هـ، كان متقلبِ الولاءِ، حتى كان له اتصالٌ بالانجليزِ، انظر حوله، هدية الزمن، ٢٧٦، حياة الأمير، ٥٩٩.

(٤) القماعة: قضاءٌ من ألويةِ تعزٍ على بعد ٥٠ كم، يقع بين قَعطبةِ شمالاً والقبيطةِ جنوباً، ولواءِ تعزٍ غرباً، على مقربةٍ من الجندِ، مركزها ماوية، انظر، معجمِ الحجريِّ، ٢/٦٥٧، معجمِ المقحفِي ٥٢٣، حياة الأمير، ٦٢٨، وهي عُزلةٌ من ناحيةِ ماويةِ وأعمالِ تعزٍ.

(٥) محمد عايضِ العُقَابِ: أحدُ مشايخِ حُبَيْشِ الأقبوياءِ، انهى تمرده في غضونِ ثلاثةِ أيامٍ بعد ثورة، وفر إلى طرفِ الإدريسيِّ ويقالُ أنه مات هناك، انظر، حياة الأمير، ٥٩٢.

(٦) حُبَيْشِ: ناحيةٌ من أعمالِ إبٍ في الشمالِ الغربيِّ، انظر، اليمنِ الكبرى، ٤٤، نشرِ العرفِ، ١/٧٦٩، معجمِ المقحفِي، ١٥١.

و^١ من حين^١ دخول مولانا الإمام - أيده الله - إلى صنعاء لم يزل مَوْجهاً لهمته المباركة في استلام المهّات، وهي وإن كانت قليلة بالنسبة إلى ما كان بلحج، إلا أنها لا يُستهانُ بها، ومع ذلك، لم يزل باذلاً لغاية النصح والإرشاد لأمير الجنود التركية أحمد توفيق باشا في صرف نظره عن فكرة التسليم، وهو ومن معه من أمراء العساكر في اضطراب، تارة يميلون إلى ما قاله الإمام، وتارة يصمّمون على الإلقاء بأنفسهم إلى قبضة الانكليز.

وقد كان مولانا الإمام وجّه السيّد الهمام محمد بن علي الشامي^(١)، ومعه ما ينوفُ على سبع مئة رام، من المجاهدين على بني بُحَيْت^(٢) وأشرار الحداء^(٣) بعد أن ظهرَ منهم العدوان، والامتناعُ عن إيفاء الواجبات، وكان تجهيزه في أوائل شهرِ صفر والإمام مقيمُ الرّوضة، فورد كتابه في سابعِ عشرِ الشهر المذكور، مخبراً بما منّ الله به عليه وعلى مَنْ معه من المجاهدين من النصر العظيم وهزيمة

(١) محمد بن علي بن أحمد عبد الله الشامي ت في الحداء، ربيع الأول ١٣٤٦هـ، أديب كاتب، وقائد محنك، كان من كتبة الامام يحيى بالفقلة، ثم عينه عاملاً على الحداء سنة ١٣٣٤هـ، وله حملة على ريمة والبيضاء، ولد بجحانة ٢٩٣هـ، انظر، نزهة النظر، ٥٦٧، هجر العلم، ٣٢٤.

(٢) بنو بُحَيْت: عُزلة مشهورة من ناحية الحداء، بالجنوب الشرقي من صنعاء نسبت إلى قبيلة من قبائل الحداء، ومشايخ بني البُحَيْتي ينسبون إليها، انظر صفحات مجهولة، ٤٧، معالم الآثار، ٨٧، معجم الحجري ١ / ١٠٤، معجم المقحفى، ٦٤.

(٣) الحداء: اسم قبيلة من بكيل وناحية من نواحي صنعاء، بالجنوب الشرقي من صنعاء بمسافة ٥٠ كم، مركزها زراجة، يقع غربها سهل جهران، انظر صفة جزيرة، ١٠٢، مراصد الاطلاع، ٣٨٦ / ١، فقهاء اليمن لابن سمرة، ٣١٢، صفحات مجهولة، ٣٢، نشر العرف، ١ / ١٤٨، اليمن الكبرى، ١٦٦، حياة الأمير، ٦١٧.

الأشرار، بعد أن تجمّعوا إلى بني عيسى^(١) وما حولها من بني بُحَيْت، وأظهروا الفسادَ وركبوا غاربَ الإصرارِ على الفساد، وتحصّنوا في المحلاتِ المذكورة، وكان القدومُ عليهم وإخراجهم من محلاتِ تحصّنهم وقُتِل من أعيانهم ورؤسائهم تسعةُ أشخاصٍ، وجرح منهم كثيرون واحتز رأسَ الشيخ أحمد بن علي عاطف، ولم يقع من المجاهدين غيرُ شهيدٍ واحدٍ وجريح، وتفرّق الباغون منهزمين لا يلبثون على شيء، وغنم المجاهدون ما معهم. وحضر هذه الواقعة كثيرٌ من مشايخ الحدا الصالحين، وأقبلت عقاير^(٢) الطاعة من كلِّ جهة، وانقاد بهذه المعركة كلُّ أبيّ من شياطينهم، وهالهم ما رأوه من أثر رمي المدافع، وإقدام المجاهدين إليهم إقدامَ الأسودِ الضواري، وظهرت شوكةُ الحقِّ في تلك البلاد وطُهرت من أدرانٍ/ أولي البغي والفساد، وخضعت أعناقُ المتكبرين، ولم يقم / ١٨ بعدها لأهل الطاغوت^(٣) قائم، وكانوا قد ألفوا أذيةً مجاوريهم والعدوان عليهم حتى ضربَ المثلَ بعدوانهم وإفهم للغزو والتسلّط إلى الدور، فصاروا من بعد ذلك أطوعَ الناس. وتمَّ بسعي عاملها الهمام وسعادة مولانا الإمام صلاحهم وإصلاحهم،^١ وسيأتي لتمام انتظامِ أمورِ تلك الجهة مزيدُ بيانٍ في أوّانه^١.

وفي السابع والعشرين من هذا الشهر، بعد أن كملت المراجعة بين مولانا الإمام وأعيانِ الجهة التعزية، جهّز مولانا الهمام السيد أحمد بن علي عبد الجبار

(١) بني عيسى: من مخلاف بني بُحَيْت من ناحية الحدا، انظر، معجم الحجري، ٦١٩/٢، معجم المقحفي، ٤٧٦.

(٢) عقيرة: ذبح بقرة اعترافاً بالخطأ والذنب، أمام منزل والي الأمر.

(٣) الطاغوت: الأعراف والتقاليد التي يلجأ إليها أبناء القبائل لحل مشاكلهم بما لا يتفق والشريعة الإسلامية، مثل المبالغة في تقدير الدية أو عدم توريث النساء مقابل إعطائهن الزيارة والعبارة، انظر، وثائق يمنية، ٥٤.

المذكور آنفاً، ينتهي نسبه إلى المولى أحمد بن المتوكل على الله قاسم بن الحسين، وسكن هو وسلفه مدينة تعز بخمس مئة رام من حاشد، وأمره بالعزم إلى تعز لترتيب ما يلزم من حصونها وجهاتها، وأناط به الإمام أعمال تعز ومحقاتها وبلاذ العُدَيْن^(١)، وعزم معه القاضي عبدالرحمن الحداد بعد أن أمره مولانا الإمام بإبقاء وظيفة القضاء والإشراف على كافة اللواء التعزي والسعي في توقيف سعيد باشا عن التسليم إلى الإنكليز وغير ذلك من المصالح العامة مثل القيام بإرسال نفقة مَنْ في حُج من الجندي التركي، وعزم معها أيضاً الشيخ إسماعيل بن محمد باسلامه.

وقد وجّه مولانا الإمام أعمال عمالة قضاء إب وجهاته إليه وتحرّر الرأي الشريف له بذلك. وفي اليوم المذكور وردت البشري من سيدي العلامة يحيى بن محمد بن عباس بن الإمام^(٢)، وكان قائماً بأعمال ناحية النادرة، بأنه قد أجرى ترتيب حصن حب^(٣) المشهور بمخلاف بعدان وضبط أمره والشروع في إصلاح ما يحتاج إلى الإصلاح منه. وكان ذلك من أمر مولانا الإمام، ووردت الكتب أيضاً من سيدي العلامة علي بن عبدالله الوزير^(٤) باستكمال ترتيب

(١) العُدَيْن: قضاء من لواء إب، كان يتبع لواء تعز، ومدينة العُدَيْن تبعد ٤٠ كم عن إب، انظر، معجم المقحفي، ٤٣٤، معجم الحجري ٢/ ٥٩٠، حياة الأمير، ٦٢٦، اليمن الكبرى، ٤٤، نشر العرف، ١/ ٧٢٠.

(٢) يحيى بن محمد بن عباس بن عبدالرحمن (أمير الجيوش) ت ١٢٨ ربيع الآخر، ١٣٨٢هـ / ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م، له ترجمة واسعة في ص ٣٩ من المخطوط.

(٣) حصن حب: حصن منيع، يبلغ ارتفاعه ٣٥٠٠م، في سُرّة جبل بعدان من إب، انظر، صفة جزيرة، ١٠١، مراصد الاطلاع، ١/ ٣٨٥، تاريخ بهرام، ٥، معالم الآثار، ١٠٤، اليمن الخضراء، ٤٤.

(٤) علي بن عبدالله بن محمد عبدالله الوزير ت اعداماً في ٢٣ شعبان ١٣٦٧هـ، وقد وردت له ترجمة واسعة في ص ٣٩ من المخطوط.

حصون جهات حراز، وآخر ما رتبته منها حصنُ شبام^(١) المشهور.

وفي أوائل شهر ربيع الأول، وجّه مولانا الإمامُ إلى حراز القاضي الهمام عليّ بن عبد الله الأكوغ^(٢)، عاملاً في قضاء حراز جميعه ومنه جبل صَعْفَان^(٣) وناحية الحَجَيْلَة^(٤)، فعزم لذلك وباشر الأعمال، وقام بها أتمّ قيام وضبط أمورها وقرّر أعمالها.

وفيه أيضاً تواترت الأخبارُ بخروج جند الانكليز من بوابيرهم الحربية إلى بندر الحُدَيْدَة^(٥) واحتلالهم له، وذلك بعد أن أخفق سعي قومندان العساكر

(١) حصن شبام: المقصود هنا شبام حراز وهناك شبام كوكبان وشبام حضرموت وشبام الغراس ثم شبام حراز وهو جبل يطل على مناخه من الجنوب، ارتفاعه ٣٠٠ م، حصن منيع، انظر، معالم الآثار، ٧٣، نشر العرف ١/ ٢٨٢، معجم الحجري، ٤٤١ / ٢، معجم المقحفي، ٣٤٣.

(٢) علي بن عبد الله الأكوغ: كان عاملاً للأتراك على يريم، وهو الذي وفد بمشاخي اليمن الأسفل إلى مقام الامام في صنعاء لاطهار التأييد والموالة، وعينه الامام عاملاً على حراز سنة ١٣٣٧ هـ، وكان سياسياً قديراً، انظر حياة الأمير، ٥٧٤.

(٣) جبل صَعْفَان: صفعان أحد ناحيتين يشملهما قضاء جبل حراز، الواقع غرب صنعاء بمسافة ٨١ كم ومركزه مناخه، وهي الناحية الثانية، انظر، صفة، ٢٠٩، الاكليل، ١/ ٢٠٣، معالم الآثار، ٧٧، صفحات مجهولة، ٤٥، معجم الحجري، ٢/ ٤٨٠.

(٤) الحَجَيْلَة: شمال صنعاء من أرحب أسفل حصن القاهرة من الغرب، انظر، معالم الآثار، ٥٩، اليمن الكبرى، ٥٩.

(٥) الحُدَيْدَة: مدينة معروفة على البحر الأحمر، على بعد ٢١٦ كم، شمال غرب صنعاء، فيها ميناء كبير للتجارة، كلواء يحده، تعز من الجنوب، ولواء حجة من الشمال والبحر الأحمر من الغرب، ولواء صنعاء من الشرق انظر، حوليات النعمي، ٣٥، أئمة اليمن، ١/ ١٦٢، صفحات مجهولة، ١٩، حياة الأمير، ٦١٧ معجم المقحفي، ١٦٢، معجم الحجري، ٢/ ٢٥٠، المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن، ٢٢٢.

التركية، أحمد توفيق باشا والوالي محمود نديم بك، وغيره في إرجاع سعيد باشا قائد الجيوش بلحج عن عزمه على تسليم نفسه ومن معه من الأجناد، وما لديه من المهمات والذخائر الحربية والمدافع على اختلاف أنواعها، والأسلحة الكثيرة والبغال والجمال / فتمَّ تسلُّمُه إلى الانكليز في هذا الشهر هو وومن معه من الأمراء والأجناد، واستولى الانكليز على جميع ما معهم، وكانت شيئاً كثيراً، لأنَّ الدولة العثمانية قد كان من أمرائها بسبب المرابطة في لحج سوق أكثر المهمات الحربية إلى تلك الجهة.

/ ١٩

ولم يبق في صنعاء وجهاتها إلا القليل بالنسبة إلى ما ساقوه إلى هنالك، وكان فعله هذا من إمارات الخذلان، لأنه لم يوجد ما يلجيه إلى ذلك. لا سيما بعد أن لا قوا من مؤلانا الإمام أوكد وعد ببرهم والقيام بنفقاتهم، وكل ما يحتاجون إليه، فخلت الجهة اللحجية بعد استلامهم من الحامي، ووثب الانكليز والعبدليون^(١) على لحج، ورتبوا أطرافها، وشرع الانكليزيون بمُد السكة الحديدية إلى لحج من عدن، وتمَّ لهم ذلك بعد أشهر، حتى صارت عدن ولحج في حكم البلد الواحد.

ولقد بلغنا عن الإمام - عليه السلام - أنه كان إذا ذكر لديه^[١] سعيد باشا وأعماله في أثناء مرابطته بلحج وأعماله في جهاد الانكليز، وهو في ذلك الوقت موضع ثناء الجميع على أعماله، لا يظهر من الأمام الارتياح إلى ذكره، فتحقق سرُّ نفرة طبع الإمام عنه بما ظهر من خاتمة أعماله وتراميه إلى أحضان العدو الذي قد مكث خمسا من السنين. وهو يناضل ويقتل جنوده وزاد في الطين بلة

(١) المقصود بالعبدليين نسبة إلى مدينة عبَدَل وهي مدينة حضرموت ومن سلاطينها، فضل بن علي بن محسن بن فضل بن علي العبدلي وولده عبدالكريم الذي تولى السلطنة سنة ١٣٣٦ هـ، انظر، حياة عالم وأمير، ٢٥٣، معجم المحففي، ٤٢٤.

[١] في س، عنده.

ما تعمّده من تسليم كافة الذخائر والأسلحة إلى عدوّ الدين وهو يعلمُ باحتياج أهل اليمن إليها للمدافعة عن أنفسهم من تسلّط الكافر عليهم. فنسأل الله التوفيق^١ وخاتمة الخير والأخذ بالنواصي إلى ما فيه رضاه^٢.

ولعلّ قائلًا يقول: إنّه إنّما عملَ بموجب ما أمرَ به من استانبولَ من دون نظر إلى ما يجرّمه الدين؟ والجوابُ أنّ ذلك ليس بعُذر له، فقد عرفَ الناسُ جميعاً أنّ الدولة العثمانية إنما اضطرتت إلى إبرام تلك الهدنة المشؤومة بتحكّم الانكليز ومنّ معه عليهم، ويودّون لو رأوا من المذكورِ وأمثاله، الامتناع عن قبول ذلك مهما وجدوا المنعة من أنفسهم، والقدرة على القيام بذلك وهو غير مؤاخذ في نظر الدولة، وشواهدُ التاريخ تؤيد ذلك، وسعيد باشا قد كان في حصنِ حصين من اضطاراه إلى ما ارتكبه من الإثم وتولّى كبره.

ولما جرى منه ما جرى وأوجع النفوسَ بذلك الاجتراء، اضطربَ حال الاتراك الموجودين في صنعاء، وفي جهات تُهمامة، وكانت لهم محطةٌ في قصبه الزُّهرة^(١) من أطراف اللُّحَيّة، وفي أكثر جهاتها منهم حاميات من الجنود قائمة بحفظ البلاد.

وفي النهاية، بعد إصرارٍ شديد من مولانا الإمام - عليه السلام - عليهم بالبقاء / ودوام مراعاتهم، ورجح مولانا الإمام بقايم لما فيه من المصلحة العامة، بإبقاء البلاد تحت أيديهم ومحافظتهم وللاقتناع بهم في ذلك، ريثما يتهيأ

(١) الزُّهرة: مدينة تهمامة، تقع بين الزيدية وعبس، مركز آل هيج، من أطراف اللُّحَيّة على بعد ٤٠ كم، بوادي مور اختطها الشريف حمود بن محمد سنة ١٢٢٠ هـ، انظر معجم الحجري، ١/ ٣٩٧، حياة الأمير، ٦٢١، اليمن الكبرى، ٩٩، اليمن الخضراء، ٩٠، يرى الدكتور يوسف محمد عبدالله بأنها قديمة الاختطاط، حيث وردت في النقوش القديمة باسم «سهرتم» جريدة الثورة، ٥ مارس ١٩٨٤.

[١ - ١] سقطت من س.

لمولانا الإمام إمكان إرسال الجنود مكانهم، وتعيين ذوي الكفاية لإدارة الأحوال؛ لأن في خلّو البلاد منهم ومن أمرائهم دفعةً واحدةً ما لا يخفى من الاضطراب، وصعوبة الضبط لها في آن واحد، فأصرّ رئيس الجيوش التركية على اللّحاق بسعيد باشا في التسليم إلى الانكليز، ولكنه كان دونّه في الخذلان فقد سلّم إلى مولانا الإمام ما بقي من الأسلحة والمدافع والذخائر ولم يسلم إلى الانكليز كما فعل سعيد باشا، وكان منه إبلاغ أوامره إلى أمراء الأجناد في مهامة بالوصول إلى الحديّدة وفعل هو كذلك فسافر من صنعاء ومن معه من الأمراء وأولادهم^[١] إلى الحديّدة والترامي على أحضان الانكليز ولما وصلوا إليه حملهم في البوابير إلى عدن وعاملهم بمعاملة^[٢] الأسرى، وذاقوا من أفعال الإنكليز الأمرين، ولم تنفعهم عقولهم ولا دهاؤهم، وقد كان مولانا الإمام بقصد الثبوت لهم بعد دخوله إلى صنعاء، ألّف وفداً لملاقاة أمراء الإنكليز في عدن ومفاوضتهم في تمسك الإمام بإبقاء الأتراك في اليمن، وعدم السماح لهم بالذهاب بحجة ما لمولانا الإمام من الأموال الطائلة التي أقرضها إياهم في أثناء الحرب، وأنه لا يمكن السماح لهم إلا بعد تسليم ما لديهم من الأموال، فلما وصل الوفد إلى عدن، لم يجد من الانكليز إقبالاً لفتح المفاوضات بها خامرهم من سكرة النصر، واعتذر من بعدن من أمراء الإنكليز بأنهم لم يكن في وسعهم وصلاحتهم الدخول في مثل هذه المراجعة، وعاد الوفد إلى مولانا الإمام يحمل مثل هذه الأعذار، ولكنّ الانكليز عرفوا أنه لا يتم لهم المرام من التسلط على البلاد، وفيها مولانا الإمام، فتهيّبوا الإقدام إلى غير الحديّدة، وأصروا على دوام مطالبة الأتراك بالوصول إليهم، حتى تمّ سفر أحمد توفيق باشا ومن معه. ولم يبق إلا جماعة من أمرائهم وقليل من الجنود، وكان ذلك بسعي الوالي محمود

[١] في س، بأهلم وأولادهم. [٢] في س، الانكليز معاملة.

نديم بك، وهو من الذين صمّموا على عدم العزم، وأحبّوا البقاء تحت ظلّ مولانا الإمام.

ولقد لاقى العازمون والمقيمون من مكارم مولانا الإمام وعنايته بهم ما بهرهم، وكفاهم مؤنة الاحتياج إلى الأقوات، فمكثوا في أنعم حال وأرخصى بال وزود الراحلين في سفرهم وأعانهم وأزال كُرْبهم، ووعد المقيمين بكلّ [١] إكرام، ولم يبق وسيلة [٢] من وسائل [٢] / الرعاية إلاّ قام بها مولانا الإمام، وكان ذلك من ٢١ / الآيات البيّنات على مكارم مولانا الإمام وعلوّ قدره، وبينما الإمام - عليه السلام - في الاشتغال العظيم بهذه الأمور العظام، لم تفتّر همّته الصادقة وعزائمه الحارقة عن الاهتمام بضبط أحوال البلاد، وإزالة كلّ فساد.

ففي الشهر المذكور، شهر ربيع الأول، جهّز مولانا الإمام السيّد الكامل علي بن محمد المطاع (١) ومعه خمس مئة من المجاهدين لضبط بلاد رداع (٢) وجبّين (٣) ومخاليقها، وتقرير الأمور هنالك، وصون الأطراف من حوادث العدوان والاضطراب. ووجه مولانا الإمام السيّد العلامة عبد الله بن أحمد الوزير

(١) علي بن محمد بن أحمد المطاع: ت بصنعاء سنة ١٣٧١ هـ، كان عضواً في مجلس الإدارة في العهد العثماني، وتولى في عهد الامام يحيى نظارة الأوقاف، زار استانبول في عهد السلطان عبد الحميد، وعينه الامام لأعمال رداع، كان معروفاً بحنكته السياسية انظر، نزهة النظر، ٤٦٦، هجر العلم، ٦١٤.

(٢) رداع: مدينة وقضاء بالجنوب الشرقي من صنعاء، ورداع، مدينة كبيرة شرقي ذمار بمسافة ٣٥ كم، تعرف برداع العرش، انظر، الاكليل، ١ / ٢٠٤، صفة، ١٠١، فرجة الموم، ٣٣، نشر العرف، ١ / ١٨، اليمن الكبرى، ٤٨، حياة الأمير، ٦٢٠، معجم المقحفي، ٢٦٥.

(٣) جبّين: بلدة عامرة، مركز ناحية جبّين من أعمال رداع، جنوباً، وتقع في وادٍ ضيق بين جبلين أحدهما في الشمال، ويوجد في أعلى الجبل حصن مشرف على المدينة وضواحيها، انظر، صفة، ٣١٥، معالم الآثار، ٩٣، معجم المقحفي، ١١٠، البلدان اليبانية، ٧٣، معجم الحجري، ١ / ١٧٨.

[١] سقطت من س. [٢ - ٢] سقطت من س.

إلى دَمارٍ وَيَرِيمٍ وبلادِ عُثْمَةَ^(١) لتقرير أمورٍ واجباتها، وحفظِ نظامِ أمورِها، وعيّن مكانةً في إمارةِ القصرِ السعيدِ السيدِ محمدَ بنِ أحمدِ الوزيرِ^(٢) أخاه، ثم وجّه مولانا الإمامَ أيضاً الشيخَ عبدَ الواسعِ بنِ نعمانِ مقبلِ أحدِ مشايخِ قضاءِ الحَجْرِيَّةِ إلى بلدِهِ ومعه مئتان من خَوْلان. وقد حَظِيَ بِإِقْبالِ مولانا الإمامِ وإسعاده، ونالَ الالتفاتَ الكليَّ وأرسلَ معه الرأيَ الشريفَ بتعيينِ أخيهِ الشيخِ عبدِ الوهابِ بنِ نعمانِ^(٣) لعماله قضاءِ الحَجْرِيَّةِ.

وفي هذا الشهر توفي سيدي، عزُّ الاسلام، محمدُ بنُ إبراهيمِ بنِ الامام، وكان حاكماً لمولانا الإمامِ في الجهةِ الأنسية، وكان رجلاً سرياً وسيداً هماماً لودعيّاً^[١]، اشتغل بوظيفةِ القضاءِ في جهاتٍ عديدةٍ بالتعيين من حكومة الأتراك، ولما حصلَ الائتلافُ، وجّه الإمامُ إليه حكومةَ قضاءِ عَمْرانَ، فلبث بها مدَّةً، ثم نقله الإمامُ إلى وظيفةِ القضاءِ بالجهةِ الأنسية، فقامَ بها أتمَّ قيامٍ إلى أن

(١) عُثْمَةُ: بلدة مشهورة بالغرب الجنوبي من دَمارٍ بمسافة ٦٣ كم، انظر، طبق الحلوى، ٦٩، معالم الآثار، ٨١، معجم الحجري، ٥٧٦/٢، معجم المقفحي، ٤٢٨.

(٢) محمد بن أحمد بن محمد الوزير (شقيق عبدالله) ت ١٣٧٥ هـ عالم كبير، تولى القضاء والأعمال بدمار، أبقاه الامام لإمارة القصر ثم عينه عاملاً على وصاب وجهاتها، شغل عدة مناصب، عاش بقية عمره مشغلاً بالعلوم والدرس، ولد سنة ١٣٠٥ هـ، انظر، نزهة النظر، ٥١٤، حياة الأمير ٥٨٧.

(٣) عبد الواسع بن نعمان وأخوه عبد الوهاب أعدم في ٥ جمادي الآخرة سنة ١٣٦٧ هـ يذكر اسماعيل بن علي الأكيوع في كتابه هجر العلم ومعاقله في اليمن، ٦٨٩ أنه ظهر في قرية الجبّانة، أحدى قرى عُزْلَةَ دُبْحان أسرة آل نعمان، والذي كان جدّهم قد قدم إليها من وادي بنا، ويتنسبون إلى نُعمانِ مقبلِ علي شمسان، أما عبد الواسع فكان من ذوي النزعة الصوفية، قتل في معركة الأكاحلة قرب المقاطرة، وأما عبد الوهاب نعمان فقد خلف أخاه في مذهبه حتى سنة ١٣٤٠ هـ، إلى أن اعتقله أمير لواء تعز، علي بن عبدالله الوزير بتهمة التآمر لقتله مع آخرين، وبعد اعتقاله والإفراج عنه، عينه الإمام يحيى عاملاً على بلاد البستان، انظر، هجر العلم، ٦٩٠، حياة الأمير، ٥٦٩.

[١] سقطت من س.

وإفاه الحِمام،^[١] وانتقل إلى جوارِ الملكِ العلام^[٢].

وفيه وجّه مولانا الإمامُ عمالةَ الجهةِ الأنسيةِ إلى القاضي أحمدَ بن أحمد الجرافي^(١) فتوجّهَ إليها، وبأشْرَ أعمالها وقام بأموورها،^[٢] وظهرت فيها كفايته ونجابتُه^[٣].

ولما خلت الثغورُ من جنودِ الأتراك، ورأى مولانا الإمامُ صعوبةَ تلافِيِ الحوادثِ بما تحتاجُ إليه من الجنودِ، وسرعةِ إرسالها وعلى الخصوص منذ شاهدَ الخللَ بانتظارِ مَنْ يطلبُه للجهادِ من القبائلِ عندَ حدوثِ ما أسلفنا ذكره من الحادثِ الفجائي بتقلُّصِ ظلِّ الأتراك، أمعنَ مولانا الإمامُ نظرهَ الشاقِبَ فيما يدفعُ ذلك الخللَ ويصونُ البلادَ من مزالقِ الزلِّلِ، فاقتضى رأيه الصائبُ لزومَ توجيهِ / النظرِ الشريفِ إلى العنايةِ بالجنودِ وتنظيمِ أموره وتأهيبه، بحيثُ يمكنُ الانتفاعَ به عندَ عروضِ الحوادثِ وفي إقامةِ الشريعةِ والانتصافِ للمظلومين وإرهابِ الظالمين، وردعِ ذوي النفوسِ الطائشةِ والعقولِ الضعيفةِ، وزجرِ أولى العدوانِ مِنْ سلوكِهِمْ فِي تلكِ السُّبُلِ المخيفةِ، وكان مولانا الإمامُ - أيده اللهُ - من ابتداءِ دعوتِهِ المباركةِ يتَّخِذُ جنداً ملازماً لحضرتِهِ الشريفةِ، وإنما كانت عادتهُ - عليه السلام - الاقتصارُ على طلبِ الأجنادِ عندَ الحاجةِ إلى الجهادِ وترتيبِ البلادِ، فالجنودُ الإماميَّةُ لأجلِ ذلك لا يزلُ مفرِّقاً في الجهاتِ، ولا يوجَدُ

(١) أحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن علي الجرافي ت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، عالم محقق في الفقه وعلوم العربية، له مشاركة في علم الحديث، عينه الامام يحيى كاتباً لحاكم صنعاء بعد صلح دَعَّان ١٣٢٩هـ، ثم عاملاً على بلاد أنس ١٣٣٧هـ، ذو دراية إدارية وحنكة سياسية، أصلح أحوال رِيمة، واستمر عاملاً حتى سنة ١٣٥٣هـ، ثم عين عاملاً على بلاد البستان، انظر، تحفة الاخوان، ٤٥، نزهة النظر، ٥٣، هجر العلم، ٣٦٧.

[١ - ١] سقطت من س. [٢ - ٢] سقطت من س.

في الحضرة الشريفة مقيماً غير عصابة الحرس الشريف^(١)، وما أكد لزوم العناية بذلك والاهتمام به ما ثبت من حال أمم الإفرنج وعنايتهم بتنظيم الجنود وتعاليمهم، حتى صاروا لا يرهبون إلا الجند المنظم وإن قلَّ عدده، ويعدون الجيش العرمرم، الذي لم تدرّب أفرادُه التدريب المألوف غير مهاب الجانب، وسريع الانحلال والاختلال، ومنذ تقلص ظل الأتراك قوي طمع الانكليز في الأقطار اليمانية، وأصبح واقفاً بالمرصاد في عدن والحديدة ومن جميع جهات الجزيرة العربية يتحين الفرص ويزيد أطماعه قوة، ما يُقال عن حال دولة مولانا الإمام أنه لا يوجد لدينا جيش مدرب، فلهدِه الموجبات صدر الأمر الشريف من الحضرة الامامية إلى عمال الجهات المجاورة لصنعاء بجمع الجنود من قبائل الجهات. وفي أقرب مدّة تألّف من سنحان وبلاد البُستان^(٢) وبني الحارث^(٣) وبني حشيش^(٤) وغيرهم ما ينوف على ألفي مقاتل، وعيّن مولانا الإمام لقيده

(١) عصابة الحرس الشريف ما أطلق عليه عُقفة المقام فيما بعد وجاءت عُكفة في لغة خطأ.
(٢) بلاد البستان (بنومطر): بلاد واسعة، فيها مخاليف عديدة، منها تمر الطريق إلى الحديدة، يحدها شرقاً قاع صنعاء وسنحان وبلاد الروس، وغرباً بلاد الحيمة، وجنوباً أنس وشمالاً كوكبان وهمدان، بها أعلى جبل في الجزيرة العربية، حضور مدين، انظر، رياض الرياحين، ١٢٢، صفحات مجهولة، ٣١٢، اليمن الكبرى، ٧٦، حياة الأمير، ٦١١، معجم الحجري، ١١٨/١.

(٣) بنو الحارث: قبيلة مشهورة تقع ديارها شمال صنعاء بنحو ٥ كم، من قراها، القابل، علّمان، تُقبان، جدر، الحتارش، بيت القشم، الغولة، انظر، تاريخ اليمن الثقافي، ٥٧/١، اليمن الكبرى، ١٦٦، معالم الآثار، ٢٥، معجم المقحفي، ١٤٢.

(٤) بنو حشيش: قبائل تلحق بخولان الطيال تابعة لمحافظة صنعاء في الشمال الشرقي، تتصل بجبل نُقم، وبراش من شرقيها، ومن شمالها بلاد نهم وبني الحارث ومن غربيها تتصل ببني الحارث وصنعاء بها هجرة آل الوزير، انظر، طبق الحلوى، ٨٨، تاريخ اليمن الثقافي، معجم المقحفي، ١٧٤، حياة الأمير، ٦١١.

أسمائهم وكفلائهم والنظر في أمورهم هيئة مؤلفة من رئيسها سيدي شرف الإسلام حسين بن علي عبدالقادر وأعضائها القاضي لطف بن محمد الزيري^(١) والقاضي حسن بن أحمد الشوكاني^(٢) وغيرهم، وأمر مولانا الإمام بإسكانهم في المباني التي كانت تسكنها جنود الأتراك الموجودة في الجهة العدنية من وراء سور صنعاء المسماة في عرف الناس بالعرضي^(٣) وهي مبانٍ عظيمة شيدها الأتراك خلال إقامتهم باليمن، وتلاحق فيها البناء أيام الولاة ووزراء العسكرية/ واحداً بعد واحد حتى بلغت غايتها من الاتساع والضخامة / ٢٣ واتقان البناء وحسن الأسلوب^١.

قلت: ولفظة عرضي معربة عن لفظة أرذوي بالتركية، ومعناها الفيلق والجيش، فأطلقت عرفاً على مكان الجيش، وبعد اجتماعهم صار ترتيبهم زمراً على قواعد الجيش التركي، حيث عرف أن ذلك من أكبر دعائم الانتظام، فجعل الجيش منقسماً إلى طوابير متعددة، يُطلق على الأول منها الطابور الأول والثاني الطابور الثاني وهكذا ويجمع الثلاثة من الطوابير اسم الآي وخمسة من الأليات اسم فرقة، والمجموع يجمعه اسم الجيش المظفر، وكل طابور يكون

(١) لطف بن محمد بن لطف بن سعد الدين الزيري ت بصنعاء، محرم ١٣٦٤ هـ، كان عالماً ذكياً شاعراً، كامل المروءة متواضعاً، عينه الامام يحيى حاكماً قضائياً على سنحان ثم الحديدة ثم الحاكم الأول بصنعاء، وعضو محكمة الاستئناف، انظر، نزهة الناظر، ٤٩١، حياة الأمير، ٥٨٤.

(٢) حسن بن أحمد صلح بن رزق الشوكاني ت بعد سنة ١٣٦٥ هـ، عينه الامام يحيى لشهادة الحكم بالمحكمة الثالثة بصنعاء ثم قاضياً لقضاء الحجريّة ثم الحديدة، اعترته المرض وأثناء علاجه في عدن توفي، ولد بصنعاء سنة ١٢٩٣، انظر، نزهة الناظر، ٢١٠، حياة الأمير، ٥٤٣.

(٣) العرضي: جنوبي سور صنعاء، كان مقراً لعسكر الأتراك، انظر، أئمة اليمن، ٣٢٣/٢.

[١ - ١] سقطت من س.

مؤلفاً من أربعة بلوكات، والبلوك الواحد عبارة عن مئة رجل مُعَنُونِ كُلِّ واحدٍ منها بالأول والثاني وهكذا، ويوجد في البلوك الواحد عريفة وشاوش ونقيب وأمير يُسمى بالملازم الأول أو الثاني وتارةً يوزباشي، ومعناه بالعربية أمير مئة، وعلى الطابور أمير يُطلق عليه أمير الطابور، أو لفظة بيكباشي ومعناها أمير ألف. وكان هذا أحدث في دولة الأتراك حين كان الطابور ألفاً، فبذل مولانا الإمام - شرح الله صدره - في هذا السبيل غاية المجهود، واهتم به اهتماماً عظيماً، حتى كُملَ والله الحمد على غاية ما يُرام، ورتب الأمراء على الجند كما وصَفْنَا، وكان غالبهم من الأتراك الذين اختاروا البقاء، وبعضهم من أبناء اليمن الذين كانوا قد قاموا بالوظائف المذكورة في جند الأتراك، واختار مولانا الإمام لإمارة الجيش المظفر الشريف المجاهد الهام عبد الله بن محمد الضمين^(١) من أشرف الجوف الحمزات، فأسند إليه إمارة الجيش، وكان المذكور قبل أن ينتمي إلى مولانا الإمام قد أقام بخدمة الأتراك في الجندية مدةً مديدةً إلى أن منح من الدولة العثمانية بلقب بيكباشي، فله وقوف تام وإطلاع على أساليب الانتظام، ورتب مولانا الإمام أيضاً في الجيش ما يحتاج إليه من الكتاب بمعية الأمير، وفي الطوابير وفي البلوكات وهيئة أركان الحرب، وإلى هذه الهيئة وظيفة تدبير حركات الجيش، حال القيام بالمدافعة والإقدام / وغير ذلك، وشرع الأمراء والمتعلمون من العسكر يعلمون أفراد الجيش التدريب المرغوب، وانتظام الحركات وأصول تعبئة الجيش^١ وكيفية الإقدام والتأخر والمهاجمة والتوصل إلى ارتقاء الحصون والمحال العالية^١، ولم يمض عليهم غير أشهر

/ ٢٤

(١) عبد الله بن محمد الضمين: ولد سنة ١٢٨٢ هـ من نسل الامام عبد الله بن حمزة، أول من عين قائداً للجيش المتوكلي المظفر، أميراً، نظم الجيش، وله معارك كثيرة في حاشد وتهامة والجوف وغيرها في ذي القعدة ١٣٦٢ هـ / ١٩٤٣، انظر، حياة الأمير، ٥٦٣، وثائق يمنية، ٢٩٩.

يسيرة حتى تمرّتوا على تلك التعاليم، وصاروا يفهمون أصوات النفي،^[١] وهو آلة تشبه الأبواق، إذا أرسل فيها النفسُ خرج صوتٌ يبلغُ إلى المكان البعيد، وربما جاوز الميل^[١]، وقد وقع الإصطلاحُ بها على أصوات معلومةٍ بكيفياتٍ مختلفةٍ، وكلُّ صوتٍ يكونُ دليلاً على الإرشادِ بأمرٍ من أمورِ الجند،^[٢] فإذا سمعوا ذلك الصوتَ فعلوا ما يشيرُ إليه، وله دخلٌ عظيمٌ في الانتظامِ وتدبيرِ حركاتِ الجيشِ حالَ الحربِ، وانتقالِ الجندِ من مكانٍ إلى مكانٍ وإجراءِ المهاجمةِ أو التوقّفِ على حسبِ إياه مدبّرِ الجيشِ وأميرُ حالِ الحربِ، وفائدتهُ مشهودةٌ، فإنه في اللحظةِ الواحدةِ يبلغُ إلى أسمعِ الآلافِ من الجندِ ما يُرادُ منهم، فيأتونه، ولو وقعَ التبليغُ بذلكِ بدونِ واسطتهِ لاستغرقَ الساعاتِ، وتعلّمَ الثبَتَ به من الجندِ مَنْ يحتاجُ إليه على قدرِ اللزومِ^[٣]، وأفردَ من العسكرِ كثيرينَ فخصّوا بجعلِهِم رماةً للمدافعِ، ويطلقُ عليهم طوبجية، وهذا اللفظُ تركيٌّ معناه طوبُ المدفعِ، وجي، أداةٌ نسبةً فمعنى^[٣] الطوبجيّ - ويعربُ إلى طبشي - مدفعيٌّ،^[٤] واستكثرَ في الجندِ من هذا النوعِ، حتى بلغوا إلى الطوايرِ^[٤] وعينَ مولانا الإمامُ لهم أميراً، أطلقَ عليه قوماندانِ الطوبجيةِ،^[٥] ولكلِّ مدفعٍ جماعةٌ منهم وأميرٌ صغيرٌ وشاوش، وأميرٌ على الطابورِ يكونُ تحتَ نظرهِ عدةٌ من المدافعِ^[٥]، وصارَ تعليمُ الفريقينِ: فريقِ المشاةِ وفريقِ الطوبشيةِ فنَّ الرميِ على أصوله حتى مهرَ الجميعُ وأصبحَ الكلُّ رماةً يعرفونَ كيف يديرونَ المدافعَ في حركاتها، وكيف يرمونَ بها، ورتبَ مولانا الإمامُ للأمراءِ والأفرادِ الرواتبَ الكافيةَ والجراياتِ اللازمةَ والملابسَ للأفرادِ، وعظمتُ بذلكِ النفقاتُ وتزايدتِ، ورأى مولانا أنه لا يتمُّ إنفاذُ أوامرِ الله سبحانه والقيامُ بشريعتهِ وصورُ البلادِ/ من أطباعِ ذوي الإلحادِ / ٢٥

[٣] في س، فمعناه.

[٢ - ٢] سقطت من س.

[١ - ١] سقطت من س.

[٥ - ٥] سقطت من س.

[٤ - ٤] سقطت من س.

والإفساد إلا بذلك، فبذل مجهوده في ترتيب جميع الأمور حتى كُمل على الأسلوب الذي مرَّ ذكره في أقرب مدة، ولما كان الأمراء الذين أُدخلوا في الجيش لم تكن إقامتهم باليمن إلا ريثما يتسنى لهم السفرُ بدون الوقوع في أسر الإنكليز، عني مولانا الإمام بإنشاء محلٍ أطلق عليه المكتب الحربي، ورتب به معلمين، ومنح السادة الدخول فيه لدراسة بعض الفنون المتعلقة بما تُكتسب به المهارة في تدبير الجيش ولوازمه، والحركات الحربية، على أن من أكمل دراسة ما يحتاج إليه، ونال الإجازة من معلميه مُنح من مولانا الإمام أن يُعيّن أميراً على بلوك، وكان بذلك سدُّ حاجة الجيش إلى الأمراء والضباط،^[١] وقد شرع المتخرجون يتعلّمون فيه ما يُراد منهم، وخرج جماعة بعد إكمال تعليمهم، فوظّفوا في الجيش المظفر^[١].

ومن عناية الله سبحانه - بمولانا الإمام^[٢] وتجلي صورة الطافه ورعايته في المبادئ والختام^[٢]، أن الدولة العثمانية على فرط عنايتها بالجيش ولوازمه لم تفكر يوماً من الأيام في أعداد معمل في اليمن لأجل إصلاح الأسلحة والمدافع وصفة مرمياتها ونحو ذلك، حتى جاءت الحرب العامة، وكان ما يحتاجون إليه من المؤنة والباروت وجميع الأشياء اللازمة للجيش وحيواناتها يُرسَل من الآستانة، فلما حصلت الحرب العامة وأعلن الإنكليز الحصار البحري على جميع الموانئ البحرية التي بيد الدولة العثمانية تعذّر إرسال شيء من المهمات^[٣] وانقطعت المواصلات والحرب قائمة على ساق بلحج وفي تُهامة مع الإدريسي الموالي للفرنج، وبكل من أعلن حربَه للمسلمين^[٣]، فاضطرَّ أولو الأمر من أمراء العسكر العثماني للتفكير في القيام بإيجاد قتل المدافع وتعويض رصاصات

[٣ - ٣] سقطت من س.

[٢ - ٢] سقطت من س.

[١ - ١] سقطت من س.

البنادق وجمعوا لذلك من ذوي المهارة جمعاً من ضباط الجيش ذوي التفنن، وعُين رئيساً لهم رجلٌ من ذوي الخبرة فيهم يسمى ناظم بك وساعدهم مهندسٌ نصراني يسمى جورجي، خرج من الأستانة قبل الحرب مهندساً لآلات الطحن البخارية، وبقي في / اليمن حتى حصل الحرب وتعدّر عليه العود، ٢٦ / وأصله من طائفة المجر^١ وهم طائفة عظيمة من طوائف الإفرنج^٢، كانوا في حال الحرب وقبله، من جملة الداخلين تحت طاعة دولة النمسا المشاركة للعثمانيين في محاربة الإنكليز، فهو يتوقّد غيظاً على الإنكليز، ويودُّ أن يظهر العثمانيون عليهم، فبذل مجهوده في إعداد معدّات المعمل، واستخدام الآلات البخارية فيما يريدونه من صنع القلّل للمدافع وتعويض رصاص البنادق^٣ على كيفية تقارب من المرميات الأصلية المجلوبة من محلّ صنعها^٤ وبذل الجميع مجهودهم في إحكام قابسون المدافع، وقابسون البنادق، وفي صنعة ما تحتاج إليه بغال المدافع وغيرها من المراكب وآلاتها ولحمها ومجراتها،^٥ وفرقوا العاملين إلى طوائف، كل طائفة لهم مكان مخصوص وعمل مخصوص، وكانوا يقومون بإصلاح المدافع والبنادق. وفي أواخر أيام الحرب انحصر القيام بما تحتاج إليه المحطات على ما يصنعونه، وكانوا يرسلون بذلك إلى الحج وغيرها، واستمرّ الأمر على ذلك إلى أن كان ما كان من دخول مولانا الإمام إلى صنعاء، وانصرام دولة العثمانيين على ما سردناه، فوجّه مولانا الإمام همته التي ما زالت مشغوفة بتنظيم مصالح الإسلام والمسلمين ولو كان في ذلك أصعب المتاعب إلى إبقاء ما في القصر السعيد من المعمل على ما كان عليه، وبذل مزيد الوسع في ترقّيته لمعرفة - عليه السلام - بضرورة بقائه والاحتياج إليه. وإن الإنكليز لتحكمه على البحر الأحمر سيمنع دخول المهات الحربية إلا إذا رأى الإسهاد إلى ما يرومه من التحكم في البلاد والرضوخ لتلاعبه بالمسلمين، وليتصوّر المنصف

[٣ - ٣] سقطت من س.

[٢ - ٢] سقطت من س.

[١ - ١] سقطت من س.

حالة اليمن إذا كان أهله لا يجدون ما يدافعون به عدوهم الطامع فيهم إلا من يد عدوهم، ففي ذلك من حرج الموقف وصعوبة المقام والقيام ما تذهل منه العقول وتطيش به الأحلام^{١٣}. وبهمة مولانا الإمام والعناية الإلهية التي ما زالت مصاحبة له في الإيراد والإصدار تيسر إبقاء المعمل المذكور كما كان وساعد جورجي المهندس المذكور بالبقاء، ورتب له مولانا الإمام مرتباً كافياً، وضم إليه جماعة من ذوي الخبرة والمهارة من الأتراك من السابقين وغيرهم.

و^{١٤} أدخل مولانا الإمام، عوضاً عن أفراد النظام الذين يقومون بأعمال المعمل المذكور، أناساً من أهل صنعاء وغيرهم، فمُرّنوا على الأعمال في أقرب مدة، وقاموا بها أتم قيام، وتوسعت الأعمال إلى صورة كانت أحسن من صورته/ التي كان عليها أيام ناظم بك، لأنه كان من جملة من عزم من الأتراك، وتعددت فيه الآلات المسماة بالمكايين، ولها من القوة ما يقف لديها الناظر إليها باهتاً ويقول سبحان الملهم، فإنك ترى إحداها فتجد بيت النار فيها، وهي إما يوقد لها بالأحطاب وغيرها مما يوقد به، أو توقد بالكاز، وهو المعدن الذي وُجد في العصور الأخيرة سائلاً، وهو دهن النفط، وانتفع به في إشعال المصابيح مكان الزيوت وسائر الأدهان، فيغلي ذلك الوقود ما فوقه من الماء، ويتولد من الغليان بخاره ويجمع ويتراحم للخروج من أنبوب مخصوص، وقد قابلته آلة ضخمة من الحديد، فتتحرك بقوة اندفاع البخار، وينتج من تحرك تلك الآلة دوران آلاتٍ أخرى، فيستعمل بذلك الدوران فيما يُراد من كشط الحديد ونحوه ومنها ما دورانه، وقوته مستفادة من اشتعال نار الغاز مباشرة بدون واسطة الماء والبخار وقد كان يوجد من قتل المدافع الكبيرة في مخازن القصر كثيراً، وقد بطل استعمال تلك المدافع بوجود غيرها أقوى منها وأبعد مسافة في إبلاغ

/ ٢٧

[١ - ١] سقطت من س، حوالي صفتين.

مقذوفاتها إلى هدفها، فكانوا يأتون بتلك القلل إلى تلك المكين، ويدخلونها في آلة مخصوصة تشبه عمود المخرط، وذلك العمود يتحرك بآلات المكين المتحركة، ويوضع بإزاء القلة مكشط حديدي صلب، فيدور العمود الذي فيه القلة فيمس ذلك المكشط وللقوة الموجودة في الذي يدور به ذلك العمود، وترى المكشط ينحط من جسم الرصاصة الحديد بصورة منتظمة متساوية حتى يظن من يراه في تلك الحالة أن الحديد قد صار في لين مفرط، وإذا مس المنحوت وجده في صلابته المعهودة. وكان مما تسلّمه مولانا الإمام من المعسكر العثماني أربعة مدافع كبار انكليزية غنمها العثمانيون من اللحية وجوارها حينما استردوها من جيوش الإدريسي. وكان الانكليز سلّموها إليه، فاهتموا بها وبإصلاحها، لأنها لم تكن قامات، وهي الألة التي عليها مدار إمكان الرمي بالمدفع، وفيها مكان القلة ودافعها وعملوا لها قامات بديعة، وكذلك غيرها من المدافع الصغيرة المسماة بعادي جبل، وكانوا يقومون بإصلاح البنادق على اختلاف أنواعها وآلاتها ويصلحون ما اختل من القليل وما يراد إصلاحه منها وتحويله من كونه مرمياً لمدفع مخصوص إلى مدفع آخر، وإيجاد ذلك من البداية فيرتبونه على ما يرام، فترى القلة بعد إكمالها فلا تظنها إلا من صنعة البلاد / ٢٨ الافرنجية التي هي / محل اختراع تلك المهات الحربية، وتوزعت الأعمال على العملة وأساتذتهم وصار كل فريق له عمل مخصوص؛ فهذا الفريق عليهم القيام بتعويض مقذوفات البنادق، وهذا الفريق في أعمال رصاص المدافع، وفريق عليهم القيام بتنظيم القابسون، وفريق عليهم القيام بتحليل المواد النارية التي تتخذ للقابسون، وجمعها إلى أن تصير قابلة للاشتعال بمجرد ضربها بالنها، وفريق يقومون بإصلاح الآلات الخشبية التي يحتاج إليها في

المدافع ومراكب البغال والسيارات التي تجرّها الحيوانات لحمل الأثقال، وفريقٌ يعملون في صنْع الآلات التي يُحتاج إليها في جميع تلك الأعمال وآخرون يصنعون اللبّاد من الصوف على أحكم صناعةٍ، وصنّف يشتغلون بعمل السرج ومراكب البغال من الجلود غير أولئك كثيرون، يعملون أعمالاً هي من اللوازم الضرورية، ورتّب مولانا الإمام لجميع أولئك رواتبَ مخصوصةً تقوم بأودهم، وعلى الإجمال إنَّ مولانا الإمام تيسّر له بهذا المعمل إقالة عشرة اليمن وأهله من الاحتياج إلى النصارى وخنوعهم لتحكّمه، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، وأعظم له المشوبة، شرفاً وذخراً، ولم يخرج عن الاعتقاد أن قيام العثمانيين بترتيب ذلك المعمل قبيل رحيلهم، بعد أن مكثوا أزمناً متطاولة لا يفكّرون به ليس إلاّ من جملة سعود مولانا الإمام، والعناية الربانية المرافقة له في جميع حالاته وحركاته وسكناته، بل هي إرهاص لما طرأ من الحوادث والتطور الكوني، ومقدمةٌ لنتيجة احتياج مولانا الإمام إلى ذلك، ولم يكن في وسعي وصف حُثانَةِ ذلك المعمل وأعماله وإنما أثبتُّ ههنا ما قدرت عليه وانتصب بفكري حال تحرير هذا السطور، ومما تمّ ترتيبه وتنظيمه في هذه الأيام مادة الخيول التي تجرُّ المدافع الكبيرة والبغال والجمال، فقد كان من مولانا الإمام العناية بجمعها بعضها استلمها الإمام من المعسكر العثماني مثل غيرها، وبعضها بالشراء من أحمد توفيق باشا ومن غيره، إلى أن بلغت عدداً وفيراً ومئات متعددة، وجعل لها عرضي الطوبشية مكاناً لإقامتها ورتّب لها القائمين بخدمتها على قدر الاحتياج والكتاب المتولين للانتباه عليها وأمراء كذلك،^١ وأبقى من أمراء الأتراك أميراً ذا رتبة عالية في المعسكر العثماني بيطرياً يتولّى فحصها وترتيب مأكولها ومعالجة أمراضها^٢، ورتّب لهم جميعاً ما يحتاجون إليه من الجرايات وضبط أمورها ضبطاً محكماً، فلا تخرجُ بغلة أو غيرها من محلّها لاستعمالها إلاّ بأمره - عليه السلام - .

/ ٢٩

[١ - ١] سقطت من س.

وحيث كانت منفعة الطبِّ في أعلا درجاتِ المنافعِ الضروريةِ للبلادِ والعبادِ، وصادفَ ذلكَ ما عليه حالةُ اليمنِ من خلوّها من عارفِ بفنِّ الطبابةِ،^١ وعدمِ وجودِ من يتصفُ بذلكَ أو يدلي بكونه تلقى ذلكَ عن استاذٍ، بل لا يوجدُ الاستاذُ أصلاً، ومن ادّعى الطبابةِ^٢ والمعرفةِ، فإنها هم أناسٌ يتففلون على موائده وغايةُ ما يستندون إليه المطالعةُ في أحدِ كتبِ الطبِّ بدونِ معرفةِ العللِ وأحكامِها. فرأى مولانا الإمامُ - أيدَهُ اللهُ - لزومَ استبقاءِ بعضِ الأطباءِ من العثمانيين لأجلِ حفظِ تلكِ المصلحةِ العامةِ، ولا سيما بعد أن تركَ العثمانيون من الأدويةِ شيئاً كثيراً كانت مودوعةً في مخازنِ المستشفى العسكري الكبيرِ، وفي مخزنِ المستشفى البلدي، وتلكِ الأدويةُ^٣ غالبها بل كلها^٤ لا يمكنُ استعمالُها إلا بمعرفةِ الطبيبِ الماهرِ العارفِ بفنِّ الطبِّ الحديثِ، فإنَّ فنَّ الطبِّ قد كان تغيّرَ عن أصوله القديمةِ، وصارَ الطبُّ القديمُ وأصوله، لا يُتّفقُ بها لما دخله من تغيّرِ الأساليبِ في كيفيةِ معرفةِ العللِ، وكيفيةِ مداواتِها، وجنسِ الأدويةِ الجديدةِ، التي أكثرها قد استُخرجتْ بالتحليلِ الكيماوي، وانتزعتْ من أجسامِها، واثبتت أرواحُها في ظروفٍ من الزجاجِ والقواريرِ، فتمَّ الأمرُ على بقاءِ رئيسِ أطباءِ المعسكرِ العثماني عزيز بك وحسني بك من ذوي المهارةِ لا في الطبِّ فقط، بل وفي غيره من الأمور الهندسيةِ، وسليمان بك وغيرهم من الجراحين، ورتّب لهم مولانا الإمامُ المرتباتِ الواسعةَ، وأجرى عليهم الجراياتِ الفاضلةِ، وانتظم أمرُ المستشفى كما كان في أيامِ الدولةِ العثمانيةِ بالأطباءِ والصيادلةِ والجراحينِ والخدمِ القائمين بأموالِ المرضى ومصالحهم وانتفعَ الناسُ بذلكَ كثيراً^٥ وأقبلوا يهرعون إليه من كلِّ فجٍّ، وأمر مولانا الإمامُ بقبولِ^٦ ذوي الفقرِ والحاجةِ من المرضى في المستشفى بدونِ أجرٍ^٧ فيمكثُ فيه المريضُ

[٢ - ٢] سقطت من س.

[١ - ١] سقطت من س.

[٤ - ٤] سقطت من س.

[٣ - ٣] سقطت من س.

للمعالجة وأدويته وكفايته تُسلم إليه مجاناً وبدون عوض، إلى أن يحصل له الشفاء ويزول عنه الداء، ويصل ذو الحاجة إلى الدواء إلى الحكيم، فيصف له المرض أو يذهب معه الحكيم إلى دار المريض فيجري فحص علته ويكتب له ورقة فيها ما يحتاجه من الدواء فيوصلها إلى الصيدلي فيرتب له العلاج والدواء كما يرام، ويخبره بكيفية استعماله، فكان ذلك من حسنات مولانا الإمام وجليل مبراته التي / فاتت على مَنْ تقدّمه من الأئمة الهادين - رضوان الله عليه عليهم / ٣٠ - وأمر مولانا الإمام، لما رأى فرط الاحتياج إلى وجود ذي الطبابة، وتكثير عددهم، ولا سيما في الجيش في أوقات ارتحاله وأسفاره، بأن يخصّص جماعة من الجيش وغيرهم لتعلم فنّ الطبّ من الأطباء المذكورين، وتمّ ذلك بمعونة الله سبحانه، وهو من جليل المآثر وأعظم المناقب المشتملة على مصالحي الدنيا والدين، ولم يكن تيسر مثل هذه المزايا والمصالح يخطر على بال أحد، ولا سيما قد كان ذلك في أقرب مدّة، وعلى حين اشتغال عظيم، بمدافعة خطر العدو واحبولاته مما لا يُنسى ذكره ويتخلّد فخره. وله في إقامة ناموس الدولة رتبة بقاء، وفي تشييدها المقام الأعلى^٤ ما وجّه إليه مولانا الإمام مزيد العناية والاهتمام، وهو دوام بقاء التلغراف بأسلاكه وآلاته ومعدّاته ومأموريه وخدمته، على تباعد الأقطار التي مُدّ إليها وتعدّد المراكز ومكائني المخابرة، فكان من مولانا الإمام - أيده الله - ترتيب المأمورين في صنعاء وحراز وسوق خميس مذيور^(١) وفي مثنّة^(٢)، وفي الجهة العدنية إلى تعز وما بينها من المدن، في كلّ واحد

(١) خميس مذيور: قرية من عزلة المخلاف بالحيمة الخارجية، غربي صنعاء: والخميس من بلاد أرحب ثم بني زهر، انظر، اليمن الكبرى، ٢١، معجم الحجري، ١/ ٣٣٠، معجم المحقفي، ٢١٩.

(٢) مثنّة: قرية غربي صنعاء في حقل سُهمان من ناحية بني مطر، على طريق الحديدة - صنعاء، تبعد حوالي ٥٠ كم، انظر، صفحات مجهولة، ٥٤، معجم المحقفي، ٥٥٧، حياة الأمير، ٦٢٩.

منها مركزٌ للتلغرافِ حتى معبر^(١). وحصلَ من ذلك النفعُ العظيمُ والسهولةُ في إجراءِ مصالحِ العبادِ على الوجهِ السليمِ، لافترى العاملُ في تعزٍ مثلاً يرفعُ إلى مولانا الإمامِ بما يلزمُ رفعه من الأمورِ في صباحِ يومه، وبعدَ سويعةٍ يعودُ إليه جوابُ الإمامِ، وقد حصلَ المقصودُ. ولو أرسلَ بذلك بريداً لما عادَ إليه الجوابُ إلا بعدَ اثني عشر يوماً إن جدَّ في سفره من دونِ اعتبارِ تأخرِ في المقامِ الشريفِ، فكم ما بين ذلك وهذا من مراتبِ الفرقِ العظيمِ والبونِ الشاسعِ الجسيمِ! وكم بينهما من الاختلافِ في ضمانِ مصالحِ العبادِ وسهولةِ القيامِ بها، وفضلِها على أحسنِ منوالٍ، حتى إنه يتأتى للعاملِ الفطنِ أن يعرضَ كافةَ أعمالِ يومه آخرَ نهاره، أو أولَ ليله على مولانا الإمامِ قصةً قصةً من دونِ تكلفٍ، ويستوعبُ بذلك رفعَ جزئياتِ أعماله.

قلت: وهذا التلغرافُ من المخترعاتِ التي أبرزها أولاً الإفرنجُ ثم نُقلت إلى سائرِ الأقطارِ ورأتها الدولُ من الضرورياتِ التي لا مندوحةَ في تركها، وكانت الدولةُ العثمانيةُ في إبانِ قدومها واستيلائها على اليمنِ قامت بمدِّ خطوطه من صنعاء إلى الحديدة، ومن هنالك إلى الآستانية.

وفي سنة إحدى وعشرين وثلثمائة / بذل المشيرُ عبدالله باشا الجركسي همتَهُ / ٣١ / بمدِّ خطوطه إلى الجهةِ العدنيةِ كذمار ويرييم وإب وتعز ويُسَمَّى، إذا عُرِّبَ اسمه، بالبرقِ، وبالآلةِ البرقيةِ، والقوةُ التي بها تجري المخابرةُ، يُقال إنها القوةُ المسماةُ بالقوةِ اليقتريقيةِ، ولفظُ اليقتريق لفظُ افرنجي معناه القوةُ الجاذبةُ،

(١) مَعْبَرٌ: مدينةٌ بالجنوب من صنعاء بمسافة ٦٨ كم، في وسطِ جَهْرانِ عليها تشرع طريق صنعاء - تعز، وقيل أنها سميت كذلك لأن الطريق كان يفترق عندها إلى صنعاء شمالاً وإلى عدن جنوباً، انظر، معجم المقحفي، ٦٠٩، معجم الحجري، ٧١٢/٢، حوليات الجرافي، ١٩٤، مذكرات المؤيد بالله، ١٨٠.

[١ - ١] سقط من ص حوالى صفتين.

ويعبر عنها بالقوة الكهربائية نسبةً إلى ما اشتهر فيه أولاً وجود قوة الجذب وهو الكهرباء، وحاصل الأمر فيه كيفية استعمال هذه القوة: أن الماكينة الموجودة في صنعاء في مركزها، بما أعدَّ فيها من الآلات التي توجد فيها تلك القوة، إذا وضع المأمور إصبعه على آلتها للضرب خرج منها صوت ليس بالصوت الكبير، فلربما لم يسمعه من في خارج المكان الذي فيه الماكينة فتجري قوة الضرب في السلك المربوط بها إلى الماكينة التي في تعز مثلاً، فتسمع تلك النقرات من الماكينة التي في تعز في آن واحد حتى لا يوجد فرق بين الفقرات المسموعة في ماكينة صنعاء، وماكينة تعز، وذلك لسرعة القوة وقرط اختراقها للهواء، فهما حاصلان في آن واحد. وقد وقع الاصطلاح على نقرات مخصوصة، لكل حرف، من حروف الهجاء، فيعرف المأمور ما هو المراد، وبالإدمان على ذلك ترى المأمور يكلم غيره، وهو يستملي وكذلك في حالة مخابرتة لغيره، وبالجملة أمره عجيب، وتأتية مستغرب، ولولا وجوده للعيان لما صدق أحدٌ بحصوله في درجة الممكن المبتذل المعروف، ولم تكن القوة المذكورة مما يُدرك بالطرف، ولا يرى على السلك الحديدي التي تجري فيه أقلُّ تحرك.

وقد سمعنا من جنسه ما هو أغرب منه، وهو ما اخترعوه أخيراً وسَمَّوه بالتلغراف اللاسلكي، واستخدموا فيه الهواء فتخرج النقرات من الماكينة المعدَّة له، فلا يبديدها الهواء إلى أن تصل إلى الماكينة الأخرى، فتسمع منها تلك النقرات. وقد شاهدته في بعض بوابير العثمانية الحربية الموجود فيها مولدُ القوة الكهربائية، وهذا من أعجب العجائب الدالة على عظم ملكوت الله، وعظم ما أودعته القدرة الإلهية من الأسرار في مخلوقاته، فهذه قوة ضعيفة باعتبار بادي النظر لا تدرك ولكنها عند استعمالها وجدت لا تماثلها قوة في اختراق الأقطار

السعيدة في آنٍ واحد، وبأَمِّ اللحظة.

ولقد حكى لي بعضُ الماهرين فيه أنه لا يوجدُ فرقٌ بين سماعِ تلكِ النقراتِ ودقِّها ولو كانتِ المخابرةُ بينَ صنعاءٍ والآستانيةِ مثلاً، وقد اخترقتِ تلكِ القوةُ برَّ اليمينِ من صنعاءٍ إلى الحُدَيْدَةِ ثم البحرَ الأحمرَ إلى منتهاه ثم البحرَ الرومي وغيره والبرَّ الموصلَ إلى الآستانيةِ من بيروتَ إلى اسكدارَ، إحدى مدنِ الآستانيةِ، فما هذه القوةُ العظيمةُ؟ جلتِ قدرةُ/ الله الذي خلقَ تلكِ القوةَ وألهمَ النوعَ الإنسانيَّ / ٣٢ - لانتفاعِ بها، ولما كان المأمورون من الأتراك - ولوحظ أن بقاءهم مؤقتٌ - صدرَ الأمرُ الشريفُ من مقامِ الإمامِ العظيمِ بفتحِ مكتبٍ لتعلُّمِ التلغرافِ، فانخرط في سلكِه جماعةٌ من صنعاءٍ ومن غيرهم، ولم تمضِ برهةٌ يسيرةٌ إلا وقد تعلَّموا ذلكَ، وانتفعَ بهم، وعيَّنوا في مركزِ التلغرافِ مأمورين كالسابقين، ومُرِّنوا على ذلكِ ومهروا فيه، وتعدَّدتِ أفرادُهم وصيَّنتِ تلكِ المصلحةُ العامةُ من الاضمحلالِ والزوالِ. فهذا ما تمَّ إجراؤه في المدَّةِ اليسيرةِ بهمةِ مولانا الإمامِ وسعودِه الخارقة^(١). وقد ضمَّ مولانا الإمامُ إلى مشاةِ الجيشِ أعدادَ جماعةٍ من الخيالةِ، ورَتَّبَ لهم أميراً مخصوصاً، وأجرى لهم ولخيولهم الجرياتِ الكافلةِ بانتظامٍ معيشتهم.

ففي موكبِ الإمامِ لأداءِ صلاةِ الجمعةِ في الجامعِ المقدَّسِ، ترى الجيشَ يقدِّمُ مولانا الأمامَ بطوابيره وقد انتظموا صفوفاً، وصاروا^(١) وقبلهم طبولُ الجيشِ وأبواقُه التي استحسَنَ مولانا الإمامُ بقاءَها كما كانت في المعسكرِ العثماني، والكلُّ على انتظامِ تعبئةِ الحربِ، وبعَدَ الجيشِ المدافعُ ثم الخيالةُ ثم عكفة^(١) مولانا الإمامِ وحرُسُه مشاةً، ومن وراءِ الكلِّ مولانا الإمامُ، ومن معه من

(١) عكفة الامام، حرسه الخاص، أي حرس المقام الأمامي، وتكتب عُكفة.

[١] خطأ املائي «وساروا».

السادات والعلماء والخاصة راجلاً قبل الصلاة، وعلى ظهر جواده بعد الصلاة، حتى إذا وصل إلى داره بيثّر العزب أو إلى دار الصنائع السعيدة، وقف في مكان وأشرف عليهم من إحدى طاقاته واستعرضهم فمروا صفوفاً، كل صف وراء الآخر، ومع كل بلوك وطابور والأبي أمراؤه يقدّمونهم، فتأتي المدافع الصغار محمولة على بغالها بالآلاتها وبعض مؤنتها، فالهاونات، وهي المدافع التي يرمى بها على الحصون، فالمدافع الكبار التي تجرّها الخيول بواسطة العجلات، ومع كل مدفع مأموره وطبشيّة إلى أن ينتهي ذلك، بمرور الخيالة على أحسن انتظام وأرصن إحكام وهكذا في كل جمعة فيشاهد الناظر موكباً فخياً وجلاً جسيماً يتحدث به الركبان، ويرتدع به كل مارق شيطان.

وقد حكى غير واحد من الواصلين من عدن، أن الانكليزيين هنالك ما برحوا يسألون عن أمرين من أحوال دولة الإمام، أوّهما: المعمل. والثاني: انتظام الجيش وتدريبه ويظهرون لذلك مزيد الاهتمام، كأن الأمرين المذكورين هما السدّ المحكم المانع من وصول ضرر مطامعهم إلى هذه الجهات^١ ولعلّ / قائلاً يقول: قد امتدّ شوط الكلام على ما أجراه مولانا الإمام من المصالح التي عزّ بها الاسلام، والعدرّ ظاهر لمن تأمل بعد ذلك الأمور، ومن نظرها بعيني رأسه يقول: لم نخرج عن دائرة القصور، ففي ذلك غرائب وعجائب يحسن الوقوف عليها^١، وفي بيانها أوضح الأدلة على ما لمولانا الإمام من علو المكانة ومزيد الاهتمام بمصالح المسلمين والاسلام، متّع الله المسلمين بطول أيامه، وضاعف أمد أعوامه.

/ ٣٣

وفي أواخر شهر ربيع الأول من هذه السنة، بلغ إلى مولانا الإمام حصول الاضطراب في جهات اليمن الأسفل، وعدم ثبات أقدام الذين توجهوا من

[١ - ١] سقطت من س.

المقام الشريف، بعد أخذ العهود عليهم، فوقف أكثرهم موقف المتردد، وكثرت الإشاعات عن الشيخ محمد بن ناصر مقبل قائممقام القماعة، وما إليها من البلدان بتردده، وذلك بعد أن كان من سعيد باشا ما كان وتضاعف القلق بتردد المذكور لما كان قد استلمه من سعيد باشا من المدافع والمهات الحربية، فإن المذكور أرسل إلى الشيخ محمد المذكور عدة مدافع ومهات قبيل دخوله إلى عدن، ومنها المدفع الكبير المسمى بالأبوس، وهم اسم افرنجي لحكيم افرنجي اخترع هذا المدفع فسمي المدفع باسمه.

فلما بلغ إلى مسامع مولانا الإمام تلك الأخبار، بادر بتجهيز المولى العلامة سيف الإسلام، أحمد بن قاسم بن الإمام إلى اللواء التعزي وجهاته لتلافي إخماد ذلك التردد^[٢] والاضطراب، وحفظ الأطراف وتسكين روعة المستضعفين، وأرسل معه من المجاهدين نحواً من ألف مقاتل وبمعتيه أيضاً جماعة من السادة مثل السيد علي بن أحمد الحملي^(١)، فتوجه إلى إب واستقر بها مدة ثم توجه منها إلى القاعدة^(٢) من المخلاف الجندي، ومكث بها برهة ثم عزم بمن معه من الجند^(٣)، وقد تضاعف عددهم بمن أنضاف إليهم

(١) علي بن أحمد الحملي ت بصنعاء ١٣٤٤ هـ: ينتهي نسبه إلى أمير المؤمنين زيد بن علي، نسبة إلى هجرة الحمل الواقعة جنوب صنعاء، تولى عدة مناصب شرعية في الحيمة ثم في ناحية همدان، أنظر حياة الوزير، ٥٧١، أئمة اليمن، ٣/٣٠٢ (سيرة الامام يحيى).

(١) القاعدة: مدينة بالشمال الشرقي من تعز، على أكمة مطلة على الجند، انظر، اليمن الكبرى، ٤٥، اليمن الخضراء، ١/٨٤، معجم الحجري، ٣/٦٤٥، معجم المقحفي، ٥٠٤.

(٢) الجند: بلدة شرق شمال تعز بمسافة ٢٢ كم، سميت بجند بن شهران (أحد بطون المعافر)، أحد أسواق العرب في الجاهلية والاسلام، أسس معاذ بن جبل الصحابي مسجداً فيها، انظر، صفة، ٩٩، معجم الحجري، ١/١٩٤، الاكليل، ١٠/٥٧ اليمن الخضراء، ١/٨١، اليمن الكبرى، ٣٦، معجم المقحفي، ١٣١، البلدان اليمانية، ٨١.

[٢] في س، الغزو.

من بَعْدَانَ^(١)، ودخَلَ إلى تعز، وحصلَ من الجندِ عدمُ التوقّفِ على الطاعةِ، وذلك بإغراء من لا خيرَ فيهم، وصادفَ في ذلك الحينِ وصولُ اسماعيلِ الأسود، أحدِ أمراء الأتراك، ومعه ثلّةٌ كبيرةٌ من بقايا الجندِ التركي، أقبلَ بهم من نواحي رَيْمَةِ^(٢)، وكان واقفاً هو ومن معه في العرضي خارجَ مدينةِ تعز، فوَقَعَتْ بينَ بعضِ المجاهدين وبعضِ أفرادِ العسكرِ التركي خصومةٌ أوجبتُ إظهارَ المذكورِ للمباينةِ، وكاد الحُرْبُ بينَ الفريقينِ يستعرُ ثم فرَّ المذكورُ ومنْ معه إلى جهاتِ ماوية^(٣)، ومنها إلى حَجَجِ فَعَدَن، وحصلَ من المجاهدين في تلك الأثناءِ الإقدامُ/ إلى انتهابِ المونةِ من مخزنها في تعز، وكانت شيئاً كثيراً، وتفرّقت في أيدي القوم، وبعضُ أهلِ البلاد، فكان ذلك من أسبابِ فشلِهِم، وسقوطِ هيبتِهِم من القلوبِ، فمكثَ المولى سيفُ الإسلامِ في تعز أسبوعاً على ارتباك في الأحوالِ، وتراكم أوجالٍ، ثم عاد إلى مخلافِ الجندِ، ثم ترفّع من هنالك إلى ذي جِبَلَةِ^(٤) واستقرَّ بها، وعادَ من

/ ٣٤

(١) بَعْدَانَ: من أعمالِ إب، جبلِ بعدان، واسع فيه قرى وحصون كثيرة ومزارع، والجبلِ يطلُّ على مدينةِ إب، انظر، صفة، ٢١١، الاكليل، ١٠١/٢، معجم البلدان لياقوت، ٤٥٢/١، مراصد الاطلاع، ٢٠٧/١ معجم المقحفي، ٨١، نشر العرف، ٣٩٦/٢، معجم الحجري، ٤٣/١.

(٢) رَيْمَةِ: بلدة جنوب شرق الحُدَيْدَةِ بمسافة ٧٠ كم، غرب جنوب صنعاء، تتصل ببلاد وصاب والجرف بجبلِ بُرُج ومركزها الجبي، انظر، الاكليل ٤٦٢/٢١، معالم الآثار ٣٧، اليمن الكبرى، ٥٧، نشر العرف، ٤٩٠/١، صفحات مجهولة، ٣٢، حياة الأمير، ٦٢١.

(٣) ماوية: بلدة جنوبي الجندِ شرقي تعز، بها مركز قضاء القماعة، وهي على رأس جبل، وبها الكثير من الوديان الغنية بزراعة البن، انظر، حياة الأمير، ٦٢٩، معجم المقحفي، ٥٥٦ معجم الحجري، ٦٨٨.

(٤) جِبَلَةِ: مدينة مشهورة بالجنوب الغربي من إب بمسافة ٧٠ كم بناها عبدالله بن محمد الصليحي سنة ٤٥٨ هـ انظر: الاكليل، ٣٦/٨، صفة جزيرة، ١٦٨، نيل الوطر: ٨٦/١، نشر العرف، ٢٠٣/١، اليمن عبر التاريخ، ٢٠٢، معجم المقحفي، ١٠٩.

المجاهدين جماعةً كثيرين، ووصلوا إلى المقام الشريف فحبس الإمام - أيده الله - بعض رؤسائهم تأديباً على ما جنته أيديهم من خرق ستر الهيبة، وعدم التوقف على الطاعة.

وفي يوم الجمعة، الموافق خامس عشر من شهر ربيع الأول، جهّز مولانا الإمام - أيده الله - من محروس صنعاء السيد الأجل عز الدين، محمد بن يوسف الكبسي^(١)، والشيخ نصير الدين، علي بن المقداد راجح^(٢)، ومعهما ألف رام من أرحب، ومدفعان إلى جبال ريمة وبلادها. فتوجّها بمن معها إليها، وكانت طريقتهما من الجهة الأنسية، فوصلوا إلى أطراف البلاد، وقابلتهم بعض الرعاغ بالحرب، فكانت بين الفريقين مناوشة قتال، ثم فرّ الرعاغ واستولى المجاهدون على مواشيهم.

وفي اليوم الثاني، أقبلوا بعقائر الطاعة، تائبين، ولما جرى منهم نادمين، فقبلوا بالتأمين، وأمر السيد محمد بن يوسف والشيخ نصير الدين جميع المجاهدين بإطلاق ما في أيديهم من المواشي وإعادتها إلى أهلها وقابلتهم بعد

(١) محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف بن أحمد بن محمد الكبسي ت بصنعاء ١٣٦٢ هـ، شارك في عدة معارك لاختضاع مناطق في يريم بقيادة عبدالله بن إبراهيم بن أحمد سنة ١٣٢٩ هـ، وثبت في معارك بين عزهيب، ومن ثم لزم بيته، وعاش زاهداً ورعاً، عانى من الفقر صنوفه، ولد بصنعاء سنة ١٢٨٠ هـ، انظر نزهة النظر، ٦١١، هجر العلم، ١٧٩٨.

(٢) علي بن المقداد بن أحمد بن عبدالله راجح، نصير الدين ت (٣٤) من كبار مشايخ البلاد الأنسية، جمع شرف الحياة وشرف الجهاد، مقدم، شجاع، حارب الأتراك مناصراً للامام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين وثم مع الامام يحيى، وحروبه وبطولاته مشهورة، انظر الدر المنتور وحروبه في البلاد الأنسية، انظر، نزهة النظر، ٤٥٧.

ذلك جهات رِيْمَةَ كُلِّهَا بالطاعةِ والدخولِ في سلكِ الجماعةِ، وأقبلت إليهم المشايخُ والرؤساءُ من جميعِ البلادِ، وانتقلَ المقدميانِ بجنودِهِما إلى الجبِّيِّ (١) مركزِ قضاءِ رِيْمَةَ، ومن هنالك صار ضبط البلادِ جميعها؛ كُسمَةَ (٢) وجهاتها والجَعْفَرِيَّةَ (٣) إلى حدِ قبيلةِ الزرانيقِ (٤) من تُهامة، وصلحت الأمورُ والحمد لله، ولم يحصلَ ما يكدرُ مِنْ سفكِ دمائٍ أو إثارةِ دهماءٍ، ومكثَ الأميرانِ هنالك يُجريانِ الأمورَ بالاشتراكِ، وزالَ عن أهلِ رِيْمَةَ ما كانوا فيه من الفوضى والتعادي، ونالوا حظَّهم من الأمانِ، وإقامةِ شريعةِ الملكِ الديانِ.

وفي ثالثِ وعشرين من الشهر المذكور، أنارت الأرجاءُ بقدم سيدي العلامة، سيف الإسلام والمسلمين أحمدَ بن مولانا الإمام (٥) إلى مقام مولانا أمير

(١) الجبِّي: ناحية من قضاء رِيْمَةَ وأعمالِ صنعاء، خصبة، انظر، اليمن الكبرى، ٥٧، حياة الأمير، ٦٢١، معجم المقحفي، ١١٠، معجم الحجري، ١/١٧٩.

(٢) كُسمَةَ: جنوب غرب صنعاء، ناحية كبيرة من قضاء رِيْمَةَ، متصلة ببلاد أنس وعُتمَةَ ووصاب، يتبعها تسعة عشر عُزلة، بني يعفر، شعف، البقعة، جبل ظلملم، المغارم، يامن، عدنها، الضبارة، الأبارة، الجون، الشرب، الريم، المصبحي، بني مصعب، بني منصور، بني عبدالعزيز، سلوكة، الجبوب، وهي منطقة خصبة غنية بالزروع وخاصة البن، انظر، نشر العرف، ١/٥٠٣، معجم المقحفي، ٥٣٧، معجم الحجري، ٢/٦٦٤، طبق الحلوى، ٨٦، رياض الرياحين، ٧٣.

(٣) الجَعْفَرِيَّة: ناحية من نواحي رِيْمَةَ، انظر، معجم الحجري، ١/١٨٩، معجم المقحفي، ١٢٣.

(٤) الزرانيق: من قبائل تُهامة: ينسبون إلى زرتق بن الوليد، وهم في الأصل قبائل المعازبة، مساكنهم ما بين وادي رَمَعِ ووادي ذُوال وما بين البحر الأحمر وجبال رِيْمَةَ الأشابط، انظر، معجم الحجري، ١/٣٩٤، المروني، الشفاء الحسن، ١١٧، تاج العروس، ٦/٧٣٠.

(٥) أحمد بن يحيى حميد الدين: الامام الناصر أحمدت ١٢ ربيع الآخر ١٣٨٢ هـ، انظر، نزهة النظر، ١٦٧، هجر العلم، ٨١٧ - ٨٥٤، تحفة الاخوان، ٣٢، الاعلام، ١/٢٧١.

المؤمنين، ببلدة بئر العزب، لأداء حقِّ زيارة والده - عليه السلام - وكان قدومه من شُهارةٍ ومعه شقيقه بدرُ الدين، سيدي، محمدُ بن أمير المؤمنين^(١)، فاستقرَّا مدةً حَظِيًّا فيها بالمراجعة في مهام الأمور.

ثم عادَ مولانا سيفُ الإسلامِ إلى محروسِ السُوْدَةِ، ومنها إلى شُهارةٍ محلِّ عملِهِ، وبقي سيدي بدرُ الدين بمقامِ أبيه للقراءةِ والتفرغِ لدرِّسِ العلوم، وكانا معاً آيةَ الله في النجابةِ وعلوِ الهمةِ وسموِّ المدارِكِ، والشغفِ بمعالي الأمور، ٣٥ / والبحثِ عن أحوالِ الجمهور.

وفي شهر جمادى الأولى من السنة المذكورة، وجَّه مولانا الإمامُ عمالةَ جبل بُرُج^(٢) إلى السيد الأجلِّ عليِّ بن أحمدَ بن إبراهيمِ بن الإمام^(٣)، وأمره بالتوجُّهِ إلى الجبلِ المذكورِ، ومعه عصاةٌ كافيةٌ من الأجنادِ، فعزم إليه بمن معه، ودخَلَ إلى الجبلِ المذكورِ بدونِ حربٍ ولا قتالٍ، وأقبل أهلُ الجبلِ إلى الطاعةِ يهرعون، وأخذتْ عليهم أيمانُ البيعةِ بواسطةِ القاضي عزي بن عطاء الله.

ووجَّه مولانا وظيفةَ القضاءِ في الجبلِ المذكورِ إلى القاضي المذكورِ

(١) محمد بن يحيى حميد الدين، الأمير البدر، أمير لواء الحُدَيْدَةِ ت غريقاً في ١٦ ذي الحجة ١٣٥٠ هـ أديب شاعر، محمود السيرة، جواد، كريم، ولاه الامام أعمال قضاء الشرفين ثم لواء حجة، ولد في القفلة في ١٥ رمضان ١٣١٦ هـ انظر، تحفة الاخوان، ١٢٨، نزهة النظر، ٥٩٨، أئمة اليمن، ٢/ ٢٩٠، هجر العلم، ١٧٤٤.

(٢) جبل بُرُج: ناحية من لواء الحُدَيْدَةِ، مشرفة على تهامة، يرتفع عن سطح البحر حوالي ٢٠٠٠ م، مركزه ناحية رقباب، انظر، معجم الحجري، ١/ ١١٥، ٢٩٥، معجم المقحفي، ٧٤، الاكليل، ٢/ ٢٨١، صفة جزيرة، ٢٠٥، قرة العيون، ٢٥٢.

(٣) علي بن أحمد بن إبراهيم: أمير الجيش خلفاً للشريف عبد الله الضمين، ظل في منصبه طوال عهد الامام يحيى والامام أحمد، عزله الامام البدر، واعتقل في عهد الجمهورية، ثم توفي بعد اطلاق سراحه، انظر، حياة الأمير، ٥٧١.

وانتظمت أحواله في أقرب مدّة، واستراح سكانه، وشاع فيهم الأمان والضبطُ
للشريعة والانتصافُ للمظلوم، وكاتبَ سكانُ الأطرافِ المجاورة له عاملَ
الجبلِ برغبتهم في الطاعة والاستظلال بالراية الإمامية، وكان يرفعُ ما يصلُ إليه
إلى الحضرة الشريفة، فيتلقى الجواباتِ الشافيةَ ويرسلها إليهم.

وفيه وجّه مولانا الإمامُ عمالةَ ناحيةِ جَهْران^(١) إلى القاضي فخر الإسلام،
عبدالله بن أحمد العرشي^(٢)، فتوجّه إليها، وعيّن مولانا سيدي شرف الإسلام،
حسينَ بنَ علي بن عبد القادر، عاملاً على صنعاء، وذلك بعد وفاة أخيه سيدي
الوجيه^١ عبدالرحمن بن علي بن عبد القادر.

قلتُ: ووفاءُ أخيه سيدي الوجيه - رحمه الله - كانت^[١] في (٢٧ جمادى
الأولى^[٢]) من هذه السنة^[٣] وكان في نيّة مولانا الإمام إبقاؤه على العمالة، وكان -
رحمه الله^[٣] - سيداً هماماً وماجداً مقداماً تولى رئاسة بلدية صنعاء أيام الدولة
العثمانية من سنة (...)^[٤] وعشرين إلى أن اخترمتهُ المنيّة كهلاً بهذا العام،

(١) جَهْران: أرض واسعة في الجنوب من مدينة صنعاء بمسافة ٦٦ كم، جنوبي نقيب
يسلح، وشمال دَمَار يسمى حقل جهران، وجهران، ناحية من أعمال أنس وتعرف
بقاع جهران، ومن أسفل جبل يسلح وينتهي إلى دَمَار، في وسط القاع تقع مدينة معبر
على بعد ٣٩ كم من دَمَار، انظر، حياة الأمير، ٦١٦، معجم المقحفي، ١٨٤، معجم
الحجري، ١/٢٠١، ١٣/١، رياض الرياحين، ٥٩، حوليات الجرافي، ٨٧.

(٢) عبدالله بن أحمد بن صالح بن مصلح العرشي ت في كُحلان بتاريخ ٦ صفر
١٣٥٩ هـ، عالم، فقيه، عارف بالسياسة، تولى أعمال جُبْن، بعث إلى عدن للمفاوضة
حول تسليم عدن والمحميات المحتلة للإمام ولم تسفر المفاوضات عن شيء، ثم عين
على ميدي وأسر في الحرب اليمنية السعودية هناك، ومن ثم عين عاملاً على كُحلان،
ولد سنة ١٢٩٦ انظر ملوك العرب ١٠/٨٣ - ٨٤، هجر العلم، ١٨٠٠.

[١ - ١] سقطت من س. [٢] بياض في الأصل والإضافة من نزهة النظر، ٣٤٦.

[٣ - ٣] سقطت من س. [٤] بياض في النسختين.

وحالت دون إبقائه على منصبه، وكان حسن السيرة، صفي الطوية، جميل المعاملة، حازماً لبيباً ذكياً لودعياً ينتمي في معاملته إلى ديانة وعفة وحسن خلق، فكانت وفاته - رحمه الله - من دواعي الأسف، وامتحن في آخر عمره بداءٍ ضعف المعدة، وعُني بمعالجته الأطباء فلم يبرأ من مرضه حتى توفي، وقد لازمته الأسقام زمناً غير قصير . وعين مولانا الإمام في هذه الأشهر جماعة في مناصب متعددة منهم، القاضي محسن بن يحيى الجبري^(١) لحكومة خولان، والقاضي يحيى بن محمد الإيراني^(٢) لحكومة قضاء إرب، والسيد الأفضل أحمد بن زيد بن علي الديلمي^(٣) لحكومة قضاء رداغ، وسيدي العلامة محمد بن قاسم الظفري لحكومة صغفان من بلاد حراز.

وفي شهر رجب من السنة المذكورة وثب الحاج محمد بن عايض العقبان من مشايخ حبيش، بعد أن تمالأ هو وأشرار حبيش على من كان يحبيش من

(١) محسن بن يحيى بن صالح الجبري ت بجحانة، في جمادى الأولى سنة ١٣٦٧هـ، عالم عارف بالفقه، تولى القضاء في عهد الدولة العثمانية في رداغ وتولى القضاء في عهد الامام يحيى في ثلا وفي جهران ثم في خولان، ولد سنة ١٢٨٧هـ انظر، حياة الأمير، ٥٨٥ - ٥٨٦، هجر العلم، ١٢٦.

(٢) يحيى بن محمد بن عبدالله بن علي الإيراني ت في صنعاء ٩ ذي الحجة ١٣٦٢هـ، عالم في كثير من العلوم، تولى القضاء للإمام يحيى سنة ١٣٣٧هـ، وعضواً في محكمة الاستئناف سنة ١٣٤٩هـ، ودرس في المدرسة العلمية وفي مسجد الفليحي، ولد في حصن إربان، جمادى الأولى ١٢٩٩، انظر، نزهة النظر، ٦٣٥، هداية المستبرين، ٩ - ٢٧، هجر العلم، ٧١، المدارس الاسلامية، ٤١٨.

(٣) أحمد بن زيد بن علي بن حسن الديلمي ت في النادرة بتاريخ ربيع الآخر ١٣٦٨هـ، عالم في الفقه، أصوله وفروعه والحديث والتفسير والعربية، تولى قضاء رداغ ثم قعطبة وحفاش، وكذا القضاء في النادرة في عهد الامام أحمد، ولد سنة ١٣٠٨، انظر، تحفة الإخوان، ٤٩، نزهة النظر، ٧٢.

الجنْدِ الأمامي، فقتلوا منهم جماعةً، ينوفون على العشرةِ واغتالوهم وثاروا للخلافِ وتبعهم / كافة أهلِ حُبَيْشٍ على الخلافِ والتمردِ عن الطاعةِ، ورُفِعَتْ إلى مولانا الإمامِ أخبارٌ عن الباعثِ على ذلك، وأنه من نتائجِ تدبيرِ المترددين في الطاعةِ من رؤساءِ اليمنِ الأسفلِ، فاستقدم مولانا الإمامُ عامله على جهةِ الحدأ السيدَ الأجلَّ المقدامَ محمدَ بنَ علي الشامي، وكانَ قد أكملَ إصلاحَ الحدأ جميعه إلى كَومَانَ المحرَّق^(١)، وضبط تلك الجهات ضبطاً محكماً، وساق الأشرارَ إلى الحبوس، وكانوا من اضرارِ عبادِ الله على جانبٍ عظيم، وقد أعيوا الدولَ مكرراً وخبثاً وتسلطاً، وأرادَ مولانا الإمامُ من استقدامه توجيهُهُ إلى اليمنِ الأسفل لتأديبِ العُصاةِ من أهلِ حُبَيْشٍ، وضبطِ الأمورِ في جميعِ تلك الجهاتِ، ولم يتم ذلك، لأنه اعتذرَ بالمرضِ الذي صدَّه عن القيامِ بتلك المهمةِ وكانت الحروبُ بين المخالفين من أهلِ حُبَيْشٍ وجنودِ الأمامِ التي وجَّهها إليهم المولى سيفُ الإسلام^(٢) تحتَ أمرِ أخيه سيدي فخرِ الدينِ عبدِالله بنِ قاسم^(٣) بنِ الإمام^(٤) مستمرةً، والمحطاتُ بهم محدقةً، ولكنَّ الجنْدَ الإماميَّ لم يتيسرَ له إخمادُ نيرانِ بغيتهم وجهلهم والانتصافُ منهم بما ارتكبوه من عظيمِ الإثمِ، والفتكِ بالمجاهدين غيلةً، وهم آمنون في مراتبهم، وتيسرَ في أثناء تلك المدة خروجُ القاضي عبدِالله بنِ محمدِ يونس^(٤) حاكمِ حُبَيْشٍ، ومن معه من بقيةِ الجنْدِ

(١) كَومَانَ: في بلادِ الحداء، ينسب إلى كومان بن ثابت من آل حسان ذي الشعين وهو قسمان، كومان المحرق وكومان سنام، انظر، الاكليل، ٣٨٢/٢، المدارس الاسلامية، ٧٦، معجم المقحفي، ٥٤٤، معجم الحجري، ٦٧٣/٢.

(٢) المقصود، أحمد بن قاسم حميد الدين ت ٢٢ ربيع الأول ١٣٥٣ هـ، سبقت له ترجمة.

(٣) عبدالله بن قاسم بن عبدالله حميد الدين، كان عالماً ورعاً، شقيق سيف الاسلام، أحمد بن قاسم، لم تظهر شخصيته بسبب قوة شخصيته أخيه سيف الاسلام أحمد، انظر، حياة الأمير، ٥٦٦.

(٤) عبدالله بن محمد يونس، علامة، أديب، شاعر، كان حاكماً لحُبَيْشٍ، ثم المخا، ثم تعز، انظر، حياة الأمير، ٥٦٧.

الإماميِّ إلى إب ليلاً بعد أن حاصرهم الباغون أشدَّ الحصارِ في ظلِّمة، ولم تحلِّ
الوقائع بين الفريقين عن معارك قُتِلَ فيها من الباغين جماعةً.

وفي شهر رجب من هذا العام، عيَّن مولانا الإمام السيّد عزّالدين محمد بن
علي الذاري^(١) لعمالة زبيد وبلادها، وكانوا قد راسلوا مولانا الإمام بالطاعة،
واستقدموا الجند الإماميِّ، ولكنّه كان يحول دون ذلك تمرُّد أهل وُصَّابين^(٢) عن
الطاعة، وإعلانهم عدم الانقياد واصرارهم على العناد، فعَيَّن مولانا الإمام أيضاً
لعمالة وصاب العالي والإشراف على وُصَّاب السافل السيّد الأجل، عزّ الإسلام،
محمد بن أحمد الوزير^(٣)، ولحكومة وُصَّاب العالي السيّد الهمام هاشم بن علي
المرتضى^(٤). وأمر مولانا الإمام سيدي العلامة يحيى بن علي الذاري بالعمز

(١) محمد بن علي بن أحمد الذاري ت ٢٩ ربيع الآخر ١٣٤٤ هـ، عالم بالفقه والفرائض،
تولى أعمال خبان ثم النَّادرة فَعُتِّمَ ثم زبيد ثم عاد إلى الذاري عاملاً على ناحيتها، ولد
في رمضان ١٢٨٧، انظر نزهة النظر، ٥٦٩، أئمة اليمن، ١٣٢/٢، هجر العلم،
٦٦١.

(٢) وُصَّاب: ناحية كبيرة كانت تعرف بجبلان العركبة، غرب وادي زبيد، فيها جبل
عظيم، وعليها حصن الشرف، وهي تتكون من وُصَّاب العالي، ومركزها الدَّن ووُصَّاب
السافل ومركزها المصباح والعركبة كانت حاضرة وُصَّاب قبلاً انظر، المفيد، ٢١٤،
مراصد الاطلاع، ٣/ ١٤٣٩ طبقات الخواص، ٦٥، البلدان اليمانية، ٣٠٠.

(٣) محمد بن أحمد بن محمد بن محمد الوزير: ت بصنعاء ١٣٩٢ هـ، عالم في الفقه، تولى
أعمال وصاب ثم دَمَار وكان عاملاً في الطويلة، ولد في سنة ١٣٠٥ هـ، انظر، هجر
العلم، ١٩٥، حياة الأمير، ٥٨٨.

(٤) هاشم بن علي المرتضى ت بتعز، ١٣٩٠ هـ، درس زميلاً للإمام في كحلان، تولى أعمال
وصاب ويَريم وذِي السُّفَال، وزبيد، ثم عضواً في الهيئة الشرعية في تعز، انظر، نزهة
النظر، ٦٢٠، هجر العلم، ٩٩١.

معهم وأصحابهم من الجند الإمامي نحو ألفي نفرٍ ومدفعين، وما يلزم لذلك من العدة والمهمات.

وصدر الأمر الشريف أيضاً على سيدي فخر الدين عبد الله بن أحمد بن الوزير بأن يجمع جنداً من البلاد التي بنظره، وأن يلتقي الجميع إلى عتمة. وكان سيدي محمد بن علي الذاري هنالك، وإليه حكومة تلك الجهة، فتوجهوا جميعاً، والتقى الأمراء هنالك، وتكاثرت عددُ الجندِ لديهم.

ومكثوا مدةً يراسلون أهلَ وُصَّابٍ ويرغبونهم في الطاعةٍ وحقنِ الدماءِ / ٣٧ واجتماعِ الكلمةِ/ وفي أثناء شهر شعبان من هذا العام، وردت البُشرى من الأمراء الذين حول وُصَّابٍ بأنه كان التقدمُ من الأجنادِ الإماميةِ على وُصَّابٍ العالي بعد الإعدارِ والإنذارِ، ودوام إرسال النصائح لأهلِهِ وجوابهم المرة بعد المرة بأقبح جوابٍ، وإصرارهم على العنادِ والبقاء على الارتياب. وافترق الجندُ الأماميُّ إلى طائفتين: طائفةٌ مع السيد العلامة عبد الله بن أحمد الوزير وتحت إمرته، وعددهم كثير فتقدموا من جهةٍ، والطائفةُ الأخرى مع سيدي محمد بن علي الذاري وأخيه سيدي العلامة يحيى بن علي الذاري^(١) وغيرهما تقدموا من جهةٍ أخرى وجرى بين الفريقين في الجهتين حربٌ مهول وقاتل استبسل فيه المجاهدون، وأظهروا فيه من الإقدام مال لا يزيدُ عليه، وهاجموا البُغاةَ إلى

(١) يحيى بن علي بن أحمد الذاري ت ١٠ ربيع الأولى ١٣٦٤هـ، عالم محقق في الفقه والأصول، شاعر مجيد، خطيب، حفاظة، قاد حملة لمحاربة الأتراك والادريسي، أقام طرف الامام في القفلة، تولى القضاء في خبان، له قصائد تحت على وحدة المسلمين أنشأها سنة ١٣٤٠هـ، ونشرت في القبلة من مؤلفاته، القول الصريح في الرد على مدعي الاسلام الصحيح لمحمد إسحاق النشاشيبي، ولد في جمادى الآخرة ١٢٩٠هـ، انظر، نزهة النظر، ٦٢٣، هجر العلم، ٦٦٢.

مواقِعِهِمْ، ولم يهابوا رصاصَ بنادِقِهِمْ ولا تكاثُفَهُمْ وتسانُدَهُمْ، وانجلت المعركةُ في الجانبين عن قتلى من المجاهدين واستشهادِ جماعةٍ وجرح جماعةٍ، وقُتِلَ من الباغين ما ينوفُ عن ثلاثين قتيلاً، وحُزَّتْ رؤوسُ بعضهم، وأرسلت الرؤوسُ إلى بعضِ النواحي، ووصلَ منها إلى إِبِ عددٍ، وجُرح منهم كثيرون وأُسِرَ منهم عددٌ غير يسير، وانهزموا هزيمةً فاضحةً لا يُلُوونَ على شيءٍ، وارتقى المجاهدون الجبلَ من جميعِ نواحيه إلى أن وصلوا إلى الدَّنِ^(١).

وبعد هذه الحربِ أقبلوا إلى الطاعة، وهروا إلى العافية، وطلبوا الأمانَ، وبذلوا رهائن الطاعة، فأخذت منهم جميعاً، وأقبل بعدهم أهلُ وُصَابِ السافلِ وانقادوا وُضِبَتْ أمورُ الجبلِ جميعه، وذَلَّ العاصي واستنزلوا من تَمَلَّكَ الصياصي، وكانوا يظنون أنهم لا يُطاقون، ولا يمكنُ ارتقاءَ جبلهم وأخذَه عنوةً، فأخذوا بسيفِ الحَقِّ وأطاعوا رهبةً، وكانت تُطَلَّبُ منهم رغبةً، وإنما غرَّهم ما مرنوا عليه من العصيانِ وفي زمنِ الدولةِ العثمانيةِ، لقد لبثوا قبلَ هذا نحوَ عشرٍ من السنين متمردين على الدولةِ العثمانيةِ، وبقي الجيشُ على كثرتِه، في تلكِ الأطرافِ مع الأُمراءِ، لأكمالِ الإصلاحِ، وإظهارِ شعائرِ الحَقِّ والفلاحِ، وإخمادِ ما كان مستعراً من الفتنِ بينَ العزلِ والمخالفين؛ لأنَّ فوضاهم جرَّتْ إليهم عظامُ المحنِّ، وأخربت معمورَ البلادِ، وناهيك بحالةِ قوامِ أمرها هو الفساد.

ولمَّا تَمَّ المرامُ انفصلَ الجيشُ العازمُ إلى زَبيدٍ من الدَّنِ متوجهاً مع عاملِهِ السيدِ عزِّ الإسلامِ، محمدِ بنِ علي بنِ الذاري، ومن معه من أمراءِ الجندِ المنوطين به، وما زال يسيرُ رويداً حتى وصل إلى زَبيدٍ في أثناءِ رمضانِ من/ هذه السنة، ٣٨ /

(١) الدَّنِ: مركز وُصَابِ العالي، انظر، معجم المصحفي، ٢٤١، المفيد، ٢١٤، البلدان البليانية، ٣٠٠.

ولم يَلْقَ في طريقه حرباً ولا قتالاً بل واجهته أهل تلك الجهة بالطاعة والرغبة فيها، وكان القائم في ذلك بالأثر الحسن السيد النجيب الهمام صفي الإسلام، أحمد بن عبدالرحمن الأنباري^(١)، حاكم زبيد، فإنه بذل وسعه في مكاتبة المشايخ وإفهام السكان هنالك مزايا دولة مولانا الإمام وقد كان تشرف بالوصول إلى الحضرة الشريفة الشيخ عبدالرحمن، شيخ من مشايخ قبيلة المعاصلة^(٢) وعاد مع الجيش المنصور.

ولما استقرَّ العامل ومن معه بزبيد تلقاهم الجميع بالترحيب، واستبشر بقدمهم وأنس بهم جميع الناس على اختلاف طبقاتهم واستقرت الأحوال، وشرع العامل في ترتيب الأمور وإزالة المفاسد، وأنزل كثيراً من الجند في قلعة زبيد، وهي قلعة حصينة ضخمة المباني، قد تداولتها أيدي الدول وفيها مآثر قاسية، وكانت حالة زبيد قبل قدوم الجند الإمامي إليها في حالة سُكونٍ على أثر مباحرة الوالي محمود نديم بك لها بعد أن سكن ما بين أهلها من الحروب والفتن، وقُبض علي زعيم حارة الجامع^(٣) والمجنبد^[١] عبدالله مبارك القائم بإيقاظ الفتنة، ولولا قدوم الجند الإمامي لعادت الحرب جذعة بين الفريقين، فكان قدومه عليهم فرجاً عاجلاً أزال عنهم تلك الفتنة ومحا عنهم المحن، وتمَّ

-
- (١) أحمد بن عبدالرحمن بن حسن بن الطاهر بن أحمد المساوي، الشهير بابن الأنباري ت ١٣٦٦ هـ تولى حكومة زبيد من سنة ١٣٣٧ هـ، وكانت محكمة زبيد من أحسن المحاكم مع مراعاة التنظيم وحسن الصك والسبك في ما يرقمه انظر، نزهة النظر، ٩١.
- (٢) المعاصلة: عزلة وقبيل في وادي زبيد، وهم من الأشاعرة، وبلادهم واسعة ممتدة من ساحل البحر إلى الجبل، انظر، معجم المقحفي، ٦٠٧، معجم الحجري، ٧١١ / ٢.
- (٣) المقصود جامع الأشاعرة بزبيد.

[١] في س، والمجسد.

ببركتِهِ ما راموا وظفروا بما به هاموا، وكان للقبائل المجاورة لزبيد تسلُّطٌ على أهل المدينة، وكلُّ فريقٍ منهم مستندٌ إلى قبيلةٍ وبذلك تهدم من مشيد عُمرانٍ زبيد ما ثبت إحكامه، وصين على مرور الزمان من ريب الخواثِر نظامه، فلما وردَ الجندُ الإماميُّ ونزل بذلك السُّوح، عادت إلى المدينة حسناتها، وبرز رونق حضارتها، واشتغل كلُّ فريقٍ من أهلها بما يعينهم من الأعمال والأطوار.

وأما سيدي فخر الدين عبدالله بن أحمد الوزير، فإنه مكث هنالك بمن معه من الجند أياماً، ثم توجه بجنوده نحو جبل رأس^(١) ودُبَّاس^(٢)، وهنالك لبث برهة حتى قرَّر الأمور وساس الجمهور، وضبط أحوال الجبل المذكور وما إليه، ولاقاه هنالك بنو النور، رئيسهم الجنيد بن عبدالله النور، وكان المذكور ومن إليه ينتمون إلى رِيَّانَة^(٣)، فسارعوا إلى الطاعة وأقبلوا للانضمام في سلك الجماعة، ثم تحول سيدي عبدالله إلى حَيْس^(٤) وتلك الجهة وقصد مدينة حَيْس، وقد تجمع من الأشرار لمعارضة قصده / أقوام، فجرت بين الفريقين حربٌ عظيمة،

٣٩ /

(١) جبل رأس: يطل شماله على وادي زبيد وجنوبه على نخلة، وشرقه فرع العُدَّين وغربه وُصَّاب، يرتفع حوالي ٢٠٠٠م، يتبع زبيد إدارياً، يقع جنوب شرق زبيد، عامر بالقرى، انظر، اليمن الكبرى، ١٠٥، حياة الأمير، ٦١٤، معجم الحجري، ٣٥٥ / ١، معجم المقحفي، ٢٥٨، قرة العيون، ٤٦.

(٢) جبل دُبَّاس: يبعد عن زبيد ٤٠ كم من الجنوب الشرقي، ويكون شمال شرق حَيْس، فيه قرى ومزارع كثيرة يشتهر بالعسل الدُبَّاسي، انظر، اليمن الكبرى، ١٠٥، صفة جزيرة، ١٤٠، معجم المقحفي، ٢٣١، معجم الحجري، ٣٢٦ / ١، قرة العيون، ٤٦.

(٣) رِيَّان: قرية الريان في وادي زبيد، انظر، اليمن الكبرى، ٤٨، ٧٥.

(٤) حَيْس: مدينة بثُمامة تبعد عن زبيد ٤٠ كم جنوباً بشرق، وهي جنوب جبل دُبَّاس، اشتهرت بصناعة الأواني الفخارية، انظر، الاكليل، ٣٦٨ / ٢، قرة العيون، ٢٣٤، صفحات مجهولة، ٢٠، اليمن الكبرى، ١٠٤، حياة الأمير، ٦١٨، معجم المقحفي، ٢٠٣.

أسفرت عن انهزام الأشرار، ومبادرتهم للفرار بعد أن أُصيبوا بقتلى كثيرين منهم، وجرحى ودخل الجند المنصور مدينة حيس ظافراً، واستقر هنالك سيدي عبد الله أياماً يرتب الأمور ويضبط الجهات ويتتبع الأشرار، ويبحث أصول كل محذور، ومن هنالك أرسل إلى مرسى الخُوخَة^(١) من رتبة وضبطة وأحكم أمره. وكان هذا المرسى قديماً لا يُذكر، وفي هذا الزمن قصده التجار وأهل السفن، وكان الملجأ إلى ذلك ما يعانیه التجار من ثقل الضرائب في المراسي المشهورة مثل الحديدة واللحية وغيرهما، وتحكم المتولين في منع البضائع، فقصدوه لخلوه عن ذلك.

ولما أعلن الإنكليز الحصار البحري على سواحل البحر الأحمر التي تحت يد الدولة العثمانية، وصار ما يُجلب إلى اليمن ومه لا يحصل إلا على جانب عظيم من المسارقة والاختفاء، صعب إيراد البضائع أو تعذر إلى المراسي المشهورة، وبقي مثل الخُوخَة وإن كان من المراسي التي تحت يدي الدولة مما يتمكن فيه الجلب لقربه من عصب^(٢) وجيبوتي^(٣) ونحوهما، فكثر فيه تعاطي التجارة.

ولما وقع ضبطه من طرف الجند الأمامي استمر كذلك وتوفر فيه الجلب،

(١) الخُوخَة: ميناء صغير على البحر الأحمر، شمال المخا وغرب حيس بمسافة ٢٨ كم،

ويتبع إدارياً ناحية زبيد، انظر، معجم الحجري، ١/ ٣١٢، حياة الأمير، ٦١٩، اليمن

الخضراء، ١/ ٨٧، المفيد، ٧١، قرة العيون، ٢٣٤.

(٢) عصب: مقابلة لعدن على الطرف الآخر عن البحر الأحمر، قرب باب المنذب، انظر

خريطة رقم ١٠٤ ورقم ٢٠٦، اطلس التاريخ الاسلامي.

(٣) جيبوتي: مقابلة لعدن من الطرف الآخر لخليج عدن من بحر العرب، انظر خريطة رقم

١٧٦ من أطلس التاريخ الاسلامي.

وكان في ذلك من تقوية زبيد ومنفعة بيت المال، وما لا يخفى، وكل ذلك من بركات مولانا الإمام - أيده الله -.

وفي هذه الأثناء بلغ إلى مسامع مولانا الإمام - أيده الله - حصول المنافسة بين بعض المشايخ من بعدان وتزاحمهم إلى أن أدى الحال إلى وقوع الحرب بينهم، واضطراب الحال هنالك، فأمر مولانا الإمام بتجهيز عصابة نافعة من الجند المدرب ومنعهم مدفعان، وأرسلهم إلى سيدي العلامة يحيى بن محمد بن عباس^(١) بن الإمام إلى النادرة، وأمره بالعزم إلى بعدان لتسكين الاضطراب ومعاينة المعتدين.

ولما وصل إليه الجند الإمامي تجهز للمسير إلى بعدان، وانتقل إلى هنالك، فضبط الأمور وعاقب المعتدين ولبث هنالك أياماً. وفي أثناء بقاءه ظهر الخلاف من أهل حبيش، فاستقر مكانه منعاً للخلاف من السريان. وأمد الجنود التي توجهت إليهم بثلة من الجند، ومدفع، والحرب مستمر بين الفريقين والمخالفون يتلقون من ذوي التردد المعاونة الخفية والتثبيت والوعد بالمدد حتى أصروا على العناد ودوام الفساد، ومولانا الإمام يجمع الجند ويجرّ النظر فيمن يوليه

(١) يحيى بن محمد بن عباس بن عبدالرحمن بن عبدالرحمن، أمير الجيش، ت قتلاً صبيحة يوم الثورة ٢٨ ربيع الآخر سنة ١٣٨٢هـ / ٢٦ أيلول ١٩٦٦، قتله الضابط غالب الشرعي، كان عالماً، له مشاركة قوية في كثير من العلوم، مع معرفة جيدة بالسنة، تولى في عهد الإمام يحيى القضاء في صنعاء ثم تولى أعمال قعطبة، فاستعاد الضالع وجبل حرير والشعيب، واتصل أهل المناطق بالسلطات البريطانية في عدن حيث هاجمت الطائرات تعز وإب ويريم وذمار وقعطبة، وتولى أعمال إب ثم ريمة، ناصر الامام أحمد. ثم تولى الاستئناف، ولد في شهارة في صفر ١٣٠١هـ، انظر، تحفة الاخوان، ١٣١، نزهة النظر، ٦٤٣، هجر العلم، ١١٠٢.

إمرة^(١) ذلك الجيش، فوقع الاختيارُ على سيدي العلامة الأنبلي المجاهد، جمال الدين، عليّ بن عبد الله^(١) بن الإمام محمد بن عبد الله الوزير، وكانت إليه جهة بلاد البُستان وهو الذي تولى / إصلاح بلادِ نهم، وفك عنهم ما عانوه من الحروب فيما بينهم، فصدر الأمرُ الشريفُ إليه بعزمه لتأديب المخالفين من أهل حُبَيْش، وإصلاح جهات اليمنِ الأسفل، فتوجّه^[٢] على بركة الله^[٢] بجندٍ ضخْمٍ من صنعاء نحو الألفين، ومعه ما يحتاجُ إليه من المدافع والزانية ومهمات الحرب، وصادفَ يومٌ توجّهه في أثناء شهر شعبان من هذه السنة.

وقد أمرَ مولانا الإمام بتوجّهه نحو ستِّ مئة من المجاهدين على مَنْ لم يمثلُ للشريعة من خَوْلان فكان عزمُ الجميع إلى خَوْلان، وهنالك صارَ ضبطُ المتمردين، ورجعَ الموجهون لأجلهم إلى صنعاء، ومعهم من صارَ ضبطه. ومن هنالك توجّه سيدي جمال الدين، عليّ بن عبد الله الوزير بجنده نحو اليمنِ الأسفل. ولما وصلَ إلى المخادر^(٢) كاتبُ المخالفين بالنصائح واستمالهم وحثّهم من الاستمرارِ على ركوبِ متنِ القبائح، فلم تنجعَ فيهم تلك

(١) علي بن عبد الله بن محمد بن عبد الله الوزير ت ٢٣ شعبان ١٣٦٧ في حجة، إعداماً. أمير الجيش وأمير لواء تعز، ولي القضاء في ناحية حُبَيْش ثم عاملاً لناحية بني مطر (البستان)، كانت له قيادته لقوات الامام لاختضاع العديد من الثورات وخاصة في مناطق حُبَيْش ولواء تعز ومناطق اليمن الأسفل، صنف حمود بن محمد الدولة الذماري كتاب زورق الحلوى في سيرة قائد الجيش وأمير اللواء وأحمد بن محمد بن عبد الله الوزير كتاب حياة الأمير علي بن عبد الله الوزير، ولد ١٣٠٢ هـ، انظر هجر العلم، ١٨٩-١٩٤.

(٢) المخادر: بلدة شمالي إب بمسافة ٢٥ كم، يتوسط بينها حقل السحول، انظر، طبق الحلوى، ٢٣، معالم الآثار، ١٠٧، وثائق يمنية، ١٩٤، اليمن الكبرى، ٤١ هجر العلم، ١٩٦٩.

[٢ - ٢] سقطت من س.

الأدوية، وحكموا على نفوسهم بأن لا دواء لهم غيرُ حدِّ السيف، فتقدمَ الجندُ الإماميُّ بعدَ تأهّبِهِ على عِزلةِ المُشِيرِقِ^(١)، وقد تجمّع المخالفون إليها وما حولها من العزّل، ورئيسهم الباغي محمد عايض العُقَابِ^(٢)، فدارت رحى الحربِ بينَ الفريقين، وكان يوماً مهولاً، أظهرَ فيه المجاهدون من الشجاعةِ والإقدامِ ما بهرَّ العقولَ، ولم يمضِ اليومُ حتى انهزمَ الباغون لا يلوون على شيءٍ، وتقدمَ المجاهدون في عزلِ بلادِ حُبَيْشِ إلى أن وصلوا إلى ظَلَمَةَ^(٣)، وأحرقوا أكثرَ الدورِ وانهبوا وتمّ للمجاهدين اجتيازُ ما مسافته نحو أربع ساعاتٍ فلكية من البلادِ المخالفة. وقُتِلَ منهم كثيرون، وأسرَ منهم أيضاً جماعةٌ، وأخذت رؤوسُ بعضِ القتلى، وفرَّ الباغي محمد عايض العُقَابِ، وعالجَ عاقبةَ بغيهِ، وعَرَفَ هنالك أن مَنْ حَمَلَهُ على ركوبِ غاربِ العصيانِ وجرّاهُ عليه، إنما ساقه إلى مواردِ الحنْفِ والهوانِ، ولم يغنِ عنه شيئاً. وناداه بعدَ ظهورِ الحقِّ وشوكتِهِ، بأني برىء منك.

وفي اليوم الثاني من تقدّم الجيش، تحرّكَ الشيخُ حمودُ بن عبد الرب بن قايد ابن سنان^(٤) من مشايخِ بلادِ العُدَيْنِ، والشيخُ محمدُ بنُ عبد الوهاب بن محمد

(١) عَزَلَةُ المُشِيرِقِ: عَزَلَةٌ من ناحية حُبَيْشِ وأعمالِ إب، انظر، معجم المقحفي، ٥٩٨، معجم الحجري: ٧٠٩/٢.

(٢) محمد عايض العُقَابِ الكلاعي ت ١٣٤٥ هـ، انظر: حياة عالم وأمير، ٢٤٠، ٣٤٢، حياة الأمير، ٨٩، ٩٧، ٩٨.

(٣) ظَلَمَةَ: قرية من ناحية حُبَيْشِ وأعمالِ إب، بها مركز الناحية، انظر: صفة جزيرة، ١٢٥، معجم المقحفي، ٤١٤، معجم الحجري، ٥٦٨/٢.

(٤) حمود بن عبد الرب بن قائد بن سنان ت في ٣ ذي الحجة سنة ١٣٤٦ هـ، شيخ عَزَلَةَ حرد وبني عواض ومدينة العُدَيْنِ، كان مغواراً، اتهم بمؤامرة قتل علي بن عبدالله الوزير، فسجن حتى مات، انظر، حياة الأمير، ٥٤٩.

بن قاسم من مشايخ إب بجماعتيهما على بيوت بني العُقَاب في جبل العُقَاب^(١)، وضايقوهم في مساكنهم واستولوا على بيت محمد^[١] عايض ففر لا يلوي على شيء، واختفى فلم يُعْرَفْ له مقرٌّ حتى قيل إنه ظهرَ بعدن وفي تُهامَة واستمرَّ ينتقلُ إلى أن وردَ الخبرُ بوفاةِ غريباً طريداً، لم يُؤوهِ مكانٌ ولا حماهُ إنسانٌ، وذلك من عاقبةِ العدوانِ، وبعدَ تلكِ المعركةِ انتقلَ الأميرُ جمالُ الدين إلى ظَلَمَة وبثَّ الأمانَ ونادى / مناديه بالكفِّ عن الرعيّة، وأقبلَ الناسُ أفواجاً إلى الطاعةِ والرجوعِ إلى سلكِ الجماعةِ، وندموا على ما قدّموا. وغنمَ المجاهدون منهم غنائمَ واسعةً. وكانت وقعةً عظيمةً أذهبت أحلامَ المترددين، وشفّت قلبَ الدين، وقرّنتُ بها عيونَ المؤمنين، وأيقظتُ ذوي الغفلةِ من رقدةِ تقاعدِهِم عن الموالاةِ الصادقةِ واهتزّ لها اليمنُ الأسفلُ من جميعِ جهاته، وشرعَ الأميرُ في أخذِ الرهائنِ من جميعِ البلادِ الحُبَيْشِيَّةِ على اتساعِها إلى حدودِ وُصَاب، وضبطَ ما لم تصلْ إليه أيدي الدولة العثمانية من ضبطِ بدوِها الساكنين في أطرافِها، وأخربَ الحصونَ التي تظاهر أهلُها بالعدوانِ، كحصنِ عيالِ إبراهيم^(٢)، ولم يزلْ هذا الحصنُ بأيدي عيالِ إبراهيمَ من مدةٍ مديدة، وهم موصوفون بالحُبْثِ والدهاءِ والإقدام على الانتهابِ والعدوانِ وقتلِ النفوسِ بدونِ حقٍّ، فضبطهم ضبطاً محكماً، وأخربَ حصنَهم، وفعلَ في أمثالهم مثلَ ذلك، حتى أتمَّ إصلاحَ البلادِ على غايةٍ ما يُرام، ووفدَ إلى الأميرِ جمالِ الدين^[٢] - وهو مقيمٌ - كثيرٌ من مشايخِ

/ ٤١

(١) جبل العُقَاب: جبلٌ وعزلةٌ من ناحية حُبَيْشِ وأعمالِ إب، انظر، معجم المقحفي، ٤٥٢، حياة الأمير، ٦٣١، ٩٧، ٩٨، معجم الحجري، ٢/٦٠٧، ١/٥٠.

(٢) عيال إبراهيم: عيال إبراهيم في اليمن كثير منهم في يسمن من بلاد صَعْدَة من ولد عز الدين الحسن، وآل إبراهيم في ناحية الجوف من قبائل بني كُوف، وغيرهم كثير، انظر، معجم المقحفي، ٨ نقلاً عن معجم الحجري ١/٥٣.

[١] في ص، الباغي محمد. [٢] في س، الجمالي.

اللواء التعزي، وأظهروا الانقياد والندم على ما كان يبدر منهم من الميل إلى العناد، كل هذا والمولى سيف الإسلام أحمد بن قاسم بن الإمام مقيم باب. ولم تحل إقامته هنالك من فوائد عظيمة كالتسكين، وإقامة الشريعة، وانفرد أهل قضاء إرب ومدينته أثناء هذا الإضطراب بالثبات على الموالاتة وإعانة المجاهدين السابقين والتالين بالكفايات من الطعام وغيره. والثناء في ذلك على همة عامل إرب الشيخ إسماعيل بن محمد باسلامه، فإنه من بعد توجيه عمالة إرب وبلادها إليه ثبت على الموالاتة والنصح والاحلاص وباين من كان يودُّ عدم انتظام الدولة الإمامية. ولقد اثنى على همته أمير الجيش ثناءً عظيماً بما أبداه من الإعانة والاهتمام بأمر المجاهدين، وصادف يوم قدوم الجيش على حبيش، ولم يكن الأمير قد تهيأ لذلك، لدوام مراسلته للمخالفين، وبذل النصائح لهم، فبدر منهم العدوان والإقدام على المجاهدين الذين قد كانوا على مقربة منهم، واشتعلت نار الحرب، وتلاحق الجند، بعضه يتلو البعض الآخر. ولم تكن لديهم الكفاية اللازمة من الطعام، وقد كان اعتنى عامل إرب، وأمر جميع أهل القضاء بصناعة الزاد للمجاهدين. فأرسل ذلك، وهم جمٌّ وافراً إلى المجاهدين، وهم في أعظم حاجة إليه لتعذر وجوده لديهم بفرار أهل البلاد بعد الواقعة، فاستغنى المجاهدون بما وصل إليهم من ذلك، فانتظم أمرهم، وكان ذلك من العناية / ٤٢

الإلهية بالجند الإمامي، وبركة من بركات مولانا الإمام^١ التي ما زالت عن طور التجلي للأعين في كل واقعة ومعركة، فكم سرد الواضعون أفرادها وأطال المشاهدون تعدادها حتى إنك لا ترى جندياً أو أميراً إلا وهو يقول: لولا سعادة مولانا الإمام وبركاته لما تم شيء من الظفر، ولا حصل من النصر ما يُذكر^٢، ولكن العناية لا تزال تصاحبهم والرعب يقدمهم، فيصلون إلى المطلوب، وإن

[١-١] سقطت من س.

قلُّوا، ويهزَمون الأعداءَ وإن جَلُّوا، ومن تَبَّعَ سِيرَ الوقائعِ يَجِدُ النتيجةَ اليقينيةَ بارزةً أمامَ فكره في أَجَلٍ مظاهرها وأتمَّ مفاخرها، وهي أَنه لم يهْزَمْ له^[١] - عليه السلام - جندٌ إِذا تمسكوا بالطاعة، لم يظهر منهم العدوان، فإن جرى منهم شيءٌ من ذلك شاهدوا العقوبةَ الإلهيةَ، وعرفوا أَن ذلك من أَثرِ أعمالهم، وهذه عادةٌ في جندِ الحقِّ إِذا سلكَ غيرَ سواءِ السبيلِ أو انحرفَ عن المقصدِ الكافِلِ بمرضاةِ الربِّ الجليلِ،^[٢] وَإِذا استقامَ على الطريقةِ وتمسكَ بالتوقُّفِ على مثلها شايعةُ الأقدارِ على بلوغِ مشتهى الأوطارِ ولو تكاثفت الأخطارُ^[٣]. وفي خلالِ هذه الأثناءِ عادَ سيِّدي العمادِ يحيى بن محمد بن عباسِ إِلى محلِّ ولايتهِ وهي النَّادِرةُ وتوابعُها من مخلافِ الشَّعيرِ^(١) وعمَّار^(٢)، وقد كان مَدَّ يدهُ إِلى مخلافِ العَوْدِ^(٣) جميعه، وضمَّه إِلى ولايتهِ بِإِذنِ الإمامِ -أيدهُ اللهُ-

وبقيت قَعَطْبَةٌ^(٤) وما إليها خاليةٌ عن العاملِ، وكان القاضي أحمدُ بنُ محمد

(١) الشَّعير: مخلاف في ناحية النَّادِرة، ثم تبع إِب، والشباب الشَّعيرة منسوبة إليه، انظر، معالم الآثار، ٤٢، معجم الحجري، ٢/٤٥٤، ٧٢٧، معجم المقحفي، ٣٥٧ (من عَزَله، الزَّعلا، مقنع، الوسط، العَبَس).

(٢) عمَّار: مخلاف في ناحية النَّادِرة شمال سرق إِب، من عَزَله، أزال، البكرة، عجيب، شخب وغيرها، نُسب إلى عمَّار بن كنانة بن قيس، انظر، معجم الحجري، ٢/٧٢٧، معجم المقحفي، ٤٦٢.

(٣) العَوْد: مخلاف في ناحية النَّادِرة، شمال شرق إِب، انظر، الاكليل، ٢/١٤٧، ٣٦٧، صفة جزيرة، ٢٠٠، معالم الآثار، ١١٠، معجم الحجري، ٢/٤٥٤، ٧٢٧.

(٤) قَعَطْبَةٌ: مدينة وناحية من نواحي قضاة النَّادِرة بالشرق الجنوبي من إِب بمسافة ٦٢ كم، عُمرت على أنقاض مدينة جَيْشان، تعد ناحية من لواء إِب سابقاً، انظر، طبق الحلوى، ٨٤، أئمة اليمن، ٢/٣٧٨، مذكرات المؤيد بالله، ٢٠٠، حياة الأمير، ٦٢٨، معجم المقحفي، ٥٢٠، معجم الحجري، ٢/٦٥٦.

[١] في س، للإمام. [٢-٢] سقطت من س.

الأنسي^(١) مقيماً بالنادرة لُدُن سيدي العماد، فصدر الأمر الشريف من الحضرة الشريفة إلى سيدي العماد بتوجيه عمالة قَعَطَبَة إلى القاضي أحمد الأنسي المذكور وأن يكون عزمه بثلة من جُنْدِ الحق إلى هنالك، ومرجعُه سيدي العلامة العماد، فتوجَّه، على بركة الله، إليها بمن معه من المجاهدين، ودخلها من غير قتال، وضبط أكثر أطرافها ووجه عنايته إلى ناحية مَرِيس^(٢) التابعة لها، فجلب مشايخ القسم الأكبر منها، وأخذ منهم رهائن الطاعة، وانقادوا على أحسن منوال، وكذلك كان ضبط ما حول المدينة من القبائل، وفيهم عصابات من ذوي الجسارة والإقدام. فلم يسعهم غير الخضوع للحق، واستمسكت الأحوال هنالك، وترتبت جهاتها، وأخذ منها العامل الواجبات، ولم يبق هنالك معانداً إلا مَنْ فرَّ ولم يُؤرِهِ داره، فكفتته الغربية والانتزاح من عن محله عقوبة على سوء فعله، وعاقبة وخيمة لجهله.

وقد كان جرى من الحوادث في لواء تعز قبل وصول الجند الإمامي، العازم صحبته سيدي الأمير جمال الدين، علي بن عبد الله الوزير - حفظه الله -

(١) أحمد بن علي بن محمد بن علي بن عبد الرحمن بن يحيى الأنسي ت بصنعاء سنة ١٣٨٣ هـ، أديب، كان يتقن اللغة العثمانية، تولى أعمالاً كثيرة في العهد العثماني، زار استانبول زمن السلطان عبد الحميد، وعاد برفقة الوالي حسين حلمي باشا سنة ١٣١٥ هـ تولى قَعَطَبَة ومالية تعز ونظارة الصحة والمعارف في عهد الإمام يحيى، وكان عاملاً للحجريّة سنة ١٣٤١ هـ وتولى عمالة يريم، أرسله الإمام برسالة إلى مصطفى كمال أتاتورك سنة ١٣٤٥ هـ، انظر، نزهة النظر، ١١٤، هجر العلم، ٣٧٧.

(٢) مَرِيس: من أعمال قَعَطَبَة، مخلاف يشمل عُزل، العمرية والمجانح وعساف، انظر، معجم الحجري، ٢/٦٥٦، الاكليل، ١٨٩/٢ وفيه «مَرِيس، من عزلة الحرث في بَعْدَان».

غرائب من العدوان، منها، ما حصل بين الشيخ محمد بن حَسَّان^(١) المنتمي إلى طريقة الصوفية، هو وأبوه من قبله، وبين الشيخ علي عثمان^(٢) / عامل المخا^(٣) من الحروب التي عظم شررها، وطار ضررها، وأهلكت كثيراً من النفوس، وأنزلت بهم البؤس، وسببها أنَّ الشيخ علي عثمان المذكور كان عاملاً على قضاء المخا من جهة الدولة العثمانية فصادف وقوع الحوادث الأخيرة، وهو مقيم بالمخا على عمالته، ولديه جملة من المدافع الكبار وكثير من المهات الحربية: ^[١] زانة المدافع^[١]، وزانة البنادق، فاستولى عليها، وأخذها تحت يده، ومكث يأمر وينهى كما كان في أيام الدولة، وألَّفَ حولَه جماعة من أهل صبر وغيرهم، استخدمهم في الضبط وإنفاذ الأوامر.

وكان الشيخ محمد بن حَسَّان في أواخر أيام الأتراك، قد عظم نفوذه في قضاء المخا عموماً، وفي ناحية مَقْبَنَة^(٤) وشرعَب^(٥) وأطراف بلاد العُدَيْن وجبل

(١) محمد بن حَسَّان الصوفي: آل حَسَّان في يَفْرُس، كان ملتزماً طريق الصوفية، معتقداً عند العامة بأنه من الأولياء، حبسه الإمام يحيى في حَجَّة حتى مات، انظر، حياة الأمير، ١٢٧، معجم المقحفي، ١٧١ .

(٢) علي عثمان: كان عاملاً لقضاء المخادر، اداري متميز، فرَّ إلى الإدريسي بسبب خلافه مع آل حسان، وحارب الإمام يحيى ثم عفا عنه الإمام، وعينه الإمام رئيساً لمحاسبة صَعْفَان انظر، حياة الأمير، ٥٧٤ .

(٣) المَخَا: مدينة مشهورة على ساحل البحر الأحمر، غربي مدينة تعز بمسافة ٩٤ كم، وهي قديمة، ذكرتها النقوش باسم موزا، وهي مركز القضاء، انظر، الاكليل، ٢٦ / ٢، اليمن عبر التاريخ، ٢٣، فرجة الهموم، ٣٥، حياة الأمير، ٦٣٠، معجم المقحفي، ٥٧٠، معجم الحجري، ٢ / ٦٥٤ - ٦٩٥ .

(٤) مَقْبَنَة: ناحية كبيرة غرب شمال تعز بمسافة ٦١ كم، تمتد من وادي نخلة شمالاً إلى وادي مَوْزَع في الجنوب، ومركزها الدون، من قضاء المَخَا، تتبعها غزل كثيرة منها =

حَبَشِي^[١] وهو مسكنُ أبيه، وفي جبل صَبْر^(٢)، وصارت كلمته المقبولة وإرادته النافذة، وزاحم المشائخ في تلك الأطراف، وهدم تسلُّطهم، وقد كان أمراء الدولة العثمانية في لواءِ تعز^[٢] يتهيئون^[٢] موقفه وقوة نفوذه، فكانوا يُسْعِفونه بما ينهيه إليهم، ويعظّمونه حتى تولى متصرفية لواء تعز، إلياس بك الجركسي في أثناء الحرب العامّة، واضطرت الدولة العثمانية إلى التقصي في استحصال الأموال من البلاد، فكان الشيخ محمد بن حسان كالمعارض لمقاصد الأتراك لا المساعد، وتزايد ذلك إلى أن توجه إلياس المذكور بجمع من الجنود إلى محلّ الشيخ محمد حسان، وهو الميراب^(٣) من ناحية مَقْبَنَة، وكانت حرب بين الفريقين أسفرت عن استيلاء الجند التركي على بيوته، وانتهابهم لأمواله

= ميراب ووريف والعُقَيْرَة وحاضر وبراشة ومجاشعة، كانت تعرف قديماً باسم شَمِير سكنها قوم من قبيلتي الأشاعر والركب انظر، معجم الحجري، ٧١٦/٢، حياة الأمير، ٦٣١، معجم المقحفى، ٦٢٢/٢، صفة جزيرة، ١٣٩، الاكليل، ٣٥١/٢.

(٥) شَرَعَب: ناحية معروفة بالشمال الغربي من تعز بمسافة ٤٠ كم، وتشمل عدداً من العُزَل، وأشهر جبالها الوضيحة، يرتفع ٢٠٠٠ م، انظر الاكليل، ٣٨٢/٢، نشر العرف، ٦٥٢/٢، اليمن الكبرى، ١٧٣، حياة الأمير، ٦٢٣.

(١) جبل حَبَشِي: سُمي قديماً ذَخِر، يقع غرب جبل صير، وبينه وبين صبر وادي الضباب، ومركز الجبل مدينة يَفْرَس، وهو واسع ومتشعب، من قضاء الحُجْرِيَة. انظر، صفة جزيرة، ١١٧، الاكليل، ١٩٤/٨، معجم المقحفى، ٢٤٩، معجم الحجري، ٣٤٠/١، حياة الأمير، ٦١٤.

(٢) جبل صَبْر: جنوب مدينة تعز. على امتداد كبير من الشرق إلى الغرب، يرتفع ٣٠٠٠ م، وأعلاه قمة العروس، يحده غرباً جبل حَبَشِي وجنوباً جبل سامع وشمالاً السهول التعزية وشرقاً الصلوا، انظر، حياة الأمير، ٦١٥، صفحات مجهولة، ٥١، اليمن الكبرى، ٣٣، صفة جزيرة، ١١٧، ٢٢٥، الاكليل، ١٠٤/٢.

(٣) الميراب: عُزْلَة من ناحية مَقْبَنَة، انظر، معجم الحجري، ٧١٦/٢، معجم المقحفى، ٦٢٢/٢.

[١] في ص، حبش. [٢-٢] في ص، يتهاون موقعة.

ومصادرتهم لأموال أصحابه، وفرّ المذكور عن البلاد اليمينية، ولم يعد إليها إلا بعد جلاء العثمانيين، وأظهر نوعاً من الانتعاش إلى الدولة الإمامية ماثلاً لانتعاش غيره من رؤساء أهل تعز، فتحرّكت نفسه للاستيلاء على المدافع التي لدن علي عثمان، وأظهر أنّ مرامه من ذلك أخذها للإمام، وعلي عثمان قد كان تمسك من مولانا الإمام بمرسوم شريف قاض بتولية الأعمال، فأبى من الخنوع لإرادة محمد حسّان، وظهر الحرب بين الفريقين واستمر مدةً، وهلك من النفوس جمٌّ غفيرٌ.

وفي نهاية الحال، أرسل المولى سيف الإسلام، أحمد بن قاسم بن الإمام جماعة من طرفه لإصلاح الحال وإزالة الشقاق، وصادف ذلك، وقد تعب الفريقان من الحرب وسئموا طولها، فتمّ على يد الجماعة المرسلين رفع المطارح، وإسكات القارح، ورجع كلُّ أحدٍ إلى محلّه، وعاد الجماعة إلى إب. إلى المولى سيف الإسلام، أحمد بن قاسم بن الإمام.

/ ٤٤

ومنها أنه في أثناء ظهور الخلاف من أهل حبش كثير من مشايخ جهات اليمن الأسفل التلاقي إلى محلات مخصوصة، ومن أكبر اتفاقاتهم ما حصل من اجتماعهم في القاعدة وتداولهم للمراجعة والإفادات^[١] للخطة التي بينون عليها شئونهم، وكانوا ينفصلون على غير رابط كما بلغ، ولم ينتظم لهم أمرٌ ينافي المصالح الإمامية، بل لم يجسر أحدهم على إظهار رأيه فيما يخالف الطاعة، إلا أنه ظهر من حالهم أنّ كل واحد منهم يريد التصدّر على غيره، وتوليه^[٢] للزعامة على الكلّ، فكان ذلك من أقوى الأسباب في تنافر طباعهم فوق ما هم عليه قديماً من المنافسة، وكفى الله المؤمنين بذلك شرّاً تعاضد لهم على أمرٍ يضرّ الإسلام والمسلمين.

[٢] في س، وتوليته.

[١] في س، والإفادة.

ومنها أن مولانا الإمام، لما أسند عمالة قضاء القماعة إلى الشيخ محمد ناصر، وأظهر لذلك الارتياح، ندب مولانا الإمام سيدي العلامة شرف الإسلام، حسن بن عبد الوهاب الوريث^(١) من أعيان علماء السادة القاسمين لحكومة قضاء القماعة، وعيّنهُ الإمام لذلك رغبةً في استمالة الشيخ المذكور إلى جانب الحقّ وعنايةً بشأنه لأنه كان أكبر مشايخ اللواء قوةً، وأوسعهم بلاداً.

وقد كان العثمانيون بسعي^[١] الشيخ المذكور وسعوا قضاء القماعة، وضموا إليه مخاليف من الحَجْرِيَّة ومن صُهَبَانَ^(٢) ومن بلادِ قَعَطَبَةَ، ناحية الحُشَا^(٣)، وخصَّ الإمام سيدي^[٢] شرف الإسلام^[٢] بذلك؛ لما عُرف به من حُسن الخُلُقِ والتواضع ونبالة المقصد وعلو المدارك. فارسل مولانا الإمام إليه إلى دَمَارَ عصابةً من جنود الحقّ يكونون بمعيته، وتوجّه لذلك من مدينة دَمَارَ وطِئِه، فوصل إلى القماعة، وقابله الشيخ محمد ناصر بالجميل، ولكنّه لم يتمكن في

(١) حسن بن عبد الوهاب بن علي بن يحيى بن أحمد من ذرية الإمام القاسم المعروف بالوريث الذماري ت، ٢٢ ذي القعدة ١٣٥٣ هـ، حاكم القماعة وجهات ماوية من اليمن الأسفل ١٣٣٨، وكان عضواً بمحكمة الاستئناف الشرعية بصنعاء ثم التدقيق في الجهات الرداعية ثم حاكماً في إب، ولد سنة ١٢٨٥، انظر، نزهة النظر، ٢٣٠، حياة الأمير، ٥٤٣.

(٢) صُهَبَانَ: مخلاف في ناحية ذي سُفَال قرب ذي جِبَلَّة، قبل القرن الثامن الهجري، يدعى مخلاف وإنما لحقه الاسم بعدما تولاه الأمير الصهباني من قبل الدولة الرسولية وتعرف المنطقة باسم نعيمة المسواد نسبة إلى حصن المسواد الموجود فيها، انظر صفة جزيرة، ١٩٧، الأكليل، ٢/٢٤٤، معجم المقحفي، ٦٤٤، معجم الحجري، ٢/٥٤٨.

(٣) الحُشَا: جبل بالشرق الشامي من تعز، يُشكّل أعمال ناحية من قضاء ماوية، ومركزه صرارة في قمة الجبل، انظر، صفة جزيرة، ١٤١، حياة الأمير، ٦١٧، معجم المقحفي، ١٧٣ معجم الحجري، ٢/٢٥٩.

[١] في س، بسعاية. [٢-٢] في س، الشرفي.

خلال ذلك من القبض على زمام الأمور واجرائها على المحور الموافق لمراد الله عز وجل، لما في اليمن الأسفل جميعه من الاضطراب وعدم الاستقرار واختلاف الأطوار، فمكث هنالك شهراً وأياماً، ثم بدا له لزوم العود من هنالك إلى ذمار، فعاد إليها، واعتذر لمولانا الإمام عن عوده بما شاهده من عدم إمكان نفوذ الأوامر والنواهي كما يريد، وأن بقاءه على تلك الحالة غير جميل ولا موافق لمراد مولانا الإمام فقبل عذره، ومع ذلك لم تزل كتبت الشيخ محمد ناصر من قبل ومن بعد ترد إلى مولانا الإمام متواليه بإظهار الطاعة والانقياد وحسن الموالاته والانتساب إلى الحضرة الإمامية، وكان قد شاخ وكبر وثقل سمعه، ولكنه كان كغيره من المشايخ واضعاً يده على المدافع والجبخانة وكثير من الأسلحة، ولم يحدث نفسه بتسليمها إلى مولانا الإمام، وكان يؤدّب من خالفه من مشايخ البلاد تاديباً يشتمل على إراقه الدماء وعدم المبالاة بإزهاق الأرواح، وذلك شأن مشايخ اليمن الأسفل ودينتهم المؤلف لديهم.

/ ٤٥

ومنها أنه حصل الاختلاف بين المشايخ أولاد نعمان مقبل أهل الحجرية والشيخ علي عثمان عامل المخا، والسبب في ذلك المدافع التي لذن علي عثمان، كان مرأماً أهل الحجرية أن يسلم إليها^[١] بعضاً منها، ووصل الاختلاف بين الفريقين إلى درجة الحرب، ثم حصل السعي بين الطرفين بالمصالحة على تسليم البعض، وانفصل النزاع بين الفريقين.

ومنها تحرك نور الدين بن حسان بجبل حبشي من الحجرية مناوئاً لأولاد نعمان مقبل، ومريداً للخروج عن سلطتهم واستقلاله بأمر الجبل المذكور على أقل الأحوال، وإن تمكن من إذلالهم فهو المراد، فكان بينه وبين المذكورين

[١] في س، إليهم.

وقعات، أسفرت عن إخفاق مسعاه، وعدم حصول ما ابتغاه وعَصِدَ خصوصه
كثيرون من أهل الجبل، وكان يُظنُّ في أهل الجبل خلاف ذلك لأنَّ تربة أبيه الشيخ
حَسَّانَ المعظم عندهم بين أظهرهم، وهم قريبو عهدٍ برؤيته ورؤية الوافدين إليه
من جميع جهات اليمين الأسفل، وهم يعترفون بهاله من المكانة عليهم لأنَّه
هذبهم، وأزال عنهم البداوة وأرشدتهم إلى لبس العمام البيض بدلاً من الأقباع.

وكان الشيخ حَسَّانُ المذكورُ من مشايخ الصوفية، وينتسبُ إلى الطريقة
الشاذلية من طرائقهم المُبتدعة، وما زال مقبول الكلمة، كثير الأتباع، وشاع
صيته، وانتفى إليه أكثر أهل لباس البياض في بلدان الشافعية وانتسبوا إليه،
وأقاموا الراتب الشاذلي على العادة المألوفة لديهم في ليالي الجمع، وبعد صلواتها
في الجوامع، ولقبه أتباعه بشيخ الوقت والقطب على اصطلاحهم، ولكنه لم
يكن كآولاده في الترامي إلى عظام الأمور، ومنافسة أهل الدنيا، وإنما ذكرتُ
هذا استطراداً ليعلم الواقف على ذكر شيء من أحوال أولاده عن أصل
منشئهم ومدخل مزاحمتهم للمشايخ، ورؤساء البلاد في الرئاسة، وهكذا حالة
الدنيا في تلاعبها بأبنائها وغرورهم بها. فبينما كان المذكورون من أولاده مشايخ
في زاويتهم إذا بهم بغرور الدنيا قد صاروا مشايخ في ميادين القتال على
الأطماع، وسفك الدماء بدون مراقبة للرب ذي الإبداع. نسأل الله السلامة من
بروق الأطماع الخلابية، والنجاة من موقف الندامة والكآبة/ وانقضت أيام / ٤٦
شهر رمضان والأمير جمال الدين علي بن عبد الله الوزير مقيم بحبيش،
١١... وهنالك صام رمضان وأدركه عيد الفطر السعيد^{١١}، وقد كان أذن له مولانا
الإمام - أيده الله - بالانتقال إلى الجبلين من عزل العدين، فارتحل^[٢] بجنده
إليها، وقد عظمت هيبة مولانا الإمام في القلوب وارتج لموقع صرامة الأمير

[٢] في س، فأرسل.

[١-١] سقطت من س.

وشهامته على كل منصوب، وسارت بأحاديث كماله^[١] ألسن الركبان، فوفدت المشايخ والأعيان من قضاء العُدين وأطرافه إلى محطته، وبذل كل ما في وسعه من الطاعة، والانقياد،^[٢] والرغوب في الازدياد^[٣].

وبهذه الأثناء، وجّه مولانا الإمام عمالة قضاء العُدين إلى الشيخ الهمام حمود بن عبد الرب بن قايد بن سنان المذكور أولاً. وعمالة جبل حُبَيْش إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن قاسم. وقام كل منهما بعمله. والأمير جمال الدين يبعث البعوث إلى أقطار البلاد، ويقودهم بنواصيهم إلى الطاعة في أسلس مقاد، ويأخذ الرهائن المختارة من كل رئيس، ولا يسعهم غير المبادرة إلى الامتثال بدون تراخ ولا تعيس. وورد إليه، وهو مقيم بالجبكين^(١)، وفود مشايخ أطراف اليمن الأسفل فيقابلهم أحسن المقابلة.

فمكث هنالك أسابيع ثم أذن له الإمام بالانتقال إلى عزلة السادة^(٢) وهي محل متوسط في قضاء العُدين يتمكن فيه من القرب من أطراف العُدين ومخالفته التهامية.

ولا يصعب عليه الإلتفات إلى رعاية أحوال مخاليف^[٣]، ويقرب من البلاد التعزية، فتم انتقاله بمحطته إليها، وهنالك باشر إكمال ضبط ما بقي من العُدين، وجاس خلالها بالعسكر مع ضبطه لهم أتم الضبط، وأخذ الرهائن من

(١) الجبكين: من العُدين، تقع فوق ممس بني الشهاري من الجهة الجنوبية ووادي الدور غرباً، وتبدأ من الشرق من رأس نقييل مشهور، وهي عزلة من ناحية شليف، انظر، حياة الأمير، ٦١٥، معجم الحجري، ١/١٧٨، معجم المقحفي، ١٠٩.

(٢) السادة: عزلة من ناحية العُدين وأعمال إب، انظر، اليمن الكبرى، ١٠٤، معجم المقحفي، ٢٩٧، معجم الحجري، ٢/٤٠٩.

[١] في الأصل، كمال.

[٢-٢] سقطت من س.

[٣] في س، المخاليف أعلاه.

بلاد القبلة التي سُكَّانها من البدو وأهل المواشي، وهي تتصلُّ بأطرافِ وُصَّاب، وفيها اتساعٌ، وبأهلها من النفرة عن الدولِ ما لا مزيدَ عليه، حتى إنه لم يتيسر للدولةِ العثمانيةِ نفوذُ أوامرهم بها على طولِ مدةِ إقامتهم وعظمِ شوكتهم، وكذلك تيسَّرَ بهمتِهِ ضبطُ مخالفِ البَعَادن^(١) والمزاحن^(٢)، وما وراءَهُما إلى حدودِ حَيْسٍ وجبلِ راسٍ، وكان في ذلك من السهولةِ وحُسْنِ الضبطِ ما صار موضعَ إعجابِ كلِّ عاقلٍ، وذلك من سعادةِ مولانا الإمام - أيده اللهُ - وبركاته التي ما انفكت مظهرًا من مظاهرِ عنايةِ اللهِ سبحانه. ولم يحصلْ في أثناءِ ذلك من حوادثِ مبادئِ الدخولِ في الطاعةِ إلا ما لا يستحقُّ الذِّكْرَ والتدوينَ لحقارتِهِ بالنسبةِ / إلى عظيمِ ما تيسَّرَ من الفتحِ، وإخضاعِ أولى التكبُّرِ من رؤساءِ تلك / ٤٧ / الأقطارِ وإقبالهم إليه أفواجًا تسوقهم إليه أسواطُ المهابةِ بإيدي العنايةِ. ولم يبقَ شيخٌ من المشايخِ إلا بادَرَ إليه وانقادَ لما يأمرُهُ به وأدركَ قضاءَ العُدَيْنِ عهدًا جديدًا، فقد كانت طُمست منه المعالمُ والمعاهدُ، واعتاضَ بدله بأيامِ الحكومةِ العثمانيةِ سمةَ التعادي بين أهله وتسلطَ القويِّ على الضعيفِ، وانقلابَ كلِّ شيخٍ في زِيِّ الدولةِ يفعلُ بالرعيةِ ما يشاء، ويكلفهم ضرائبَ تقومُ به، وبمن يجمعهم لديه من حشراتِ العسكرِ، وكلِّ واحدٍ منهم يحاربُ الآخرَ. وهذا بعضُ ما كان موجودًا من التلاشيِ وعدمِ الانتظامِ، فلما أقبلتْ دولةُ الحقِّ عادَ الأمنُ إلى نصابِهِ، وأُعيدَ سيفُ العدوانِ في قاربه. وفرَّجَ اللهُ عن الضعفاءِ تلكَ الشدَّةَ، وأمَّنوا على أموالهم ومزارعهم ونفوسهم من الهدَّةِ في أثرِ الهدَّةِ، واستقامتْ قناةُ الشريعةِ والانتصافِ للمظلومين، ورُفِعَتْ أيدي الاعتصابِ.

(١) مخالفِ البَعَادن: مخلاف من ناحية شَلِف من بلاد العُدَيْن، انظر، معجم الحجري،

١٢٤ / ١، معجم المقحفي، ٨٠.

(٢) المزاحن: من قبائل العُدَيْن، انظر، معجم المقحفي، ٥٨٨، معجم الحجري، ٧٠٦ / ٢.

وفي أيام إقامة الأمير جمال الدين بالسّادة، مدّ يده لضبط ما حوالي تعزمن النواحي: كشرّعب وذو سُفال والجند، وكلّما أناط همته بمطلوب، تعلّقت أسباب النجاح به، وظهورُ تسييره على غاية ما يُرام.

وأما سيدي فخر الدين، عبدُالله بنُ أحمد الوزير، فإنّه استقرَّ بحيس، وأدرّكه عيدُ الفطر هنالك، وأمره مولانا الإمام بعد سكون الأهوال في زبيد، وجميع نواحيه بقصد المخا بمن معه من الجنّد، فتوجّه إليها وواجهته البلاد بالطاعة، والدخول في حزب الجماعة، وظلّ الراية الإمامية، يقدمهم الشيخ علي عثمان وأخوه الشيخ عبدالله عثمان، فإنهما بادرا إلى إجابة الحقّ، ونهضا بما يُرام منهما من الإقبال إلى ما فيه المفاز من ولاية الإمام وحسن الطاعة، ولا يخفى ما عليه قضاء المخا، فهو من الأهمية بمكان عظيم جسيم، لأنّ مركزه، وهي بلدة المخا المشهورة قديماً بأنها مرسى اليمن الكبير، كانت على الشاطئ، ومراكب الإفرنج تمرّ من أمامها يوماً لقصد بلاد الهند والصين، وكافة ممالك الشرق الأقصى، وقد أحنى عليها الزمان بهجران قصادها إلى قصد عدن، وغيرها من المراسي، فكانت بذلك موضع طموح الأطماع من الإفرنج عليها. وبالقرب منها الانكليز في بريم^(١) والفرانسة في عصب وجيوتي، فلا يُبعد إذا ما خلت عن الحامي إن تتطرق أيدي العدوان إليها. وفي المخا أيضاً مضيق باب المنذب^(٢) وناهيك بما له من الأهمية في الأنظار، فكان قدوم سيدي الفخري

(١) بريم: جزيرة على مدخل باب المنذب، كانت تستخدم قبل ١٩٣٦ م مركزاً لتموين السفن بالفحم، من أهم الجزر اليمنية داخل مضيق باب المنذب، على بعد ١١ ميلاً من الساحل الإفريقي، انظر، معجم المقحفي، ٧٨، اطلالة على البحر الأحمر، ٣٤-٣٦.

(٢) مضيق باب المنذب: عند المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، المعبر الوحيد للقادمين من شرق إفريقيا وآسيا، يمتد من جنوب جزيرة ميون (بريم) عند رأس سيان على الساحل الشرقي ورأس باهانا على الساحل الغربي، انظر، معجم المقحفي؛ ٦٥٠، اطلالة على البحر الأحمر، ٢١-٢٢.

بمن معه إلى جهاته مانعاً، / من وقوع الخطر، وسداً حائلاً دون استفحال / ٤٨
الضرر، فإنه رتب أمور تلك البلاد، نفى عن طرفها مرض الشهاد. وجلب
إليها مشايخها وأعيانها، وأخذ منهم رهائن الطاعة وأرشدتهم إلى ما هو عند الله
أنفس بضاعة. ومع ذلك لم يتمكن من استخلاص ما بيد علي عثمان من آلات
الحرب والزانية، وأعرض عن ذلك دفعا للمفسدة ورعاية للمصلحة، وبعد أن
مكث هنالك برهة من الزمان، قفل راجعاً إلى مركز الأعمال المنوطة به. بمدينة
ذمار.

وأنيطت أعمال المخا إلى سيدي الأمير جمال الدين، علي بن عبدالله الوزير
من جملة ما بنظره من الأعمال.

وفي شهر [.....] [١١] من هذه السنة تحرك الأمير جمال الدين بمن معه من
الجيوش من السادة، وقد ضاق بها الفضاء عدداً وعدة، قاصداً مدينة تعز وما
والها من البلاد التعزية وجبل صبر، فدخلها الأمير والجنود الإمامي دحولا
معظماً، وكان الأمل أن لا يظهر في تلك الجهة ناجم حرب ولا جولان طعن
وضرب، لأن مظاهر أهلها كانت مظاهر ميل إلى الطاعة وإخلاق إلى السكون
وترك ما به الاراعة، إلا أنه لم يحط الجيش الإمامي ركابه في ربوع تعز، حتى
فوجيء بالعدوان من أهل جبل صبر، فانهاج عليهم سيل الجيوش الإمامية،
وجاءهم ما لا قبل لهم به، فلم تمض إلا سويعات حتى مآل العادون إلى الفرار
عن اضطرار، وتشتت جمعهم وولوا الأدبار، ولم يعصمهم جبلهم المنيع بل
اقتحم العسكر الإمامي وراءهم ذرى الجبل، وتوغلوا في شعابه، واحتوى الجنود
على غنائم عظيمة وأموال جسيمة، وكثرت منهم القتلى، واخترت منهم رؤوس،
ونزل بساحتهم جزاء لبغيهم مرارة البؤس. وأتى الأمير بالأسرى تترى بالأمان،

[١١] بياض في النسختين.

ثم نودي بالأمان بعد أن أخلد أهل جبل صبر إلى الطاعة، وندموا على ما فعلوا، وعلموا أنهم جلبوا على أنفسهم هذه الحروب الضروس، واستعجلوا يوم حتوفهم بما لا قوة في ذلك اليوم العبوس. وإنما غرهم ما كانوا عليه منذ سنين تنوف على الخمسين من التعصب على الأمراء، والتظاهر بالقوة، وبغي بعضهم على بعض وموالاته الحروب فيما بينهم، فكأنهم أرادوا بما فعلوه أن يعرفوا الجند الإمامي وأميرة الهام منزلتهم من القتال والجدال، وأنهم لا يهابون أيام النزال، فجاءهم من الله ما لم يحتسبوا وذاقوا عاقبة مكرهم وتلوّثهم وعوقبوا، وكان لهذه الواقعة في اليمن الأسفل / صدئ أقام ناموس الهيبة، وأسكن في النفوس المترددة من الطاعة معنى الخيبة، فأقبل الناس إلى الطاعة أفواجا، وامتلا مقام الأمير المشار إليه بالرؤساء والمشايخ، وبذلوا الرهائن المختارة وانقادوا. وتم للأمر في تلك الأثناء ضبط جبل صبر بأجمعه ومقبنه، شرعب والحجرية والقماجرة وبلادها، وأرسل الأمير إلى كل جهة عصابة من جند الحق لحفظ مراتبها، وبث العمال في الجهات، ولم ينتطح بعدها في ذلك عنزان. وعم الناس بفضل مولانا الإمام - عليه السلام - اليمن والأمان، وشرع الأمير في جمع ما كان بأيدي أهل صبر من سلاح الحكومة العثمانية، ولم يبالغ في التحري على ذلك رعاية لصون الأحوال عن مستور الاختلال. وقد تم ذلك المرام على ما يُرام بعون الملك العلام. وأقر، بعد مؤازنة مولانا الإمام، على عمالة الحجرية الشيخ عبد الوهاب بن نعمان مقبل. وكان المذكور عاملاً لها أواخر أيام الأتراك وعلى عمالة قضاء القماجرة الشيخ محمد ناصر باشا بعد أن أذعن لتسليم ما لديه من المدافع والبنادق وبعض الزانة، وبالغ في ضبط المعتدين، وكف أيدي الأثمين حتى شاع الأمان وذاع، وعرف كل أحد أنه قد انقضى زمن الشرور

/ ٤٩

والأطماع، وجاء الصلاح وأسفر نور الفلاح، وتم بمن الله تعالى دخول تلك الأقطار تحت ظل الراية الإمامية والخلافة المحمدية، وزوال ما كانوا قد ألفوه من التعادي والفضوى والسلب والنهب والقتل ودوام حملهم للسلاح، حتى الرعاة منهم والحراثون في كل أوقاتهم ليلاً ونهاراً، وفي بيوتهم ومساجدهم كل ذلك خوفاً من الاغتيال من بعضهم على آخر، وقل أن يمضي يوم ولا تُسمع فيه نائحة أو خبر قتل، فسكنت الأحوال عن الاضطراب المعهود، وأمن الناس وقابلهم الدهر بطالعه المسعود، وأقيم ناموس الشريعة المحمدية، وانحصر فزع الكل إلى تحكيمها في المسائل الكلية والجزئية. ولم يبق للماضي السوء أثر في النفوس بل تناسوه ونسوه رغبة ورهبة وطاب لهم القعود والقيام والجلوس.

وانصرف الناس إلى أعمالهم وإحياء أراضيتهم التي صارت إلى حالة الموت، بما تناول عليهم من صنوف العدوان والمصيبات. قلت: ومن أمعن نظره السليم وفكره المستقيم عرف وتيقن/ أن دولة مولانا الإمام كانت إغاثة من الله تعالى لعباده ودينه، تدارك بها رمق الدين والدنيا معاً، وصان بها هذا القطر من التلاشي، وما يهول ظهوراً ومطلعاً.

وفي أوائل هذه السنة، عين مولانا الإمام السيد الأجل علي بن محمد المطاع^(١) عاملاً على قضاء رداع، وأنيطت أموره إليه كما ذكرنا، فتوجه إلى هنالك بثلة من الجند الإمامي، فكانت أعماله كلها مثلاً للحزم وحسن الضبط وحسن السيرة، ومحمد فيها مثابه^[١] وانتصابه، فإنه ضبط القبائل بالرهائن المختارة،

(١) علي بن محمد بن أحمد المطاع ت ١٣٧١هـ، كان عضواً في مجلس الإدارة في العهد العثماني، زار استانبول في عهد السلطان عبد الحميد، تولى أعمال قضاء رداع، وتولى نظارة الأوقاف الداخلية والخارجية، انظر نزهة النظر، ٤٦٦، هجر العلم، ٦١٤ .

[١] في س، منابه.

وَكَفَّ أَيْدِي الرَّعَاعِ وَأَهْلِ الشُّطَارَةِ، وَأَخَذَ جَمْرَةَ الْفِتْنَةِ وَالْمَحْنَةَ الَّتِي كَانَ يَتَطَايَرُ
شُرُورُهَا فِيهَا بَيْنَهُمْ فِي أَكْثَرِ الْأَيَّامِ بِأَقْلِّ مُحْرَكٍ.

وفيها أمر مولانا الإمام -أيده الله- حاكم المحويت^(١)، سيدي العلامة
إسماعيل بن حسن الوادعي^(٢) بالتوجه إلى جبل ملحان^(٣) لترتيب أموره، وضبط
جهاته. وقد كانت وصلت إلى مولانا الإمام -عليه السلام- كتب متعددة من
رؤساء أهل الجبل المذكور فيها الحث على قدوم الجند الإمامي إليهم، ورغبتهم
في الطاعة. فتوجه سيدي إسماعيل إلى هنالك بعصاية من الجند الامامي غير
يسيرة، وجمع من بلاد المحويت قوماً ضمهم إليه فقابلته البلاد بالطاعة
والانقياد، ودخل الجبل في سلك البلاد الإمامية بمعونة رب العباد. وشرع في
ترتيب الأحوال وإزالة أدران الاختلال والفساد، ولم يبق إلا السير من أطرافه
توقف أهله عن الطاعة، كعزلة همدان^(٤) وما مثلها، واستقر الحاكم المشار إليه

(١) المحويت: اسم مدينة بالشمال الغربي من صنعاء بمسافة ١٠٠ كم، من أجل مدن
اليمن، وتضم من النواحي، ناحية المحويت وناحية خُفَاش وناحية جبل ملحان
وناحية بني سعد، انظر، صفة، ١١٢، اليمن الكبرى، ٦٠، طبق الحلوى، ١٢٩،
معجم المقحفي، ٦٠، حياة الأمير، ٦٢٩ .

(٢) اسماعيل بن حسن بن عبدالله بن أحمد بن محمد الوادعي ت في ٢٩ جمادى الأولى سنة
١٣٦٦ هـ، عالم محقق في الفقه، تولى اصلاح أمور المحويت ثم تولى القضاء فيها، ولد
في هجرة وادعة سنة ١٢٨٨ هـ، انظر، نزهة النظر، ١٨٥، هجر العلم، ٢٣١٨ .

(٣) ملحان: ناحية من نواحي المحويت، جبل منيع، وحصنها ريشان يشرف على المهجم
من تهامة انظر، صفة جزيرة، ١٢٤، فرجة الهموم، ٨٢، نشر العرف ١٢/٥٥٢،
معجم الحجري، ٧١٨/٢، البلدان اليبانية، ٢٧٣ .

(٤) عزلة همدان: من ناحية ملحان. انظر، معجم المقحفي، ٦٨٣، تاريخ اليمن
الثقافي، ٤٦/١ .

في أعلا ذرورة منه مُذْكَراً وناصحاً لأهل الجبل، ومرشداً لهم إلى سُبُل الخير، ولكنهم قومٌ قد سادَ عليهم الجهلُ، وتباعدَ عهدُ انقيادِهِم بما تمرّنا عليه في عهدِ الأتراك من عدمِ الطاعةِ والتهاونِ بها، والعدوانِ على عمالِ الأتراك، وإرخاءِ العنانِ لهم من قبَلِ أمراءِ الأتراكِ الذين في الحُدَيْدَةِ؛ لأنَّ عمالةَ الجبلِ المذكورِ كانتِ مربوطةً بمتصرفيةِ الحُدَيْدَةِ، فلهذا لم تستقرَّ أفئدتُهُم على الطاعةِ، وسيأتيك من أخبارِهِم ما يقومُ به البرهانُ على مقدارِ جهلِهِم وفرطِ عنادِهِم وغباوتِهِم.

٥١ / وفي أواخرِ أيامِ هذا العام، تحركتْ قبيلةُ المعاصلةِ من قبائلِ قضاءِ زَبِيدٍ للخلافِ، وتولّى كِبَرُ هذا الخلافِ السيّدُ عليٌّ طاهرٌ من رؤسائِها، ولم يظهرْ لذلكِ سببٌ سوى المنافسةِ بينِ رؤسائِ القبيلةِ المذكورةِ، فقد تقدّمَ ذكْرُ وصولِ الشيخِ عبدِالرحمنِ شيخٍ من مشايخِها إلى مقامِ مولانا الإمامِ، وحازَ بذلكِ فضيلةَ السبقِ إلى الطاعةِ، ونفوذِ الكلمةِ، فحمَلَ الحسدُ السيّدَ المذكورَ على إعلانِ الخلافِ، وانضمَّ إليه غيرُهُ من جماعاتِ المعاصلةِ، وهمُ قبيلةٌ كبيرةٌ، فتجهّزَ إليها الجندُ الإماميُّ من زَبِيدٍ، ونزلَ بساحتِهِم وأوعدهم وأنذرهم عاقبةَ مكرِهِم وبغيهِم، فلم تُغنِ فيهِمِ النصائحُ، وبادروا الجندَ الأماميَّ بالحربِ، فقابلهم الجندُ الإماميُّ بمثلِهِ، وجرتْ بينَ الفريقينِ معركةٌ كبرى وملحمةٌ عظيمةٌ، أظهرَ فيها الفريقانِ كلَّ مقدورٍ من الاستبسالِ والشجاعةِ وحسنِ الصبرِ، وكادتِ الدائرةُ أن تكونَ على جندِ الحقِّ، فأدركهم اللهُ بعصا بةٍ كبيرةٍ من الجندِ الإماميِّ، وصلتْ إليهِم، وهم على تلكِ الحالِ، وقد حمى الوطيسُ، وبُذلتْ في ميادينِ النزالِ الأنفُسُ، والنفيسُ، فصوّبَ الواصلونَ بناذِقَهُم إلى نحورِ الأعداءِ، وتعاونَ الجميعُ عليهم، فأسفرتِ المعركةُ عن هزيمةِ البُغاةِ، وتفرّقَهم أيدي سبأ،

وترك محلاتهم واحتواء المجاهدين على أموالهم وكانت شيئاً عظيماً وقُتِلَ منهم عددٌ غير يسير، واحتزَّت رؤوس بعض القتلى. وكان من جملة من فرَّ منهم السيد علي طاهر المذكورُ وبعض أقربائه لا يلسون على شيء، ولا يهتمهم غير النجاة، وكانت تلك العصابة قد أرسلها مولانا الإمام - عليه السلام - إلى زيد زيادة لمن هنالك من الجنود، ولم يكن لخلاف المعاصلة حينئذٍ ذكرٌ، فكان إرسالها ووصولها على تلك الصفة^[١] من جملة كرامات مولانا الإمام^[١]، وعناية الله تعالى بإعلاء كلمته على الدوام. وبعد فرار القبيلة المذكورة على تلك الصورة، وذوقهم الأمرين راسلوا يطلبون الأمان والعود إلى الطاعة، فأجابهم عامل زيد إلى ما أرادوه، وأسعفهم بما التمسوه، فعادوا إلى ديارهم وعمروا ما خرب منها، وصلحت أحوالهم، ولم يبق منهم على فراره إلا السيد علي طاهر المذكور، فإنه التحق بأعوان الضلال الإدريسي، وجال في أكناف / ثمامة زماناً غير يسير، ولما أعينته المقادير طلب الأمان، ووصل إلى حضرة مولانا الإمام، فأتحف بالعمو عن زلاته، والعود مكرماً إلى جهاته.

وفي أثناء شهر شوال من هذه السنة، انتقل مولانا الإمام إلى محروس الروضة، وأدركه هنالك عيد الأضحى السعيد، وأتته وفود القبائل من كل جهة للسلام، واستمداد دعوته المباركة، وشوهد من الجمع في يوم الغدير ما لم يُعهد مثله، ووصلت إلى الإمام التهاني من الأدباء والأعيان.

^[٢] ومن نظم في ذلك محرر هذه السطور قصيدته الآتية، وقد أثبتتها بكمالها حفاظاً لها من أيدي الذهاب، ومطلعها:

[١-١] سقطت من س.

[٢-٢] من «ومن نظم في ذلك حتى الوقائع في هذا العام» سقطت من س.

[الطويل]

سَرَيْتُ وَبِي سَارِي الْغَرَامِ يَسِيرُ
وَأَطْلُبُ مِنْ دَهْرِي إِعَادَةَ فَائِتِ
لِيَالِي لَا رُبْعَ الْجَيْبِ بِنَازِحِ
وَأَيَّامِ أَنْسِ يَا سَقَى اللَّهِ عَهْدَهَا
جَرَرْنَا بِهَا ذَيْلَ التَّصَابِي وَإِنَّا
وَكَانَتْ هِنَاءً مَا عَلِمْنَا، نَهَاؤَهَا
إِذَا مَا الدُّجَى أَرْخَى سَتُورَ ظِلَامِهِ
وَإِنْ أَسْفَرَ الْأَصْبَاحُ عَنْ ضَوْ شَمْسِهِ
عَفَى اللَّهُ عَنَّا كُلَّمَا مَرَّ ذِكْرُهُ
وَنَارَ لَحْرَ الشُّوقِ بَيْنَ جَوَانِحِي
وَمَا حَطَرْتُ مِنْ جَانِبِ الْعَوْرِ نَفْحَةً
وَلَا أَوْمَضُ الْبَرْقُ الْحِجَازِيُّ مَوْهِنَا
وَقَائِلِيَةِ وَالسَّقْمُ قَدْ غَالَ مِنْظِرِي
أَتَقْضِي أَسَىٰ إِنْ شَطَّتِ الدَّارُ هَائِمًا
فَقُلْتُ: نَعَمْ فِي الْحَبِّ مَا أَنَا بِأَخْلَأُ

٥٣ /

وَحَالِي إِلَى فَرَطِ الْغَرَامِ تُشِيرُ
وَيَلْقَاكَ مِنْهَا مُنْكَرٌ وَنَكِيرُ
بِرُوحِي وَكُلِّ الْعَاشِقِينَ حَسِيرُ

ذريني وأحداث الزمان فإنها
 وقد يلتقي الخلالن بعد تباعد
 لعمر أبيك اليوم ما اللوم صار في
 علي لهم إرسال غيث مدامعي
 ولما جرى ذكر الغدير تذكرت
 غديراً قضى فيه الرسول لصفوه
 بصوت إلى الأسع ما زال واصلاً
 ومد إلى حسن الولاية باعه
 وزف عروس الحق فيه إلى الذي
 علي أبي السبطين نفسي فداؤهم
 وهم عصمتي والذخر ما ضل سبطهم^[١]
 وفي أطلس الأبناء منهم كواكب
 إذا أفلت منهم نجوم هداية
 وما برحوا - والله - منجاة لائذ
 حمة من البلوى دعة إلى الهدى
 تضيء من التقوى عراض ديارهم

/ ٥٤

تنوب وفي طي الشرور سرور
 وتحدث من بعد الأمور أمور
 وعهد الهوى ما عشت ليس يخور
 غديراً وإني بالوفاء جدير
 غديراً ويوماً ما سواه شهير
 وأشراب أملاك السماء حضور
 له فوق متن الكائنات عبور
 وأكرم بميد لم تحزه بحور
 يدور عليه الحق حيث يدور
 جميعاً فهم للعاملين بدور
 ولا خاب يوم الراسيات تمور
 لأنوارهم عند الخطوب سفور
 تبدى سواها واستسر غرور
 وأمن مخوف قد دهته شرور
 وفيهم لسيما الصالحين ظهور
 ويكفي بهم للنسك ثم قصور

[١] في الأصل، صبتهم.

ويزدان وجه الدين ما مرّ ذكرهم
 هم القوم أرباب الغايات^[١] والأولى
 حوت سور التنزيل جم ثنائهم
 وخصّوا بأفلاك الخلافة إنها
 فما زال فيهم نورها أي مشرق
 إلى أن حوى اللألاء منها بنهضة
 أبو أحمد قاموس هذي محمد
 إذا نضبت عند العويص رأيته
 له المدد الوهبي يقضي بأن ما
 فإدراكه فيض الإله وسره
 براه إله الخلق في العصر عصمة
 وأحيابه للدين فينا معالماً
 فجدد رسم الشرع بعد اندراسه
 وأجرى جوار العدل في كل فسحة
 وكف أكف الظلم فانجاب ليله
 وأصبح روح الأمن في كل بلدة

كما بات طرف العدل وهو قريز
 يتوق إليهم منبر وسريز
 فطال لهم حول العناية سور
 عطية خلاق عطاه وفيه
 وهل مثل أنوار الخلافة نور
 إمام بأسرار الزمان خبير
 إليه بحور العارفين نصير
 خصماً بعذب الاطلاع يفور
 حباه بما فوق العقول قدير
 مهيب وباع القول فيه قصير
 من الزين والطغيان حيث ينير
 مضى زمن فيها يهول دثور
 فبادت طواغيت وزال فجور
 من الأرض لا يوهي خطاه عشور
 وأسفر صبح الحق وهو منير
 يצוע وضام المعتدين ثبور

[١] هناك خلل عروضي، والأصوب «العنايات».

فلو شاء جمع الشاء والذبيب ما عدا
 وأما جهاد الظالمين فما لنا
 دعى، ولشان البغي في القطر صولة
 فمرت من الأعوام عشرون أو دنت
 فلم يخل عام من معارك عدة
 وفي بعض ما في العام هذا ضخامة
 مواهب فيها للعناية مظهر
 وما يسر الباري فتوحاً تابعت
 ولما طغى من في أصاب وجاهروا
 فسئل عنهم يوم انهزام جموعهم
 وسئل عن حبيش حين زاغ عقابُه
 وطار بمن ساواه في البغي هائماً
 دعى قومه من حمقه لغواية
 فباءوا بإثم البغي بعد ندامة
 وفي شان طغيان المعاصلة التي
 فصموا إلى أن بدد الجيش شملهم
 وفي حيس لما آثروا سهل الردى

عليها ولا استقوى بهن نفور
 سبيل إلى تعداده وشعور
 وشخص الهدى قد غيبته قبور
 إليها وفيها للجهاد نشور
 لرتتها طول الزمان صرير
 تنازل عنها ما حوته دهور
 ونصر إلى نصر يُزف كبير
 لها غرر وضاحة وسفور
 ببغي دهامم للحتوف مثير
 وقد قطعت روس وأحرق دور
 فمالت عليه بالدمار صقور
 وما ضممه بعد البوار ذكور
 فقالوا أطعنا والدبور حبور
 وهبت عليهم بالهلاك دبور
 دعاهم نداء الحق وهو جهير
 فذلوا وقالوا: الانقياد مجير
 على السلم بازوا حين عز نصير

وما صبروا لحربٍ قد دكَّ أهله
جَنَوْا ثَمَرَ العَدْوَانِ مُرًّا وَعَوجَلُوا
وأما فتوحِ السَّلمِ فهي كثيرةٌ
إمامَ الهدى لله موكَّبُك الذي
جمعتَ به بنودَ الكتائبِ ضُمَّتْ
وقد لمعتَ فيه السيوفُ كأنها
وهم ينظرونَ البدرَ وجهك بينهم
ومنزلكَ العالی الأشمُّ كأنه
فأَيَّامُكَ الأعيادُ للدينِ والدُّنا
توالى دُعَاءُ الخَلْقِ طُرًّا بِجَعْلِهَا
وهالكُ أميرَ المؤمنینِ خريدةٌ
تُهنِّيكُ بالعيدِ السعيدِ وعامِهِ الـ
وتطلبُ منكَ اليومَ إنجازَ موعِدِ
وما بيَ إلحاحٍ ولكنَّ حالتي
أدامكمُ الباري ملاذًا ورحمةً
وصلَّى عليكم بعدَ طه وألِه
وسلَّم تسليماً يَدومُ على المدى

بعيداً وما منهم عليه صبورُ
بخسَفٍ فجنْدُ الحقِّ فيه تغيُّرُ
توالَتْ وبالباقي علاهُ يُشيرُ
به انشِرتْ يومَ الغديرِ صدورُ
أسوداً لها يومَ النزالِ زئيرُ
كواكبُ في ليلِ القَتَامِ تهوُّرُ
منيراً وفيهم من سناك حوُّرُ
لشخصيك من فرطِ المهابة طوُّرُ
تتبعُ بها طولَ الزمانِ عصورُ
مضاعفةً واليومُ فيه شهورُ
تجارُتها في المدحِ ليسَ تبوُّرُ
جديدِ ويومٍ بالسرورِ يميزُ
فعطَفُ أميرِ المؤمنینِ نميرُ
تقولُ وربي بالخفي خبيرُ
وغوثاً من الخطبِ المسيءِ يُجيزُ
وقدرُك فيهم للعلوِّ ظهيرُ
وما انهلَّ من فيضِ الغمامِ غزيرُ

٥٦ /

ولا يخفى على ذوي الإنصاف أنّ هذه القصيدة جديرة بالإثبات، فإنها، وإن نزلت رتبة جزالتها عن قصيدة^(١) الحسن بن هانئ في الخصيب^(٢)، عامل مصر، وقصيدة ابن درّاج القسطلي^(٣) في الحاجب المنصور بن أبي عامر المعافري، صاحب الأندلس، فإنها تعلق عليها بشرّف الممدوحين، أهل البيت - عليهم السلام - ومولانا أمير المؤمنين - ضاعف الله مدّته - وينضاف إلى ذلك اشتغالها على حقائق تاريخية، هي مجمل ما سبق سرّده من الوقائع في هذا العام.

وبما جرى في هذه السنة من الحوادث الغريبة في نوعها، أنّ امرأة يُقال لها، ابنة القاوي من أهل صنعاء، وهي في سنّ شبابه دخلت بيت رجل يسمى محمد عصيد من أهل صنعاء وزوجته غائبة، ولم يكن فيه سوى ابنة له في سنّ

(١) الحسن بن هانئ هو أبو نواس وفي ديوانه خمس قصائد في مدح الخصيب، جاءت في

ديوانه في الصفحات ٤٧٦، ٤٧٨، ٤٨٠، ٤٨٣، ٤٨٤ وقافية الراء، مطلعها:

يا منّة إمتنّها السُّكْرُ ما ينقضي مني لك الشُّكْرُ

وأخرى مطلعها:

أجارة بيتنا أبوك غيورٌ وميسورٌ ما يرّجى لديك عسيرٌ

(٢) والخصيب، هو الخصيب بن عبد الحميد، وفيه يقول أبو نواس:

أنت الخصيب وهذه مصرٌ فتدققا فكلاكما بحرٌ

انظر، الوزراء والكتاب، ٢٥٥، وما يقصده مؤلفنا، القصيدة الأولى.

(٣) ابن درّاج القسطلّي هو، أحمد بن درّاج القسطلّي، أبو عمر، انظره، يتيمة الدهر،

١/٤٠٤، وفيات الأعيان، ١/١٣٥، الواقي بالوفيات، ٨/٤٩، المطرب، ١٤٥،

الذخيرة، ١/٥٩ أما القصيدة فمطلعها:

ألم تعلّمي أنّ الثواء هو التوى وأنّ بيوت العاجزين قبورٌ

انظر ديوان ابن درّاج، ٢٩٧-٣٠٤، نشرة محمود مكي، دمشق ١٩٦١م، والمنصور بن

أبي عامر، المعروف بالحاجب المنصور حكم ما بين ٣٧١هـ - ٣٩٢هـ.

العاشرة، فأخذت ابنة القاوي المذكورة حليّ زوجة محمد عصيد، وشعرت بها البنت الصغيرة فحاولت منعها، فتعمّدت ابنة القاوي المذكورة قتل البنت الصغيرة، بأن ألقتها في بئر ذلك البيت / وفرت، فاهتدى أبو البنت المذكورة / ٥٧ إلى مكان ابنتها، وأخرجها من البئر ميتة، وشكيا مصابهما إلى المولى الإمام - عليه السلام - فأمر مأمور الإجراء حسين بن أحمد حنش، وله مهارة في إيضاح أمثال هذه الحوادث، بالبحث عن الفاعل، فلم تمض غير مدة يسيرة حتى كان القبض على ابنة القاوي المذكورة وإقرارها بإلقاء البنت الصغيرة وسرق حليّ أمها وتصميم الأبوين على طلب القصاص، وبعد صدور الحكم بثبوت القتل المذكور وإجراء القصاص، كان انفاذ القصاص^[١] في ابنة القاوي المذكورة بضرب عنقها بمحضر الحاكم ومستحقي الاقتصاص^[١].

فكان لذلك أثرٌ عظيمٌ في النفوس من زجر ذوي الدعارة من الرجال والنساء عن الاسترسال في الآثام والإقدام على المعاصي والإجرام.

وقبل هذه الحادثة، كانت قد تعدّدت شكاوي الناس من اختطاف الحليّ من أعناق صغار البنات، وأن الإقدام على ذلك من امرأة مجهولة، وبعد ضرب عنق المذكورة انتهت تلك الحوادث، فكان آخر حادثة جرت من المذكورة هي ما ذكرناه من القتل^[٢] والمعصية تجري على المعاصي حتى يمتلئ بها الصاع، وحيثئذ ينتهك الستر وينتقم الله ممن عصاه، ونعوذ بالله من سوء الخاتمة^[٢].

وفي الخامس والعشرين من شهر صفر، توفي^[٣] شيخنا وشيخ شيوخنا^[٣] القاضي العلامة جمال الدين، عليّ بن حسين المغربي^(١) - رحمه الله - بمدينة

(١) علي بن حسين بن حسن بن حسين المغربي ت ٢٥ صفر ١٣٣٧ هـ. علامة، محقق رئيس العلماء المفتي، تولى القضاء في يريم ودّمار والطويلة وحجة وصنعاء، شغل بالتدريس، انتدب للسفر إلى استانبول مع الوفد اليمني الذي أرسله الإمام يحيى بناءً

[١ - ١] سقطت من س. [٢ - ٢] سقطت من س. [٣ - ٣] سقطت من س.

صنعاء،^{١٦} وبها مولده ومنشؤه، وأظنُّ وفاته وهو في عشرِ السبعين، وقد كان كُفَّ بصره في آخرِ عمره، واحتسب ذلك عند الله عز وجل، وواظب على حفظ القرآن عن ظهر قلب بأن كان يحفظُ في كلِّ يوم الآيات التي تُقرى عليه في تفسير الكشاف^(١) ويزيدُ عليها ما شاء الله حتى أدركته الوفاة وقد قارب من حفظ النصفِ غيباً، وكان آيةً في سعة الإدراك، وقوة ملكة التعبير وحياة العلم ووفور الإطلاع، ورسوخ القدم في فنون الآلة والفروع والأصول والحديث، والانفراد بقوة الساعد في الإفتاء وحسن الاستنباط^{١٧}، وأمضى عمره في وظيفة القضاء في أمصارٍ عديدة كذمار وكوكبان وحجة ويريم والحيمة^(٢) من جهة الأترك، وكان مشكور السيرة، وحيثما توجه وأينا حل لا يترك التدريس. وفي آخر مدته تولى منصب الإفتاء، وهي وظيفة تضارع معنى رئاسة العلماء في عهد الأترك إلى أن حصل الائتلاف المبارك ما بين الإمام والحكومة العثمانية، فأسند الإمام - عليه السلام - إليه وظيفة الحاكم الأوّل في صنعاء/ فتقلدها بكفايته المشهورة، وقام بها خير قيام إلى أن كُفَّ بصره، وكان نقله إلى المحكمة الاستئنافية عضواً فيها، إلى أن أدركه الحما، وانتقل إلى جوار الملك العلام، نور

/ ٥٨

= على دعوة السلطان عبد الحميد لبحث في مسألة اليمن، كف بصره في أواخر أيامه، ولد في الروضة سنة ١٢٦١هـ، انظر، نزهة النظر، ٤٣٢، حياة الأمير، ٥٧٢.

(١) تفسير الكشاف: هو الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، لمحمود بن عمر بن محمد الزمخشري جارالله ت ٥٣٨هـ، انظر، فهرس مخطوطات المكتبة الغربية، ٢٤.

(٢) الحيمة: ناحية مشهورة إلى الغرب من صنعاء بمسافة ٣٧ كم، وتنقسم إلى الحيمة الداخلية والحيمة الخارجية، ومركز الحيمة الداخلية العر، ومركز الحيمة الخارجية مفتح، انظر، نزهة النظر، ١٤٤، طبخ الحلوى، ٧٨، صفحات مجهولة، ٢٣٠، معالم الآثار، ٣٧، نشر العرف، ١/ ٢٥٢، حياة الأمير، ٦١٨.

[١ - ١] من «وبها مولده حتى وحسن الاستنباط» سقطت من س، وجاءت في مكان آخر من الصفحة.

اللهُ ضَرِيحُهُ وشيَّدَ في الجَنَّاتِ صرُوحَهُ. وقد رثاه جماعةٌ من العلماءِ والأدباءِ والأعيانِ،^[١] ومن الجملةِ الحَقيرُ سماحه اللهُ تعالى، ولم يُحْضِرْني حالٌ رقم هذا شيءٌ حتى يكونَ إثباتُهُ، وله عليّ المنَّةُ، فيه تخرجتُ، ومن أخلاقِ علَومِهِ أرتويتُ، كافاه اللهُ بالحسنى، وجزاه عنا أفضلَ الجزاءِ الأوفى^[١].

ودخلتُ سنةً ثمانٍ وثلاثينَ وثلثمائةً بعدَ الألفِ. وأكثرُ جهاتِ اليمنِ مربوطةٌ بدولةِ مولانا الإمامِ، عليه السلامُ، وداخلةٌ تحتَ طاعتهِ، كصَعْدَةَ وجميعِ بلادِها إلى باقم^(١) والنظيرِ^(٢) من أطرافِ رازحِ ونواظِرِها^[٢]: القاضي الصفيُّ أحمدُ بنُ عليِّ السياغي^(٣) ناظرُ السِنَّارةِ^(٤)، وسيدي العلامةُ محمدُ بنُ

(١) باقم: ناحية من قضاء جماعة وأعمال صَعْدَةَ، وهجرتها قراض تبعد عن صَعْدَةَ في الشمال الغربي بنحو ٧٠ كم، انظر، معجم المقحفي، ٦٠، هجر العلم، ١٣١، معجم الحجري، ١٠٢/١.

(٢) النظير: ورد في معجم الحجري ٢/٢٥٨، نظيري من الحلف لقبائل رازح، والنضير بلد وجبل في رازح من محافظة صعدة، يشتهر بخصب تربته وزروعه الكثيرة وخاصة البن، انظر، معجم الحجري، ٢/٧٤٢، معجم المقحفي، ٦٦٠ وهو المقصود، النضير.

(٣) أحمد بن علي بن عبد الكريم بن أحمد السياغي ت في ٣ شوال ١٣٣٨ هـ بحصن السِنَّارة، عالم فقيه، له معرفة بالطب، التحق بالإمام الهادي شرف الدين سنة ١٣٠٥ هـ، تولى أعمالاً كثيرة، وتولى ناظرة الشام، ولد في هجرة العين، انظر هجر العلم، ١٥٣١.

(٤) السِنَّارة: في بلاد صَعْدَةَ، بها حصن، شرع الإمام الهادي في عمارته سنة ١٣٠٢ هـ، والسِنَّارة، بلدة مشهورة من أعمال صَعْدَةَ فيها مركز ناحية سِحَار، انظر، سيرة الإمام الهادي، ٣٧، معجم الحجري، ٢/٤٣٢، معجم المقحفي، ٣٢٦.

[١ - ١] سقطت من س.

[٢] في س، ونظارها.

حسن الوادعي^(١) ناظرٌ ساقين^(٢)، والسيدُ الحسامُ محسنٌ بنُ حسينِ العوامي^(٣) ناظرٌ رازح، والجميعُ مربوطون بنظرٍ وإشرافِ سيدي العلامةِ سيفِ الإسلام، محمد بن الإمام الهادي^(٤)، ومن جملةِ النُّظَّارِ في الشام السيدُ محمدُ بنُ يحيى العزي^(٥)، ناظرٌ جُماعةً، وعاملٌ شهارةً هو السيدُ العلامةُ محمدُ بنُ محمد

(١) محمد بن حسن بن عبد الله بن أحمد الوادعي، ناظرة الشام (أمير بلاد صَعْدَة) ت بصنعاء في ذي القعدة ١٣٦٩ هـ، عالم في كثير من العلوم، تولى القضاء في خمر سنة ١٣٢٧ هـ، وكان عاملاً على بلاد خولان بن عمرو في صعدة ومعاوناً لمحمد بن الهادي الملقب أبو نَيْب، وضبط البلاد، كان ضمن الوفد إلى طهران اليمن لترسيم الحدود مع السعودية، تولى رئاسة الاستئناف، ولد في هجرة وادعة سنة ١٢٩٢ هـ، انظر، نزهة النظر، ٥٦٠، تحفة الإخوان، ١١١، نيل الحسنيين، ٢٠٠٣، هجر العلم، ٢٣٨.

(٢) ساقين: بلدة في الجهة الغربية من صَعْدَة على مسافة ٤٥ كم من قضاء خولان بن عمرو، بها مركز خولان انظر، هجر العلم، ٩٣٤، صفة جزيرة، ١٢٩، معالم الآثار، ٧١، معجم المقحفي، ٢٩٨، معجم الحجري، ٢/٤١٠.

(٣) محسن بن حسين العوامي ت برازح في المحرم سنة ١٣٤٩ هـ، عالم، أديب له مشاركة في الفقه رحل إلى صَعْدَة سنة ١٣٠٧ هـ لطرف الإمام المنصور بن يحيى حميد الدين، ثم تولى للإمام يحيى بلاد عَفَّار والسُّودَة ثم رازح، انظر، نزهة النظر، ٦١١، هجر العلم، ١٦١ وفيها محسن بن حسن.

(٤) محمد بن الإمام الهادي شرف الدين عَشَّيش، الملقب «أبو نَيْب، سيف الإسلام. ت بالمدان ٩ شوال ١٣٦٢ هـ عالم جليل، قاد قوات والده لمحاربة الدولة العثمانية في خولان العالية ثم أرحب وحاشد، تولى ناظرة الشام (نائب الإمام في بلاد صَعْدَة)، ثم أخذ حركة المعارض الحسن بن يحيى الضَّحِيَّاتي، وكانت له قيادته في عهد الإمام يحيى حارب الادارسة، لزم المدان أواخر أيامه، ولد في السُّودَة سنة ١٢٨٤ هـ، انظر تحفة الإخوان، ١١٨، نيل الحسنيين، ١٩٩، نزهة النظر، ٥٣٢، هجر العلم، ١٩٨٥.

(٥) محمد بن يحيى بن أحمد بن الهادي ت في ٢٦ ربيع الأول سنة ١٣٣٨ هـ، عالم، أديب، التحق بالإمام المنصور وتولى الكتابة في ديوانه سنة ١٣٠٧ هـ، وقاد معارك ضد =

الكبسي^(١) صهرُ مولانا الإمام، وعاملُ ظُلَيْمَةَ^(٢) السيدُ عباسُ بنُ عبد الله المؤيد^(٣)، وعاملُ حجور الشامِ القاضي محمدُ بنُ سعد الشَّرْقِي^(٤)، وعاملُ

= العثمانيين عين عاملاً على يريم ثم ساقين، وواصل عمله في زمن الإمام يحيى وخاصة في إعادة أسرى دَعَّان من الأتراك، ولد في المداير سنة ١٢٧٤ هـ، انظر، نزهة النظر، ٥٩٢، نيل الحسينين، ٢٠٠ أئمة اليمن، ٤٤ / ٢، هجر العلم، ١٩٩٠ .

(١) محمد بن محمد بن محمد بن اسماعيل بن محمد الكبسي ت قتلاً في الأيام الأولى للثورة ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م، عالم في عدة علوم تولى القضاء في ناحية الحيمة وبلاد كوكبان وبلاد قَعَطْبَة وقضاء حَجَّة، وحارب العثمانيين في أنس ومن ثم عُمَّة، ولد في الكبس سنة ١٢٦٧ هـ (تزوج ابنة الإمام يحيى)، انظر، نزهة النظر، ٥٧٩، أئمة اليمن (الإمام يحيى)، ٨٧ / ١، هجر العلم، ١٧٩٤ .

(٢) ظُلَيْمَة: ناحية من قضاء شُهارة بالشمال الغربي من حَجَّة من حاشد، ناحية واسعة تشمل بلدان كثيرة ومزارع وأودية، مركزها بلدة حَبُور، انظر، صفة جزيرة، ٣٢١، نشر العرف، ٢ / ٢٢٨، حياة الأمير، ٦٢٥ معجم المقحفي، ٤١٤، معجم الحجري، ٢ / ٥٦٨ .

(٣) عباس بن عبد الله بن عباس بن عبد الله بن يوسف المؤيد محمد بن المتوكل اسماعيل بن القاسم ت بالجراف في ١٣ رمضان، ١٣٧٠ هـ، كان من أعوان الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين ثم الإمام يحيى،، قاد عدة معارك، تولى أعمال غُربان من نواحي حاشد، انظر، هجر العلم، ٣٥٨-٣٥٩ .

(٤) محمد بن سعد بن محمد بن عبد الله بن قاسم محمد الشَّرْقِي ت بحجور سنة، ١٣٥٢ هـ، عالم محقق، نزيه، رحل مع والده إلى القَفْلَة سنة ١٣٠٨ هـ عند الإمام المنصور بالله، تولى أعمال حجور الشام سنة ١٣١٩ هـ، وظل حتى توفي بها، كلفه الإمام يحيى بأعمال أخرى، خلال توليه لحجور الشام، قبل موته أوصى بكل ما معه لبيت المال، كما برأ ذمة أهل حجور من أية واجبات، انظر، نزهة النظر، ٥٣١، أئمة اليمن (سيرة الإمام يحيى) أخبار ١٣٥٢، هجر العلم، ٢٢٢٢ (وفيه يقول القاضي اسماعيل بن علي الأكوخ، عرفته سنة ١٣٤٨ هـ، في إب عندما جاء مرافقاً سيف الإسلام الحسن، لتقرير زكاة إب وكان على جانب عظيم من الزهد والورع وحسن الأخلاق).

حجور اليمن والشرفين السيد العلامة محمد بن عبد الله جحاف^(١)، وباقي اليمن الأعلام جميعه وجميع اليمن الأسفل ما عدا الأطراف النائية منه.

وقد مرّ من حوادث السنة الماضية ما يُستفاد منه تعدادُ البلاد التي دخلت تحت طاعة مولانا الإمام - عليه السلام - وفي جهة أبي عريش وصببا واللحاية وما بينهما والزيدية^(٢) وبعض حجور السيد محمد بن علي الإدريسي وعماله، والانكليز في الحديدة وعدن، وبعض الجهات سائبة لتردد أهلها فيمن يتتمون إليه. وعمال الجهات هم المذكورون فيما مضى من أخبار السنة الماضية في البلاد الإمامية.

وفي أوائلها استدعى مولانا الإمام السيد الأجل عز الدين محمد بن علي الشامي^(٣) من زراجة، مركز عمالة الحدأ، وأمره باستنابة ولده السيد العلامة علي

(١) محمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن مطهر جحاف ت بالأه نوم في غرة صفر ١٣٥٩ هـ، فقيه عالم، كان يسكن ظفير حجة ورحل عنه بعد محاصرته من قبل الوالي العثماني محمد عزت باشا سنة ١٣٠٠ هـ، تولى للإمام يحيى أعمال بلاد الشرفين، ولد بالظفير سنة ١٢٩٦ هـ، انظر، نزهة النظر، ٥٧٦، هجر العلم، ٤٢٩ .

(٢) الزيدية: مدينة في الجهة الشمالية الشرقية من الحديدة بمسافة ٦٢ كم وهي مركز قضاء الزيدية، ومن نواحيها، القناوص والضحي والمغلاف والمثيرة، انظر، اليمن الكبرى، ٩٦، اليمن الخضراء، ١ / ٩٠، معجم المقحفي، ٢٩٦، معجم الحجري، / ٣٩٧، ٤٠٠-١ .

(٣) علي بن محمد بن علي بن أحمد الشامي ت في جحانة بتاريخ ذي الحجة ١٣٤٩ هـ، عالم فقيه، أديب شاعر وكاتب، له خط جميل، أرسل بقوات لفك الحصار عن والده في ريمة، ولد سنة ١٣١١ هـ، انظر، هجر العلم، ٣٢٥-٣٢٦ .

بن محمد الشامي^(١) على عمله هنالك. ولما وصل وجهه إليه عمالة جبل ريمة وبلاذها وقلد قضاءها السيد العلامة محمد بن حسين الكبسي^(٢)، والسيد الجمالي علي بن علي الشرفي^(٣) مأموراً على الأموال، وخلافهم من عمال النواحي التابعة للقضاء المذكور كالسيد الجليل حمود بن غالب بن الإمام عاملاً على كُسمة والشيخ علي بن المنتصر عاملاً على السلفية^(٤) والسيد / محمود النهاري ٥٩ عاملاً على ناحية الجعفرية، وأصبحهم بثلة من الجند الإمامي، فتوجه المذكورون إلى محل أعمالهم، ورفع الإمام من كان هنالك من العمال السابقين كالشيخ نصير الدين علي بن المقداد راجح، والسيد العلامة محمد بن يوسف الكبسي وغيرهم ممن كان هنالك من الأتباع. وجرى ذلك بعد أن وفد إلى حضرة الإمام - عليه السلام -، كثير من مشايخ تلك الجهة، ووقفوا مدة كانت

(١) محمد بن علي بن أحمد بن عبد الله الشامي ت في ربيع الأولى ١٣٤٦ هـ، في الحداء، أديب، كاتب، قائد محنك، التحق بالإمام يحيى وأقام عنده بالقفلة كاتباً، وعين عاملاً على الحداء، وقاد حملات على ريمة والبيضاء. (انظر نزهة النظر، ٥٦٧، هجر العلم، ٣٢٣ .

(٢) محمد بن حسين بن علي غمضان الكبسي ت في ذي القعدة ١٣٥٨ هـ، عالم في الفقه والفرائض، تولى في العهد العثماني نظارة الأوقاف، وتولى للإمام يحيى القضاء في ذمار ثم في ريمة فلواء الحديثة وأخيراً في سنحان، ولد ١٢٧٧ هـ، انظر، نزهة النظر، ٥٢٢، هجر العلم، ١٧٩٨ .

(٣) علي بن علي بن أحمد الشرفي ت سنة ١٣٨٥ هـ، تولى أعمال الوقف ثم مالية قضاء ريمة ثم أعمال بلاد ملحان، وأخيراً أعمال مالية حراز، ولد بالرؤضة سنة ١٣٠٥ هـ، انظر نزهة النظر، ٤٤٢ .

(٤) السلفية: ناحية من قضاء ريمة، انظر، اليمن الكبرى، ٧٦، نشر العرف، ٢ / ٤١٥، معجم المقحفي، ٣٢٢، نيل الوطر، ١ / ٤٠٥، معجم الحجري، ٢ / ٤٣١، الشفاء الحسن، ١٤٨ .

المراجعة في أثنائها بينهم وبين مولانا الإمام، وأسفرت المراجعة عما ذكرناه.

ولم يلبث السيد محمود النهاري، عامل الجعفرية، بعد رجوعه من الحضرة الشريفة إلا مدة يسيرة ووافته المنية، وكان قد شاخ، وعلا سنه، فنصب مولانا الإمام مكانه في عمالة الجعفرية السيد محمد الكبير بن علي النهاري.

قلت: وبيت النهاري في ناحية الجعفرية قديم الرئاسة والكياسة من أوائلهم ممدوحو الشيخ عبد الرحيم البرعي، الشاعر المشهور، ولهم هنالك ثروة واسعة إلى هذا العهد، وتوجيه العمالة إلى السيد محمد الكبير المذكور كان من باب رعاية ما فيه المصلحة لمكان نفوذ السادة المذكورين هنالك، فأطراف الناحية المذكورة متصلة بقضاء بيت الفقيه ابن عجيل^(١)، ولم يكن أهله من أهل الطاعة.

وفي أوائل هذا العام، ثار أهل ملحان وأعلنوا الخلاف وخرجوا عن الطاعة، وكان حاكم المحويت بين ظهرانهم فتحصن منهم في أحد حصون الجبل المذكور، وهرع إليه من كان هنالك من المجاهدين، ووصلت كتبه إلى مولانا الإمام طالباً للإنجاد، وقمع أهل الفساد، فندب لهم مولانا الإمام السيد الأمير والمجاهد الكبير عبد الله بن يحيى أبو منصر، وأرسل معه جنداً كافياً من جيوش الحق، مدداً لمن في ملحان، فوصل المدد إلى حفاش، واستقر هنالك ريثما يكون إمعان النظر فيما يلزم من التدبير ومراسلة المخالفين ونصحهم بالرجوع إلى

(١) بيت الفقيه ابن عجيل: مدينة تقع إلى الجنوب الشرقي من الحديدة، نسبت إلى الفقيه أحمد بن موسى ابن علي المعروف بابن عجيل ت ٦٩٠ هـ، ما بين زبيد والحديدة في وسط بلاد الزرائيق، مركز قضاء بيت الفقيه انظر، معجم الحجري، ٢/ ٦٣٦، الشاء الحسن، ١١٨، أئمة اليمن ٢/ ٣٤، صفة جزيرة، ٢٦٣.

الطاعة وإعذارهم وإنذارهم، واستمالة من يُرى فيه اللين.

وفي أثناء محرم الحرام من هذا العام، أعمل الخيلة الشيخ عبد الله بشر من مشايخ صَعْفَانَ على / حاكم مَتَوْح^(١) السيد العلامة محمد بن قاسم الظفري، / ٦٠
فإنه لما تعيّن الحاكم المذكور بحكومة تلك الناحية، جعلت أمور الواجبات بنظره، فقام بها، وبقي الشيخ المذكور على رئاسته في تلك الناحية، فإنه كان شيخ مشايخها، وقد اعتاد في أيام الأتراك أن أمور الواجبات إليه، ومَرَنَ على أخذ الكثير منها لنفسه، ودفع القليل منها إلى حكومة الأتراك. فخالطته الكراهية لدولة الإمام حُبًّا في الحطام، ولم يجد لنفسه وسيلة غير تخويف الرعية من مباشرة الحاكم لجمع الواجبات، وترقب الفرصة إلى أن رام الحاكم المذكور النزول من مركز الناحية إلى جبل مَدُول^(٢) والطرف^(٣)، وهما من أطراف الناحية المذكورة فأوعز إلى أشرارهم أن يخوفوا الحاكم، ومن معه من العسكر، بما يمنعهم من تحصيل الواجبات، والاطلاع على ما له فيها من الخيانات، فصادف مرور الحاكم من طريق الرحبة^(٤)، قاصداً مَدُول، يوم اجتماع الناس بسوق وادي حار^(٥)، فاجتمع من هنالك من أهل مَدُول، وتبعوا الحاكم ومن

(١) مَتَوْح: حصن في رأس جبل صَعْفَانَ من قضاء حراز، به مركز ناحية صَعْفَانَ، انظر، معجم الحجري، ٦٨٨/٢.

(٢) مَدُول: حصن وعُزلة في صَعْفَانَ من بلاد حراز، انظر، معجم المقحفى، ٥٧٥.

(٣) الطرف: بلدة في ناحية صَعْفَانَ في جبل حراز، انظر، معجم الحجري، ٥٥٨/٢.

(٤) الرحبة: من بلاد السودان، الواقعة في ذروة جبل حجاج، بالشمال الغربي من عَمْران بمسافة ٤٤ كم انظر، اليمن الكبرى، ٨١ البدر الطالع، ١٠٣/٢، نشر العرف ١٧٤/٢١.

(٥) وادي حار: عُزلة من ناحية عنس بالغرب من ذمار، انظر، صفة، ٢٠٩، رياض الرياحين، ٨٣، معجم المقحفى، ١٤١.

معه إلى أن تقدّموا عليهم وباشروهم بالحرب، فاستشهد من العسكر الدين مع الحاكم أحدّهم، ودافع الباقون عن أنفسهم ومعهم الحاكم إلى أن وصلوا إلى صَعْفَانَ.

وفي يوم هذه الواقعة، وردّ الخبرُ إلى مولانا الإمام. بما كان، فصدر الأمرُ الشريفُ إلى عاملِ حَرَّازِ بإرسالِ الغارةِ إلى هنالك، واجتمع هنالك من جند الحقِّ من النظام، ومن أهلِ حَرَّازِ نحوُ ألفِ رام، ففرقهم الحاكمُ في القرى، وانعكس تدبيرُ عبدِاللهِ بشرٍ وبالأعلى عليه، وخابَ ما أمَلَّهُ، فاستغاثَ حينئذٍ بالإمام؛ زاعماً أنَّ الذي حصلَ كان من الحاكمِ حصولَ التَّسبُّبِ فيه، وطلبَ إرسالَ كاشفٍ من الحضرةِ الشريفةِ - أيدها اللهُ تعالى - فأسعدَه الإمامُ إلى ما رام، وأرسلَ حاكمَ العرسيدي العلامةَ إسماعيلَ بنَ إسماعيلَ^(١) ناصرَ الدين^[١] مع عصابةٍ من جندِ الحقِّ أهلِ الحَيِّمةِ، وأمره بتحرِّيِّ وسائلِ الصِّلاحِ ورفعِ أسبابِ الفسادِ والكفاحِ.

ولما وصلَ إلى صَعْفَانَ، بذلَ وسعَهُ في تهوينِ الواقعِ، ودفنِ الضغائنِ، ولبثَ شهراً كاملاً في محاولةٍ ذلك، حتى تمَّ قبْضُ الرهائنِ ممن حصلَ منهم العدوانُ، والتزمَ السيّدُ محمدُ بنُ مساوي الأهدل، صاحبُ شُويح^(٢) بتحصيلِ الواجباتِ، وديةِ الشهيدِ من أهلِ مَدَوَّل، وما يراه الإمامُ من الأدبِ، وأن/ يكونَ بقاءً أربعين

(١) شُويح: عَزَلَةُ الشُويحِ من ناحيةِ حُفَّاشِ وأعمالِ المحويتِ، انظر معجم الحِجْرِي ٤٥٩/٢، ٦٩٢/٢ (أل شُويح، من الاشراف الحِمَزات).

(٢) إسماعيلُ بنُ إسماعيلِ بنِ يحيى بنِ قاسمِ المروفي ت بالعر، مركز ناحية الحَيِّمةِ الداخلية، ١٤ محرم سنة ١٣٦٦ هـ. عالم في الفقه والفرائض، كان من أعيان دولة الإمام يحيى، وقبل ذلك والده، حارب العثمانيين، ولي أعمال الحَيِّمةِ ثم عضواً في محكمة الاستئناف وتنقل في وظائف كثيرة، ولد سنة ١٢٩٣ هـ، انظر، نزهة النظر، ١٧٨، نيل الحسينين، ١٨٤، نشر العرف، ١/٣٤٧، هجر العلم، ٢٠٢٦.

[١] في س، إسماعيل بن إسماعيل ناصر الدين المروفي.

نفرًا من الجند في مَدَوَّل، ورُفِعَ الأمرُ إلى مولانا الإمام، فكانَ الجوابُ بالإسعاد، وتعلَّقَ بالحسبان، أن الشرَّ قد زال أو كاد.

ولما استقرَّ العسكرُ المذكورون في مَدَوَّل والطَّرَف، قصدهم على غرةٍ عقيل الزيلعي شيخُ بني مُدَيَّين، وأحاط بمن في بيتِ أحمد محسن الشعاب، وأراد الفتكَ بهم، فمنعه الله منهم، ودافعوا عن أنفسهم، ووجَّهَ الحاكمُ سهامَ لومه إلى السيدِ محمدِ بنِ مساوي المذكور. وألزمه بما ألزمَ به، فتوجَّهَ إلى المخالفين لكونه^[١] هجرتهم، وفكَّ عن العسكرِ الحصارَ، وعادوا إلى صَعْفَانَ، وقد أطلقَ أهلُ مَدَوَّل والطَّرَفِ وبني سعد^(١) على الخلافِ، وسلوكِ عقبَةِ الاعتساف، وكان سعي^[٢] السيدِ محمدِ بنِ مساوي آخرَ ما برئت به ذمَّةُ الإمامِ من الإعدارِ والإنذارِ ورفعِ الأعدارِ، فصدرَ أمرُ الإمامِ - أيدهُ اللهُ - إلى أميرِ الجيشِ الشريفِ المقدمِ عبدِاللهِ بنِ محمدِ الضُّمينِ بالعزمِ لمحاربةِ الباغين مع عصابةٍ كبيرةٍ من الجيشِ المنظَّمِ فوقَ من هنالك.

وبعدَ اجتماعِ الجنودِ في صَعْفَانَ، كانَ قدومُهم على المخالفين، وكانوا قد رتَّبوا أطرافَ البلادِ، واجتمعوا إليها من كلِّ جبلٍ ووادٍ، فطائفةٌ من الجندِ الإمامي، وهم أهلُ الحَيمةِ وَخَوْلانَ، قصدوا بني إسحقَ ووادي حارَ من طريقِ القرون، وطائفةٌ فيهم أميرُ الجيشِ ومن معه من النظامِ، وأهلُ الحدأ ومعهم المدفعِ الإمامي قصدوا جبلَ بني عبدالرحمن.

وفي بضعِ سويعاتٍ استولى المجاهدون على بني اسحقَ، ووادي حارَ، وولى الباغونَ منهزمين، وركنوا إلى الفرارِ، واستشهدَ في ذلكَ اليومِ شهيدان لا غيرَ، مع أنهم قد هاجموا الأعداءَ مهاجمةَ الأسودِ، وبذلوا نفوسَهم في مرضاةِ الربِّ المعبودِ.

(١) بنو سعد: ناحية تابعة إلى المحويت، انظر، معجم المقحفي، ٥٢٩ .

[١] في س، لكونهم سهام هجرتهم. [٢] سقطت من س.

وفي اليوم الثاني، باكر المجاهدون جماعة البغاة بالحرب، وأذاقوهم مرارة الخوف والضرب. فما كان أسرع من هزيمتهم وفرارهم بين أيدي المجاهدين واستيلاء جنود الحق على جبل مدول والطرف، وتسليمه لذراه وانحدار البغاة إلى التهاثم واستقرار الجند الإمامي في الجبل المذكور وحواليه، يقتسمون الغنائم، وقد ذاق المخالفون من العذاب ما لم يكن لهم داخلاً في حساب، وتلك عاقبة البغي الذميم والمرتع الوخيم.

ولما كان الضال^[١] الإدريسي^[٢] صنيعاً من صنایع الإفرنج، سمح له الانكليزيون بالتخلي عن الحديدة وفارقتها عساكرهم، فدخلها مصطفى الإدريسي^(١) / وأقام بها، ومدَّ يده إلى باجل^(٢)، فأطاعته قبائل القحري^(٣) وغيرها.

/ ٦٢

وكان هذا في أواخر العام المنصرم، وأوائل هذا العام، وإنما جرى ما ذكر من الانكليزية نكايّة بالإمام - عليه السلام - لأنّ مولانا الإمام، تابع الاحتجاج عليهم في الاحتلال، وكانوا يجيئون بأنهم إنما نزلوها لأجل تلقي العساكر العثمانية، الذين تعهدوا أن يقبضوا عليهم ويوصلوهم إلى مأمئهم، فلم يصح

(١) مصطفى بن علي الإدريسي ت ١٣٤٩هـ: أحد امراء الادارسة وقائد من قوادها، حارب الدولة العثمانية والإمام يحيى لصالح اخيه محمد بن علي الادريسي، اثر موت أخيه، وتولي ابنه الطفل علي، غادر إلى مصر واستقر بالاقصر حتى توفي فيه، انظر، الاعلام للزركلي، ٢٣٧/٧، هجر العلم، ١١٩١ .

(٢) باجل: مدينة على بعد ٥٠ كم شرقاً من الحديدة، تطل عليها من الجنوب قلعة الشريف، أغلب الظن أنها بنيت بعد القرن الرابع الهجري انظر، اليمن الكبرى، ٩٥، معجم المقحفي، ٥٦، حياة الأمير، ٦١٠ .

(٣) القحري: من بطون عك في تهامة من أعمال باجل ومن فروعهم، الحمادية وبنو خلف والحضارية والمجاردة وعزان والضوامرة انظر، معجم الحجري، ٢/٦٤٧، معجم المقحفي، ٥٦ .

[١] سقطت من س. [٢] في س، السيد محمد بن علي بن ادريس.

شيء من ذلك، وانكشف أن المراد هو التوسطة والتمهيد لتسليمها إلى الإدريسي، والله من وراء الجميع محيط.

ولما وصلت حالة الضال إلى ما وصفناه، وصارت حدود البلاد التي إليه متصلة بحدود بلاد الإمام، وجرى على الناكثين من بني سَعْدٍ وجبل مَدَوَّلٍ والطَّرَفِ ما جرى من خيبة الظنون، ولم تدفع عنهم حرارة القيظ ولا مناعة الحصون، وانهمزوا تلك الهزيمة، فصدوا أعوان الضال إلى باجل، وأرسلوا أعيانهم إلى هنالك مع الرهائن، فاغتنم الضال وأعوانه تلك الفرصة وأمدوهم بالعدة والعدد، وأرسلوا معهم جيشاً مؤلفاً من التهاميين ومن حاشد، الذين استمالهم الضال بحطام الكافر الجاحد، ومعهم رؤساء من أشراف أبي عريش وغيرهم، وأصحبهم بمدفع وخزنة ومونة من رصاص البنادق كثيرة، وجعلوا محطتهم في الحمرة، وطلع الأكثر منهم إلى خميس المخروط.

ولما بلغ ذلك إلى مولانا الإمام، صدر الأمر الشريف إلى السيد الهمام المقدم الأسد^[١]، عبدالله بن يحيى أبو منصور، وهو إذ ذاك في حُفَاش يُعْمَلُ التَّدْبِيرَ فِي التَّقَدُّمِ عَلَى جَبَلِ مَلْحَانَ بِتَوَجُّهِهِ مِنْ حُفَاشٍ مَدَدًا لَجَيْشِ حَرَازٍ؛ لِتَأْدِيبِ بَنِي سَعْدٍ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ، فَانْتَقَلَ إِلَى قَيْهَمَةَ^(١) مِنْ أَطْرَافِ حُفَاشٍ، وَعَلَى مَقْرِبَةٍ مِنْ حُدُودِ بَنِي سَعْدٍ، وَرَاسَلَ الْمُخَالَفِينَ، لَعَلَّهُمْ^[٢] أَنْ يَكُونُوا^[٢] قَدْ اعْتَبَرُوا بِمَا جَرَى عَلَى أَهْلِ مَدَوَّلٍ وَالطَّرَفِ مِنَ النِّكَالِ، فَلَمْ تَنْجَعْ فِيهِمُ النَّصَائِحُ، اغْتَرَارًا بِمَا وَصَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ إِمْدَادِ أَهْلِ الضَّلَالِ، فَتَقَدَّمَ السَّيِّدُ عَبْدُ اللَّهِ بِمَنْعِهِ عَلَى بَنِي عَلِيٍّ^(٢)، فَأَخَذَتْهُمْ سَيُوفُ جُنْدِ الْحَقِّ أَخْذَةً رَابِيَةً، وَهَجَمَتِ الْأَنْصَارُ عَلَى الْوَادِي،

- (١) قَيْهَمَةَ: مركز ناحية بني سعد تابعة إلى المحويت، جبالها على طريق صنعاء - الحُدَيْدَةَ، وفي أسافلها تظهر أعالي وادِ سُرُودٍ، انظر، معجم الحجري، ٢/٦٥٩، معجم المقحفي، ٥٢٩ .
(٢) بنو علي: عزلة من ناحية بني سَعْدٍ وأعمال المحويت، انظر، معجم الحجري، ٢/٦١٠ .

[١] في س، الأسد المصور. [٢] سقطت من س.

ففرَّ الشريفُ مقدَّمُ جيشِ الإدريسي الضالِّ بقومِهِ ومدفعِهِ إلى شريفِ بني سعد^(١) طرفِ بني الشويشي^(٢)، وغنم جيشُ أبو منصر ما لا يُحصى من الغنائم، وتقدَّم جيشُ مولانا الإمام من بني مُدَيِّن على بني الشويشي، والقوازة^(٣)، ولم يكونوا قد علموا بمكانِ مددِ الإدريسي حتى باشرهم المدفَعُ بالرمي عليهم، فحملوا عليه بأجمعِهِم حملاتِ الأسود، وهاجموا حماته مهاجمةً المشتاقِ إلى جناتِ الخلود، وفرَّ به حماته إلى المرقوع، ودافعوا عنه مدافعةً عظيمةً وما بأسُ الله عنهم بمدفوع. وتبعهم المجاهدون. إلا أنهم لعدم / خبرتهم بالبلادِ وطُرُقها لم يشعروا بالطريقِ التي سلكها الأعداءُ إلى الوهاد، فقاتوهم. واشتملتْ هذه الواقعةُ على قتلى كثيرين من الباغين والضالين، واستشهدَ نفرٌ من جنودِ الحقِّ، وجلا بنو سعد عن ديارهم إلى تُهامة مع المددِ الذي وصلَ إليهم، ولم يجنوا منه غيرَ ثمرِ الهلكةِ والندامةِ، وحينئذٍ كان تفریقُ الجيشِ الإمامي في بني سعد إلى مراتبٍ عديدةٍ لخلو البلادِ عن أهلها من القراذع^(٤) طرفِ بني الشويشي إلى طرفِ القوازةِ فوقَ المرقوعِ إلى الجمجمة، محلِّ السيدِ محمد قروش من بني الحمادي^(٥)، واتصلَ الجيشان: جيشُ حَراز وجيشُ حُفاش، وتفرَّقَ شملُ الأعداءِ، وصار في تلك الحالِ إلى التلاشي، واجمعَ المقادِمةُ

/ ٦٣

(١) شريف بني سعد: المقصود دير الشريف، من ناحية بني سعد وأعمال المحويت، انظر، معجم الحجري، ٦٩٢/٢، معجم المقحفى، ٤٥٢/١.

(٢) بنو الشويشي: عُزلة من ناحية بني سعد وأعمال المحويت انظر، معجم الحجري، ٤٥٩/٢.

(٣) القوازة: عُزلة من ناحية بني سعد وأعمال المحويت، انظر، معجم الحجري، ٦٥٨.

(٤) القراذع: من قبائل مراد من ولد جميل، انظر، معجم الحجري، ٦٤٨/٢، معجم المقحفى، ٥٧٩، ٥١٠/٢.

(٥) بنو الحمادي: عُزلة من ناحية بني سعد وأعمال المحويت، انظر، معجم المقحفى، ١٩٠.

عن أمرِ مولانا الإمام - نصره اللهُ - إلى خميس المخروط للمراجعة وإعمال التدبير فيما بقي وما فرط. فتم اتفاق الأمراء على رجوع السيد عبد الله أبو منصر مع جيشه إلى حُفَاش، وبقاء جيش حراز هنالك لإكمال أعماله في مواجهة الأعداء على مراتبهم.

وفيها كان قدوم السيد عبد الله أبو منصر بالجيش الإمامي على جبل مَلْحَانَ، فجرت هنالك حروبٌ، أمدَّ اللهُ سبحانه، جند الحقِّ فيها بالنصر العظيم، وتفريقِ جموعِ الباغين، وتعجيلِ أرواحِ مَنْ قُتِلَ منهم إلى الجحيم، والتفريج عن المحصورين، واستكمالِ جميعِ الجبلِ، فتحاً، وتأمينِ أهله بعدَ الفتح، ورجوعهم إلى أوطانهم، وأخذ رهائنِ الطاعة وترتيبِ أعماله، وتمَّ ذلك على غاية ما يُرام ببركة مولانا الإمام - عليه السلام -.

قلتُ: وقد اشتملَ هذا الفتحُ على معاركٍ أظهرَ فيها جندُ الحقِّ من البسالة والإقدام والشجاعة عند الصِّدام ما قرَّتْ به العيون، وفزَعْ به المخذولون، وتناقلتْ أحاديثه الركبانُ، واستغرقَ سرُّه مجالسَ الأعيانِ.

ومنْ أغربِ ذلك تسلُّقُ الجندِ الإماميِّ وطلوعُه إلى أعالي ذرواتِ الجبلِ في طُرُقٍ يفرُّ منها الجان، بجرأةٍ لم تُعْهَدْ، وإقدامِ يديبِ الجلمدِ مع عدمِ المبالاةِ بمنْ فيها قائماً بحمايتها من المخالفين، فإنهم قد كانوا تجمَّعوا إلى تلك المضايقِ، فلم يُغنِ عنهم تجمُّعهم شيئاً، أمامَ نصرِ الربِّ الخالقِ، وألزمَ مولانا الإمامُ السيدَ عبد الله أبو منصر بالبقاء هنالك قائماً بأعمالها، وأمورِ جبايتها، فأدارها أحسنَ إدارةٍ بما عُهَدَ فيه من الكفاءة للإمارة، وبهذا يظهرُ للمتأملِ أنهم، أعني أهلَ جبلِ مَلْحَانَ، لم يكنْ لهم داعٍ إلى ما ارتكبه من المخالفة، وإنما كان منهم ذلك

متابعة للشيطان ومناداة^(١) منهم على أنفسهم بالخسران وخراب الديار وضياع
الأموال والتعرض / للهوان. / ٦٤

وفيها استقدم مولانا الإمام الرجال من نهم الحمراء، وجمعهم إلى نحو ثمان
مئة رام من ذوي البأس والشدة، وأرسلهم إلى سيدي العماد يحيى بن محمد بن
عباس إلى النادرة، وضم إليهم غيرهم من قبائل بكيل وحاشد حتى توفر عدد
الجنود لادن الأمير المذكور، وكان ارسالهم إرسالاً، فأمر الأمير المومى إليه عامل
قعطبة القاضي أحمد بن محمد الأنسي بعد أن أمده بثلة من الجنود بالقدوم على
العزل الشرقية من ناحية مريس، فإن أهلها امتنعوا عن الطاعة طوعاً، وسوّلت
لهم أنفسهم أنهم بالامتناع، كما كانوا أيام الأتراك سيرومون السلامة قطعاً،
فاجتمعوا، لما علموا بقوم العامل مع جنده، إلى الحصون، وجمعوا للفتنة من
رجالهم وأموالهم ما يستطيعون، فلم يكن إلا يوماً وبعض يوم حتى ضايقتهم
الجند الإمامي بإقدامه، وأنزلهم من شامخ الحصون إلى الحضيض تحت أقدامه،
وهاجمهم إلى معاقلهم، فرأوا أنها غير مانعتهم حصونهم، ففرّوا فرار الثعالب من
الأسود، وأصيب منهم في الحرب جماعة فُتتوا في أعضادهم، وغنم منهم
المجاهدون غنيمة عظيمة من القراش، وما تركوه من الأموال والحبوب، ودخل
الهاربون إلى الشعيب، ونادى العامل بالأمان، وراسلهم في الرجوع إلى
الأوطان، وفرحوا بالسلامة، عادوا أفواجاً، وبذلوا ما طلب منهم من الرهائن
المختارة، ولم يرتفع عنهم العامل حتى ضرب الصلاح في تلك الجهة خيامه،
ونشر على تلك الربوع أعلامه، ولله الحمد والمنة.

وفي أوائل هذه السنة أيضاً، غدر أهل العاقبة^(١) من قضاء العدين بمن

(١) العاقبة: ما ورد، العاقبتين، عذلة من ناحية شلف وأعمال العدين، تطل على جبل راس
وموقعها في أقاصي العدين الغربي الشمالي، معجم المقحفي، ٤١٨، حياة الأمير،
٦٢٥، معجم الحجري، ٥٧٢/٢.

[١] في س، ومناوة.

لديهم من المجاهدين، وأعلنوا الخلاف. والعاقبة اسمٌ عُزَلِيٌّ من عُزَلِ العُديين^(١) السفلى تشتمل على قرى متعددة، وأهلها أهل مواسين. فوجه أمير الجيش الأمير جمال الدين، علي بن عبدالله الوزير جنداً من تعز، وأمر عامل العُديين الشيخ حمود بن عبدالرب بالاجتماع معهم، فأذاقوا المخالفين عاقبة غدرهم، وشتموا شملهم بحرب ضرويس، ويوم عبوس، وأحرقوا عدة من قراهم، والتجأوا إلى الفرار، ثم عادوا يطلبون الأمان، فأمنهم الأمير بعد الإذن من الإمام - عليه السلام - وأذاقهم من عفوه ما قلب نار غدرهم وفتنتهم إلى برد وسلام، فرجعوا إلى أوطانهم مغتربين بأمانهم، واشتملت هذه الواقعة على قتلى من المجاهدين، رزقهم الله الشهادة، وكثير من الباغين/ حصدهم بنادق الجندي الأممي، وقلل / مدافعه، حتى عادوا كأيس الدائر، وشبعت منهم الطيور الكواسر، وكان ذلك عاقبة من بغى وتعدى وزاغ عن مناهج الهدى، وينبغي أن يُضاف إلى هذه الحادثة ما كان من علي بن عبدالله جُبَّاح^(٢) في إحدى العُزَلِ السفلى من بلد العُديين وأعماله. فإنه في هذا العام تحرك للخلاف، وتابَعَ الشيطان، فركب متن الاعتساف، وجاهر الله بمعصية النكث على إمام زمانه، وجمع حوله أصحابه، وباين طريقة أمانه وقطع الطريق وأخاف السبيل فبادرهُ الأمير جمال الدين بإرسال الجنود المحشودة والكتائب المعدودة، فصبَّحوه في عقر داره أسوأ صباح، وأطعموه مرارة الحرب، وهي مُرَّةُ المذاقِ تعافها الأرواح، وكان قد

(١) العُديين: مدينة بالغرب من إب بمسافة ٣٠ كم، بها مركز ناحية العُديين، وهي كبيرة وخصبة، يتبع ناحية العُديين عدد كبيرة من العُزَلِ، انظر، اليمن الكبرى، ٤٤، نشر العرف، ١/ ٧٢٠ معجم الحجري، ٢/ ٥٩٠ .

(٢) علي عبدالله جُبَّاح: كبير عُزَلِيٌّ جُبَّاح من ناحية العُديين، كثير التمرد، تمرد أيضاً سنة ١٣٥٧ هـ ضد السيف الحسن ونائبه، وكانت ابنته فارسة مقاتلة، انظر، حياة الأمير، ٥٧٤ .

استعدَّ للجِلاَدِ، وجمعَ إليه مِنَ الرُّعاعِ أجناداً، وتأهَّبَ لملاقاةِ جنودِ الحقِّ، ولكنه لم ينفَعُهُ الاستعدادُ وخذَلَهُ شيطانُهُ لما أنجَلت الحربُ عن هزيمةِ رُعايِهِ، وتشتيتِ شملِهِم، وإحراقِ قُراهِم وسقوطِ العددِ الكثيرِ من شِراهِم قتلى على الصعيدي، فانحصَرَ المذكورُ في دارِهِ الحصينِ، ونالَهُ من رصاصِ المدافعِ العذابُ المهينَ.

وفي النهايةِ، فرَّ في جنحِ الليلِ، وتحتَ أستارِ الظلامِ، وتركَ دارَهُ وما جمَعَهُ نهياً لجنَدِ الإمامِ، وطوَّته الأرضُ، فلم يُعرَفَ حيثُ قدِمَ مقرُّهُ، وأقبلَ أهلُ البلادِ يلوذونَ بطلبِ العفوِ والأمانِ، وبعدَ الاستئذانِ من إمامِ الزمانِ، أُجيبوا إلى ما طلبوا، وأُسعِفوا بما فيه رغبوا، ورجعوا إلى ديارِهِم الخَربَةَ يندُبونَ حظوظَهُم النَّجِسَةَ، ويذُمُّونَ مَنْ أوقعَهُم في هذه المُعضِلَةِ المُبْلِسَةِ، وبعدَ حينٍ مَن مولانا الإمامُ - عليه السلامُ - على جُباحِ المذكورِ بالتأمينِ، ورجوعِهِ إلى دارِهِ وبلدِهِ، وقد ذاقَ في اغتراهِهِ ما لا يُوصَفُ مِنَ الخزيِ المبينِ.

وفيهَا مالٌ أهلُ بُرعِ إلى الخِلافِ، والسببُ في خِلافِهِم هو ما ذكرناه أولاً من استيلاءِ الضالِّ الإدريسيِّ وأُعوَانِهِ على الحُدَيْدَةِ وما حولَهَا، وباجلِ وما إليه من قبائلِ القُحريِّ وغيرِهِم، فصارَ جبلُ بُرعِ محاطاً بأهلِ الخِلافِ من كلِّ جانبٍ، وتعلَّقَ أهلُ الجبلِ المذكورِ بأهلِ التهايمِ معلومٌ حتى كأنهم من أهلِ تُهامَةَ، فكانوا يشوقونَهُم للخِلافِ، وانضمَّ إلى ذلكَ ما كان بينَ عاملِ الجبلِ المذكورِ السيدِ عليِّ بنِ أحمدَ بنِ إبراهيم^(١)، وحاكِمِهِ القاضي عزي عطاء الله من التنافسِ والخِصومةِ، إلى أن اقتضى الرأيُ الإماميُّ عزلَ الحاكمِ المذكورِ، لما نُسِبَ إليه من

(١) علي بن أحمد بن إبراهيم: (أمير الجيش) تولى إمارة الجيش خلفاً للشريف عبدالله الضمين، وظل في منصبه طيلة فترة حكم الإمام يحيى والإمام أحمد وعزله الإمام البدر، سجن عند قيام الثورة ثم أطلق سراحه انظر، حياة الأمير، ٥٧١ .

التشويق على الخلاف، وكان تعيين القاضي عبد الله الصائغ مكانه في حكومة الجبل المذكور، وصادف في ذلك الحين حصول الإذن من مولانا الإمام/ نصره / ٦٦ / الله للعامل المذكور بالطلوع إلى صنعاء؛ لزيارة أهله وأولاده فاستناب مكانه أخاه سيدي حسين بن أحمد بن إبراهيم، فخفي عليه ما أجمعوا عليه من العصيان، وركوب غارب العدوان، إلى أن ثاروا في جميع الجبل، وحاصروا وكيل العامل ومن معه من جند الإمام.

ولما بلغ الخبر مسامع مولانا الإمام، جهّز سيدي، فخر الإسلام، عبد الله بن قاسم حميد الدين بعصاية من جند الحق، وأصحبهم إحدى المدافع مغيراً على من في الجبل المذكور، وكانت طريقهم من بيت القبلي^(١) إلى أن وصلوا إلى الجبل المذكور، وكانت بينهم وبين المخالفين حروباً فإنهم وقفوا أمام المجاهدين وأميرهم لصدّهم عن الوصول، وبذلوا في ذلك كل مجهودهم، ولكن جند الحق لم يبال بهم فهزّمهم مراراً، وهو سائر في طريقه، إلى أن وصل إلى رُقَاب^(٢)، مركز عمالة الجبل المذكور، وفرّج عن المحصورين، وأعلن الأمان لمن بادَرَ إلى الطاعة، ولم يبق إلا السير منهم، فجاءتهم أمداد أعوان أهل الضلال من قبائل القحري وغيرهم، وسرعان ما عادوا إلى الخلاف. وجرّت بينهم وبين جند الإمام حروبٌ عديدة، إلى أن عاد الحصار كما كان، والله المستعان، فكان من مولانا الإمام - عليه السلام - تجهيز الأجناد الوفيرة العدد

(١) بيت القبلي: من قرى حراز على مقربة من وادي سهام انظر، نيل الوطر، ١٩٧، معجم الحجري، ٦٤١/٢، معجم المقحفي، ٥٠١.

(٢) رُقَاب: مركز ناحية رأس جبل بُرع، من أعمال الحديدة، المشرف على ثمامة، يتصل بالجبل من الشمال وادي سهام الفاصل بينه وبين بلاد القحري من قضاء باجل، انظر، معجم الحجري، ٣٦٩/١، رياض الرياحين، ١١١، معجم المقحفي، ٢٧١.

والكثيرة العُدَد، وعيّن لهم أميراً السيد عليّ بن أحمد بن إبراهيم، عامِل بُرْع، وخرج مولانا الإمام - نصره الله - لوداع الجيش المذكور، إلى خارج باب القاع، غربيّ صنعاء، وأمر الإمام عامِل مَفْحَق^(١) السيد العماد يحيى بن أحمد^[١] الكبسي^(٢) بجمع عصابة نافعة أيضاً من أهل الحيمة الخارجية. ^[٢] وكانت طريق الجيش المذكور من الحيمة الخارجية، فاجتمع الجند الإماميُّ كلّه في أطراف الحيمة الخارجية^[٣]، وقد اشتعلت نارُ الخلافِ إلى بابِ المِحْيَام^(٣)، فباشروا الأعداء بالحرب، وساقوهم أمامهم بعزائم قوية، وفتكاتٍ عنترية، حتى أجلّوهم عن الخبتِ وبني شرّعب وغيرها فالشطبة^(٤) وعطار، وتسّموا جبل بُرْع حرباً، واستولوا على ما في طريقهم من القرى، إلى أن وصلوا إلى رُقَاب، واجتمعوا بالمحصورين. وأزالوا عنهم الحصارَ وامتلاتْ أيديهم بالغنائم ولاقى منهم الأعداءُ حرباً يشيبُ منها الوليدُ، ويلينُ لهولها الحديدُ، واشتملتْ هذه الحروبُ على معاركٍ عديدة، كلّها كان نصرُ الله مصاحباً/ فيها لجندِ الحقِّ، والخذلانُ في جانبِ الضلالِ الأشقِّ مع توالي^[٣] الامدادِ للباغين من تهامة،

/ ٦٧

- (١) مَفْحَقُ بلد وحصن في ناحية الحيمة الخارجية وأعمال صنعاء، انظر، معالم الآثار، ٣٧، اليمن الكبرى، ٥٩، معجم الحجري، ٧١٥/٢ .
- (٢) يحيى بن أحمد بن يحيى بن أحمد الهجوة الكبسي ت في ضوران مركز قضاء أنس في ٢٣ جمادى الآخرة ١٣٥٩ هـ سياسي، معروف بحبه للخير ونشر العلم، كان عامِل مَفْحَق ثم الزيدية ثم النادرة ثم أنس، انشأ المدارس، ومدساقية من السيل الأعور إلى النادرة، كان قريباً من الإمام البدر، ولد في صنعاء سنة ١٣١٤ هـ، انظر، هجر العلم، ١٨٠٢ .
- (٣) المِحْيَام: موضع بأقصى بلاد الحيمة الخارجية فيما بين أطراف بلاد ريمة وبُرْع، انظر، أئمة اليمن، ١٢٢/٢، معجم المقحفي، ٥٦٩ .
- (٤) الشطبة: من قبائل حاشد ثم من بني جُبَر من ناحية ذي بين، انظر، معجم المقحفي، ٣٥٥، معجم الحجري، ٤٥٢/٢ .

[١] في س، أحمد الهجوة الكبسي. [٢] سقطت من س. [٣] في س، توالي وصول المدد.

ولذلك أيس أهل الجبل من حصولهم على المرام الشيطاني، فما لوا إلى الطاعة، وأقبلوا بعقائريهم إلى المقادمة، يبذلون الطاعة، ويطلبون العفو عنهم فيما أتوه من أعمال الفطاعة، فقابلهم أمراء الإمام بصدور رحبة، وكاد الصلح أن يسود في تلك الربوع، وأرجحة في تلك الأرجاء أن يرضوع، إلا أن الجيش قد امتلأت أيديهم بالغنائم، فكلهم يؤدون الرجوع، ويتمنون وجود الوسيلة لذلك، وقد كان أعوان الضلال أعملوا الحيلة بعد انهزامهم إلى تهمامة في تلك الفينة، فإنهم أرسلوا جمعاً عظيماً إلى عبال^(١)، وأمرؤه بولوج الخبت الموصل إلى جبل بُرع، ليقطعوا طريق الجبل، وكانت تلك الجهة خالية عن الحماة، ولم يكن أمام الأعداء من يمنعهم عن الولوج فيها والاستيلاء عليها، فلم يشعر من في الجبل من الجنود الإمامية إلا وقد قطعت عليهم الطريق من ورائهم باستيلاء التهاميين عليها، وتقرّبهم من الشطبة وعطار، وانضم إلى ذلك، أن شردمة من الجند الإمامي أرسلوا إلى بعض القرى في إحدى العزل التي لم يتم صلاح أهلها ودخولهم في الطاعة، فاحدق عليهم جند البغاة وضايقوهم، وهم في مكان غير حصين، ولم يكن للجند الإمامي علم بما قد جرى، ولا استطاع المحصورون أن يرسلوا إليهم خبراً، فتدركهم النجدة، فدام الحرب عليهم يومين، واستشهد أكثر رجال تلك الشردمة، بعد أن قتلوا من البغاة أضعافهم، والباقون خرجوا بين رصاص البنادق، ونجوا إلى المحطة، وبكل تلك الأمور اضطرب الجند الإمامي، وعول الكثير منهم على العود من الجبل، بما معهم من الغنائم، إلى أن

(١) عبال: شرق جنوب باجل بين الحجة ومدينة العبيد، كانت محطة للمسافر قبل الدخول في صحراء تهمامة، من بلاد القحري، بالقرب من وادي سهام انظر، البدر الطالع، ١/ ٤٥٨، حياة الأمير، ٦٢٥، معجم المقحفي، ٤٢٢، معجم الحجري، ٥٧٣/٢.

قَلَّ عددُ الجندِ الإماميِّ، ولم يبقَ غيرُ أهلِ البصائرِ والثباتِ، وتتابعَت الامدادُ من تهامةٍ إلى الجبلِ، وكثرت الغزواتُ منهم على جندِ الإمامِ، والمباكرةُ والمرواحةُ بالقتالِ، فعاد الحصارُ كما كان، واشتعلَ الجبلُ بنيرانِ المخالفينِ والبُغاةِ إلاَّ أنَّ الحصارَ لم يكنْ كسابقه، والسببُ: وفورةُ عددِ الجندِ الإماميِّ المحصورِ، ووجودُ الأَقواتِ وما يحتاجون إليه من الزانات^(١)، ولذلك لم يجسرِ البغاةُ على الدنوِّ من رُقَابِ، واكتفوا بالإحاطةِ به، وإكمالِ ما يلزمُ لذلك من الأسبابِ والمناوشةِ بالحربِ من/بُعد، وقد تعدَّدت المقادمةُ المحصورون، وحين بلغ ذلك الخبرُ مولانا الإمامَ، جهَّزَ جيشاً جراراً لإنجادِ المحصورين، والإنقاذِ من الباغين، وجعلَ عليهم أميراً السيدَ الأجلَّ أحمدَ بنَ يحيى الكبسي^(٢)، عاملَ بلادِ الروسِ وبنِي بهلول، ومعه القاضي عبدُالله بنُ أحمد العرشي مشاركاً له في الإمارة، وكان في الجيشِ نحوُ خميسِ مئةِ رامٍ من حاشدِ خاصة، فبادرَ المقدميانِ ومن معها بالمسيرِ، وكانت طريقُهُم طريقَ السابقين، إلى أن لاقوا جموعَ البغاةِ في الخبْتِ الموصلِ إلى بُرع، فلم يقفَ أمامَهُم جمعٌ إلاَّ حصدوه، ولم يعترضَهُم من الباغينِ منعٌ إلاَّ ردَّوه وبددَّوه، وتسلَّقوا الجبلَ بعدَ طعانٍ وضرابٍ وكفاحٍ وحزِ رقابٍ، إلى أن وصلوا إلى رُقَابِ، وفكَّوا الحصارَ، وأذاقوا الأعداءَ كؤوسَ الدِّمارِ، وعلى كثرةِ من قُتِلَ من البغاةِ وأعوانِ الضالِّ^(١)، لم يجرزِ الشهادةَ من جندِ الحقِّ إلاَّ عددٌ قليلٌ، وقد كان جيشُ الضلالِ^(٢) استعدَّ وأعدَّ^(٢) ووقفَ لهم بالمرصاد، فلم

(١) الزانة: السلاح والذخيرة.

(٢) أحمد بن يحيى بن أحمد بن يحيى الهَجْوَةِ الكبسي ت بصنعاء في ٧ ذي الحجة ١٣٤٥، سياسي اداري، تولى أعمالاً كثيرة، كان عضواً في مجلس المبعوثان، ثم تولى للإمام يحيى أعمال خولان ثم بلاد الروس وبنِي بهلول، كلف بمقابلة أمين الريحاني ومحاذته حول ما جاء من أجله، ولد سنة ١٢٩٠ هـ، انظر، ملوك العرب، ١/١٧٣، أئمة اليمن (سيرة الإمام يحيى)، ٢/١٩٣، هجر العلم، ١٧٩٩ .

[١] في س، الضلال. [٢ - ٢] في س، استعد وأعدو.

ينفعه عدده ولا أنجده مدده، وكاد الخراب يعم القرى التي على الطريق إلى رُقاب، ومع ذلك فما زال الضالُّ يجهزُ الجيوشَ من تُهامة الشام، علاوةً على من في تُهامة اليمن من الجموع، وجعلَ جبل بُرعَ مَحطاً ومجالاً لإدارة رُحى الحروب، ومغالبة الله تعالى، والله هو الغالبُ وليس بالمغلوبِ. ولما زال الحصارُ اجتمعَ الجندُ الإماميُّ إلى رُقاب وما حوله، وكان إصلاحُ الجبلِ يحتاجُ إلى التريثِ من الجندِ برهةً، والمخالفون يحتاجون إلى أن يكونَ استتصالُ شأفتهم بقطع الأمدادِ عنهم، ولكونِ الجندِ الإماميِّ جعلَ الوصولَ إلى رُقاب نصبَ عينيه، والأمرَ المهمَّ لديه، أخلَّ كسابقه في وضع مَنْ يمنعُ وصولَ الأمدادِ من عُبال فالشطبة وعطار، وجعلَ جيشُ الأعداءِ كلَّما لحقته الهزائمُ في ذرى الجبلِ ينخفصُ إلى تُهامة، ويأتي إلى عُبال، ومن هنالك يصلُ إلى مراده من زلزلةٍ من في الجبلِ، ولا يُنكرُ ما كان من المقادمة من تقصيرٍ في توجيه عرائمهم إلى سدِّ هذا الخرقِ، وإن اعتذروا بأنَّ ذلك لو التفتوا إليه لأوجبَ استغراقَ معظم ما معهم من الجندِ هنالك، ويفوتُ الغرضُ من التمكنِ من الإفراجِ عن المحصورين، وعلى الجملةِ فإنه لم يحصلُ من هذه الجيوشِ الثلاثة ما يُرادُ من إصلاحِ الجبلِ المذكورِ، وإن كان نصرُ الله مصاحباً لهم / في كلِّ واقعةٍ على كثرتها وتعدُّدها، وقد أنزلوا بالأعداءِ ما لا يُستطاعُ وصفه من النكاية، وأبلوا بلاءً حسناً، وبئى منهم الأعداءُ بالدهاية، لولا ما كان يأتيهم من الإمدادِ المتوالية وإعانة النصارى للضال^[١] بالمهماتِ واللوازمِ التي يحتاجُ إليها الحربُ، وهو يفرقها على أعوانه بغيرِ حسابٍ، وسيأتي قريباً - إن شاء الله - بيانُ ما انتهى إليه الحالُ.

٦٩ /

ولنرجعُ إلى بيانِ ما كان من الحروبِ في بني سعدِ المقابلِ لهذه الجهة، فنقول: قد سبقَ بيانُ ما انتهى إليه حالُ جيشِ حَرَّازِ ووقوفه في مراتبه بإزاء

[١] في س، الضال الادريسي.

جيوش الضال ومراتبهم.

وفي إحدى الليالي، نزلت عصابةٌ من الجند الإماميِّ دونَ المئة، وهم من أهل الحيمة، إلى وادي المرقوع، لعلمهم يجدون فرصةً في جيش الأعداء، فالتقوا بالشريف حمود الدايلي، رئيس جيش الإدريسي في تلك الجهة، وأحمد حزام، أحد مشايخ القُحري، ومعهما ثلَّةٌ كبيرةٌ من أصحابهم ومن أهل البلاد، وقد كان المذكورون تعاقدوا على غزو جند الإمام ليأخذوا منهم الثارَ، ويغسلوا عن أنفسهم عارَ الفرار، ففوجئوا من تلك العصابة الحيمية بالحرب الزوأم، والهجوم عليهم بأيامٍ أقدام، فأصيب الشريفُ المذكورُ، واستولى المجاهدون على فرسه، ورُميت الفرسُ الثانية، وفرَّ ركبها، وانهمز الأعداء هزيمةً فاضحةً، وحملوا شريفهم مجروحاً، وقد تحقَّق موته من تلك الجراحة، ولم يسَل من المجاهدين دمٌ في هذه الواقعة، وعاد المجاهدون بالفرس إلى المحطة، وما زال أهل البلاد يوالون الغزو ليلاً، على المراتب، والجند الإماميُّ يضعُ الغوائل لهم في طرقهم التي يأتون منها، فلا يشعرون بعدَ توسُّطهم إلا بالرمي عليهم من أمامهم ومن خلفهم. ففي ليلتين حُرِّت من الباغين خمسة رؤوس، فانقطعت آمالهم من الغزو على الجند الإمامي، وتاهوا في التهائم، وانحلت منهم العرى والعزائم. ومات الكثير منهم في ذلك الاغتراب، وحفروا لأنفسهم حفرةً تجرَّعوا فيها مرارة الأوصاب، واستقرت مراتب جند الإمام هنالك في الجمجمة من بني الحمادي، وجبل الطرواح^(١)، وهو أحصنُ محلٍّ في بني سعد، إلا إنَّ الماء بعيدٌ منه. وفي طرف القوازعة وفي القرداع^(٢) فوق وادي القصبية^(٣) بالقرب من

(١) جبل الطرواح: هو الجبل الذي بنى فيه الإمام يحيى حصن الزاهر، انظر، معجم الحجري، ٢/ ٣٨١، معالم الآثار، ٥٧.

(٢) لغة في القرادعة.

(٣) وادي القصبية: شمال مسار منه قمر الطريق الحديثة إلى صنعاء، انظر، اليمن الكبرى، ٧٨ معجم المقحفى، ٥١٧.

حدود بني إسماعيل والعارضة ومقام المقادمة، ومعهم المدفَع في الشرف وما حوله مع المحافظة على بقاء رتبة مَدَوَل والطَّرَفِ وبني جرِين^(١) ومراتب أخرى لحفظ الطرقات مع فرار أهل البلاد.

وكان الجيشُ مستغرقاً في تلك المراتبِ لتساعِ الأطرافِ، والحربُ غيرُ منقطعِ في المراتبِ / ومن بإزائهم من جنْدِ الضالِّ.

وفي أثناء ذلك راسلَ مقادمةُ مولانا الإمامَ عن أمره - أيده الله - أهلَ البلادِ برجوعهم إلى ديارهم وتأمينهم من تعرُّضِ الأجنادِ في الأغوارِ والأنجادِ، فرجعَ الأكثرُ منهم لكن خفيةً من جنْدِ الأدريسيِّ؛ لأنهم منعوهم من ذلك. ومَن وجدوه منهم راجعاً نهبوه وضبطوه، وأرسلوا به إلى جيزان.

وهذه عاقبةٌ من أسوأ العواقبِ، وحقيقةٌ فيها مجالُ العبرةِ واسعٌ لحاضرٍ وغائبٍ. فالمدكورون نادوا على أنفسهم بالهلاكِ باستقدامهم أعوانَ الضلالِ إلى بلادهم، وأرادوا المكرَّ بجنْدِ الحقِّ فمكرَّ اللهُ بهم وأذاقهم وبالَ عنادهم.

وفيها أشعلَ الضالُّ نارَ فتنِّه في جميعِ تُهامةٍ، وجمعَ كلَّ شريرٍ إليه، وأرسلهم إلى المحطَّاتِ، وضمَّ إليهم مَن خذلهم اللهُ من حاشدٍ وبكيلِ أهلِ الأطماعِ، والكلُّ همَّجٌ رُوعاً فتكاثرت جموعهم في أطرافِ تُهامةِ يازاءِ المجاهدين، وتعدَّدت محطاتهم من الحمرةِ إلى عُبالٍ، وما كيدُ الكافرينِ إلا في الضلالِ، وكانَ الحربُ سجالاتٍ بينهم وبينَ المجاهدين على صفةِ المغازي من سمهر^(٢) إلى المرقوعِ، وكانَ من الأعداءِ ثلَّةٌ كبيرةٌ في حصنِ المقفلِ فوقَ الحمرةِ، وعليهم علي

(١) بنو جرِين: عَزَلَةٌ من ناحيةِ صَعْفَانِ من حِرازٍ من أقسامِ مَتَوْحِ، انظر، معجم الحِجْرِي،

٢٥٤ / ١، معجم المِخْفِي، ١٦٤ .

(٢) سمهر: الاسم القديم لمدينة الزهراء التي اتخذها الأدريسي، انظر ص ١٩ من المخطوط .

دحّان الأهر، والسيدُ حسين النزيلي من أصحابِ الضال، فدبّرَ حاكمُ العرِّ وأميرُ الجيشِ أمرَ كشفهم وطردهم من ذلك الحصنِ، فجهّزوا عليهم السيدَ أحمدَ بنَ علي الصّعدي ومعه أهلُ الحَيمةِ عنوةً من جهةِ العدين والغرب، ومن جيشِ النظامِ بلوكان معهم ضباطهم عنوةً من طريقِ الوادي على أن يكونَ مرورهم من الوادي وصعودهم إلى عرضِ قَيْهمةِ شرقيِّ المقفل، فتقامرت خطى البلوكين عن اجتيازِ الوادي إلى عرضِ قَيْهمة، وأمدَّ أهلُ الضلالِ أصحابهم من محطةِ الحمرة، وارتقوا إلى المحلِّ الذي قصرت عنه النظام، ومنعوا أهلَ الحَيمةِ من الوصولِ إلى الماء، واستمرَّ الحربُ بينَ الفريقين إلى أن غابت شمسُ ذلك اليوم، وكان يوماً عظيماً ابتليَ المجاهدون فيه بالعطش، ثم عادوا إلى المحطةِ سالمين، وأصيب يومئذُ السيدُ حسن شرف من أهلِ الحَيمةِ برصاصتين في قعرِ الوادي، إحداهما في صدره، ولم يصلْ إليه أصحابه مع مشاهدتهم مصابه، فأيسوا منه، وأخبروا الحاكمَ باستشهاده، وبعد يومين وصلَ ببندقه ماشياً والجراحاتُ على ما هي عليه وقتَ الإصابة، فأخبرَ أنه تحاملَ نفسه إلى كهفٍ صغيرٍ عليه شجرةٌ، وكرَّرَ تلاوةَ سورةِ يس، وبعد رجوعِ المجاهدين إلى المحطةِ مضى جماعةٌ من الأعداءِ على بابِ الكهفِ، فأعمى اللهُ أبصارهم عن رؤيته، وهو يسمعُ حديثهم، وأفادَ أنه سمعهم يقولون: إنَّ قتلاهم وجرحاهم ثلاثون نفراً.

وفي الليلِ خرجَ إلى وادي سُردُد^(١) وشربَ منه ثم رقى عرضَ الجبلِ الذي

(١) وادي سُردُد: أشهر وديان اليمن، ينبع من الهضبة الفاصلة بين جبال الحَيمة الداخلية وبلاد الطويلة ثم يلتقي مع مصبات جبلي حُفَاش ومِلْحَانَ ويتتهي في البحر الأهر، ويسقي بلاد الزيدية والمهجم، انظر، البلدان اليمانية، ١٤٨، معجم الحجري، ٢/٤١٩، معجم المقحفى، ٣١٣.

كان فيه / المجاهدون وبات فيه إلى الصباح، وانحدر إلى أن وجد راعي غنم، / ٧١
فسقاه ذلك الراعي من ألبان غنميه حتى روي، وحمله الرعي إلى معزابه، وبات
عنده ليلة، وتوصل في اليوم الثالث إلى الوصول إلى حاكم العرّ سلاحه،
فأرسله إلى مناخة للتداوي،^[١] ورزقه الله الشفاء^[١]، من جراحه التي قل أن يعيش
بعدها في العادة من أصيب بها، وإنما ذكرنا قصته لما تضمّنت من الكرامة لمولانا
الإمام - عليه السلام - وظهورها في بعض أفراد جنده، وسّره عن أبصار
الأعداء، والله المنة.

ولما طال بقاء الأجناد في مراتبهم، عاتب الإمام - نصره الله - مقادمته،
ونسب إليهم التواني وعدم ترقب الفرص، واقتضى الحال بعد ظهور تباين
إفادات المقادمة إرسال كاشف عن الأحوال، فأمر مولانا الإمام سيدي عباس
بن علي بن اسحق، فتوجه إلى هنالك، وطاف مراتب الأجناد، وفحص عما قيل
من التواني، فلم يتقرّر من ذلك ما يتحقّق به ثبوت الإسناد، ولكن اتساع
الأطراف، وتوزع الجيش إلى مراتب بحسب حال العدو، كان أعظم موجبات
تأخر الوقعات الحاسمة، وصادف في ذلك الحين وصول السيد العلامة عبد الله
بن أحمد الوزير إلى الحضرة الشريفة زائراً.

فأمره مولانا الإمام بالعزم إلى تلك الجهة، وولاه رئاسة المقادمة وأمدّه بجند
كثيف، وتابع إرسال الامداد إليه، حتى كثر الجند الإمامي هنالك، وصار عدده
يربو على ثلاثة آلاف مقاتل، فاستقر السيد عبد الله الوزير في بيت المشركي^(١) من
جبل الطرف، وهنالك اجتمع إليه المقادمة السابقون، وأعملوا الرأي في مناجزة

(١) بيت المشركي: عُرلة في جبل الطرف، في ناحية صَعْفان في جبل حراز، انظر، معجم
المقحفني، ٤٠٢ .

[١ - ١] في س، وشفني.

الأعداء، واستقرَّ الرأيُّ على أن تكونَ عنوةُ أميرِ الجيشِ الشريفِ عبدِالله الضُّمَيْنِ، ومن معه من النظامِ قصدَ محطةَ المرقوعِ، ومَنْ فيها، وحاكمِ العرِّ ومعه أهلُ الحَيِّمةِ محطةَ بابِ العينِ، والسيدِ عبدِاللهِ الوزيرِ، وباقي الجيشِ بابَ القارة^(١) ومناجزةَ الأعداءِ في يومٍ واحدٍ من جميعِ الأمراءِ. وكان ذلك في شهرِ جمادى الأولى من هذه السنة، فقامَ الجميعُ بما انتدبوا له، واستقرَّ السيدُ عبدُاللهِ الوزيرِ في جبلِ يابس، وقَدِمَ مَنْ معه من حاشدٍ وبكيلٍ إلى بابِ القارةِ وجرى بينهم وبينَ الأعداءِ حربٌ مهولةٌ، وشرَعَ الأعداءُ في الانهزامِ، فتداركتهم طائفةٌ من جنودِ الضلالِ^[١] خرجوا من عُبالٍ، وجاءوا من وراءِ ظهورِهِم، وكان السيدُ عبدُاللهِ الوزيرِ ومن معه قد تركوا من يصدُّ الغارةَ من عُبالٍ عنهم، فحصلَ الضررُ من أولئك، ولم يسعِ الجيشُ المتقدمُ إلى بابِ القارةِ إلا التأخرُ إلى جبلِ يابسٍ بانتظامٍ، وهنالك كانت محطةُ السيدِ عبدِاللهِ الوزيرِ، ووقعَ من الطرفين قتلى وجرحى، واستشهدَ يومئذٍ النقيبُ صالحُ بنُ أحمدَ رذمانَ رحمه الله وأما حاكمُ العرِّ ومن معه من أهلِ الحَيِّمةِ، فإنها هاجت الحربُ بينهم وبينَ الأعداءِ في جبلِ سُويِّد^(٢) ووادي الحارث^[٢]، فهزمَ اللهُ جنودَ الضلالِ، وتبعهم المجاهدون، واستولوا على محطةِ العينِ وما فيها من جبخانةٍ مدفعِ العدوِّ وغيرِ ذلك، ولم يقفوا هنالك بل تبعوا الأعداءَ إلى قربِ البحيحِ، وبقيَ الحاكمُ ومعه نحوُ عشرةٍ في وادي الحارثِ، فلم يشعرِ الحاكمُ إلا بتقربِ جيشِ الأعداءِ

/٧٢

(١) القارة: من مخلاف جبل الشرق وأعمال أنس، والقارة لغة الأكمة، والقارة في اليمن كثير، انظر، هجر العلم، ١٦٤٣، معجم المقحفي، ٥٠١، معجم الحجري، ٢/٦٤١.
(٢) جبل سُويِّد: بلد من أنس، وبنو سُويِّد من قبائل جُماعة وأعمال صعدة، والمقصود العزلة من مخلاف بني حاتم وأعمال ضُوران أنس انظر، معجم الحجري، ٢/٤٣٥، معجم المقحفي، ٣٣٥.

[١] في س، الضال. [٢] في س، الحرث.

الذين خرجوا من عُبال، ومن كان في القارة من الوادي، فارتفع الحاكم من مكانه إلى حزة الجبل، وقد داخله كربٌ عظيمٌ ووجلٌ على المجاهدين الذين توغّلوا في متابعة الأعداء إلى قرب البُحَيْح، ولكنَّ الله ثبَّتَ المجاهدين بما وضعوه وراءَ ظهورهم من الرتبِ في الآكام التي اجتازوا بها، فحين تقرب الآتون من عُبال إلى الوادي، صدَّتْهم تلك التعاقب عن ولوج الوادي والتمكّن من قطع الطريق على المجاهدين ودافعوهم مُدافعةً حسنة، وردّوهم على أعقابهم، وحين شاهدوا الحريقَ بالقرب من البُحَيْح، وجهوا عنانَ قصدِهم إلى تلك الجهة، وقد ثنى المجاهدون أعتةً عزمهم على الرجوع إلى باب العين، وباتوا هنالك على سلامةٍ خواطرٍ وقرارةٍ عين.

وأما أميرُ الجيشِ ومَنْ معه من النظام، فإنَّهم تقدّموا على المرقوع، وهاجموا مِنْ فيه مهاجمةً الأسود بكلِّ قلبٍ غير مرّوع، فهزموهم منه، وطردوهم وساقوا خلفهم واستولوا على المرقوع، وما حوله من الجبال، وتوغّلوا في الخبت، ولكنهم لم يجدوا بدءاً من العودِ بمدفع الإمام إلى محلِّ يتحصّنون فيه، فإنه لم يكن هنالك محلٌّ ولا معقلٌ يؤمّن فيه من غدرِ العدوِّ ومخاتلته، ولا في وقتِ سكونِ الحربِ والهدوء.

وفي ثاني يوم هذه المعارك، أقبلَ الجيش من تُهامة خيلاً ورجلاً، وقصدوا مَنْ في باب العين من جنود الإمام بكلية^[١] قواهم، وجرّت بين الفريقين حربٌ عظيمةٌ تأخر المجاهدون في آخرها إلى حصنِ حَمَاطة^(١)، وما زالت الحربُ بينهم ثائرةً، وهم ثابتون كلّما هجم الأعداءُ عليهم ردُّهم على أعقابهم بصفقةٍ خاسرة، وكذلك من سواهم من طوائفِ الجندِ الإمامي، إلا أنَّ الشدّة كانت على مَنْ في

(١) حصن حَمَاطة: عُزلة من ناحية حُفَاش وأعمال المحويت، انظر، نيل الوطر، ٢٧٣، معجم المقحفي، ١٩٠.

[١] في ص، قلي.

حصنِ حَمَاطَةَ.

وفي هذه الأثناء، كانت المراجعةُ بينَ المقادِمةِ ورئيسِهِم، وإعمالُ الرأيِ فيما يكونُ ترجيحُهِ من تديبِ وإحباطِ مساعي جنِدِ الضلالِ الواصلِ إليه المددُ الكثيرُ/ فترجَّحَ لَدُنْ رَئِيسِ المقادِمةِ توجيهُ العزائمِ على عُبالِ وبابِ القارةِ، / ٧٣ والعاملِ القويِّ في ذلك، رجاؤُهُ أَنْ يُدْرِكَ منهم ثأرَهُ، وخالفَهُ أميرُ الجيشِ في رأيه، وقالَ: الصوابُ الآنَ المحافظةُ على رأسِ المالِ بحفظِ ما في أيدينا من الجبالِ، ويكونُ تكرارُ الغزوِ على مَنْ في الحدودِ والظهُرِ محفوظاً، فصمَّمَ الرَّئِيسُ على رأيه وتابَعَهُ الآخرونَ امثالاً، فرَّتَبَ الجبالَ من مَدوَلِ إلى الزَّعْلا السفلى^(١) بالأكثرِ من حَاشِدِ وَبكيلِ وفي بني سَعْدِ الشَّيْخِ ناصرِ بنِ حسينِ الأَحْلَسِيِّ، ومعه مئةُ رامٍ من أهلِ الشَّرْقِيِّ في جَبَلِ الطَّرواحِ والشَّرْفِ والسَّيْدِ مُحَمَّدِ بنِ حسنِ القاسمِيِّ، ومعه عصابةٌ من الحَيْمَةِ وبني الحَيَّاطِ^(٢) في الجُمَّمَةِ من بني الحِمَّادِيِّ، وتقدَّمَ أهلُ الحَيْمَةِ من الزَّعْلا على الكُرْدِ^(٣) وسمَّهَرِ ومعهم نظامُ سَنحانٍ نحوِ المئَةِ، فرزَقَهُم اللهُ الظَّفَرَ على العدوِّ، وطردوا من في المرتينِ المذكورينِ ورتبوهما، وتوجهوا إلى عُبالِ وهم نحوُ ثلاثمائة رامٍ، ومن في عُبالِ من الأعداءِ مشايخُ القُحْرِيِّ، وسبعُ مئةِ رامٍ، فهزموهم بإذنِ اللهِ، واستولوا على عُبالِ في الساعةِ الخامسةِ من تلكِ اللَّيلةِ وَغَنَمُوا ما في عُبالِ مِنَ الأموالِ. وقد

(١) الزَّعْلا السُّفلى: عَزْلَةٌ من مَخلافِ الشَّعْرِ وأعمالِ النَّادِرَةِ انظر، معجمِ الحِجْرِيِّ، ١/ ٣٩٥،

والزَّعْلا، قرية من صَعْفانٍ من مَخلافِ الشَّعْرِ، انظر أيضاً، البلدانِ اليَمانيَّةِ، ١٤١ .

(٢) بنو الحَيَّاطِ: بلدة في الطويلَةِ، وبنو الحَيَّاطِ من أهالي جِبَلَةِ، انظر، الضوءِ اللامعِ،

٧/ ١٩٤، معجمِ الحِجْرِيِّ، ٢/ ٥٥٩ .

(٣) الكُرْدِ: من قبائلِ العَبَسِيِّةِ في ناحيةِ المِراوَعَةِ من تُهامَةِ شرقيِ الحَديدَةِ، انظر، معجمِ

المقْحَفِيِّ، ٥٣٦ .

أذهلت الأعداء تلك الوقائع وبهرهم ما لا قوه في المعامع، ووصل إلى عبال في صباح تلك الليلة حاكم العرّ، وهني المجاهدون بما نالوه من نصر الله العزيز، وحفظه الحرين.

ولما شاع أخذ عبال في تهامة، قامت على أعوان الضالّ القيامة، وشنوا الغارات في طلب الرجال من الجرابح^(١) والقحري والعبسية^(٢) وغيرهم، مع ما يتوالى وصوله من لذن الضالّ من الأمداد برجال تهامة الشام، فوصلت الأمداد أفواجاً إلى حول عبال وتوسّموا لقدمهم وقت الظهر، لعلمهم أنّ المجاهدين لا يصبرون على حرّ تهامة، فانهاث منهم على من في عبال الرصاص كالمطر، فخرج إليهم المجاهدون من عبال، ووثبوا إليهم كأنهم الأسود الضواري وطاردوهم في تلك البراري، وحسبوا حرارة الشمس ظلاً، وكثر عددهم قلاً، وساقوا خلفهم إلى أن أوصلوهم باب القارة، ولاستيلاء الرعب، كان ممن في محطة باب القارة الفراز مع المنهزمين، وثبت المجاهدون في باب القارة، وكفى الله بأعمالهم ما كان موكولاً إلى غيرهم من الاستيلاء على باب القارة، فكان ترتيبها بهم، وترتيب الجبل الذي فوقها بالمجاهدين من حاشد.

وفي اليوم الثاني من تلك الوقعة، قصد الأعداء الجبل الذي رتب رجال حاشد، فانجلوا عنه سريعاً، ولم يتبها رتبة باب القارة بما فعلوا/ من البوار / ٧٤

(١) الجرابح: قبيلة من تهامة، مواطنهم في الضحى، شمالي الزيدية، انظر، نشر الشاء الحسن، ٣٣ معجم المقحفى، ١١٤ .

(٢) العبسية: ناحية واسعة من تهامة مركزها المراوعة، وهي من قبائل عك وبلادها من سفح جبل بروج إلى ساحل البحر الأحمر، تتصل بها من شمالها بلاد القحري من أعمال باجل ومن جنوبها بلاد الرامية والمنافرة من قضاء بيت الفقيه ابن عجيل، انظر معجم الحجري، ٥٧٤ / ٢ .

والمكائد، والله العليمُ بمن في خلدِه القلبُ السليمُ.

ولما ترك الحاشديون الجبلَ، رقاہ الأعداءُ وزحفوا على من تحتهم في المراتب من الحَيْمَةِ وَسَنَحَانَ وأحاطوا على سَنَحَانَ من كلِّ جانب، فاستشهد منهم سبعةٌ رحمهم اللهُ تعالى وألْبَسَ العارَ كلَّ ماكرٍ وعائب، ورجعوا بعدَ أهوالٍ إلى عُبالٍ.

وفي اليوم الثاني قصدَ الباغون عُبالَ، وفيه المجاهدون فبادروهم بالحربِ، ولاقوهم بقلوبٍ مشتاقيةٍ إلى الطعنِ والضربِ، فانكسروا أمامهم، وكان ذلك الانكسارُ خديعةً منهم واستدراجاً؛ لأنهم كانوا قد أبرموا أمرَ خداعِهم وحيلتهم بأن وجَّهوا أكثرَ الجيوشِ منهم إلى سهام، وجعلوهم كميناً للمجاهدين يأتونهم من وراءِ ظهورهم متى استدرجوا المجاهدين وأخرجوهم من عُبال، فتمَّ لهم ما أعملوه من الحيلة، وخرج الكمينُ بعدَ انفصالِ المجاهدين عن عُبال وانقسمَ إلى طائفتين: طائفةٍ منهم، حالوا بينَ المجاهدين وبينَ الرجوعِ إلى عُبال، وطائفةٍ مرَّوا على شفيرِ سهام^(١) إلى الجانبِ العدني من عُبال، وأقلَّ الطائفتين نحوَ خمسِ مئةِ رام، ولما عرَفَ ذلك من بقيِّ في عُبال من المجاهدين، وأنه قد جيلَ بينهم وبينَ أصحابهم، ارتفعوا إلى الشُويح، أسفلَ بني جرین، ولم يظفروا منهم أعداءُ اللهُ بما تقرُّبه العينُ، وأما الذين انفصلوا عن عُبال، فإنهم تراجعوا إلى أميرِ الجيشِ وهو مع المدفعِ نازلٌ على شفيرِ الجبلِ المشرفِ على قاعِ سمهر، وقُتِلَ من أهلِ الحَيْمَةِ في حربِ عُبالِ ثلاثةٌ.

(١) وادي سهام: يأتي من مشارفِ تحُولانِ العاليةِ الغربيةِ ووعلانِ وسامِكِ وعافِشِ وفَرشِ آنس، وتنضمُّ إليه السيولُ من شمالِ آنسِ وجنوبِ بني مطرِ وجنوبِ الحَيْمَةِ وجنوبِ حرَّازِ وشمالِ جبالِ رَيْمَةِ ويمرُّ بشمالِ جبلِ بُرع، فيسقي أرضَ المراوعةِ والقَطِيعِ ويصبُ في البحرِ جنوبَ الحُدَيْدَةِ، انظر، اليمن الكبرى، ٣٩.

وفي خلال ذلك، تقدّم جيشُ الضالِّ الذين في الحمرة والمقفل وفيهم الشقيُّ علي دحان الأحر، وجمع من ألفافٍ حاشدٍ وغيرهم وبنو سعد الباقون على فرارهم، وقصدوا مراتب جنود الإمام، فلم يثبت قدامهم أهل حراز وبنو الحنيط، بل انكشفوا عنهم بدون ضرورة، وارتفعوا عن بني سعد إلى بيت المشرقي، وصادف وصولهم وقت وصول أمير الجيش إلى هنالك ومعه المدفع من جبل الطرف، وحصل من التخاذل والتسابق إلى الفرار ما لم يكن في الحساب، ولم يظهر لذلك سبب سوى ما يُظنُّ من إعجاب النفس الأمارة بالكثرة، وما النصر إلا من عند الله، ولا حول ولا قوة إلا به، وانقشع الجيش اللهم إلى صعفان، وأخلوا جميع تلك المراتب في أسرع إنٍ والله المستعان.

ومن كرامات^[١] مولانا الإمام - عليه السلام - لما ارتفعت الجيوش على تلك الحال، وخلقاً منهم تلك البقاع والجبال، تشوّق الأعداء لمهاجمة مَنْ مع المدفع الإمامي، ولم يبق سوى أمير الجيش وبعض العرائف، فثبت هنالك، ودافع الأعداء بنفسه ومعه الشيخ عون الدين أحمد مساعد الحسيني^[٢] / والشيخ / ٧٥ / حسين القاسمي والسيد أحمد بن علي الصعدي وآخرون، فحملوا على الأعداء حتى هزموهم إلى أطراف بني مُدَيِّن، وعادوا إلى المدفع فحملوه وآلاته على الجمال، ومروا من طرق لا يسلكها الحفاة إلا على خطرٍ لصعوبتها، وذلك من عون الربّ المتعال، وقد ذكرنا ارتفاع أهل الحيمة مع حاكم العرّ إلى بني جرّين، فإنه استقرّ هنالك، ورُتّب قرى بني جرّين من حصن الهادي الذي بقي فيه إلى حصن شلول، وطلب مَنْ كان في صعفان من مجاهدي أهل الحيمة إليه، فلم يمهلمهم جيش الضالِّ سوى يومين، وتقدّم منه نحو ألف رام من عُبال إلى

[١] في س، سعادة. [٢] الرجا في س.

أن وصلوا وادي حار تحت حصن الهادي، بحيث تصل رصاص بنادق المجاهدين إليهم، فمنعهم الحاكم من الرمي، وتقدم البغاة إلى نحو نصف المسافة التي بين السوق والحصن، ووقفوا عندها ولم يجسروا على التقدم، بل باشروا عمارة متاريس لهم، فانتخب حاكم العرّ ممن عنده خمسة من الضباط لرميهم فقتلوا منهم ثلاثة أشخاص، وجرحوا اثنين، فترجعوا إلى السوق، وبقوا فيه إلى أول الليل وانسلّوا هاربين إلى عبال، وكفى الله المؤمنين القتال، واستقرّ الحاكم بمن معه هنالك، مرتباً لهم إلى المقرية، والباقون من المقادمة والجيش في صَعْفَانَ.

وفي أواخر شهر رجب من هذه السنة توالى الأمداد إلى مَنْ في بُرَج من جيش الضال، ومعهم أهل الجبل وتضعض حال الجند الإمامي هنالك بما ذكرناه من عدم تربيّتهم وزعيمهم أنهم إنما نزلوا للغارة على المحصورين، وقد أجروا ما عليهم من ذلك، فتتابعت على من بقي منهم هنالك الغارات، إلى أن عاد الحصار على رُقَاب، وفيه جميع من ذكرنا من السادة الأعلام، فانتدب مولانا الإمام المولى العلامة سيف الإسلام، أحمد بن قاسم بن عبد الله حميد الدين للعزم إلى هنالك والتفريح عن المحصورين، وأصحبه بجيش كثيف ينوف على ألف وخمسة مئة رام، فيهم من الشجعان الأبطال عددٌ وفيرٌ وجمعٌ غيرٌ يسير، وكلهم من بلاد البستان وبني مطر تحت قيادة الشيخ محمد بن حسن الرمّاح^(١) وغيره من المشايخ، ووفر الإمام - نصره الله - للجيش المذكور ما يحتاج إليه من المهمات الحربية والأقوات، فجرت بينهم وبين البغاة معارك وحروبٌ تُذهل الألباب، وأصلوا الأعداء من نيران عزائمهم ما تركهم بين قتيلٍ ومسلوبٍ

(١) بنو الرّماح: من مشايخ بلاد البيضاء وغيرهم بنو الرّماح من مشايخ ناحية البستان انظر، معجم المقحفى، ١/ ٣٧٠.

وجريح ومنهوبٍ إلى أن تسنموا ذروة الجبل، وفكّوا الحصارَ عن المحصورين، وطرّدوا أعداءَ الله أيّما طردٍ، وشتّوهم في الجبلِ والوهدِ، واستولوا على مجرى / ٧٦ مدفع الإدريسي في حصن بني الخُزاعي^(١)، وكثرت في الأعداءِ القتلى حتى كانَ مِنَّ أصيبَ محمد زيد، صاحبُ القُحري، وكانَ صاحبَ هذه الحروبِ والمتقلدَ لزعامه هذه الخطوبِ في جيش الضلالِ وماتَ على أثرٍ ما أصابهُ من الجراحةِ، وكانَ هلاكُهُ مصاباً عظيماً ورُزءاً أليماً عندَ الضالِّ، وأعوانه. إلا أن هذا الجيشَ على فتكاته الصارمةِ وحملاته المروعةِ الحاسمةِ أحسنَ فيما ابتدأ به وصنَع، ثم ما سلِمَ حتى ودَّع، واعتذر الشيخُ محمدُ الرماح بأنه لا يتمكّنُ من ضبطِ العسكرِ وإجبارهم على البقاءِ، لأنّ مولانا الإمامَ لم يأمرهم بالبقاءِ، وإنما طلبَ منهم التفرّجَ عن المحصورين، وصمّمَ على ذلك المقالِ، ولم يتدبّر العاقبةَ والمآلَ.

ولما رأى المولى سيفُ الإسلام، وهو باقٍ في الجمام، زَمَرَ المجاهدين من بلادِ البُستانِ يتسللون من الجبلِ عائدين إلى أوطانهم بدون^[١] ترخيصٍ ولا استئذانٍ، رَفَعَ بجليةِ الخبرِ إلى حضرةِ مولانا الإمامِ، فأمرَ الإمامُ - عليه السلامُ - حاكمَ العرِّ، وهو حينئذٍ في بني جرّين، بانتقاله هو ومَنْ معه من جنِدِ الحَيمةِ إلى جهةِ بُرع مدداً لمن فيه على جهةِ الفوزِ، فاسرع في الامتثالِ وجمع رجالِ الحَيمةِ الموجودين في صَعْفانَ، وهم نحوُ خميس مئةٍ مقاتلٍ من أهلِ الثباتِ والإقدامِ عندَ التناضلِ، فتوجّهَ بمنّ معه إلى الحَجَّيلةِ، وبقي هنالك خمسةَ أيامٍ في الاهتمامِ بجلبِ ما يحتاجُ إليه المجاهدون من الأقواتِ والمهماتِ، وتوجّهَ قاصداً بُرعَ، وكانت طريقُهُ من جبلِ جِراشِ وبيتِ المنامةِ^(٢)، وقد كان الأعداءُ رتّبوا له ولمنَّ

(١) حصن بني الخُزاعي: عُزلة من ناحية بُرعِ وأعمال المحويت، انظر، طرفة الأصحاب

٢٩٠، اللباب، ١/٤٣٩، عجالة المبتدي: ٥٤.

(٢) بيت المنامة: حصن المنامة أمام جبل بُرع، انظر، معجم الحجري، ١/١٢٧.

[١] في س، دون.

معه الكُمناء، فما توغّلوا في الطريقِ حتى ظهرَ عليهم أولُ كمين، وقذفوا ما في بطونِ بناذِقِهِم إليهم فبادرَهُم المجاهدون بالرمي المتتابع وسبقوهم إلى ترتيبِ جبلِ جِراش، وكسروا منْ بإزائِهِم، فانهزمَ الأعداءُ إلى هَجَب^(١)، ولم يُصَبْ أحدٌ من المجاهدين بجراح، لا سألَ منهم دمٌ، وذلك من عنايةِ الله تعالى بهم، وباتوا في بيتِ المنامةِ وما حوَّلَهُ، وتقدّموا في غدِهِم إلى عَطَّار، وانتظروا وصولَ الحمولةِ من بيتِ القابلي، فغزاهم جمعٌ من الأعداءِ إلى عَطَّار، وكان بينهم وبينَ المجاهدين حربٌ اسفرت عن انهزامِ العدوِّ الغازي^(٢)، وتبعهم المجاهدون إلى ما تحت بيتِ الحداد^(٣)، ثم صعد الحاكِمُ بجندِهِ إلى رُقَاب، وكانَ منه نصحُ المشايخ والعرائفِ بما يلزمُ عليهم من الطاعةِ والامتثالِ وما في تفرُّقِهِم من / جلبِ الوهنِ واغضابِ ذي الجلالِ، وأنَّ اللازمَ استئصالُ شأفةٍ من بقي من جندِ الضالِّ لما هُم عليه من الخبالِ، فكانت منهم المساعدةُ إلى ما رامه ظاهراً، وإجماعُ الرأيِ على اقتسامِ الجندِ الإمامي إلى ثلاثةِ أقسام، يقومُ كلُّ قسم منهم بعنوةٍ، فأهلُ بلادِ البستانِ يقصدون من جهةِ الغربِ النشَةَ وما فوقها، وأهلُ الحيمةِ يتوجهون إلى الجرنِ والحصنِ شرقاً، وخولانُ الشامِ وأهلُ جبلِ عيالِ يزيدِ يحيطون بالأكمةِ لمنعِ الغارةِ، وبعدَ أخذِ المحلاتِ المحيطةِ، يكونُ هجومُ الجميعِ على الأكمةِ، فتقاعَدَ من عداةِ أهلِ الحيمةِ عن عنوتِهِم.

/ ٧٧

وكان من أهلِ الحيمةِ الهجومُ على محلِّ الجرنِ، واجتمعَ الأعداءُ عليهم من كلِّ جانبٍ، واستشهدَ منهم اثنان، وخرجَ جماعةٌ، ولم يبدُ من الآخرين أقلُّ

(١) هَجَب: ما ورد في المعاجم حجب وهجّان، وإد أسفل جبل حراز متصل بالحجيلة من بلاد القُحري وأعمال باجل وفي العُدَيْن حجب انظر خريطة العُدَيْن من كتاب حياة الأمير، ١٠٤ .

(٢) بيت الحدادة: عُرْلة من الجبِّي، انظر، معجم الجري، ١ / ٣٧٨ .

[١] في س، الغاوي.

حراك. ،ظهرَ بذلك أنهم أرادوا كسرَ جناحِ أهلِ الحَيْمَةِ ليوافقوهم على الانسحابِ من ربوعِ الجبلِ، وتلكِ وصمةٌ فادحةٌ فيمن ارتكَبَ إثمَهَا وهفوةٌ من شَيْدَ رَسْمَهَا، وكانَ منهم - بعدَ ذلك - التسابُقُ على الخروجِ من الجبلِ والأعداءُ فيه في تلكَ الحالِ في ضعفٍ وقلةٍ وخبلٍ، وكانَ الخروجُ من الجبلِ ليلةِ النصفِ من شعبانِ هذا العامِ بعدَ تدارُكِ إخراجِ مدفعِ الإمامِ والخزنةِ إلى بيتِ القابلي. وإذا تأمَّلَ المنصفُ ما سردناه من أحوالِ حروبِ هذا الجبلِ، يجدُ فيه حقيقةً واضحةً، دالَّةٌ على ما يتطلَّبُهُ مَنْ فيهم، سرُّ تواليِ الحروبِ وعدمِ انتاجِها للمطلوبِ مع تبيُّنِ أنَّ النصرَ لم يزلْ حليفَ المجاهدين، ولم يهزمْ لهم جيشٌ قط، وللهِ الأمرُ وحده.

وفي هذه السنة، كانَ توجُّهَ سيدي عمادِ الدين يحيى بنِ محمد بنِ عباسِ بجموعتِهِ، التي توفَّرَ عددها، وتتابعَ مددُها - كما سبقَ ذكره - من النَّادِرةِ إلى قَعطَبَةِ، بعدَ أن صدَرَ إليه الأمرُ الشريفُ، فقَصَدَ ما حوالي قَعطَبَةِ من البلادِ إلى الجليلية^(١)، وجرتُ بينهُ وبينَ أهلِ البلادِ المذكورةِ حربٌ، أسفرتُ عن انهزامِ مَنْ تجمَّعَ من البغاةِ، وظفَّرَ المجاهدينِ واستيلائِهِم على الغنائمِ العظيمةِ، ونقلَ الأميرُ عمادُ الدينِ محطَّتهِ إلى الجليليةِ، واستأمنَ إليه من عائدٍ، فقابلَهُم ببذلِ الأمانِ مقابلَةً جميلةً، وأعادَهُم إلى أوطانِهِم ومنعَ الأجنادَ من التعرُّضِ إليهِم، فاستقرَّتْ أحوالُهُم وأسفَرَ صباحُ سكونِهِم وزالَ اختلالُهُم، وأخذَ مِنْ / يلزِمُ رهائنَ الطاعةِ، وكانت هذه الوقعةُ في بلادِ الشاعرِ^(٢)، ولما عرفَ العقلاءُ مِنْ

٧٨ /

(١) الجليلية: من الضالع، تقع على الجانب الشرقي من الكبار، شرق مدينة الضالع، وتكون فوق احدود يمتد من جبل شحذ، انظر، تاريخ القبائل اليمنية، ٨٩ .
(٢) الشاعر: من قبائل الضالع في منطقة رد فان على بعد ٩٦ ميلاً من عدن، انظر، معجم المقحفي، ٣٩٣، تاريخ القبائل اليمنية، ٨٧ .

أهل الضالع، وجبل جُحاف^(١)، تصميمَ الأمير عماد الدين على قصدِ بلادِهِم بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الأَجْنَادِ، والعَاقِلُ مِنْهُم يَعْلَمُ أَنَّ أَحْوَالَهُم أَحْوَالُ فَوْضَى وَفَسَادِ، وَأَنَّ بَقَاءَهُمْ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَا يَرْضَى بِهِ ذُو سَدَادِ، شَرَعُوا فِي مَرَاسِلَةِ الأَمِيرِ، يَبْذُلُونَ الطَّاعَةَ، وَيَسْتَقْدِمُونَهُ لِيَتَمَّ لَهُمُ الْإِنْتِظَامُ فِي سَلْكِ الْجَمَاعَةِ وَالخُرُوجُ مِنْ دَعَاوِي أَهْلِ الإِلْحَادِ، بِأَنَّهُمْ مَمَّنْ دَخَلَ بِمَوْجِبِ مَا جَرَى بَيْنَ الأَتْرَاكِ وَالْإِنْكَلِيزِ مِنْ تَمْيِيزِ الحُدُودِ فِي عِدَادِ المُنْتَمِينَ إِلَيْهِمْ. وَقَدْ كَانَتْ وَصَلَتْ مِنْ كَثِيرٍ مِنْهُمْ كَتَبُ المَوَالَةِ إِلَى مَوْلَانَا الإِمَامِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَفِي أَثْنَاءِ اسْتِقْرَارِ جُنُودِ الأَتْرَاكِ فِي كَحْجٍ وَصَلَ إِلَى مَقَامِ مَوْلَانَا الإِمَامِ وَهُوَ بِالسُّودَةِ المَحْرُوسَةِ الأَمِيرُ نَصْرُ بْنُ شَايْفِ^(٢)، وَانْتَمَى إِلَى الإِمَامِ، وَأَعْطِيَ رَهِينَةَ الطَّاعَةِ، وَلَكِنَّ المَذْكَورَ لَشَقَاوَتِهِ وَاسْتِخْفَافِهِ بِالدِّينِ، رَجَّحَ لَهُ الشَّيْطَانُ الغَوِيُّ نَكْثَ العَهْودِ وَالعُودَ إِلَى الإِنْتِمَاءِ إِلَى ذَوِي الجُحُودِ، وَدَخَلَ عَدْنَ، وَاسْتَمَدَّ مِنْهُمُ الإِغَاثَةَ عَلَى دَفْعِ جُنْدِ الإِمَامِ، فَأَمَدَّهُ بِهَا رَامَ، وَظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ سَيَنْفَعُهُ وَيَمْنَعُ عَنْهُ غَضَبَ مَوْلَاهُ ذِي الإِنْتِقَامِ. فَحَشَدَ جَمُوعَهُ مِنْ أَلْفَافِ القَبَائِلِ لِلقِتَالِ، وَصَالَ وَجَالَ فِرَاسِلَهُ الأَمِيرُ نَاصِحاً بِرِعايَةِ العَهْودِ، وَالتَّوَقُّفِ عَلَى مَا لَهَا مِنَ الحُدُودِ، وَحَذَّرَهُ مِنْ بَطْشِ الرِّبِّ المَعْبُودِ وَذَكَرَ نِعْمَةَ الأُئِمَّةِ السَّابِقِينَ عَلَى آبَائِهِ المَاضِينَ، فَإِنَّ إِمَارَتَهُمْ عَلَى الضَّالِعِ مَسْتَفَادَةٌ مِنْ بَرِّهِمْ وَمَغْتَرَفَةٌ مِنْ بَحْرِهِمْ، مَعَ أَنَّ جَدَّهُ الأَعْلَى كَانَ مَمْلُوكاً لِبَعْضِ الأُئِمَّةِ، أَمَّرَهُ عَلَى هَذِهِ البِلَادِ، أَوْ جَعَلَهُ فِيهَا مَحَافِظاً دَافِعاً لَذَوِي الإِفْسَادِ، فَلَمْ تَنْجَحْ فِيهِ السَّائِلُ، وَلَا رَوَّعَتْهُ تِلْكَ الرِّسَالُ، وَحَكَمَ عَلَى نَفْسِهِ بِأَنَّهُ مِمَّنْ لَا يَنْفَعُ

(١) جبل جُحاف: جبل مشهور من أعمال الضالع جنوبي قَعْبَبَةَ، انظر، معجم

الحجري، ١/١٧٩، معجم المقحفي، ١١٢، تاريخ القبائل اليمنية، ٩٠.

(٢) حول نصر بن شاييف أمير الضالع وحروربه وتعاونته أو مناوآته مع بريطانيا،

انظر تاريخ القبائل اليمنية، ١٢٠، حياة الأمير، ٦٠٣.

فيه غيرُ السيفِ والمدفع، ولا يَزْجُرُهُ إلا تقويْمُ اعوجاجِهِ بالكتائبِ التي يجبُنُ بها
 لمثله المِصرْعُ، فوجَّهَ الأميرُ الأجنَادَ تلوَ الأجنَادِ، وأحْكَمَ تديِرَ العملِ ومناجزةَ
 الطاغِي المرقومِ، فالتقى الجشيان ونصبا ميزانَ الضرابِ والطَّعَانِ، وكانت بينَ
 الفريقين حربٌ، أسفرتُ عنْ هزيمتهِ هو ومَنْ معه، وتقدَّم الجيْشُ الإماميُّ إلى
 الضالعِ فاستولى على مدينةِ الضالعِ^(١) وحواليه، وصانَ الأميرُ بيوتَ من عَرَفَ
 منهم التمسُّكَ بالموالاةِ، وأقبلتْ إلى الأميرِ قبائلُ تلكِ الجهةِ أفواجاً يبذلون
 الطاعةَ، فضبطَ البلادَ وساسَ أحوالَ أهلِها وَفَقَّ المرادِ، وقد كان السيدُ على طه
 شيخُ جبلِ جُحَافٍ قد وصلَ إليه وانتمى إلى الإمامِ ودخلَ الجبلَ / بدخوله في ٧٩ /
 الطاعةِ، وانقادَ أهلوه، وسلموا من هَوْلِ الأراعةِ، وحصلَ بمنَّ اللهُ تعالى ضبطُ
 تلكِ الأطرافِ، وأخذُ الرهائنِ المختارةِ، وأرسل مولانا الإمامُ السيدَ الأجل محمد
 بن محمد بن أحمد الشامي^(٢) عاملاً على بلادِ الضالعِ وبلادِهِ، فباشَرَ الأعمالَ،
 وأعانَ الأميرَ على ما به يكونُ إصلاحُ الأحوالِ، ووجَّهَ الأميرُ همتهِ إلى إكمالِ فتحِ
 الأطرافِ فراسلَ أهلَهَا، ودعاهم إلى الطاعةِ، فأجابوه، وكان المخذولُ نصرُ بن
 شايف نازلاً بالقربِ من جبلِ حريرِ^(٣)، فأزاحه عن ذلكِ الطرفِ، وشرَّدهُ
 تشريدَ النعامِ، ولم يمهلْهُ حتى يستطيعَ مجاولةَ الصدامِ، وأقبلَ أهلُ الجبلِ

(١) مدينة الضالع: مركز منطقة الضالع وعاصمتها انظر، تاريخ القبائل اليمنية، ٩٧،
 اليمن الخضراء، ١/ ١٣٢، صفة جزيرة، ١٢٧ .

(٢) محمد بن محمد بن أحمد الشامي: عامل الضالع، شهد حرب الطائرات البريطانية على
 الضالع وهو عامل عليها وهزم في المعركة ت ١٣٤٧هـ / ١٩٢٩ في مكة حاجاً، انظر،
 رياح التغيير، ٤٢ .

(٣) جبل حرير: إلى الشرق من سهل الضالع، يتصل بجبل العوابل في الشعيب وجنوباً
 بجبل عبيرة في حالمين، في أعلاه من الشرق قرية الفقهاء، تاريخ القبائل اليمنية، ٩٤،
 صفة جزيرة، ١٤٧، الاكليل، ٨/ ١٥٧ .

المذكور بعد فراجه، يريدون ولوج باب السلامة بالطاعة. وفي أوجزِ مدةٍ تمَّ ضبطُ جبلِ حريرٍ وأطرافِهِ، وإصلاحُ المختلِّ من أحوالِهِ وإزاحةُ انحرافِهِ.^(١) ثم راسلَ الأميرُ أهلَ بلادِ المفلحي^(١)، فاستقاموا وبالحقِّ هاموا، ولم يبق^(٢) في تلكِ الجهةِ ما يريبُ، بعدَ ضبطِ الأشرارِ وسوقِهِم إلى الحبوسِ، وقطعِ دابرِ قطاعِ الطريقِ. وجعلَ حظُّهم الحظَّ المنحوسِ، وأقرَّ المخالفُ والموالفُ بأنَّ أعمالَ الأميرِ المومى إليه، مقرونةٌ بالسِّدادِ والرِّشادِ، ومقيمةٌ لواضحِ البرهانِ على ما له من الكياسةِ وحسنِ السياسةِ في محوِ الأنكادِ، ودفعِ الفسادِ، وحزمِ أطرافِ البلادِ، وتأمينِ السبلِ في الأغوارِ والأنجادِ.

ثم أمرَ مولانا الإمامُ، أميرَه المومى إليه بمراسلةِ أهلِ الشُعيب^(٢)، وادخالِهِم إلى حظيرةِ الطاعةِ المنزهةِ عن العيبِ، فافترقوا إلى فرقتينِ، فرقةٌ قابلتِ الرسالةَ بالإجابةِ وحسنِ الإنابةِ، وفرقةٌ أجابتْ داعيَ الشيطانِ، ومالتْ إلى جانبِ العصيانِ.

وكان الشُعيبُ في زمنِهِ الأخيرِ يتحكَّمُ عليه سلاطينُ يافع^(٣) ومشايخُهُم، ويعدُّونه مرعىً لأذوادِ طمعِهِم الميرِ، فهم يَجْبُونُ منه الأموالَ، ويتحكمون في أهليهِ بما لا يرضاهُ الربُّ المتعالُ، فاستنفر المائلون عن الطاعةِ من أهلِ الشُعيبِ

(١) المفلحي: من قبائل اليمن الأسفل، من يافع ومركزها مدينة خَلَّة، انظر، تاريخ القبائل اليمنية، ١٨٣، ٢١١-٢١٥.

(٢) الشُعيب: جنوب غرب الضالع، تقع بين المفلحي شرقاً والضالع غرباً، وحالمين والضالع من الجنوب، عاصمتها العوابل، انظر، اليمن الكبرى، ١٧٤، حياة الأمير، ٦٢٢، تاريخ القبائل اليمنية، ٢١٧.

(٣) يافع: قبيلة وبلاد تتصل شمالاً ببلاد رداع وغرباً بوادي ينا النافذ إلى أبين، وهي قسبان، انظر، معجم الحجري، ٧٠٥، تاريخ القبائل اليمنية، ١٦٩.

سلاطين يافع وقبائلها، وصادف ذلك ما قد داخلهم من تخوف هجوم الجند الإمامي إلى ديارهم، فأقبلوا وهم كالسيل المتدافع يؤمون حصن شُكْع^(١)، فدخلوه ورّتبوه، وتتابعت كتائبهم إلى هنالك، فكانوا جمعاً كثيراً كالعدد، وفير المدد، ولما بلغ أمرهم وما أجمعوا عليه إلى الأمير عماد الدين، وجّه إليهم اهتمامه، وشهر عليهم من عزمه حُسامه، وعلم أنّ استقرار تلك الجهات على الطاعة / ٨٠ / لا يكون بدون ضربة حاسمة لشرّ جموع أولئك البغاة، فراسلهم لعلمهم يرجعون عن غيهم نعموا وصموا وستكبروا وعلى العدو أن يصروا، فساق إليهم جنود الحقّ يحضهم اليمن والسعود ويصاحبهم عون الربّ المعبود، ولما تلاقى الجيشان، جرى الحرب بين الفريقين، ودام يومين، في نهايته منح الله الجند الإمامي نصره، ودفع عنهم شرّ العدو ومكره، ولم يُغن عنهم تحصنهم بشُكْع المنيع، ولا نفعهم اقدمهم المريع، ولم يقووا على ردّ هجمات المجاهدين، فأخرجوهم من الحصن قسراً، وملأوا منهم الوهاد الروابي قتلى، واستاقوا منهم العدد الوفير أسرى واستولوا على الحصن وهزموهم بإذن الله تعالى، فكان يوماً عظيماً ثبتت الله قواعد الطاعة في تلك الجهات، وكسر به شوكة الباطل، وأوردتها حياض الشتات وترددت صدق وقوته في آذان البغاة وأهل الإلحاد. واحتوى المجاهدون على الغنائم الواسعة، وشكروا الله على ما منحهم من النصر بعنايته الرافعة، وكان المظنون أنّ يافع بذلك سيعتبرونه، وعن غيهم سيرجعون، فمكثوا بعد الهزيمة حيناً، وعادوا إلى تجمعهم وقد تعاهدوا على عدم الفرار، وأرادوا مغالبة الجبار، واستنفروا قبائل يافع النائبة، وأقبلوا بجموعهم إلى حصون

(١) شُكْع: بلد وحصن من بلاد المفلحي بياض، تبعد عن الضالع بنحو ٢٣ كم، انظر معجم المقحفى، ٣٦٠.

القزعة^(١)، وهي جبالٌ منيعةٌ بأطرافِ الشُعَيْبِ، وملؤها بالرجالِ والأبطالِ، وبذلوا كلَّ ما في وسعِهِم من الاحتِيالِ، فأقبلَ إليهِم الجُنْدُ الإماميُّ من كلِّ صَوْبٍ، ونازلهم في تلكِ الحصونِ، وكان الأميرُ قد قدَّم الجيشَ أمامه، وبقي في الضالعِ، ولما بلغه اشتدادُ أزمةِ الحربِ أقبلَ ممدًّا لمن سبقَ بجيشِ وافرٍ، ومعه أحدُ المدافعِ، فدامت الحربُ بينَ الفريقينِ ثمانيةَ أيَّامٍ، وكان ذلك في شهرِ ربيعِ الثاني من هذه السنة. ولم تتخلَّلْها فاصلةٌ، وأظهرَ الجُنْدُ الإماميُّ من ضروبِ الشجاعةِ والإقدامِ ما لم يُعْهَدْ مثله في سائرِ الأيامِ، وهاجمَ الأعداءَ مهاجمةً أذهلتهم عن الصوابِ، وأعدمتهم الألبابَ، وصبروا صبرَ الكرامِ، فجزاهم اللهُ خيراً عن الإسلامِ.

وبعد الثمانيةَ الأيامِ^[١]، هبَّت ريحُ النصرِ للمجاهدين، وتمَّ لهم الظفرُ بأعداءِ الدين، فانهزموا لا يَلُوونَ على شيءٍ، وتفرقوا في كلِّ وإدِّ بعدَ أن قتل / من أعيانهم وسلطينهم وأفرادهم عدداً ينوفُ على السبعين، وأسَرَ قريبٌ من هذا العددِ، وطلبوا الأمانَ على نفوسِهِم من القتلِ واستسلموا. وفيهم أكثرُ كبرائِهِم ومشايخِهِم، فسيقوا في السلاسلِ والأغلالِ، ونزل بهذه الحروبِ على يافعِ أليمِ النكالِ، وأطفأ اللهُ نارَ فسادِهِم، وفلَّ حدَّ عنادِهِم، ولم يبقَ له بعدَ ذلك تجمُّعٌ مرهوبٌ ولا غزوٌ مرقوبٌ بل كانت قُصارى آمالِهِم وأعمالِهِم الانكماشَ في داخلِ بلادِهِم، والرهبَةَ من لحوقِ جُنْدِ الإمامِ، واتباعِهِ لهم، إلى أماكنِ رُقادِهِم، وواجهت عقيبَ ذلك قبائلُ الشُعَيْبِ جميعاً. ودخلت في الطاعةِ، وأمنَ الأميرُ جميعَهُم، وأخذَ منهم الرهائنَ وضبطَ الأشرارَ وأزالَ عن الضعفاءِ ما كانوا يلاقونه من الأضرارِ، وصلحت البلادُ، وطُهرت من أدرانِ الفسادِ. وعادَ الأميرُ إلى مدينةِ الضالعِ، بعدَ أن أبقى طائفةً من الجُنْدِ في الشُعَيْبِ لحمايته، وترتيبَ ما يحتاجُ إلى الرُتبةِ من أطرافِهِ.

(١) نسبة إلى سهم القزاعي من قبائل الشُعَيْبِ، انظر، تاريخ القبائل اليمنية، ٢١٧ (القبائل تقسم إلى أسهم).

[١] في س، أيام.

وعلى الإجمال، فإنه تمّ بعونِ الله استفتاح هذه الجهات كاملةً في مدّةٍ وجيزةٍ. وتجلّى في هذه الحروبٍ من كراماتٍ^[١] مولانا الإمام، وقوةِ سعودهِ الخارقةِ ما كان يقوِّي عزائمَ الأنصارِ، ويزيدُ في تيقُّنِهِم بإدراكِ المأمولِ من الانتصارِ، ويغريهم على اقتحامِ هَبِّ الأخطارِ. وكان الجندُ الإماميُّ مؤلفاً من رجالِ نهمِ وخولانِ وجبلِ عيالِ يزيدِ وبنِي عَبْدِ^(١) وغيرهم. ولم يقصِّرْ أحدٌ منهم في أداءِ واجِبِهِ، وظهرت فيه الشجاعةُ بأتمِّ مظاهرها لأناسٍ معدودين من الأنصارِ بذلوا نفوسَهُم في سبيلِ اللهِ وجدُّوا واجتهدوا، ومنهم من رَزَقَهُ اللهُ الشهادةَ، ونالَ رتبةَ السعادةِ.

ولما اشتَهَرَتْ هذه الوقعةُ، ونكَّسَ اللهُ رايةَ الضلالِ في تلك البقعةِ، أقبلت الوفودُ إلى الأميرِ عمادِ الدينِ من الأَجْعُودِ^(٢)، وأطاعوا وطرَدوا نصرَ بنَ شايِف من بلادِهِم، وانتموا إلى الإمامِ، ورأسلَ الأميرُ سِوَاهُم يبذلونَ من أنفُسِهِم الانقيادَ، مثلَ شيخِ بلادِ العلويِّ^(٣)، ومثلَ صاحبِ جبلِ رَدْفانِ^(٤)، وهذان بعدَ

(١) بنو عَبْدِ: من قبائل بكييل بجوار عيال يزيد وأعمال عَمْران، انظر، نشر العرف، ٣١٩/١، معجم المقحفي ٤٢٤، البدر الطالع، ١/١٣٣.

(٢) الأَجْعُود: قبائل رَدْفان تعرف بالأَجْعُود ومفردها جَعْدِي، ومنطقتها على مقربةٍ من الضالعِ وَقَعَطْبَةَ من آلِ قُطَيْبِ، بها جبل ردفان، انظر، الاكليل، ٦٥/٢، تاريخ القبائل اليمنية، ١٣٧ (تضم قبائل، القُطَيْبِي والعَبْدَلِي والبُكْرِي والمَحْلَأِي والداعري والمزاحمي والذبياني وأهل الشيخ).

(٣) العلوي: قبائل وبلاد يحدها جنوباً وغرباً منطقة الحَوْشَبِي وشرقاً جبال الضنبري ومركزها القشعة الواقعة في سيلة حردبة، انظر، تاريخ القبائل اليمنية ٢٢٣٠، معجم المقحفي، ٤٦٠.

(٤) رَدْفان: (وبفتح) جبل جنوبي قَعَطْبَةَ، انظر، معجم المقحفي، ٢٦٦، تاريخ القبائل اليمنية، ١٣٧.

[١] في س، سعادة.

وصولهما إلى الأمير، توجهها إلى حضرة الإمام - عليه السلام - بقصد الزيارة، وتلقاهما الإمام أحسن تلقٍ وعادا مكرمين / إلى بلادهما، واستقرَّ الأميرُ في الضالِّع مقصودَ الجنابِ من جميع الأطرافِ، مُحِيَّاً لما اندرسَ من معالمِ الشريعةِ، ومَاحِياً لكلِّ بدعةٍ شنيعةٍ.

ووجه مولانا الإمامُ عمالةَ الشَّعْبِ إلى السَّيِّدِ الأجلِّ محمدِ بنِ عليِّ بنِ أحمدَ بنِ إسحاقٍ^(١) فقصدَ محلَّ عمله، وقامَ به خيرَ قيامٍ.

وفي أثناء ذلك، كان استيلاءُ جنودِ الإمامِ المنصورِ على حصنِ حالمين^(٢) وما حوله من القرى، وضبطُ أمورِ تلكِ الجهةِ، وأخذُ رهائنِ الطاعةِ.

ولقد حكى غيرُ واحدٍ، أنَّ مقدارَ الجيشِ الذي اجتمعَ من يافع في حروبِ القرعةِ ينوفُ على خمسةِ آلافِ مُقاتلٍ، ولم يكن الجيشُ الإماميُّ على كثيرتهِ مثلَ نصفِ جيشِ الأعداءِ، ولكنَّ عونَ اللهِ تعالى رفيقُ حزبِ الحقِّ. والأعجبُ من هذا كَلَّةُ قلةِ عددِ شهداءِ المجاهدينِ في جميعِ هذه الحروبِ، مع أنَّ الغالبَ عليهم في مواطنها ظهورُهم للعدوِّ وتحصُّنُ العدوِّ واستتاره في معاقله وإقدامِ المجاهدينِ في تسلُّقهم إلى الجبالِ، لسولا وقايةِ الربِّ المتعالِ. وكلُّ ذلك من مظانِّ كثرةِ الشهداءِ، وقلةِ قتلى الأعداءِ، فانعكاسُ القضيةِ ليسَ إلا كرامةً من كرامةِ مولانا الإمامِ - نصره اللهُ تعالى -.

(١) محمد بن علي بن أحمد بن إسحاق. تولى القضاء في بلاد الرُّوسِ وبني بَهْلُولِ سنة ١٣٣٤ هـ، ثم عين في بلاد الشَّعْبِ من نواحي قَعَطْبَةَ ثم تعين في مأرب وبعدها عُين في رَيْدَةَ البَوْنِ وفيها توفي في صفر ١٣٧٩ هـ، ومولده بالجرف في شعبان ١٣٠٥ هـ، انظر، نزهة النظر، ٥٦٣، هجر العلم، ٣٥٨.

(٢) حالمين: من أراضي الضالِّع، انظر، حياة الأمير ٦١٦ بلد وقبائل.

وفيها كان تجمُّع ألفافٍ من الأشرارِ حولَ نصرِ بنِ شايِف^(١) المخذولِ في أطرافِ بلادِ الضالِّع، بعدَ عودِ الأميرِ عمادِ الدينِ إلى النَّادرة، وإعانةِ محمدِ صالحِ القُطَيْبي، صاحبِ بني قُطَيْب^(٢). وكانَ ذلكَ بعدَ مراجعةٍ بينَ المذكورينَ وبينَ الأفرنجِ الذينَ بعدن^[١]، وامتدادهم لهم بالمالِ والسلاح، وتحريضِ غيرهم من المجاورينَ لهم على إعانتهم، فكثَرَ جمعُهم، وحصلَ الإرجافُ بهم من ذوي النفوسِ المريضة. وكانَ المظنونُ أنهم سيجعلونَ قصدَهُم وموضعَ نزاهم جبلَ حرير، فوجَّهَ عاملُ الضالِّع اهتِمامَه إلى الجبلِ المذكورِ، وقوى من فيه من الرُّتبِ، فانكشفَ خلافُ ذلك؛ لأنَّهم ساقوا جموعَهُم إلى الضالِّع والجليلة، وقصدوا الاستيلاءَ عليهما، فأما الذينَ توجهوا إلى الضالِّع، فدخلوا المدينةَ على حينِ غفلةٍ، واستولوا على بعضِ دورها، واستيقظَ المجاهدونَ لهم، فدافعواهم مدافعةَ الأبطالِ وأوقفوهم في الجهةِ التي دخلوا منها، ووقفَ عاملُ الضالِّع، ومنَّ معه في الجهةِ الأخرى، واشتعلت نازُ الحربِ بينَ الفريقينَ، ولم يظفروا بمرادهم من غدرِ المجاهدينَ. وأما الذينَ توجهوا إلى الجليلة، فكادوا أن يستولوا عليها، وقد ملأوا القُرى التي بينها وبينَ الضالِّع بجموعهم، وناهضهم الجندُ الإماميُّ مناهضةً، أبطلت سحرَ مكرهم، وقلَّلت مصابَ غدرهم، فأمدَّهم الأميرُ عمادُ الدينَ بكتائبِ جندِ الحقِّ المنصورِ، وجرت بينَ الفريقينَ حروبٌ عظيمةٌ حولَ

٨٣ /

(١) نصر بن شايِف بن سيف: أمير الضالِّع؛ ابن أخ علي مقبل الذي توفي سنة ٤١٣٠هـ / ١٨٨٦م وخلفه شايِف بن نصر الذي فرض العشور وخاصة على منطقة وادي خردبة ثم خلفه سنة ١٣٣٢هـ / ١٩١٣م نصر بن شايِف بن سيف انظر تاريخ القبائل اليمنية، ١٣٩.

(٢) بنو قُطَيْب. من قبائل رَدْفان (الأجعود)، جنوبي قَعَطْبَة ومن فروعها، أهل الأخرم، وأهل وَحْدَة، العَبْسري وأصحفي والمسعودي والغزالي والعيساني، انظر تاريخ القبائل اليمنية، ١٥٢.

[١] في س، في عدن.

الجليلة وما وراءها إلى الضالع، ومنح الله المؤمنين النصر العظيم. فانهم أعوان الكفار، وولوا الأدبار، وقد تركوا قتلاهم في تلك القفار تاكل لحومهم الكلاب، وتتردد عليها الذئاب. وكان عددهم كثيراً، ولم يستقرؤا إلا في المحلات التي خارج الحدود. وفر نصر بن شايغ إلى محل غير معلوم، وغنم المجاهدون أثقالهم، وقبل هذا بيسير ظهر من بني أحمد^(١)، والأزارق^(٢) تهاون بالطاعة، وتبين أن من أسباب ذلك قدوم أمير الحواشب إليهم ومراسلته لهم بأنهم من جملة بلاد الحواشب^(٣) ومن الراجعين إليها، مع أنهم من مخلاف جبل جحاف وإليه ينتمون، وفي عداد سكّانه يعدون، فراسل مشايخهم عامل الضالع، واستقدمهم إليه، فوصلوا وحدّتهم فانقادوا، وتبرؤوا من الحوشبي، وأفاقوا من نومتهم ورهنوا. وبطلت مكيدة أمير الحواشب.

ووجه عامل الضالع همته إلى ترتيب ما يلزم من الجبل، وأهم ذلك حصن المعفاري^(٤) الحصين، وكان ذلك الحصن مطمح أمال المعتدين، وانقضت هذه

(١) بنو أحمد: من قبائل الضالع، الأميري، يسكنون مدينة الضالع وبلاد الشراف وزبيد وفي نواحي الخوارج في الطفواء ووادي حردبة وحرفة وفي وادي الضيب، انظر، تاريخ القبائل اليمنية، ١٠٦ .

(٢) الأزارق: عزلة من ناحية السياني وأعمال ذي سفال، انظر، معالم الآثار، ١٠٩، معجم المقحفي، ٢٦ .

(٣) الحواشب: قبيلة وبلاد تجاور قبائل الفضلي وقبائل الصبيحي وريذان والضالع، وبها النواحي التالية، الراحة والحرور والدريجة والمسيمير وجول مدرم والملاح، مركزها المسيمير انظر، ملوك العرب، ١/٤٥٢، تاريخ القبائل اليمنية، ٦٥ .

(٤) آل المعفاري: أصلاً من قبائل حاشد وبكيل، يعيشون في عزلة بني هديان بين جبل المعفاري وجبل جحاف، من أفخاذهم، بنو هديان وبنو جلال وبنو شمس الدين انظر، تاريخ القبائل اليمنية، ١٠٩-١١٠، معجم المقحفي، ٦١١ .

الحادثةُ بسلامٍ وخبابٍ فيها كيدُ أعداءِ الله اللئام.

وفي أثناء شهر شعبان من هذه السنة، وصل إلى حضرة مولانا الإمام الشريف ناصر بن شكر^(١)، من أشرف مكة المكرمة، قادماً بكتب من الشريف الحسين بن علي بن محمد بن عون إلى مولانا الإمام - أيده الله - فحلّ ضيفاً لذن مولانا الإمام، وقابله بما هو فوق مأمولِه من البرِّ والإكرام، ومكث هنالك إلى أن انقضى شهرُ الصيام، وكانت بينه وبين الإمام مراجعات، وتحرّرت معه الجوابات، وتلخّصت مطالبُ الشريف الحسين في خطبة وُدِّ الإمام، والاتفاق، وجوابات مولانا الإمام حاويةٌ للرغبة في ذلك الطلب، وأن سلامة البلاد والعباد من العطب متفقتة على إبرام مثل ذلك، وسلوك هذه المسالك، ثم قفل المذكور راجعاً إلى الحجاز، وقد ظفرَ بمأمولِه من رحلته على جهة الإيجاز.

وفي شهر رجب من هذا العام، تحرك الشيخ عوض بن علي زربه، شيخ مشايخ الرُّكْب^(٢) من قضاء زبيد، وذو النفوذ القوي في وصاب السافل، والمذكور ممن بادر إلى الطاعة عند دخول جندي الإمام إلى القضاء المذكور، ولوحظ فيه شخصُ الناصح الصادق، ولكنها كذبت فيه المخيلة، وانقلب على عقبيه، وظهر بمظهر الغاش المنافق، فاعتدى على الطريق المسبّلة، ونهب أموال التجار، وأعلن الخلاف، وسوّل له الشيطان أن يكون من ذوي الاعتساف، وحمل أصحابه أهل الرُّكْب غارب العدوان، وظنَّ أنه لن يُقدَّر عليه، وأنَّ غيره من أهل قضاء زبيد / سيتابعونه على هواه، فيشتعل بذلك قضاء زبيد ناراً، ويتعدّ / ٨٤

(١) ناصر بن شكر: أحد أعضاء مجلس الشيوخ الذي شكله الشريف حسين في ٧ ذي

الحجة سنة ١٣٣٤ هـ، أكتوبر ١٩١٦ انظر، أسرار الثورة العربية لأمين سعيد، ١٢٨ .

(٢) الرُّكْب: جبال تطل على زبيد من الشرق، تسكنها قبيلة الرُّكْب، انظر، اليمن الكبرى،

١٦٩، المدارس الإسلامية، ٩٣، العقود اللؤلؤية، ١/ ٩٣ .

الإصلاح والتأديب له ولأمثاله تراخياً وبداراً، وراسله عاملُ زَبيد ونصّحه، ووكلَ باستصلاحه حاكمَ قضاءِ زَبيد، لما كانَ ما بينهما من الصّحبة والمودة، فخرج إليه الحاكمُ وعدلّه. وبالغ في استنزاليه عن هواه، وعادَ خائباً، فرفعَ عاملُ زَبيدَ حقيقةَ الواقعِ إلى حضرةِ مولانا الإمام - عليه السلام - حاثاً على إرسالِ المددِ. قبلَ أن يتسّعَ الخرقُ على الراقع، فأرسلَ مولانا الإمامُ الأجنادَ المتتابعةَ إلى وُصّابِ العالي. وقد كانَ الخلافُ انتشرَ إلى أكثرِ وُصّابِ السافل، وأمرَ مولانا الإمامُ السيّدَ العلامةَ، عبدَ اللهِ بنَ أحمدَ الوزيرَ أن يُرسلَ جنداً من البلادِ التي بنظره، فامتثلَ الأمرِ وساقَ جنداً من البلادِ العُثمِيّةِ وعَنَسَ إلى وُصّابِ السافل. وصدرَ الأمرُ الشريفُ إلى الأميرِ السيّدِ جمالِ الدينِ عليّ بنِ عبدِ اللهِ الوزيرِ بتجهيزِ الأجنادِ من تعزٍ إلى زَبيدانَ ليكونَ اجتماعُهم معَ مَنْ في زَبيد من الجنديّ الإمامي، وليأتوا جميعاً بلادَ الرُّكْبِ من الجهةِ المذكورة. فاستنفرَ الأميرُ جمالُ الدينِ القبائلَ، وجمعَ الأجنادَ الوافرةَ ممن لديه من العسكرِ الإمامية، ومن أهلِ البلادِ، وجَهّزهم إلى زَبيد تحتَ قيادةِ الشيخِ حمود عبد الرب عاملِ العُدَيْنِ والشيخِ حميد بنِ علي باشا^(١) من مشايخِ العُدَيْنِ، والسيّدِ عباس بنِ محمد بن المنصور^(٢) والسيّدِ محمد بن مفضل الوزير ولما اجتمعت الأجنادُ واستكملَ امرأؤه جمعَ ما يلزم للجنديّ من الزادِ والزنادِ، تقدّمَ الجيشُ الإماميُّ من زَبيد إلى أن وصلَ قربَ الرُّكْبِ. وكذلك كانَ تقدّمُ الجيشِ الإمامي من وُصّابِ العالي نحوَ وُصّابِ الأسفلِ تحتَ قيادةِ حاكمِ وُصّابِ السيّدِ هاشم بنِ يحيى المرتضى،

(١) حميد بن علي باشا ٣ رجب ١٣٤٦ هـ حاول الانفصال في زَبيد وإقامة دولة، وعين نفسه وزيراً للخارجية، من أقطاب مشايخ اليمن الأسفل، عينه الإمام علي ماوية، انظر، حياة الأمير، ٥٥٠.

(٢) عباس بن محمد المنصور، حوله انظر، حياة الأمير، ٥٥٦، ١١٩.

وعامل وُصَّاب السافل، الفقيه سعيدي بن أبي بكر معوضة^(١)، وجرت حروب بين الفريقين في الجهتين، فيها كلها كانت الدائرة على البغاة، ولاقوا من جند الإمام بطشاً أحرم كلاً منهم مناه، ونفى عنه لذيذ كراه، وهجمت عليهم المصائب هجوم الليث المواب، وقُتِل من الباغين في إحدى المعارك نحو الخمسين، وانتهى حال عوض علي زربه إلى فراره بعد أن هلك حزبه، وجرعهم الكربة بعد الكربة، واستولى المجاهدون على حصن عوض علي، وما فيه، وأخربوا بيوته وأحرقوا قرى عديدة، وكذلك كان حال الجيش المتقدم من وُصَّاب، فإنه بطش بالمخالفين، وأذاقهم مرارة الحرب العوان والعذاب المهين إلى أن التقى الجيشان في الرُكْب، وقد ذُلَّ كلُّ صعب، وكانت الغنائم عظيمة والمنة بهذا النصر جسيمة، وبعد ذلك نودي بالأمان/ لمن عاد من الفارين إلى الأوطان. / ٨٥

فأقبل أهل تلك الجهة إلى الطاعة سراعاً، ورَّتب عامل زبيد حصن الرُكْب بثلة من جند الحق، وعيَّن مولانا الإمام أميراً على الرُكْب سيدي زبيد بن علي بن الإمام المتوكل، وارتفعت الأجنادُ بأمر الإمام من هنالك، وعاد كل فريق إلى بلاده، وقد أحرزوا الذِّكرَ الحسن، وفازوا بما قدّموه من السعي المستحسن.

وفي أثناء ذلك، تزلزل الأمن، واضطرب في جبل راس، وكان عامل جبل راس الشيخ الجنيد بن عبد الله النور، قد رتب بعض جهات الجبل، ومقابلة الشيخ مقبل عبد العليم. وقد جرى قبل الاختلال اغتيال بعض المجاهدين وقتلهم، فوجه عامل زبيد القاضي فتح الله بن عبد الوهاب المحبشي، ومعه طائفة من الجند الإمامي، فلبث الحرب بينهم وبين أهل الفساد ثمانية أيام،

(١) سعيدي بن أبي بكر بن محمد بن الحسن بن علي بن سعيدي معوضة اليمني العُتْمِي الشافعي ت في صنعاء ١٣٣٧ هـ، كان صالحاً أديباً، وقد تولى أعمال ناحية عُتْمَة وغيرها، انظر، نزهة النظر، ٤٥ .

وأصيب من المفسدين جماعة كانوا أهلاً لكل إراعة، وقُتِلَ عددٌ من المجاهدين، ثم مال المخالفون إلى الطاعة، وندموا على ما فعلوا. وتداركوا لأنفسهم رمق السلامة بذلك الانقياد، وفارقوا الرّقاعة، ورهن الشيخ مقبل المذكور ولده، وزال الضرر واندفع الشر، ولم يبق في قضاء زبيد ما يريب، وصلحت الأحوال بعون ذي الجلال الرقيب.

ولما توجه أكثر الجند من تعز إلى زبيد، بقي الأمير في قلعة من العسكر، ولم يكن حينئذ إحساس لأقل شر، فاغتنم ذوو النفاق فرصة تلك الحال، وأوحوا إلى شياطينهم ما أوحوا من شر الأقوال، فلم يشعر الأمير، وهو بتعز مقيم، إلا بما كان من أهل صنمات^(١) من البغي والعدوان ومتابعة الشيطان^[١]، وإقدامهم إلى اغتيال العسكر، الذين وصلوا إليهم مرسلين من السيد حسين جبالة^(٢)، وإليه في تلك المدة جمع واجبات الجبل أعني جبل صبر، وكانوا نحو الأربعين نفرًا، فإنها سوّلت لهم أنفسهم الشيطانية الإقدام على العسكر المذكورين واغتيالهم أقبح اغتيال، والتمثيل بهم بعد التالي منهم على ذلك، وكانت فتكة شنيعة اضطرب بها جبل الأمن في جبل صبر جميعه لا في صنمات فقط، وتحير الأمير جمال الدين لقلعة من لديه من الجند، وخطر الحال وما رآه من الجدد، وقد أظهر أولو النفاق ما في ضمايرهم من الإفساد، وأكثروا الإرجاف والإبراق والإرعاد، فلم تكن لديه من وسائل الدفاع غير الفرع إلى الله تعالى، والابتغال إليه في حفظ بيضة الإيمان بكمال الانقطاع، فأرشده الله إلى توجيه من لديه من الجند، وهم

(١) صنمات: في جبل صبر، تقع بين أدود وحذنان ومشرعة، انظر، معجم المقحفي، ٣٧٨، حياة الأمير، ١١٩.

(٢) حسين محمد جبالة، عامل صبر، بعد موقعة صنمات عين عاملاً لشرب، وتولى عدة عمالات باوية بعد سنة ١٣٦٠ هـ، انظر، حياة الأمير، ٥٤٧.

[١] سقطت من س.

عصابةٌ غيرُ كافيةٍ، وساقَ معهم أحدَ المدافعِ السريعةِ فارتقوا سنماً الجبلِ إلى أن وصلوا / المحطةَ التي كان فيها السيدُ حسينُ جباله، وبوصولِ تلك العصابةِ / ٨٦ إلى المحطةِ توقَّفَ الاختلالُ وانحصَرَ على صنمات. وأمرَ الأميرُ جمالُ الدين، عاملُ إب، بإرسالِ الرجالِ من هنالك. فلم يمضِ غيرُ أيامٍ قلائلٍ إلا وقد وصلتُ إلى تعزِ الجنودُ من إب وسواها، وكلَّما وصلتُ طائفةٌ أرسلها الأميرُ مدداً للسابقين، فاجتمعت العساكرُ في الجبلِ، ووجَّهَ الأميرُ همتهُ إلى امدادِهِم بما يحتاجون إليه من الذخائرِ والأزوادِ، وأناطَ كلَّ طائفةٍ بأمرٍ وأحكم في ذلك التدبيرَ، ثم أمرَ الجيشَ بالتقدُّمِ من جهاتٍ متعددةٍ على صنماتِ والباغونِ قد تحصَّنوا في محلاتِهِم، وهي في غايةِ الحصانةِ والمناعةِ وأبنيئها تناطحُ النجومَ رفعةً، وتماثلُ الجبالَ تشييداً وإحكاماً، وقد استعدَّ المخالفون، وجمعوا كلَّ ما يحتاجون إليه من الأقواتِ، وحدثوا أنفسهم بأنهم سيُدافعون الجندَ الإماميَّ سنةً، إذا لم يقدرُوا على صدِّهم وطردهم عنهم، ولتانةِ البناءِ في بيوتهم كانوا يروُنَ أنَّ المدافعَ لا تؤثرُ فيها، فأقبلَ إليهم الجندُ الإماميُّ كالسيلِ المتدافعِ، وفتحَ الحربَ عليهم، وضربتُ دورهم بالمدافعِ، فهدمتُ منها المشيدَ وأسْمَعْتُهُم من أصواتِها صوتِ الصواعقِ المبيدِ. وبادرتهم الجنودُ كالعقبانِ الكواسرِ بالهجومِ، لا يُبالون بما يمطرونه عليهم من رصاصِ بنادقِهِم ولا بما يرسلونه من الأحجارِ إلى أن قبضوا بعضَ الدورِ، وأجلوا مَنْ فيها، وانحصَرَ الباقون في باقيها، فعلموا حينئذٍ أنهم لا طاقةَ لهم بالصبرِ على هذه الحربِ الضروسِ، ولا بملاقاةِ هجماتِ المجاهدينِ، وقد أنزلوا بهم كلَّ بؤسٍ، وقتلوا منهم عدَّةً، وأخذوا منهم بشارٍ مَنْ قتلوهم غيلةً في أوجزِ مدةٍ، فدافعوا عن أنفسهم إلى أن أسبَلَ الليلُ أستارَ ظلامِهِ، وانسلُّوا من طرقٍ لا يعرفُها سواهم، وقد ذاقوا مرارةَ الندامةِ ولاذوا بالفرارِ وتركوا المألَّ

والدَّارَ، وتفرَّقوا شَدَرَ مَدْر، وهكذا عاقبةٌ من بغى وفجر، وفعل ما لا يفعلُه من جحدٍ وكفر، واحتوى المجاهدون على أموالهم وأرضهم وقراهم، واستأذنوا الأميرَ في قلعِ قاتهم وهو شيءٌ كثيرٌ، فاستأذن الأميرُ من مولانا الإمام، ووردَ الإذنُ بذلك مبالغةً في النكايةِ وزجراً لغيرهم عن مثل ما ارتكبه من العماية، / فقلعوه من أصوله، ثم أمرَ مولانا الإمامُ بهدمِ دورهم التي كان بها جرائهم على العصيان، وفعل ما يغضبُ الرحمن، وشدَّد الإمامُ في ذلك، فمكثت أيدي الخرابِ تعملُ في تلك المباني مدةً غيرَ قصيرةٍ إلى أن ألحقت بالعدم، وطويث من صحيفةِ الوجودِ الأتم. وبعدَ فرارهم، ظنوا أنهم سيتمكّنون من إنزالِ الضررِ على المجاهدين بالطروقِ ليلاً، والترددِ في تلك الأطرافِ، فضببطت الأطرافُ، ولفظتهم الأطرافُ^[١] جميعها، فلم يتوصلوا إلى شيءٍ^[٢] مما أمَّلوا^[٣]، وتيقظوا أن لانجاةَ لهم بدونِ الاستسلامِ للحقِّ؛ فراسلوا يطلبون الأمان، وقد عز لديهم السلوان، واقتضى رأيُ الإمام - عليه السلام - اسعافهم وتأمينهم، فرجعوا إلى ديارهم، وقد صارت بلاقع، وعرفوا أنهم صاحوا على أنفسهم صيحةَ الدمارِ الفاجع، ونبذوا النعمةَ بطراً، و جلبوا الشرَّ إليهم أشراً^[٤].

وأذن مولانا الإمامُ لهم بعمارةِ مساكنَ لهم تليقُ بهم، وانقضت فتنهم التي أحرقتهم، وصلحت الأحوال، وعادتِ الأمورُ إلى مجاريها بفضلِ الربِّ المتعال.

وفيها صدرَ الأمرُ من مولانا الإمامِ إلى الأميرِ جمالِ الدين بتشكيل آلي من النظامِ في تعز، يكونُ جمعهم من سكانِ كواءِ تعز، والالاي أربعةً طوابير، والطابورُ تشتملُ على أربعةِ بلوكات، والبلوكُ عبارةٌ عن مئة. وهذه الأسماءُ من مصطلحاتِ الأتراك، كما أن اسمَ النظامِ منقولٌ عنهم، وإن كانَ لفظُهُ عربياً،

[١] في س، الجهات. [٢ - ٢] سقطت من س. [٣] في س، أشراً.

فقد أُطلقَ وأُريدَ به غيرُ معناه الأصلي، ونُقِلَ إلى معنى التجنيدِ على صفةٍ مخصوصةٍ، تشتملُ على إلزامِ الجندي بتمرينِ بدني يُكسِبُه قوَّةً في بدنيه ومهارةً وتدريباً على القتالِ قبلَ حضوره ومشاهدته لمعاركِ الحروب، وبتعلُّمه ضوابطَ كليةٍ فيما يجبُ عليه لأمره ومغزاها حسنُ الامتثال، وفهمُ أصواتِ النفيرِ الكبيرةِ وما تشتملُ عليه من الإشاراتِ، وفائدةُ ذلك إبلاغُ الأمرِ المرادِ إلى أسماعِ الطوائفِ الكبيرةِ بدونِ تعبٍ ولا استغراقِ وقتٍ، ولا يخفى ما في ذلك من الفوائدِ العظامِ في حالِ الحروب، وتمكُّنُ مديرِ دفةِ الحربِ من إفهامِ الفيلقِ العظيمِ مراده في أسرع وقتٍ، وفوقَ ذلك أنه يبقى الجنديُّ النظاميُّ مُرابطاً دائماً، فيمكنُ تجهيزُ الألفِ منهم في سُويعاتٍ لأنهم على أهبةِ العزمِ دائماً. ولما في ذلك من الفوائدِ العظيمةِ أقبلَ مولانا الإمامُ على تزييدِ / عددِ النظام، وتعميمِ ٨٨ / ذلك في البلادِ الإماميةِ، فباشَرَ الأميرُ جمالُ الدين جمعَ النظام، ودخلَ فيه عددٌ من أبناءِ الأعيانِ. ولم تمضِ برهةٌ وجيزةٌ إلا وقد انتظمَ المرادُ، وتألَّفَ الجهدِ المطلوبِ المستجاد. ورأينا منهم بلوكاتٍ في صنعاءٍ من خيرةِ الرجالِ يؤدُّونَ وظائفهم على غايةِ ما يُرام. وكان ذلك المنظرُ أوَّلَ ما وقعتِ العيونُ على مثله منذ مئاتِ من السنين، لأنه لم يعهدُ ظفرُ العيونِ برؤيةِ جنديٍّ في صنعاءٍ وجهاتها، أفرادُه من جبلِ صَبِرٍ والعُدينِ والحُجريةِ، وأمثالِ هذه البلادِ، كلُّ ذلك من تمكينِ الله سبحانه لمولانا الإمامِ وإعانتِهِ على ما حملَهُ من المحافظةِ على ديارِ الإسلامِ، وكذلك صدرَ الأمرُ الشريفُ إلى السيدِ الأميرِ^[١] فخرِ الدين عبدِالله بنِ أحمدَ الوزيرِ في تأليفِ جيشِ نظاميٍّ من سكانِ الجهاتِ التي بنظرِهِ وتحتِ إمارته، وتمَّ ذلك بعونِ الله سبحانه وحسنِ تيسيره.

وفيهما أمرَ مولانا الإمامُ باعتقالِ السيدِ العمادِ يحيى بنِ ناصر

[١] في س، العلامة.

شيبان^(١) وإيداعه إلى دارِ الأدبِ بالقصرِ السعيد، وكان ذلك بعد أن طلبه الإمامُ إلى حضرته الشريفة، وألزمه بالمحاسبة على ما تولاه من الواجبات، وكانت البلادُ التي تحتَ نظره حَجَّةً وبلادَها جميعاً وكُحلانَ تاجِ الدين وبلادَه، وقضاءَ كوكَبانَ ما عدا شِبامَ، وما إليه، فإظهارَ التكلُّوفِ عن ذلك، معتذراً بعدمِ وجودِ دفاترِ الحسابِ لديه، وأنها في مكانٍ عملِه بحجَّة، فلم يأذنْ له الإمامُ بالعزمِ قبلَ إجراءِ الحسابِ، ومضتْ أشهرٌ، وهو يحسبُ عدمَ الإذنِ له عذراً. ومولانا الإمامُ يرى أنَّ ذلكَ اعتذارٌ غيرُ ناهضٍ لتمكُّنه من جلبِ الدفاترِ إليه، وعدمِ احتياجه بالذاتِ إلى العزمِ لإيصالها بنفسِه، فكان ما ذكرناه من اعتقالِه. ولما بلغَ إلى أخيه السيدِ محسنِ بنِ ناصرِ شيبانِ باعتقالِ أخيه، وكان أخوه قد استنابَه على عملِه، وهو مقيمٌ بحجَّة، حَمَلَه النزقُ وعدمُ التجربةِ للأُمورِ على إعلانِ العصيانِ، والخروجِ عن طاعةِ أَمامِه. وصادفَ ذلكَ تجمُّعُ ألفافٍ من حاشدِ أشهرٍ من يُعرَفُ فيهمُ الشيخُ محمدُ بنُ غالبِ القديمي، وهم نحوُ أربعِ مئةٍ، وقد توجَّهوا قاصدينِ النزولِ إلى تُهامَةَ، للوصولِ إلى الضالِ الإدريسيِ ناجمِ تُهامَةَ، والانضمامِ إلى جنده تهاوناً منهم بالدينِ، ورغبةً فيما يبذلُه لهم الضالُ من الحطامِ، فكانوا على مقربةٍ من حَجَّة، ولذلك دعاهم السيدُ محسنٌ إلى نصرته /

/ ٨٩

(١) يحيى بن ناصر بن أحمد بن ناصر بن اسماعيل الملقب، شيبان: ت ١٣٤٤ هـ، كان أميراً على حَجَّة، وتصدر للتدريس في كُحلان، كلفه الإمام سنة ١٣٢٣ بتحصيل زكاة بلاد حَجَّة وكُحلان والمَحويت وبلاد كوكَبان، طلبه الإمام للمحاسبة فاعتذر بأسباب غير مقبولة، فحجزه الإمام حتى يتم الحساب، إلا أن أخاه محسن استولى برجاله على بعض حصون وقلاع حَجَّة، وبرغم وساطة عبد الوهاب الشماحي استمرت الفتنة حتى قضى عليها سيف الإسلام، أحمد، ولد في ظفير حَجَّة سنة ١٢٩٨، انظر، نزهة النظر، ٦٤٧، أئمة اليمن، سيرة الإمام يحيى، ٢/ ٦٠، هجر العلم، ١٣٣٥.

ومكّنهم من مدينة حَجَّةَ ونعمانها وذخيرة الإمام ومدافعِهِ، وأظهرَ الانتماءَ إلى الأدرسي الضال، وقصدَ بذلك المسكينَ الانتقامَ من مولانا الإمام؛ لإيداع أخيه دارَ الاعتقالِ، ولم يكن الظنُّ به أن يتجاوزَ حدَّ الطاعةِ والانتقادِ إلى كُفْرِ نعمةِ مولاه، والدخولِ في زُمرَةِ أهلِ الفسادِ، ولا كانَ ذلك مما يُرضي أخاه المعتقل. وهو يعلمُ أنه في قبضتِهِ الإمامَ ولا ينجيه من الاعتقالِ إلا استرضاءُ مولاه لا اسخاطُهُ وجفاه. ومن المعلومُ أنَّ حَطَبَ أخيه كانَ يسيراً، فلم يُعتقل إلا لأجلِ الحسابِ لا لذنبِ جناه - فيما نعلمُ - يسلبُ النعمةَ ويجلبُ العقابَ، ولكنَّ المذكورَ بفعله القبيحِ عَظَّمَ ذنبَهُ، وكادَ أن يغلقَ عليه لَدنَّ الإمامِ بابَ التوبةِ، وجلبَ على نفسه وذوِيه نكباتِ الزمانِ وطوارقَ الحدَثانِ. فإنه لما بَلَغَ إلى مسامعِ مولانا الإمامَ ما جرى، وتيقنَ أنَّ الرعاعَ من حاشدٍ قد ملكوا معقلَهُ وذخيرتَهُ، وصاروا يعبثونَ بأموالِ اللهِ، اهتمَّ لذلك اهتماماً عظيماً، وجهَّزَ إلى حَجَّةَ جيشاً أصحابهم المدفعَ الأبوسَ، وأمرَ على الجيشِ المذكورِ عزَّ الإسلامِ محمدَ بنِ [١] محمدِ زبارة^(١). ورافقه عن أمرِ الإمامِ الشيخُ حزامُ بنِ عبدِالله الصعر. فتوجَّهَ الجيشُ المذكورُ إلى حَجَّةَ، ونهضَ مولانا سيفُ الإسلامِ، أحمدُ بنُ الإمامِ بجندٍ عظيمٍ من شهارة، وأقبلَ مسرعاً للغارة، فالتقى الجيشانَ هنالك، وأحاطا بِحَجَّةَ ونعمانها^(٢) إحاطةً الهائلةَ بالقمر، وجرتَ بينهم وبينَ الباغين

(١) محمد بن محمد بن يحيى بن عبد الله زبارة ١٦ ذي الحجة ١٣٨٠ هـ، المؤرخ المعروف، فقيه، عالم، تولى للإمام يحيى العديد من الأعمال، كالقضاء ومأمور قبض الزكاة وسفيراً مندوباً عن الإمام، طبعت مؤلفاته مبكراً، وتنقل وسافر كثيراً، وهو أشهر من أن يُعرف، ولد بصنعاء في رمضان ١٣٠١ هـ، انظر مؤلفاته وأعماله التي تفيض بها المكتبة العربية.

(٢) حصن نُعمان: من حصون حَجَّةَ المنيعة، على ربوة بالجنوب من المدينة، انظر، معجم المحقفي، ١٥٨، ٦٦٩، معجم الحجري، ٧٣٤/٢، اليمن الكبرى، ١١٩-١٢٠.

[١] في س، محمد بن محمد بن يحيى زبارة.

حروبٍ في نهايتها كانَ التوسُّطُ على خروجِ القديمي^(١) أو السيدِ محسنِ شيبانٍ ومن معهم من البلادِ، وتسليمِ ما في يدِ السيدِ محسنٍ من الأموالِ والذخائرِ إلى يدِ مولانا ابنِ الإمامِ. وتمَّ ذلكَ بعونِ الربِّ العلامِ.

وأمرَ مولانا سيفُ الإسلامِ، بهدمِ بيتِ السيدِ العمادِ يحيى بنِ ناصرِ شيبانٍ في مُبَيِّن^(٢)، فدُكَّ إلى القرارِ، وعَفِيَ آثارَ الإمارةِ^[١] الشيبانية. وقد كانتُ شاحخةَ البناءِ في تلكِ الجهاتِ، قائمةً على أساسِ متينٍ من المعالي، وحُسنِ الثباتِ مدةً طويلةً، تناهزَ العشرينَ من السنينِ، ولم يكنْ لذلكِ سببٌ سوى ما ذكرنا من هفوةِ السيدِ محسنٍ وحماقتهِ، فهي التي جرَّتْ هذه المصيباتِ.

واستقرَّ مولانا سيفُ الإسلامِ بِحِجَّةَ^[٢]، وجُعِلتْ بنظره، فوطىءَ أكنافها ومهَّدَ أمرَها، وحزَمَ أطرافها، وأذَلَّ المتعجرفينَ، وقمعَ بآسِه وكياستِه صولةَ المنحرفينَ، وانتصفَ للمظلومينَ من الظالمينَ، وعاقبَ من تظاهرَ بنزولِ تُهامةٍ من القبائلِ^[٣] وغيرِهِم، وكانَ مَنْ قبلَه يتساهلونَ في ذلكِ، والتساهلُ مجلبةُ الازديادِ. وما انفكَّ ساهراً في افتقادِ الأحوالِ، ورفعِ كلِّ اختلالِ.

وكانَ مولانا سيفُ الإسلامِ، أحمدُ بنُ أميرِ المؤمنينَ - حفظه الله - قد استنابَ في شُهارةٍ للقيامِ بأعمالِها سيدي عز الدين، محمدَ بنَ محمدِ الكبسي، صهرَ مولانا الإمامِ، فقامَ بذلكِ خيرَ قيامٍ،^[٤] ومُحَمَّدَتْ سيرتهُ، واشتهرتْ يقظتهُ^[٤].

(١) المقصود شيخ قرية القنابع من الضامر من نسل أحمد القديمي الحسيني التهامي، وهو محمد بن غالب القديمي.

(٢) مُبَيِّن: جبل مُبَيِّن فرع من جبل مَسُور، والمدينة مشهورة، معجم المقحفي، ١٥٨، اليمن الكبرى، ١٢١، معجم الحجري، ٢/٦٨٨.

[١] في س، العمارة. [٢] في س، في حجة. [٣] في س، النقاتل. [٤ - ٤] سقطت من س.

فأقرّه مولانا الإمام على ذلك العمل، وثبت فيه قدمه ثبوتاً وافق الأمل.

وفي هذه السنة كملت عمارة دار الفتوح بمحرويس بئر العزب، وأرخ إكمال
عمارتها سيدي العلامة علي بن حسين بن عبد الله الشامي صهر مولانا الإمام
بقوله:

[الخفيف]

نعمت الدار هذه أن منها نشر عدلٍ بطيٍ دفع الشرورِ
دارُ نصرٍ تزيّنت بإمام النسا س أبقاءه ربُّنا في حبورِ
فهو شمسٌ مزيلٌ ديجورٍ ظلم وأعاديه في عذابِ السَّعيرِ
قد تسامت إذ كان تاريخها د ار فتوح بنعمةٍ وسرور^[١]

وفيهما قبيل شهر رمضان، كرر مقادمة مولانا الإمام الذين بصعفان، طلب
الإذن لهم بزيارة أولادهم، فأذن لهم جميعاً ما عدا السيد الأمير عبد الله بن أحمد
الوزير، فإنه بقي في صعفان امتثالاً لأمر مولانا الإمام.

وفي ذلك التاريخ، وصل إلى الحضرة الشريفة الشيخ عبد الله بشر مراجعاً
في أمور ناحية متوح، وشاكياً من حاكمها السيد محمد بن قاسم الظفري
وناسباً إليه تنفير الرعايا، وعدم ملائمة أحوال الناحية لما هو عليه من السجايا،
فمكث زماناً في المقام حليف إكرام، وأسفرت المراجعة بينه وبين مولانا الإمام
عن إسعافه بتعيين سيدي عباس بن علي بن أحمد بن إسحق عاملاً^(١) وحاكماً

(١) عباس بن علي بن أحمد بن محمد بن إسحاق: عالم، شاعر، أديب، تولى للإمام يحيى أعمالاً
كثيرة كان مساعداً للعلامة أحمد بن يحيى عامر في بلاد حولان ثم تولاهما وامتد نفوذه إلى
سنحان وبلاد الرؤس وبني بهلل ودمار ويريم، تولى قيادة جند الإمام سنة ١٣٢٩ هـ لمحاربة
الأتراك، وبعد صلح دغان، عمل كاتباً عند الإمام يحيى ثم عاملاً مع حراز، توفي بعدن سنة
١٣٦٥ هـ، ولد سنة ١٣٠٧ هـ. انظر نزهة النظر، ٣٢٧، هجر العلم، ٣٥٧-٣٥٨.

[١] دار فتوح بنعمة وسرور هي ١٣٣٨ بحساب الجمل.

على ناحية صَعْفَانَ، وعيّن معه كاتباً الحاجّ علي صلاح الدين، وتوجّه العاملُ المذكورُ بصحبة الشيخ عبد الله بشر إلى صَعْفَانَ.

وهناك قام السيّد العباس بنشر العدل، والتزام سهولة الحجاب ولين الجانب، وإرشاد الناس بالمواعظ الناصحة إلى الطريقة الراجحة، وأنيطت به جميع أمور الناحية: أعمالها وإمارتها من فيها من الجند الإمامي. وبوصوله إلى الناحية كان الإذن للأمر سيدي عبد الله الوزير، فقوّض خيام الإقامة من هنالك قاصداً/ حضرة مولانا الإمام، ومنها توجه عائداً إلى محلّ عمله، بعد لبثه أياماً، زوّده مولانا الإمام في أوقاتها ما يجب عليه أتباعه فيما بنظره من الأعمال.

/ ٩١

وقبل عزمه من صَعْفَانَ، قد كان من الشيخ عبد الله بشر التماس تفريق العسكر في جميع صَعْفَانَ معللاً ذلك بالتخفيف على الناس ورعاية التسوية بينهم. فكان من السيدين اسعاف المذكور إلى ما أراد، ولم يعلم بما قد أظهره من الخداع والإفساد، وسيأتي - إن شاء الله - بيان ما انطوى عليه الشيخ المذكور من الخبث والدهاء.

وفيها كان تعيين النقيب أحمد بن يحيى حبش عاملاً على المَحْوِيت وبلاده، وجبل حُفَاش وما إليه، وتعيين القاضي لطف بن محمد الحيمي^(١) لحكومة حُفَاش.

وفي أوائلها أيضاً صار تعيين الفقيه محمد بن عبد الله الشامي عاملاً على ناحية حَيْس، والقاضي محمود بن محمد الزبيري^(٢) لحكومتها، وتعيين القاضي

(١) لطف بن محمد بن حسين بن أحمد بن ناصر الحيمي ت في شعبان ١٣٧٩ هـ، درّس بجامع صنعاء وكان قاضياً في عَمْران، ثم حاكماً على حُفَاش، ولد بصنعاء سنة ١٢٩٤ هـ، انظر، نزهة النظر، ٤٩٠، حياة الأمير، ٥٨٤.

(٢) محمود بن محمد بن أحمد بن لطف الباري الزبيري ت ١٣٤٧ هـ، تولى للإمام يحيى القضاء في بلاد حَيْس والمخا، وتولى بعض أعمال التجارة وعين كاتباً في المحكمة الأولى لصنعاء، ولد بصنعاء ١٣٠٢ هـ، انظر، نزهة النظر، ٥٨٧، حياة الأمير، ٦٠٠.

عبد الرحمن بن أحمد المعلمي^(١) الشافعي حاكماً لناحية شرعاً.

وفيها أيضاً وفد إلى الحضرة الشريفة الشيخ قايد صالح مقبل^(٢) ابن أخي الشيخ محمد ناصر مقبل، مراجعاً للإمام في تقرير أمور قضاء القماعية وأعماله وبعد مفاوضة طويلة استقدم مولانا الإمام سيدي شرف الإسلام، حسن بن عبد الوهاب الوريث^(٣) من ذمار إلى صنعاء، ووجه الإمام - عليه السلام -، إلى عهده حكومة القضاء المذكور والإشراف على واجباته، وأقر الشيخ محمد ناصر مقبل على العمالة، وكان قد طعن في السن، ووصل في شيخوخته إلى حد الهرم، وأسند الإمام عمالة جبل الحشا إلى الشيخ قايد صالح المذكور، وعمالة ناحية سبرة^(٤) إلى القاضي عبد الله يونس^(٥)، وحكومتها إلى السيد يحيى بن حسن الوريث، وقصد المذكورون أعمالهم.

(١) عبد الرحمن بن أحمد بن محمد المعلمي العثماني ت سنة ١٣٤٠هـ، عالم، شاعر، أديب، تولى القضاء في بلاد الحجازية وإب وحرار ورداع وحبيش وعُتمة في العهد العثماني، وزار استانبول مرتين تولى القضاء في عهد الإمام يحيى في المخا وشرعاً، ولد بعُتمة سنة ١٢٨٦هـ، انظر نزهة النظر، ٣٣٣.

(٢) قايد مقبل صالح الصراري: ت ١٣٤٢هـ، عُين على قضاء ماوية حاكماً، قتله آل هريش انظر، حياة الأمير، ٥٨٣.

(٣) حسن عبد الوهاب الوريث: ولد جمادى ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م، عالم، شغل عدة محاكم في رداع، وعين سنة ١٣٣٧هـ عين لقضاء القماعية، ١٣٣٨هـ، ثم إب وتوفي في ذمار، ٢٢ ذو القعدة سنة ١٣٥٣هـ، انظر، حياة الأمير، ٥٤٣.

(٤) السبرة: ناحية من نواحي قضاء القماعية ثم من ذي السفال، آخر نواحي اللواء التعزّي شمالاً بشرق، انظر، معجم المقحفي، ٣٠٣، حياة الأمير، ٦٢١، معجم الحجري، ٤١٥/٢.

(٥) عبد الله بن محمد يونس، علامة، أديب، شاعر، حاكم حبيش ثم حاكم المخا ثم لواء تعز، انظر حياة الأمير، ٥٦٧.

وفيها وفد إلى الحضرة الشريفة جماعة من أعيان لواء تعز، منهم القاضي عبد الرحمن بن علي الحداد^(١)، وأخوه القاضي أبو بكر بن علي الحداد^(٢)، والسيد أحمد بن علي عبد الجبار^(٣)، والقاضي عبد العزيز بن يحيى المجاهد، فتلقاهم الإمام - عليه السلام - أحسن تلقاً، وقابلهم بالجميل الأوفق. وكان الخوض بينه وبين الإمام فيما يكون به الصلاح. ويستطيل به نور الفلاح، وأسفر ذلك عن تعيين القاضي عبد الرحمن حاكماً على تعز، وتشكيل مجلس تدقيق للأحكام هنالك، قوامه من القاضي المذكور رئيساً، ومن القاضي عبد الدائم السادة^(٤) والقاضي محمد بن علي بن عبد الكريم المجاهد^(٥)، والقاضي اسماعيل بن

(١) عبد الرحمن بن علي بن ناجي الحداد ت ١٣٤٠ هـ، تصدر للافتاء في إب، ثم حاكماً على تعز، سافر مع وفد العلماء إلى اليمن سنة ١٣٢٥ هـ، حارب مع العثمانيين، عينه الإمام قضاء تعز ثم رئاسة محكمة الاستئناف، من مؤلفاته، «الارشاد في الحث على الجهاد» اطل فيه دعوة الادريسي للجهاد، وتحفة الأصفياء في إثبات كرامة الأولياء، ونظم الاختيارات الأمامية المتوكلية، انظر نزهة النظر، ٣٤٧.

(٢) أبو بكر بن علي بن ناجي الحداد ت ١٣٥١ هـ، عالم كبير، تولى منصب الافتاء في قضاء إب، وحاكماً شرعياً لمحكمة تعز إلى عام ١٣٤٧ هـ، ثم الحديدة، ولد عام ١٣٠٧ هـ، انظر، حياة الأمير، ٥٢٦، نزهة النظر، ٣٩.

(٣) أحمد بن علي بن عبد الكريم عبد الجبار المجاهد ت ١٢ ربيع الأول ١٣٦٧ هـ، تولى القضاء في سنة مبكرة، مدير المدرسة العلمية في تعز، حارب مع العثمانيين في عدن، ولد سنة ١٣١١، انظر، هجر العلم، ١١٧٨.

(٤) عبد الدائم بن محمد بن عبد الله بن يوسف السادة، عالم فاضل، كان يسكن الذراع، كان حياً سنة ١٣٥٧ هـ، انظر، نشر العرف، ١/٨٠٦، هجر العلم، ٧١٠.

(٥) محمد بن علي بن عبد الكريم بن عبد الجبار بن محيي الدين المجاهد ت ١٣٨٧ هـ، عالم في الفقه والأصول واللغة، تولى القضاء في قضاء الحجرية، ثم قضاء تعز، ثم مفتياً للواء تعز، ولد سنة ١٣٠٣ هـ، انظر، هجر العلم، ١١٧٧.

عبدالرحمن الذيني والقاضي حسن بن علي المغربي^(١) أعضاء، وتعيين القاضي
عبدالعزیز المجاهد عاملاً على جبل صبر والقاضي / أبو بكر مفتياً في قضاء / ٩٢
إب، ورَّتب لهم مولانا الإمام المقررات الشهرية.

وفيها أيضاً كان تعيينُ السيد محمد بن عبد الله بن الإمام من ذرية المولى
علي بن المتوكل على الله إسماعيل^[١] الساكنين في جبلة، حاكماً على جبل صبر.

وفيها أيضاً كان تعيينُ الشيخ محمد بن حسان عاملاً على ناحية شرعب،
والشيخ عبد الله عثمان عاملاً على ناحية مقبنة من أعمال لواء تعز. وتعيين السيد
ناصر الدرّة^(٢) حاكماً لناحية وصاب السافل، والقاضي أبي الخير المزجاجي^(٣)،
مفتي الحنفية سابقاً، وأحد علماء زبيد حاكماً في جبل راس.

وفيها ظهرَ الاختلالُ في بلادِ الطَّعامِ^(٤) من أعمالِ جبلِ رَيْمَة، وأُعلنَ في

(١) حسن بن علي بن حسين المغربي، ناب عن والده بمحكمة الاستئناف الشرعية
بصنعاء، ودرس في مسجد الفليحي، نصبه الإمام للتدقيق في عموم أحكام البلاد
التعزية، ولد بصنعاء سنة ١٣٠٨ هـ، انظر، نزهة النظر، ٢٣٣.

(٢) ناصر بن حسن بن ناصر بن حسن الدرّة ت ١٣٧٦ هـ، نشأ بمدينة عمران، وتولى
حاكماً لناحية وصاب السافل ثم قضاء عمّران ثم في جبل بُرَع وعين في محكمة
الاستئناف، انظر، نزهة النظر، ٦١٧.

(٣) أبو الخير المزجاجي، عبد الرحمن بن عبد الله الصديق بن الزين المزجاجي، تولى القضاء
في العهد العثماني في بيت الفقيه ثم يريم، ثم عضواً في محكمة الاستئناف بصنعاء وتولى
القضاء في اللحية والافتاء في الحديدية، انظر، هجر العلم، ٢٠٢٩.

(٤) بلاد الطَّعام: ناحية من رَيْمَة، يتبع ادارياً محافظة صنعاء، وبلاد الطَّعام تلحق بها
عشرة عُزل منها، عُزلة بني حسن وبني وقيد والعساكرة، انظر معالم الآثار، ٣٧، اليمن
الكبرى، ٥٧، صفة جزيرة، ٢٠٥، ٢٠٨، ١١٩، صفحات مجهولة، ٢٢، معجم
المقحفى، ٢٨٣.

[١] في س، إسماعيل بن القاسم.

الضالع كبيرٌ شيوخها الخلفاء، وجلبَ بغاةً تُهامةً إليه، وطارَ شرُّ الخلفاءِ إلى جميعِ عزلِ بلادِ الطَّعامِ. ولم يكنْ في رَيْمَةَ جندٌ يقومُ بدفعِ هذا الحادثِ، ويرفعِ خطبهُ الكارثِ، فاستمدَ عاملُ رَيْمَةَ السَّيِّدُ الهمامَ محمدَ بنَ عليِ الشامي مولانا الإمامَ، فأمدَّهُ بجندٍ كثيرٍ.

ولما وصلَ إليه الجندُ، بادَرَ إلى المخالفين بالإعذارِ والإنذارِ، فالتزموا جانبَ الإصرارِ، وانقادوا للأشرارِ، فباشَرَ حربَهُمْ وجرَّدَ هَمَّتَهُ لتنكيلهم وضربهم، وجعلَ قصدهَ ديارَ مَنْ تولى كِبَرَ الخلفاءِ، وساقَ قومَه وأصحابَه إلى حفرِ الاتلافِ، فجرتْ بينَ الفريقين حربٌ ضروسٌ، هاجمَ فيها المجاهدونَ الحصونَ، وأنزلوا بالمخالفين ريبَ المنونِ، واستولوا على البلادِ وطهَّروها من ذوي الفسادِ، وأحرقوا بعضَ قراها نكايةً بالأعداءِ، واحتَوَّوا على غنائمَ كثيرةٍ، وفرَ الباغونَ من تلكَ الديارِ، وندموا ندامةً الفرزدقِ حينَ طَلَّقَ النوارِ.

ثم راسلهم عاملُ رَيْمَةَ بالرجوعِ إلى الطاعةِ، فأسرعوا إليها منقادين في أقربِ مدَّةٍ، وأدركوا بذلك ما يرومون من الفرجِ بعدَ الشدةِ، وكانت القتلى من الفريقين غيرَ قليلةٍ، إلا أنها من الباغين أكثر. ولم يحملهم على الخلفاءِ سوى أنهم بالقربِ من بُرْعِ وبلادهم متصلةً به، فسولت لهم أنفُسُهم نكثَ عهدِ الطاعةِ والخروجِ عن سننِ الجماعةِ، فلم يظفروا بما أرادوا، وخيبَ اللهُ منهم الآمالَ. وعادت الأحوالُ إلى ما كانت عليه من قبل الاختلالِ.

وفيها وصلَ إلى حضرة مولانا الإمامِ عليه السلام السَّيِّدُ الأجلُّ عليُّ بنُ حسينِ بنِ الإمامِ من ساداتِ جِبَلَةَ زائراً، فاقتضى رأيي مولانا الإمامِ اسنادَ حكومةِ ناحيةِ جِبَلَةَ إلى عهدتِهِ، لمكانِ كفايتِهِ وأهليَّتِهِ، فحَمِدَ فيها منابَهُ، وارتفع

بذلك جنابُهُ.

وفيها أيضاً كان تعيينُ القاضي محمد بن علي الصديق حاكماً بناحية
المخادر/ وفيها، في شهر ذي القعدة الحرام، ظهرت مكيدةُ الشيخ عبد الله بشر / ٩٣
إلى حينِ الوجودِ، وطُوقَ مذمتها إلى يومِ النشور^[١]. فقد ذكرنا ما كان من
الإحسانِ إليه من الإمامِ واسعافه بكلِّ مرامٍ، وذلك لظنِّ أنَّ مراده صلاحُ
الأحوالِ والتخفيفُ على الرعايا في تخطيطِ الجندِ، ولم يكنْ مرادهُ ذلك، ولكنه قد
عرفَ استيحاشَ حاكمِ صَعْفَانَ منه، وكذلك عاملِ حرَّازٍ أنَّها قد أخذت من
أعمالِهِ الحذرَ، وكان ذلك دأبهما، وعلم بذلك، أنه لا يتمُّ له مع أشرفهما ما دبره
من الغدرِ والمكايدِ فسعى، في ما ذكرناه، من التبديلِ وتعيينِ سيدي عباس بن
علي وإنِاطةِ الأمورِ به حقيرها والجليلِ، ولم يكنْ سيدي عباسٌ بالغرِّ الذي
ينظري عليه زخرفُ الخداعِ والتمويه، لولا أنه عرفَ أنَّ المرادَ من تعيينهِ الإصلاحُ
وتركُ الشدةِ واستعمالُ اللينِ، فكان ما ذكرناه من تفريقِ الأجنادِ في جميعِ صَعْفَانَ
بعلةِ التهوينِ والتسويةِ بينَ الرعيَّةِ في الخطاطِ، وعقيبَ ذلك، كان التمويه من
المذكورِ بقصدِ إخفاءِ ما يجري بينهُ وبينَ محمد طاهر، رئيسِ أصحابِ الضال^[٢]
من المكاتبَةِ بأنَّ حَسَنَ للعاملِ إجراءَ المكاتبَةِ بينهُ وبينَ محمد طاهر المرقومِ في
موادِّ من الصَّلاحِ، فظفرَ الشيخُ المذكورُ بمراده من سترِ مكائده، وإخفاءِ
شبهاتِ مصائده، وكانت المكاتبَةُ تجري بواسطةِ السيدِ مساوي بن عبد الرب،
ولا علمٌ لديه بما في خلدِ القومِ من الغوائلِ، وما قد نصبوه للمسلمين من
الجبائلِ.

وأما السيدُ محمد مساوي، صاحبُ شويح، فلم يكنْ بريئاً من المشاركة،

[١] في ص، الشهود. [٢] في س، الضال ابن ادريس.

والله العالمُ بالسرائر، وما أخفَّتُهُ الضمائرُ، ولما أجمعوا على الغدرِ واستكملوا أسبابه، أضرَموا تلك النارَ الدفينةَ، وأعلنوا ما في قلوبهم من الغدرِ اللعينةِ، فلم يشعرْ من في القرون^(١) من الرتبةِ إلا بهجومِ الأعداءِ عليهم، وهم لا يشعرون بما أجمعوا عليه من الوثبةِ، فأمدَّهم العاملُ بعصايةِ من النظام، وكتبَ إلى بني جريرٍ بالأمَدادِ لهم، فأجابوه أنَّ طائفةً من الأعداءِ قد وصلوا إليهم، وأهلُ العارضةِ^(٢)، ومن الأعداءِ طائفةٌ قد اغتالوا من في حصنِ غراس^(٣) وأسروهم، وهم ثمانيةٌ وعشرون نظامياً، وظهرَ حيثُذ، أنَّ قد اجتمعَ بنو سعدٍ وأهلُ مذوَلِ والطَّرَفِ والعارضةِ وبنو جريرٍ وبنو إسحقٍ وكثيرٌ من قبائلِ القُحريِّ، ومن أرسلهم محمد طاهر قائدُ الإدريسيِّ من باجلٍ من قبائلِ المسارحةِ^(٤)، وحاشد وُبِعَ إلى نحوستهِ آلافٍ مقاتلٍ، وأقبلوا إلى صَعْفَانَ، فغشوه من كلِّ جانبٍ في يومٍ واحدٍ.

وعند الصِّدامِ قابلهم أهلُ صَعْفَانَ بالاندماجِ فيهم، وأعلنوا الخلافَ، وأظهروا الانتماءَ إليهم، وأشعلوا نيرانَ الفتنةِ، ووثبَ جميعُهم على الأنصارِ، فنجا

(١) قرون: من صَعْفَانَ.

(٢) العارضة: في اليمن كثير منها عُزلة من مخلاف العَوْدِ وأعمال النَّادِرَةِ، وأخرى من حُبَيْشٍ وأعمالِ إب، وعُزلة من مخلاف صُهبان وأعمالِ ذي السُّفَالِ، وعُزلة من بني سرحة من ناحية المَحَادِرِ، وقرية في جبل كَوَكبان، انظر، نشر العرف، ٢/٢٨٤، ٣٦٨، ٤١١، معجم المقحفي، ٤٧٨.

(٣) الغراس: جبل وناحية من بني حَشَيْشٍ، تابعة لقضاء صنعاء، في سفح ذي مرمر انظر تاريخ اليمن الثقافي، ٢/١٠٨، اليمن الكبرى، ٧٢، معجم الحجري، ٢/٦٢٢.

(٤) المسارحة: من قبائل تُهامة في ناحية أبي عريش، انظر، معجم المقحفي، ٥٩٠، معجم الحجري، ٢/٧٠٧.

العاملُ ومنْ معه إلى حصنِ مَتَوْح، وكان الشيخُ عونُ الدين أحمدُ مساعد، والشيخُ حسين بن عبد الله الصعر والشيخُ حسين بن ناصر الغزي في بيتِ الشيخِ عبد الله بشر، ومعهم عصابةٌ من أصحابِهِم، فنصحهم بالخروجِ من بيتهِ والالتحاقِ بمن في مَتَوْح.

/ ولما خرجوا من بيته، ووصلوا إلى طرفِ المحلِّ، وثبَّ عليهم أهلُ الجبَّانةِ / ٩٤
مع مَنْ وصل إليهم من الطَّغاةِ، وكانت الحربُ بينَ الفريقين بينَ أشجارِ البنِّ، فقبضَ الأعداءُ على الغزي وعشرةٍ من أصحابِ الصعر، ونجا الشيخُ حسين الصعر بنفسه هو والشيخُ عون الدين ورفقته، وأسَرَ الأعداءُ ثلاثةَ عشرَ نفرًا من النظامِ وخَوْلانِ الشامِ في حصنِ أعتام، ومن في بني جرّين من أنصارِ الحقِّ تَهِيروا إلى المغاربِ بعد حربٍ بينهم وبينَ أهلِ البلادِ وغيرهم من الواصلين إليهم، وتقدّمَ أهلُ القُحريِّ وبنو جرّين إلى ربيعِ المغارب، وطمعوا في استيلائهم على مدفعِ الإمام، وكانَ في أكمةٍ خليفة^(١)، وقد وصل وقتئذٍ من لَدُن عاملِ حَرازِ أولُ غارةٍ مؤلفةٍ من الشيخِ ناصر بن حسين الأحلسي والشيخِ محمد بن غالب خليل وعصابةٍ من أهلِ حَراز، فلم تكنْ بالنافعةِ، ولم تزد القومَ إلا خبالاً، بل غايةً ما حصلَ منهم الاعانةُ لمن بقيَ عندَ مدفعِ الإمامِ على إطلاعه إلى حصنِ القاهرة.

وقد كان من الشيخ محمد بن علي الرماح ومن بقي معه من أصحابه النظام المدافعة عنه بأتم جدٍ ثم فرَّ الأكثر من النظام وجميع أهل حراز إلى مَنَاخَة، إلا الشيخ ناصر بن حسين الأحلسي، فبقي لَدُنَّ العاملِ في مَتَوْح، واجتمع أهلُ صَعْفَانَ مع الجيوشِ الباغيةِ التهاميةِ، وظنّوا أنهم قد عَصِمُوا^[١] من طوفانِ الدولةِ العلويةِ، وأنَّ مددَ الكافرِ سيحوّلُ بينهم وبين سيفِ الله الباترِ لكلِّ غادرٍ

(١) أكمة خليفة: أكمة لآل خليفة من رَدَاع، انظر، اليمن الكبرى، ٦٦ .

[١] في س، عصموا أنفسهم.

وماكر. ونزل الشقيُّ عبد الله بشر بستِّ عشرة رهينة إلى باجل، وضعها في المدفع ولوازمه، وأطلعه إلى محلِّ الجروح^(١)، ورمى به يوماً واحداً إلى القاهرة ومَتَوَّحَ، وأخبرَ بعضَ من حضرَ لديهم من أهلِ صَعْفَانَ، أنَّ عبد الله بشر كان يعطي الطبشية على كلِّ ضربةٍ خمسةَ رياتٍ بغشيشاً، ووصلَ رئيسُ جيش الأدرسي الشريفُ حسنُ مُصَادِمٍ ومعه العزي عطا إلى الجروح، وكان معظمُ جيش الأعداء في محطةِ الشرفِ الأعلى، ومعهم بنو جرین، والبغوي وأصحابه من القحري في جبلِ شُعَيْبٍ، وهم نحوُ ألفٍ، وأكثرُ القرى مملوءة من العساكر.

وفي أثناء ذلك أجمع رأيتهم على منازلةِ حصنِ مسار^(٢)، فأرسلوا لذلك الأمرِ أهلَ العارضةِ وبني سعد والطرف، وكثيراً من أهلِ صَعْفَانَ مع عقابهم: أحمدُ محمد بشر وصالح علي الوصابي وإبراهيم أحمد عاقل بلاد الطرف، وأحمد ثابت عاقل العارضة، وإنما قوي طمعتهم في مسار ما حصل من انخداع^[١] علي فقيه صاحبِ سيفٍ من مسار، ومحمد عمر عاقل بيت شميران^(٣) وأخيه، فإنهم قصدوا جيزانَ وطلبوا إرسالَ جيشٍ معهم، والتزموا للطاغي بالحصن، وأمر الإدرسي من بصعفان^[٢] بإسعاف المذكورين، فكان ما ذكرناه من إرسالِ أهلِ صَعْفَانَ وَمَنْ إِلَيْهِمْ، فهاجموا ستَّ قرى من غربي مسار، وهي من بني حجاج إلى المعاجلة^[٤] إلى أكمة شيبان، وانتهبوا ما في / المعاجلة، وطمع الأعداء في قطع الطريقِ الموصلةِ إلى مَتَوَّحَ، وأخذ الحصن أو^[٣] حصارٍ من فيه، ولاختلاف

/ ٩٥

(١) الجروح: بلد من ناحية صَعْفَانَ وأعمال حراز انظر، معجم الحجري، ١/ ١٨٣، ٢٥٤ ووردت الجُرُوح .

(٢) حصن مسار: غرب شيام عمَّره علي بن محمد الصليحي، في جبل حَرَّاز، مَسَارُ عَزْلَةَ وناحية انظر صفة، ١٣٣، قرة العيون، ٢٤٣، اليمن الكبرى، ٥٩، المدارس الإسلامية، ١٠٥، معالم الآثار، ٧٧، الصليحيون، ٧٦، معجم الحجري، ١/ ٢٥٤ .

(٣) بيت شميران: من قرى عَزْلَةَ مَسَار، انظر معجم المقحفي، ٥٨٩ .

[١] في س، الخداع. [٢] في س، من في صعفان. [٣] في س، وحصار.

[٤] لعلها المعاصلة.

المذاهبِ في حَرَّازِ حَصَلَ الزَّلْزَالُ وَأَرْجَفَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالْمَقَالِ.

ولما بلغَ هذا الخبرُ إلى الإمامِ -عليه السلام- وقد جعلَ اللهُ الأقدارَ طَوْعَ يَمِينِهِ، وكتبَ على عدوِّه النُّكَالَ من وقتِ انحرافِ وجنبه^[١]، بادَرَ إلى تجهيزِ أميرِ الجيشِ المظفرِ الشريفِ عبدِاللهِ بنِ محمدِ الضُّمَيْنِ، وخمسةِ بلوكاتٍ من النظامِ، وأمرَ حاكمَ العرِّ بالعزمِ فوراً إلى محلِّ الحادثةِ معَ مَنْ يَجْتَمِعُ معه من أهلِ الحَيْمَةِ، فأعلنَ للناسِ نفيهمُ للجهادِ، وبادروا إليه من الأغوارِ والأنجادِ، وتوجَّهَ إلى حَرَّازِ، ومنَ هنالكِ عَزَمَ هو والأَمِيرُ على البدارِ إلى رفعِ الحصارِ عن مَسَارِ، فإنه كان من العدوِّ قبلَ ذلكِ مضايقةٌ منَ فيه من الرتبةِ والمتابعةِ عليهم بالوثبةِ في أثرِ الوثبةِ، ولم يظفروا منهم بطائلٍ، بل عادوا بالخيبةِ حتى إنَّ الرتبةَ تمكنا من قطعِ بعضِ رؤوسِ المهاجمينِ وإذاقَتهم مرارةَ العذابِ المبينِ، ولما وصلَ الأَميرانِ إلى حَوْلِ مَسَارِ، رأياً أن يكونَ من أميرِ الجيشِ ومن معه توجيهُ المهمِّ لرفعِ الحصارِ عن مَتَوَحِّ، وحاكُمِ العرِّ ومنَ معه يقومون بدفعِ مَنْ في مَسَارِ.

فتقدَّم كلُّ منهما إلى عنوته، وما وصلَ حاكمُ العرِّ إلى أكمةِ شيبانٍ إلا وقد فرَّ المخدولُ علي فقيه السنفي، ومن أجلبَ بهم ليلاً إلى الجيَّارى وأكمةِ عاصمٍ وحصنِ أعفادٍ، فتقدَّم أهلُ الحَيْمَةِ عليهم، وجرتِ الحربُ بينَ الفريقينِ، واستمرَّت إلى آخرِ النهارِ، ثمَّ هجمَ المجاهدون على المحلاتِ فأخذوها عنوةً، وفرَّ الأعداءُ منها، وانحدروا إلى الوادي، وغنمَ المجاهدون منها كثيراً من البقرِ والغنمِ والحبوبِ، وأبقى المقدَّمي رتبةً في الجيَّارى^[٢]، وجمعَ أصحابه في المعاجلةِ، وأحرقَ القرى الآخرة. وأما أميرُ الجيشِ والنظامِ، فإنه نهَضَ إلى الأعداءِ إلى أن وصلَ إلى المربا. ومن هنالكِ تقدَّم على محطةِ الشرفِ الأعلى، وناهضَ مَنْ فيها،

[١] في س، وحينه. [٢] الجيَّارى.

وقد علمتُ أنَّ مَنْ فيها هم حماةُ جيشِ الإدريسي وأبطاله، فتابعَ النظامُ عليهم الهجومَ، وزلزلوهم بإقدامهم المعلوم، ولكنهم دافعوا عن أنفسهم، فرجع النظام إلى المربا، وقد أصيبَ منهم عددٌ من الجرحى.

قال حاكم العرِّ -حفظه اللهُ- إنه في تلك الفينة، وهو يعملُ الفكرةَ مع أمير الجيش فيما يكونُ به زلزلةُ جيشِ الإدريسي، وضعضعةُ عدوانِ أهلِ البلاد، إذ وصلَ إليه تلغرافٌ من الإمام، ومن جملةِ ما فيه: أنَّ الحربَ خدعةٌ خدعةٌ خدعةٌ ثلاثاً، فقال: اللهمَّ يسِّرْ لي الخدعةَ. وأرسلَ حينئذِ الحاجَّ المجاهدَ محمدَ بنَ عبدالله السريجي والشيخَ أحمدَ بنَ محمدَ مداعس / مع سبعين رامياً سريةً إلى النوبة، وهي قريةٌ تحتَ الشرفِ الأعلى من الجهةِ القبليَّة، وفيها من الأعداءِ مئةٌ وخمسون رامياً، فحينَ أحسوا بالسرية، بادروها بالرَّمي، فلم يُجِبْهم من السريةِ أحدٌ، بل استمروا في سيرهم وتسلُّقهم تلكَ الحيود، وهم صامتون إلى أن وصلوا قريباً من النوبة، واجتمعوا ورموا بما في أجوافِ بنادقهم دفعةً واحدةً. وهجموا على القرية، وأكثروا من الضوضاء، بمثل: «أضبطوهم»^[١] لا يفلتُ منهم أحدٌ، فخارت قوى مَنْ فيها من الأعداءِ، وداخلهم من الفشلِ عُضالُ الداءِ، ففروا على وجوههم جميعاً، واستولى المجاهدون على القرية، وكانت أوَّلَ الفتح، فإنَّ الأعداءَ علموا بذلك، أنَّ مدةَ إقامتهم قصيرةٌ وقوتهم لا تقومُ بما يرمون من الخطةِ العسيرة.

/ ٩٦

وفي اليومِ الثاني، تقدّم حاكمُ العرِّ بمن بقي معه من طائفةِ الحيمةِ إلى شرقي مَسْوح، وخطَّطَ أصحابه في الهجرةِ ومالَ إليها، ووصلَ بنفسه إلى أمير الجيش للمراجعةِ في الرأي إلى المربا، ونزلَ للمبيت في الهجرةِ أيضاً، فسمع رجلاً من

[١] سقطت من س.

المكارمة يقول: لو تكون الخالفة من المرزومة لظهورها على قرى صَعْفَانَ، فقال الحاكم: رمية من غير رام. وبعد الاستخارة، انتدب الشيخ المجاهد أحمد بن حسين السلامي، وعريفه الأجوب هادي صلاح مريط ومعهما نحو تسعين نفرًا لا غير ويسر الله من دهم على الطريق، فوصلوا المرزومة بعد العشاء، وقد تدلت أستار الظلام وشملهم من عناية الله وألطفه تحيةً وسلامًا، ففاجأوا أهلها ومن عندهم من الأعداء بالحرب بغتةً، ورموا بالبنادق من شوارع المحل، فهام من فيها على وجوههم، وكانوا عصابةً يسيرةً، لأن أكثر القوم الذين كانوا فيها قد طلوعوا شُعب، وما فوقه لحصار حصن القاهرة التي فيها المدفع، ومن القرية المذكورة يُساق إليهم الزاد والماء، وتيسر للمجاهدين الصعود إلى سطوح البيوت، فرموا إلى كل جهة من جهات صَعْفَانَ لظهورها من هنالك، فعن يسارهم المغارب وعن اليمين الزعلا والجرواح، وبقية القرى بين ذلك، وصاحوا بأصواتهم العالية. وصادف في تلك الحال كثرة رمي الشهب في السماء إلى جهة الغرب كثيرًا، وحكى أهل الهجرة وهوزان^(١) أنهم سمعوا الأصوات في تلك الليلة، والمناداة بلفظ: يا متوكلا! ولم يكن الصوت يُسمع من هنالك إلى جهتهم، ورأى قبل تلك الليلة الفقيه الفاضل عبد الخالق بن غالب بن علي القانص في منامه أنه خرَّ نجم من السماء، فلما وصل إلى قرب محلهم، انقلب ذلك النجم في صورة رجل شايب، قال: فسألته: من تكون أيها الرجل؟ قال: أنا النصر، قال: وأين تذهب؟ قال: مع سيدي إسماعيل يعني حاكم العر، وهذه الرؤيا وما قبلها معدودة من كرامات مولانا الإمام -عليه السلام- وما له عند الله من المكانة، وعلو المقام^١، وقد تقدّم بيان مقدار جموع الباغيين في

٩٧ /

(١) هوزان: ما ورد هوزان، من مخاليف حراز، انظر، معجم المقحفي، ٦٨٥، صفة، ١٢٣، معجم الحجري، ٢ / ٧٦٠، الاكليل، ٢ / ٢٤٥ .

[١ - ١] سقطت من س.

هدا، اتسورة، وأنهم يناهزون ستة آلاف مقاتل، وأنهم اجتمعوا في ظرف ثلاثة أيام، لأنه انكشف حصول التمالؤ على الفساد، ومجانبة طريق الرشاد من الباغى بشر وأهل البلاد من قبل نزوله من صنعاء، وطلوعه إلى الحضرة الشريفة، إنما كان مقدمةً لذلك العمل، وشروعاً فيما قصدوه من الزلزل، وقد سبق أيضاً أن هذا الجيش المعتدي كان مفرقاً في قرى صَعْفَانَ، وله محطات متعددة، فلما شاهدوا الرمي من المرزومة واشعال النيران ظنوا جميعاً في كل محطة أن القدوم عليهم خاصة. وكثر الله المجاهدين في أعينهم، ولم يعرفوا مع ظلمة الليل قدر عَدَدِهِم، وقد رافقهم نصر الله، ﴿وَكَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^[١]. فأما المحيطون بحصن القاهرة من الأعداء، فلم يبق لهم غير الهرب في جنح الليل خشيةً من انقطاع الطريق وحصول التعويق، فخرج المجاهدون المحصورون من الحصن: محمد بن علي الرماح، ومحمد بن حسن البروي، وبعض الرتبة من بني مطر وتبعوهم، وقبضوا في تلك الحال محل العيَّان^(١). وأما من في القرى، فصاروا كلهم يرمون إلى جهة المرزومة حتى بقيت أصوات البنادق لعدم انفصالها مثل صوت دوران الرّحى، وانضمَّ إلى ذلك صياح الرجال وبكاء النساء والأطفال، فكانت ليلةً يساق إليها الحديث لم يُشاهد مثلها في القديم والحديث هرجاً ومرجاً، ويراناً وسرجاً وجولاناً ورهجاً. ولم يكن همُّ الجميع من أهل البلاد وجيش الأعداء غير النجاة، والخروج من المعقل إلى الفلاة، ورأى المجاهدون الفوانيس والمشاعل من كل محل منحدره في ذلك الظلام، وصار الجيش وأهل البلاد يتسابقون في الطرق على غاية من الازدحام، ويقصدون وادي حار ومدول وبني جرير والحجيلة، والمجاهدون

(١) عيَّان: قرية من عزلة الثلث، بجبل حراز، انظر، غاية الأمان، ٢/ ٧٧٣، معجم المقحفي، ٤٧٥ ووردت العيَّانة.

[١] سورة: البقرة، ٢٤٩.

يَصَوِّبُونَ رِصَاصَ بِنَادِقِهِمْ إِلَى تِلْكَ الْمَنَارَاتِ، وَهُمْ يَسْمَعُونَ مِنْ رَهَجِ أَوْلَئِكَ مَا تَذْهَلُ لَهُ الْعُقُولُ، وَقَدْ عَمَّهِمُ الرَّعْبُ، فَكُلُّ يَرِيدٍ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْأَوَّلَ فِي فِرَارِهِ، فَأَصْبَحَتِ الْقَرْيُ خَالِيَةً، وَقَدْ حَلَّ أَهْلُهَا فِي الْفَيُوشِ، لَمْ يَنْجِهِمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ مَدَافِعُ الْكُفْرِ وَلَا الْجِيُوشُ، وَالْعِزَّةُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، وَمَا بَقِيَ لِلْخَائِنِ الْغَادِرِ فِي مَوَارِدِ الْهَلَاكِ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ، وَأَمَّا الشَّيْخُ عَبْدِ اللَّهِ بِشَرِّ فَإِنَّهُ بَقِيَ مُضْطَرِباً فِي أَمْرِهِ إِلَى أَنْ طَلَعَ ابْنُ زُكَا، وَخَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ يَتَوَكَّأُ اللَّهُ عَلَى الْعَصَا مَشِيْعاً بِالْبِكَاءِ، وَلَمْ يَخْلُصْ مِنْ أَيْدِي الْمَجَاهِدِينَ / إِلَّا بِمَدَافِعِ حَسِينِ الْغَزِيِّ عَنْهُ، لِأَنَّهُ لَمَّا أُسِرَ الْأَعْدَاءُ يَوْمَ وَصُولِهِمْ إِلَى صَعْفَانَ أَبْقَاهُ الشَّيْخُ الْمَذْكُورُ عِنْدَهُ، فَكَافَأَهُ حَسِينُ الْغَزِيِّ بِالْمَدَافِعِ عَنْهُ وَمَحَارِبَةِ الْمَجَاهِدِينَ عِنْدَ هَجُومِهِمْ عَلَيْهِ حَتَّى نَجَا بِنَفْسِهِ وَأَهْلِهِ، وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ، وَكَانَتْ عَاقِبَةُ أَهْلِ صَعْفَانَ مَعَ بَشَرِئِمْ وَأَعْقَابِهِ، وَهَلْ جَزَاءُ الْبَغِيِّ إِلَّا مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ بِقُوَّةِ اللَّهِ الْغَالِبَةِ، فَإِنَّهُ بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنْ بِيُوتِهِمُ الْمَشِيدَةِ، وَنَزُوجِهِمْ عَنِ جَنَانِهِمُ النَّصْرَةَ وَعَرُوشِهِمُ الْمَهْدَةَ إِلَى خَبُوتِ^[١] تَهَامَةَ وَفِيَا فِيهَا، وَاضْطَجَاعِهِمْ عَلَى الصَّعِيدِ الْحَارِفِيِّ مَوَانِيهَا، صَدَقَ عَلَيْهِمْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَخْرَجْنَا هُمْ مِنْ جَنَاتٍ وَعَيْونَ، وَمَقَامِ كَرِيمٍ، وَنِعْمَةٌ كَانُوا فِيهَا فَكَاهِنِينَ كَذَلِكَ وَأُورَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ﴾^[٢]. وَكَانَ بَعْدَ هَذَا الْجَلَاءِ دُخُولُ الْمَجَاهِدِينَ، وَمَنْ وَرَدَ مِنْ أَهْلِ حِرَازِ تِلْكَ الْقَرْيَةِ وَالْحِصُونِ، وَفَتَحُوا مِنْ الْمَنَازِلِ كُلِّ مَقْفَلِ مِصُونٍ، وَانْتَهَبُوا مَا فِيهَا مِنَ الْأَمْتَةِ وَالْخَبَايَا الْمُنَوَّعَةِ، وَامْتَلَأَتِ الطَّرِيقَاتُ مِنْ صَعْفَانَ إِلَى مَنَاخَةِ لِلْغَادِي وَالرَّائِحِ، وَشَبَعَتِ الطَّيُورُ وَالْوَحُوشُ مِنَ الطَّوَائِحِ^[٣]، وَاشْتَغَلَ الْقَوْمُ بِتِلْكَ الْغَنَائِمِ بَعْدَ أَنْ بَدَّدَتْ أَيْدِي النُّوَى وَالْبَغِيِّ أَهْلَهَا فِي خَبُوتِ التَّهَامِ، وَلَمْ يَنْجُ مِنَ الْهَرَبِ وَالْإِنْتِهَابِ إِلَّا

[١] فِي سِ، جَنُوبِ.

[٢] سُورَةُ الشُّعْرَاءِ، ٥٧.

[٣] فِي سِ، الطَّوَائِحِ.

الشيخ عبدة بن حسن قاسم وأصحابه سكان جبل بني عرّاف^(١)؛ لأنه لم ينخدع للأعداء اختياراً بل داراهم اضطراراً، ولم يرهّن أحد أولاده، ولما أحسّ منهم بالانهزام، أمر أولاده وأهل محله بإغلاق الحصن والبيوت وبكر بالعقير إلى متّوح، ملتمساً رأي الأمان، فأسعفه المقادمة إلى ذلك، وأرسلوا معه رتبة إلى محله من أصهاره بني القانص^(٢)، ودلّ على سلامة طويته أنّ في أثناء الخلاف أخذ مكوّناً من المجاهدين، والتزم للأعداء بحفظه، فعالجه وقام بكفائته حتى عافاه الله، وسلّمه إلى المقادمة، ولو بقي أهل القرى في محلاتهم لكان إسعافهم بالأمان من حضرة مولانا، أمام الزمان، ولتمكّنوا من صيانة أموالهم وبلادهم، وتخفيف ما ذاقوه من الهوان، لكنّ ذنوبهم سبقت، وجرأتهم على حزب الحق أوبقت ونعمة بطروها فأبقت، وهم في غفلتهم نائمون، ﴿وما كان ربك مهلك القرى إلا وأهلها ظالمون﴾.

ومما كان به لديهم مضاعفة الندم، وجلبُ الجمع الغفير إلى بلادهم على الساق والقدم مصادفةً زمن/ فرارهم قرب حصول ثمرة البن، فدخل المجاهدون البلاد والثمار قد حان أو أنّ قطافها، وهي دانية الجنان لمن يريد اقتطافها، فأقبل الناس إليها من كل صوب، وشرعوا في أخذها، لكنّ مولانا الإمام، لما بلغ إليه ذلك الحال صدّر أوامره بمنع الناس عنها والمحافظة عليها، والمناداة بأنّ من عاد من الرعية إلى داره وأطاع، كان تسليم أمواله إليه بلا نزاع، ومن بقي على إصراره وفراره كان جمع ما يحصل من ثمرة بنه لبيت المال، فهو

/ ٩٩

(١) بنو عرّاف: عُزلة من ناحية صَعْفَان وأعمال حراز، انظر، معجم الحجري، معجم المقحفي، ٤٣٦ .

(٢) بنو القانص: قرية في جبل مسار بحراز في رأس نقييل وِسَل، انظر، معجم الحجري، ٥٠٤، معجم الحجري، ٢/ ٦٤٥ .

أحقُّ بذلك وأولى من الأهدار وعلى هذا المنوال كان العمل، ورجع بذلك الأكثر من الرعيّة، واستبدّوا بأموالهم، وجمع من تلك الأموال لبيت المال حظٌّ وفير، والذي تناولته الأيدي كان كثيراً، وقد حكى غير واحد من أهل صَعْفَانَ، أنَّ ثمرة هذا العام، كانت مما لم يعتادوه في الكثرة والإصلاح منذ أربعين سنة.

وعلى الجملة، إنها تضاعفت على أولئك الحمقى المحنة بما جنّته أيديهم من الخروج عن طاعة الحق وإثارة الفتنة.

ولما انجلت حقيقة الحال للأعداء، وعلموا مقدار الجيش الإمامي الذي فرّوا من أمامه، وخرجوا من أماكن رقادهم خيفةً من هجومه وإقدامه، تيقنوا أنَّ ذلك الرُعْب الذي نزل بهم من بأس الله وانتقامه، وعضوا على نواجذهم تأسفاً، وقرعوا سنّ الندامة تلهفاً، ووصلت إليهم أوامر الضال الأدرسي بالعود إلى صَعْفَانَ، وأمدهم بما أمّد به من عبدة الصليان، فتحشدوا^[١] وتجمعوا وأعادوا الكرة بعد الكرة، وتقدّموا على المغارب مرّة بعد أخرى، وكلّما تقدموا إلى محلّ ثبت لهم المجاهدون، فتكون الدائرة عليهم وينهزمون وبلغت عدة القتلى منهم في هذه الحروب الأخيرة في المغارب نحو مئة قتيل، وفي أكمة خليفة قطعت رؤوس عشرة منهم، وأسر منهم في قرية الذباح ثلاثة من المسارحة.

واستشهد من الأنصار أهل الحيمة الشيخ مبارك بن حسين السلامي، وآخرون، رحمهم الله تعالى. ثم تقدّم المجاهدون على بني جرّين وطرّدوا الأعداء منها، وأحرقوا أكثرها وعادوا إلى المغارب، وداخل الأعداء عظيم الوهن بعد تلك المضارب.

وأنجز الله وعده، فحزب الله هو الغالب، وفشا الموت فيمن بقي في شهامة

[١] في أ، فتجمعوا.

١٠٠ / من أهل صَعْفَانَ / وَمَذَوَّلَ وَالطَّرْفِ وَمِنْ إِلَيْهِمْ، وَأَهْلَكَ اللَّهُ الشَّقِيَّ عَبْدَ اللَّهِ بَشْرَ
وَابْنَهُ الصَّغِيرَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ بِبِاجِلٍ، وَانْتَقَمَ اللَّهُ مِنْهُ، فَأَتَلَفَ نَفْسَهُ وَأَمْوَالَهُ^[١] وَعَدُوَّ
مِنْ أَهْلِهِ^[٢]، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ، وَالْوَقُوفِ بَيْنَ يَدَيْ الْجَبَّارِ بِنَفْسِ ظَالِمَةٍ.

وفيهما كانت حادثة الأزارق، وخلصتها: أَنَّ الْأَزَارِقَ عُزْلَةٌ كَبِيرَةٌ كَانَتْ مِنْ
قَبْلُ مِضَافَةً إِلَى أَعْمَالِ نَاحِيَةِ ذِي شِرَاقٍ^(١)، فَلَمَّا قَوِيَ سَاعِدُ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ
نَاصِرٍ مَقْبِلٌ فِي أَيَّامِ الْحُكُومَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ، ضَمَّهَا إِلَى أَعْمَالِ الْقِمَاعِرَةِ، وَأَقْبَلَتْ دَوْلَةُ
الْإِمَامِ وَهِيَ كَذَلِكَ، وَقَدْ ضَعُفَتْ صَوْلَةُ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ نَاصِرٍ مَقْبِلٍ، فَمَالَ أَهْلُهَا،
لَأَمْرِ مَا، إِلَى النَّقِيبِ حَسَنِ بْنِ قَاسِمِ أَبُو رَاسٍ^(٢)، وَأَرَادُوا الْإِنْفِصَالَ عَنِ قِضَاءِ
الْقِمَاعِرَةِ، وَلَمَّا كَانَ عَمَلُهُمْ هَذَا مِمَّا لَا مَوْجِبَ لَهُ، لِاسْتَوَاءِ الْحَالِ بَيْنَ أَنْ يَكُونُوا
مِنْ قِضَاءِ الْقِمَاعِرَةِ. أَوْ مِنْ نَاحِيَةِ ذِي سُفَالٍ، وَكَانَ السُّكُوتُ عَنْ أُمُثَالِ هَذِهِ
النِّزَعَاتِ دَاعِيًا إِلَى رَجُوعِ تَسَلُّطِ ذَوِي النِّفُوذِ عَلَى الضَّعْفَاءِ أَمْرَ مَوْلَانَا الْإِمَامِ
بِمَنْعِ النَّقِيبِ حَسَنِ بْنِ قَاسِمٍ مِنَ الْخَوْضِ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ، وَإِبْقَاءِ الْعِزْلَةِ
الْمَذْكُورَةِ مَنُوطَةً بِالْقِمَاعِرَةِ، فَلَمْ يَكُنْ مِنْ آلِ أَبُو رَاسِ الْإِذْعَانَ، وَقَامُوا بِالترْتِيبِ
فِي مَحَلَّاتِ شَتَى، وَأَحَاطُوا بِالْعِزْلَةِ الْمَذْكُورَةِ، وَعُدَّتْ هَذِهِ الْحَرَكَةُ مِنْ آلِ أَبُو
رَاسٍ كِمِبَادٍ لِلْخِلَافِ، وَسُلُوكٍ غَيْرِ مَحْجَةِ الْإِنصَافِ، وَصَدَرَ الْأَمْرُ مِنَ الْإِمَامِ
بِتَأْدِيبِهِمْ إِنْ لَمْ يُقْلِعُوا، فَسَاقَ الْأَمِيرُ جَمَالَ الدِّينِ^[٢] عَلَيْهِمُ الْجِيُوشَ مِنْ كُلِّ
جَانِبٍ، وَنَهَضَ حَاكِمُ الْقِمَاعِرَةِ إِلَى الْأَزَارِقِ بِعِصَابَةٍ وَافِرَةٍ مِنَ الْجُنْدِ، فَتَرَبَّهَا
جَمِيعًا، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ حَرْبٌ، بَلْ اسْتَمَرَّتِ الْمَرَاةِلَةُ، بَيْنَ الْأَمِيرِ وَآلِ أَبُو

(١) الشراقي: عُزْلَةٌ فِي وَصَابِ الْعَالِي، انظر معجم المقحفي، ٣٤٩، والشراقي من حَجَّة،
انظر، معجم المقحفي، ٤٤٩ / ٢ .

(٢) حسن قاسم أبو راس: من كبار مشايخ بكيل، كان يسكن الحورى من اليمن الأسفل،
كان عاملاً لخدير، تزوج علي بن عبدالله الوزير ربيته فاطمة، انظر، حياة الأمير، ٥٤٤ .

[٢] في س، الجمال علي بن عبدالله الوزير.

[١ - ١] سقطت من س.

راس أياماً، وهم يغالطون ويتهيئون الاقدام إلى الحرب ومنها يتخوفون، وفي النهاية أرسل الأمير جمال الدين عصابة كبيرة من الجند الإمامي تحت إمرة السيد حسين جبالة، وكان في ذي سَفال، فتوجه بهم إلى الحوري^(١) محل أبو راس، واستولى عليه بدون حرب، وحين علموا بذلك أسقط في أيديهم، ورفعوا رتبهم وانقادوا للحق، وامثلوا بما أمرهم به مولانا الإمام، وانحسمت هذه الحادثة بسلام، وكانت قد تطاولت إلى إثارة نارها أعناق ذوي النفاق والخصام.

قلت: وقد تمَّ بما سردناه من الوقائع العظام بيان ما حصل في خلال هذا العام.

وكانت تَرُدُّ إلى المولى الإمام في كثير من الحوادث الأشعار ما بين تهاين حسان،^{١٧} وتسلية عند وقوع شيء من طواق الحداث، ومدائح مقبولة لدى الأعيان، إلا أن بعضها استولت عليه أيدي الضياع، وبعضها، وإن كان / ١٠١ جليلاً برفعة شأن من سبق إليه، ليس بحري بالإيداع، ومما وقفت عليه للفقير الذكي أحمد بن صالح الجلال^(٢) قوله مادحاً للإمام - عليه السلام - من قصيدة طويلة مطلعها:

- الرمل -

أَجِينُ خَالِصٌ لَمْ يَشِبْ أَمْ قَضِيبٌ حَسَنٌ مِنْ ذَهَبٍ
أَمْ رِيَاضٌ ضَحَكَتْ أَزْهَارُهَا وَغَدَّتْ أَغْصَانُهَا فِي لَعِبِ

ومنها واصفاً للقهوة المشهورة المتخذة من قشر البن، وقد تخلص بذلك إلى المديح لمولانا الإمام:

- (١) الحوري: موضع في الجهة الجنوبية لمدينة ذي سَفال انظر، معجم المقمض، ٢٠٠.
- (٢) أحمد بن صالح بن سعيد الجلال البهلوي ت بصنعاء ١٣٥٥هـ، فقيه شاعر، هاجر إلى الإمام المنصور بالله سنة ١٣٠٩هـ، وتولى قبض الزكوات من بني بهلول، ماح، يتكسب بشعره، ولد بصنعاء سنة ١٢٨٥هـ، انظر، نزهة النظر، ٧٧.

[١ - ١] من عبارة «وتسلية عند وقوع شيء حتى عبارة وتوفي بهذه السنة» سقطت من س أي حوالي أربع ورقات.

عُذِبَتْ ذوقاً وراقَتْ فَلَهَا نَفْحَةُ الْمَسْكِ وَطَعْمُ الْعَنْبِ
أَذْكَرْتَنِي كَلِمَا أَذْكَرَهَا ذَكَرَ ذِي الْعَلِيَا رَفِيعَ الرَّتَبِ

ثم ساق في مديحها إلى أن قال، ونعم ما قال:

كَلِمًا قَمَسَتْ عَلَى مَنْبَرِهِ خَاطِبًا طَبْتُ وَطَابْتُ خُطْبِي
يَا ابْنَ أَرْبَابِ الْمَعَالِي وَالتَّقَى وَابْنَ خَيْرِ الْخَلْقِ يَا سَيْنَ النَّبِيِّ
أَنْتَ مَنْ أَهَّلَهُ اللَّهُ لِكُلِّ جَمِيلٍ فَادِنُ مِنْهُ وَأَقْرَبِ
أَنْتَ أَوْلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ مِنْ الظَّالِمِ الْجَائِرِ ذِي الْجَهْلِ الْغَيْبِ
أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ هُدَى كَالْحَائِرِ الْمُضْطَرِّبِ
حَسْبُكَ اللَّهُ الَّذِي أودَعَ فِيهِ كَ مِنَ الْأَسْرَارِ مَا لَمْ يُحْجَبِ

وهي طويلة جداً، وله من قصيدة أخرى مادحاً بها مولانا الإمام - عليه

السلام - مطلعها: - مجزوء الخفيف -

يَا بَنِي الْمُصْطَفَى الَّذِي صَارَ لِلْوَحْيِ وَاعِيَا
فَضْلُكُمْ غَيْرُ غَامِضٍ إِنْ سَأَلْنَا الْمَثَانِيَا
مَا بَرِحْتُمْ مِنَ الْعُلُوِّ مِ جِبَالاً رَوَاسِيَا
كُلُّكُمْ آلُ أَحْمَدٍ صَارَ لِلْمَجْدِ حَاوِيَا
فِيكُمْ الْخَيْرُ كُلُّهُ إِنْ غَدَا الْخَيْرُ نَائِيَا

ومنها في مديح مولانا خاصة:

يَا كَرِيماً بِفَضْلِهِ أَصْبَحَ الْفَضْلُ دَانِيَا
يَا إِمَاماً بَعْدَلِهِ أَصْبَحَ الْجَوْزُ عَافِيَا
بِكَ طَابَتْ حَيَوَاتُنَا وَشَرَّفْنَا نَوَاصِيَا
بِكَ طَالَتْ رِقَابُنَا وَغَلَبْنَا الْأَعَادِيَا
وَعَزَّوْنَا عَدُوَّنَا وَنَصَرْنَا مَغَازِيَا
قَرَّ عَيْنَا فَلَنْ تَرَى لَكَ فِي الْأَرْضِ عَاصِيَا

/ ١٠٢

وهي طويلة، وله من قصيدة أخرى قدمها إلى حضرة الإمام - عليه السلام - في أثناء هذا العام، وفيها نوع من العتاب لعدم الإذن له من الحجاب، ومطلعها:

مالي وقفْتُ ببابِ عاليِ البابِ متحيراً لم أدرِ أينَ جوابي
ومنها في المديح:

الناسُ قسِرُ والإمامُ لبابُه كَمُ بينَ قسِرٍ هَيِّنٍ ولبابِ
حازَ الفخارَ فماله في العصرِ من ثمانِ حماهُ اللهُ من أوابِ
وحوى الكمالَ فحدَّثتُ بكمالِه الأيَّامُ ناطقةً بكلِّ عُجابِ
ما زالَ ذا خلقٍ عظيمٍ قائماً بالعدلِ معروفاً بحسنِ خطابِ

وله من قصيدة أخرى طويلة، مدح بها مولانا الإمام في هذه السنة، جاء من مديحها قوله:

الطيبُ الطاهرُ يحيى إماماً مَ الحقُّ يا يحيى وُقيتَ الردى
يا بنَ رسولِ اللهِ خيرَ الورى طُراً لقد طلتَ به سؤددا
يا ابنَ عليٍّ خيرَ أهلِ المُعلَى وخيرَ ذي فضلٍ به يُقتدى
فضلُك لا ينكُرُه مُنكِرٌ في منتهى الأمرِ وفي الابتدا
أبوك سادَ الناسَ في عصرِه ولم تزلْ من بعده سيِّدا
يا بضعةً من جسدِ المصطفى ولحمِه الطاهرِ نفسِ الفدا
السُّرُّ لا يبرُحُ في أهليهِه والفرعُ بالأصلِ شبيها غدا
كم صالحَ جاءَ به صالحُ وفاسدٍ من فاسدٍ أوجدا
ولأك مولاك أموزَ الورى لم يدعِ الناسَ تعالى سدا
ملكتهَا شرقاً وغرباً معاً كرهاً على رِغمِ أنوفِ العدى

/ وهي طويلة، والمنتقى منها ما ذكرته، والغالب على شعر الفقيه أحمد الجلال الإحسان، إلا أنه كما قال بعضهم، بعزه ودره وياقوته يجنيها أجره.

وفي هذا العام أدرك مولانا الإمام عيد الأضحى السعيد، وهو مقيم برؤضة حاتم، وأيامه أيام سرورٍ نواضِرٍ بواسم، وأسفر يوم عيد الغدير وهو هنالك، وكان يوماً عظيماً، اجتمع فيه من الناس عددٌ عظيمٌ، وجرى له من الاحتفال ما تحدّث به الظاعن والمقيم، ووصلت إلى الإمام فيه التهاني.

ومن هنا الإمام - عليه السلام - محرّر هذه السطور بالقصيدة الآتية وهي:

- الرمل -

قسماً والحبُّ فيك حَـلَا	ما فؤادُ الصَّبِّ عنك سِلا
عدمُ السلوانِ من سلكت	روحُه سبَلُ الهوى ذُلَا
وسقاه الحبُّ خمرتَهُ	فاستطاب العَلَّ والنهَلا
يا عدولي لست من تُغري	أنا لا أصغي لمن عَـذَلا
طبعْتُ نفسي على خُلُقِ	لم تكنْ عنه لتنتقِلا
فاطَّرحَ لومي وقُلْ سدَّدا	يُرشدُ المُغري لما انتحِلا
أنا ذِيَاك الذي أَلَفْتُ	مقلتاه السُّهْدَ فاتصِلا
لا أبالي في الغرامِ بمنْ	نصرَ العُشاقِ أو خذَلا
يا رفيقي منْ بني وطني	إنَّ لي في رفِيقِ الأُمِّلا
هاتِ من ذاك الحديثِ مُنى	مهجتني وارفَعْ به عِلا
ماتراني كلِّما خطرتْ	نسمَةٌ أهفُو بها عَجِلا
أوشرى برقٌ بكاطمةٍ	لاحَ مثلَ السيفِ قد صُـقِلا
لم أطقُ سرَّ الولوعِ ومنْ	شاقه ^[١] برقُ الحمى اختِلا

[١] في الأصل: شاقه.

أيه يا برقُ استعزف لى
واهد يا ساري الصبا نفساً
تُنعش الأرواح هبته
فكلم أحسست في كبدي
إنه في روض ربعهم
يا سقى تلك الرياض حبا
وإذا ما الغيث أخلفها
فلقد مر الزمان بها
بين قرب غاب حاسده
واتصال لا رقيب به
مثل ما راق الثنا وحوى
بأمين الله عصمته
صاحب الطور الذي انتصرت
وانبرت تلى كما نزلت
والعنايات العظام وما
من أمان لا يقاس به
وانتصاف للضعيف سطا
وانتصار عز ناصره
حرس الدين الحنيف كما
فربوع الدين عامرة
ورياض الهدى باسمه
وديوار البغي دارسة

مهجتي شوق بها اشتعلا
لشذا الأطياب مشتعلا
وينيل النفس ما حَمَلا
بَرَدَه قد أطفأ العُلا
صافح الأزهار وانتقلا
مغدق ينهل منهملا
جادهَا ومعى بها هطلا
مُسرِعاً لا يعرف المهلا
مكرهاً والعيب عنه خلا
راق فيه الأنس متصلا
بأمير المؤمنين عُلا
حُجة الباري لمن عقلا
فيه آيات الهدى عملا
أي متلو كما نزل
ضاق عنه الكون مشتعلا
حجر العدوان واعتقلا
سيفه واستأصل الحيل
طاول الأطوار والقلا
هدم الأضلال والخطلا
شادهَا الإيَّان واحتفلا
زادهَا سلطانه جدلا
لا ترى في أرضها طلا

١٠٤ /

١٠٥ /

ووجوه الظالمين بها
 كل حين من كتابه
 صبحتهم بالمنون فيما
 رُبَّ بغي جرَّ بائقة
 وافتنان جنَّ حامله
 ساقهم داعي الهوان إلى
 وأتوا من جهلهم عملاً
 إنهم ضلُّوا السبيل ومن
 وهم العادون إذ نكثوا
 الإمام ابن النبي إذا
 تاج هام المجدي والخلفا
 قرناء الوحي يعرفهم
 وهم سفن النجاة لمن
 ما عسى المثني يقول وفي
 كل فضل غير فضلهم
 يا إمام الحق في زمن
 إنَّ عصراً أنت قائمُهُ
 غرة في الدهر شادخة
 ليس بالأمر الغريب إذا
 وخلق بالملوك مني
 أنت عبدة المؤمنين إذا
 كم منحت العالمين هني

/ ١٠٦

ورفعت الضَّيْمَ عن مِلا
ولعمري ما الهناء سوى
طابَ عيدٌ أنتَ فيه كما
ونشورٍ قد نَشَرْتَ به
إنه يومُ الغدير وما
سكنتُ قلبي محبَّتُهُ
وجرت ذكراه في خَلدي
يا له يوماً حوى عجباً
البسَ الهادي أخاه به
خلعةُ الله التي عَظُمَتْ
هي ظلُّ الله مَدَّ به
كل مدح في الوصيِّ وإن
حَيَّرِي يا فكري مدحاً
وارفعي صوتاً يدوم صدى
يا أمين الله هاك ثنا
إن يكنْ دونَ المرامِ فما
إنه جهْدُ المقلِّ ومَنْ
أبدلوا بالعطفِ مرتجلي
وصلوني بالقبولِ له
لا عدا عليا كمو مددٌ
وحجابُ الله دونكمو
وصلاةٌ روحها عطرٌ

مُلِّتْ أَقْطَارُهُمْ غِيلا
أَنْ نَرَاكَ الدَّهْرَ مَكْتَفِلا
نزلتْ شمسُ الضحى أكملًا
ما أَمَاتَ الغيِّ حينَ غَلا
يَوْمُهُ عن فكري غَفِلا
وسكونُ القلبِ فيه ولا
وفمي لم أَقْتَرِفْ مَلًّا
لم يزلْ للمجدِ معتقلا
خلعةٌ لم تشبه الخُلا
خطرًا فيه الهدى مثلاً
فوق أرجاءِ العلى ظللاً
طالَ لم يُلمِمَ بها فُضْلا
فيه أُنِي ذَقْتُهُ عَسَلا
رجعُهُ في المدحِ مرتجلا
أمرُهُ أغرى بي الخجلا
أَمَلِي عَن سِتْرِهِ انْفَصَلا
بذلُ المقدورِ ما بخلا
لأحوزَ العطفَ والبذلا
إنَّ خيرَ النظمِ ما قُبِلا
بعزيزِ النصرِ قد وُصِلا
يدفعُ الأحداثَ والخللا
وسلامٌ مثلها جَزُلا

يبلغان المصطفى سند الخلق أرقى المرسلين عُـ
وعلى الآل الكرام وفي روضهم منك الهوى اعتدلا
ما شدت ورقا على فنن أو دعى الداعي بحي على

تمت

قلت: وقد طالت هذه القصيدة، وعذري في نقلها كاملة إرادة حفظها من غير الزمان، لأنها غير مثبتة في ديوان، والتبرك بمن قيلت فيهم، على أنها لم تكن من الهذيان، ولا من هراء القول، وإن نزلت عن رتبة الإجادة والإحسان، وفيها إلمام ببيان العذر، وأنه جهد المقل، ومن بذله ما تحيل أو بخل.

وتوفي بهذه السنة في ثامن عشر شهر صفر السيد الأجل الوجيه عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن شرف الدين بن أحمد بن محمد بن الحسين الكوكباني أصلاً ووطناً، والصنعاني نشأة وإقامة، وهو في سن الكهولة. وكان المومى إليه ممن انتظم في سلك المأمورين أيام الحكومة العثمانية، وولي لهم أعمالاً جليلاً في صنف المالية، وانفرد بالوقوف التام على تلك الأعمال، ولا يخفى ما تحتاج إليه أمور الجباية من المهارة والكمال.

ولما أقبلت دولة مولانا الإمام، أنيطت به رئاسة دائرة المحاسبات، فقام بها خير قيام، وبذل ما في وسعه لإيصالها إلى درجة الانتظام، وبقي كذلك إلى أن انتقل إلى جوار الملك العلامة، ووفاه حادي الحمام، وبه حسن له الختام، أسبل الله عليه سحائب الغفران وبلى ثراه بواكب الإحسان، وقد سبق لنا الإمام في / ١٠٨
أثناء بيان حوادث السنة الأولى، ذكر بعض الحوادث الواقعة في بعض الأقاليم بمناسبة اقتضت ذلك، والحديث شجون، فرأيتُ اتماماً للفائدة أن أذكر ما خطر على البال عند تحرير هذا المقال:

فأقول: إنها جرت حوادثٌ عظيمةٌ في أطراف القطرِ اليمني منها، ما كان في بلادِ عسير، فإنَّ الأميرَ حسنَ بنَ عليِّ بن محمدِ بن عايض، لما انفصل الأتراك من تلك الجهات، وخلصت عنهم مدنها والقُرى، وكان الأميرُ المذكورُ قائماً بوظيفةٍ معاونٍ متصرفٍ، والمتصرفُ هو رئيسُ الإمارة في مثل تلك الجهة، نهض الأميرُ المذكورُ للقيام بإمارةِ قطرِ عسير، وضبطَ أطرافها^(١) وحزَمَ أكنافها وساعده على إدراكِ الأمانةِ ما تركه محيي الدين باشا حين عزمه مع عساكره، من السلاح والمدافع والذخائرِ الحربية، فإنه سلّمها إليه، فقسّوى بها ساعده وتقهرقَ بها عن معارضةِ حاسده، واستمرَّ على ذلك زماناً إلى أن كان بينه وبين قحطان^(٢) وقبائلِ رُفيدة^(٣) خصامٌ بسببِ عدّةٍ لهم من عسير، وهم يرون أنهم يتمون إلى ابنِ سعود، أميرِ نجدٍ وصاحبِ الرياض، فأرسلَ على المذكورين جنداً تحتَ قيادةِ بعضِ أقاربه، فكانت بينهم حروبٌ، أسفرت عن استيلاءِ جندي الأميرِ عليهم، وفتح بعضُهم إلى ابنِ سعود، فأمدَّهم بجندي تحتَ قيادةِ أحدِ أولاده، وجرى بين الفريقين حربٌ تهول، انهزمَ فيها جنديُ أميرِ عسير، ثم ساق جيشُ ابنِ سعود وراءهم إلى أن دخلَ أباها^(٣)، واستباح أموالَ أهلها ودماءهم. وكان الحادثُ يروغُ ويدفعُ في الأكبادِ من هوله الصدوعُ، وفرَّ الأميرُ حسن، ومدَّ ابنُ سعود باعه على تلك الأطراف، وأدخلها تحتَ حوزته.

ومنها، أنه لما تقرَّب ابنُ سعود من أطرافِ هذا القطرِ، وكان بينَ ابنِ

-
- (١) قحطان: إحدى قبائل ثلاثة موطنها عسير وهي قحطان، ألمع، ويام، وقحطان من قبائل عسير، ومن قبائلها رُفيدة وبني بشر وسنحان الحباب وعبد وراذع والشريف.
- (٢) رُفيدة: قبيلة من قحطان - مواطنها شرق أباها، على بعد ٢٥ كم من خميس مشيط.
- (٣) أباها: تقع في رأس وادي ضلع، في مرتفعات السروات على ارتفاع ٢٢٠٠ م، على بعد ٢٨٠ كم من صعدة.

[١] في س، أفرادها.

دليم^(١) من قحطان وبين قبائل يام حزازات ومجادلات حسن لأهل نجد قصد قبائل يام، وكانت رؤوساً يام في حالة تفرق في الآراء، فقصدهم جمع عظيم من النجديين، وانضم إليهم غيرهم من القحطانيين، وقبائل الدواسر^(٢) وداهم بلاد يام، وتوغل فيها إلى أن وصل مدينة بدر^(٣) على حين غفلة. وأوقع جيش النجديين بمن صادفه من يام، وقتل كل من لقيه منهم، وحاصر نحو سبعين شخصاً من رجال يام فيم عدد من عقابهم، فاستسلموهم بالأمان.

ولما خرجوا إليهم وقبضوا أسلحتهم قتلوهم جميعاً، وفرّ الداعي علي بن محسن شبام بعد جهدي ومشقة، وقد كاد أن يقع في قبضتهم، ثم عاد الجيش النجدي من حيث جاء، وقد أنزل بيام كل داء، وكانت تلك عادته، فمن شأنه الغزو والغارة، فإن وجد أمامه صبراً وثباتاً لم يلبث أن يعود ناكصاً على عقبه، وإلا فعل الأفاعيل وعاث وبادر/ بالخروج إن لم يكن من قصده سوى الولوج. / ١٠٩

ومنها ما كان في القطر الشامي، فقد سبق أن الشريف فيصل بن الحسين بن علي، دخل دمشق الشام وسواها من مدن ذلك القطر فاتحاً، ومعه الإنجليز والفرنساويون، ولما وضعت الحرب أوزارها ظهرت أطاع دول الأفرنج، وتزاحوا على الغنيم التي زحزحوا عنها الأتراك، وكان مما تقرّر من المعاهدة بين الإنجليز والفرانسة؛ أن القطر الشامي يكون لهم، والشريف الحسين وأولاده غافلون، ويظنون أن المواعيد التي كان الأفرنج يعدونهم بها في زمن الاحتياج إليهم أمور

(١) المقصود محمد بن دليم أبو لعنة، صاحب قحطان، انظر، نزهة النظر، ٤٨١ .

(٢) الدواسر: من القبائل النجدية منازلها من وادي الدواسر إلى الحوطة جنوبي الرياض انظر قلب جزيرة العرب، ١٤٩، ملوك العرب، ١١/٢، تاريخ سينا لنعوم شقير، ٦٧٠ .

(٣) بدر: من قرى نجران فيه مركز يتبعه قرى ومناهل للبادية، انظر، معجم البلدان السعودية لحمد الجاسر، ١٤٧/١ .

مبرمة، وحقائق ثابتة، فإنهم كانوا يقولون لهم، أن لا مرام لهم في الاستيلاء، وليس لهم غرض سوى رفع سلطة الأتراك عنهم، فانكشفت حقائق ما في الضمائر، وأظهر الفرنسيون ما كان مكتوماً في الحفائر، وقالوا: هذا الشام لنا، ولم يهن ذلك على الانجليز، فتظاهروا للشاميين، ومعهم الشريف فيصل بالميل إلى ما يرومون من الاستقلال، ولم يكن منهم ذلك عطفاً عليهم، بل رغبة في مزاحمة الفرنسيين على الشام، فمكثوا يمججون، وكل يريد الوصول إلى ما يروم، وفي النهاية، أثمر تشجيع الإنجليز للشاميين أن أجمع رأيهم على المناداة بالشريف فيصل ملكاً عليهم، وشكلوا لأنفسهم حكومة، قوامها من رجال الشام الذين كانوا أمراء مع حكومة الأتراك، وأعلنوا الاستقلال وهو في عرف هذه العصور الأخيرة عبارة عن صفة من صفات الدول يكون من شأن الدولة المتصفة بها، أنها حرة لا يد ولا مداخله لأي دولة أخرى في بلادها، وأظهروا بذلك مناوأة الفرنسية، وحشدوا لهم جيشاً للدفاع، ولكن الفرنسيين لم يمهلوهم، فقدموا بجيوشهم إليهم، وكان جيش الشاميين قد أعد له موقعا للمدافعة، فجرت بينهم حرب يسيرة، انهزم فيها أهل الشام، وتفرقوا وفر الشريف فيصل من دمشق، وتبدد ذلك الجمع، واحتل الفرنسيون جميع مدن الشام وقراه، وتمكن الفرنسيون من تفريق كلمة أهل الشام وتوزيعهم وتمزيقهم إلى سبع حكومات، يدير دفتها أناس منهم، ودرج ذلك القطر الشامي تحت سلطة العدو الكافر، وإذا تأمل اللبيب في تطور هذا الحادث المرعب أمكنه الجزم بأن هذه النتائج الوخيمة مقدماتها منحصرة في الإخلال بما نهى الله عنه من الركون إلى الذين ظلموا، والوثوق بوعودهم وتسوياتهم الكاذبة، نسأل الله السلامة. / من الخذلان، والوقوع في شبكة الاغترار بأحزاب الشيطان.

١١٠ /

ومنها وثوبُ الانجليز على حصّتهم من الغنيمّة، وهي القطرُ العراقي جميعه، وهو ولايةُ بغدادَ وولايةُ البصرةَ وولايةُ الموصلِ واحتلالها بجيوشهم، والعزمُ على إبقائها تحت سلطتهم مباشرةً، والحيلولةُ بين سكانها وبين ما أرادوه من الاستقلالِ الذي منّوهم به، وبين تشكيل أيّ حكومة، ولو تحت الحماية. ولكنهم لم يخضعوا لإرادةِ الإنجليز، بل هبّوا للثورة، وتكلّفَ الإنجليزُ لإبقاءِ نحو ستين ألفَ مقاتلٍ من جنوده في تلك الجهات، وجرت بينه وبين أهلِ العراقِ القاطنين خارجَ مدنها حروبٌ، إلا أنها لم تكن بمقابلة جيشٍ لجيش، بل عبارةً عن قطعِ طُرقٍ على الإنجليز، وقتلٍ من انفردَ منهم ونحوِ هذا.

وسياتي إن شاء الله بيانُ ما آلت إليه أحوالهم.

ومن الحوادثِ، ما آلت إليه أحوالُ الأتراكِ، فإنّ دولَ الإفرنجِ الظافرةَ في الحربِ العامّةِ، التي أشرنا إلى طرفٍ من أحوالها فيما سبق، عقدوا فيما بينهم وبين الأتراكِ هدنةً مدتها ثلاثة أشهرٍ، وتحكموا فيها على الأتراكِ غايةَ التحكمِ، إذ شرطوا أن تحتلّ جيوشهم أكثرَ مدنِ الأناضولِ، وهو البقيةُ الباقيةُ من الممالكِ التي كانت تحت حوزةِ العثمانيين. ولما انقضى أمدُ الهدنةِ ظلّوا كما كانوا قبلَ انقضائها ولم يسعدوهم إلى الدخولِ في مفاوضةِ الصلحِ إلى أن مرّت مدةٌ تناهزُ الستين.

وفي أثناءِ هذه، دَعَوْهم إلى محلٍّ يسمى سيفر^(١)، وعقدوا معاهدةَ صلحِ،

(١) معاهدة الصلح في سيفر: عقدت في ١٠ أغسطس ١٩٢٠ بين الحلفاء والدولة العثمانية، تنازلت بموجبها الدول العثمانية عن جميع السكان غير الأتراك ووافقت على تدويل المضائق وتشكيل لجان للنظر في التعويضات ونظام الامتيازات وإعادة الصفة الشرعية للامتيازات.

أذلّوا بها الأتراك، وأجبروهم على توقيعها، كان منها: فصل ولاية أدرنة عن العثمانيين واعطاؤها لدولة اليونان، وتمكين اليونان أيضاً من ولاية أزمير^(١) وإعطاء الفرانسة ولاية أضنة^(٢)، وهي إقليم واسع اشتهر في الصدر الأول من المسلمين باسم قالي قلا معرباً عن لفظ كليكيا، وجعل مضائق الاستانة تحت سلطتهم، وهذه المضائق هي المسماة قديماً بخليج القسطنطينية وغير ذلك من شروط الصلح الثقيلة، كتحديد جندهم وسلاحهم.

وفي النهاية احتلوا بجنودهم مدينة الأستانة، وذلك عندما فرَّ بعض قواد الأتراك من الأستانة والتجأوا إلى طرف الأناضول في ولاية انقره، وأعلنوا مبايعتهم لدولتهم ودعوا جميع الأناضول إليهم / فلم تمض غير برهة يسيرة / حتى تمكنوا من صرف أعنة أقطار الأناضول إليهم، وإدخاله تحت حوزتهم، وقطع علاقتهم مع حكومة الاستانة، وأظهروا أنهم غير راضين بما جرى من المصالحة، وأنهم لا يقبلونها، وكان المتولي لزعامه هؤلاء قائداً من قواد الأتراك اسمه مصطفى كمال باشا^(٣)، وقد جرت بين هؤلاء الثائرين وبين حكومة الأستانة وساطتهم والميل إليهم والرضا بحركاتهم، ومنعها ومنعهم عن الاتصال

(١) ازمير: مدينة تركية تقع على ساحل بحر ايجة، ميناء هام، اليوم هي مركز ولاية.

(٢) أضنة: مدينة تركية على ساحل البحر المتوسط، كانت طريقاً تجارياً مهماً، عاصمة لولاية أضنة.

(٣) مصطفى كمال باشا ١٩٣٨، مؤسس جمهورية تركية الحديثة، ولد في سلانيك سنة ١٢٩٨هـ / ١٨٨٠ والده على رضا افندي، قاد المعارك في الأناضول وانتصر على اليونان، ألغى الخلافة الإسلامية وجعل تركيا علمانية، صُنفت عدة كتب عند انتصاره في الأناضول منها كتاب، انتصار الأتراك في الأناضول تأليف حنا مينا مطر طبعة ١٩٢٢م وسيرة مصطفى كمال باشا وتاريخ الحركة التركية الوطنية في الأناضول لأمين محمد سعيد وكريم ثابت، ط مصر ١٩٢٢ .

ما في الأستانة من جيوش الاحتلال، وانقضى هذا العامُ وأمورهم على ما بلغ، كما سردناه من الضعفِ والاختلالِ، والأمرُ لله وحده.

هذا وقد بقيَ من أحوالِ الكونِ والأقطارِ الإسلامية، ما كان من الإنجليزِ في فلسطين وبيت المقدس، فإنهم لما استولوا على تلك الجهة، وهي واسعةُ الأطراف، رتبوا فيها حكومةً جعلوا رئيسها يهودياً من يهود الإنجليز تحت إشرافهم وحمايتهم.

وقد كانوا في أثناء الحربِ وعدوا اليهودَ أن يعتبروا فلسطين وطناً قومياً لليهود، ومعنى هذا أنه متى اجتمع اليهودُ من أقطار الأرض إلى تلك البلاد، وكثروا على من فيها من المسلمين والمسيحيين، أمكنَ لهم أن يقيموا فيها دولةً يهوديةً، وأوحوا إلى اليهودِ أن يؤلفوا لهم جميعاتٍ لدعوة اليهود من أقطار الأرض إلى سكنى فلسطين، وقد ظهرت آثارُ هذه الدعوة في يهود اليمن، فكثيرٌ منهم قصدوا بيت المقدس بعيالاتهم^[١] خلاف العادة، والمسلمون والمسيحيون هنالك لا يزالون يحتجون على الإنجليز، ولم يظفروا من الإنجليز بالاعتراف بأنهم قد أبطلوا اعتبار فلسطين وطناً قومياً لليهود.

وقد كانَ من الإنجليز أيضاً، الاستيلاءُ على الأردن وبادية الشام، وجعلوا فيها إمارةً أسندوا رئاستها إلى الشريف عبد الله بن الحسين بن علي بن محمد بن عون ومدّوا عليها حمايتهم، لا قوة إلا بالله.

وإنما ذكرتُ هذه الحوادث ليعتبر الناظرُ بما صارت إليه أحوال المسلمين من الشتات، وكيف كان وثوب الكفار على تلك الجهات، فيعلم أنه لولا من الله تعالى على هذا القطرِ بوجود مولانا الإمام^[٢] لكان نصيبه مثل نصيب

[٢] في س، الإمام المتوكل.

[١] في س، بعائلاتهم.

الأقطار، والعياذُ بالله والحمدُ لله وحده.

ودخلت سنة تسع وثلاثين وثلثمائة وألف، وعمّالُ مولانا الإمام وحكّامه في ١١٢ /
الجهاتِ هم المذكورون في السنة الماضية، والأحوال كما سردناه، ومولانا الإمام
-أيده الله- مقيمٌ بالروضة.

وفي محرّم المحرم، صدرَ الأمرُ الشريفُ بتوجيه عمّالة بلادِ البستانِ إلى السيدِ
الأجلِ المقدمِ عليّ بن علي السراجي^(١) والمؤمى إليه من أشهرِ أعوانِ الإمامِ
السابقين إلى الهجرة والمناصرة، فتوجّه إلى محلِّ عمله، وباشرَ الأعمالَ وقامَ بها
خيرَ قيامٍ، فحمّدَ مثابته، وفاضَ في أوديةِ الحزمِ عباؤه.

وفيها كانَ انتفاضُ سكانِ جبلِ رَيْمَةَ وملحقاته، وخروجهم عن الطاعة،
ثم إصلاحُ تلك الجهةِ وكانت مبادي الخلافِ في أواخرِ السنةِ السابقة، وإنما
أخرناها إلى حوادثِ هذه السنة؛ ليتصلَ بيانُ الانتفاضِ والإصلاحِ، وخلاصةُ
الأمرِ أنه لما ارتفع جيشُ بُرجٍ مع المقادمية، وخلّى الجبلُ من جندِ الإمامِ، وكانَ ما
سردناه من خلافِ أهلِ صَعْفَانَ، وسريانِ الافتتانِ إلى بعضِ مَسَارِ، وما جرى
من الحوادثِ في بلادِ الطَّعَامِ، تزايدَ أطماعُ ذوي القلوبِ المريضةِ في الوصولِ
إلى مآربهم، وظنّوا حصولَ النجحِ فيما يتعلّقون به من أسبابهم، ومن أولئك
الشيخُ محمد أمين بن محمد أحمد، كان أبوه شيخَ مشايخِ رَيْمَةَ، ومكثَ زماناً
طويلاً قائماً مقامَ القضاءِ المذكورِ، وإليه الحلُّ والعقدُ مع حكومةِ الأتراكِ إلى أن
توفي، وابنه هذا صغيرُ السن، فتقدّمَ مكانه قريبه الشيخُ علي يحيى، وقامَ بها كان

(١) علي بن علي السراجي ت ١٣٣٩ هـ، أحد قادة الإمام البارزين، بعد صلح دَعَّانِ عَيْنَةَ
الأتراكِ على بلادِ البستانِ، ثم عينه الإمام يحيى على نفس المنطقة، انظر، حياة الأمير،

إلى عمه من الأعمال.

ولما انقضت أيام الأتراك، وأقبلت دولة الإمام، كان الشيخ علي يحيى المذكورُ فمِن بادرٍ إلى الطاعة وأظهر النصح، فبقي على تصدُّره في ناحية الجبى، وخفي مكانُ محمد أمين المذكور، فسَّول له جهله وحبُّ المنافسة لابن عمه أن يركب هذا المركب الصعب من الخلاف، ويسلك طريق الخيانة والاعتساف، فبيَّت أمره وراسل إلى باجل، فوعده مَنْ هنالك ومنه، وبما فاز به من الميل إلى الضلالِ هُنوه، وكانت أيدي الأشرارِ تعملُ في إدخالِ كراهية دولة الحقِّ إلى قلوبِ الناس، لانقطاع ما كانوا يألَفونه من الفتنة، وغلُّ أيديهم عن أموالِ الضعفاء وأعراضهم ودمائهم، وكانت قد عمَّت منهم المحنة فخرج محمد أمين متخفياً من الجبى إلى أن وصل إلى / أطراف بلادِ الطعام، وقد جمع حوله من الأشرارِ عصابةً، إلى زمرةِ الضلالِ منجذبةً غيرَ هيَّابة، وأعلن الخلاف، ووصلت إليه من باجل وعبال الأمداد، فنازل بمن معه الجمام^(١)، وفيه رتبةٌ من الجندِ الإمامي لأنه قفل بلادَ الطعام، واجتمع إليه أهل البلاد، فحاصروا من في الجمام، وصبرت لهم الرتبة صبرَ الكرام، وأذاقوا الباغين مرارة الصدام، فجرعوا كثيراً كأس الحمام، ولكنهم لانقطاع المددِ عنهم بانقطاع الطريقِ مكثوا يدافعون إلى أن رزقهم اللهُ الشهادة، وأنالهم درجة السعادة، وعندها استعرت نارُ الخلافِ في جميع بلادِ الطعام، وأقبلت إلى البغي جموعُ الطغام من كلِّ حدبٍ وصوب، وتتابع عليهم المددُ من قائدِ الجيوشِ الأدرسية محمد طاهر رضوان، إلى أن صارَ جمعهم نحوَ ثلاثة آلافٍ مقاتلٍ، ونهضوا إلى مرتبِ الشامة^(٢)، وفيه عصابةٌ

/ ١١٣

(١) الجمام: وادي الجمام المعروف بوادي جاحف، شرق شمال مدينة زبيد، انظر، اليمن

الكبرى، ٧٧، معجم المقحفي، ٢٧٧، أما الجمام، فلم أعثر عليه.

(٢) الشامة: من قرى بلاد الطرف في جبل بُرع، انظر، معجم المقحفي، ٧٥.

من جنود الحق، عليهم النقيب ناصر العسل الأرحبي المرهبي، والفقير أحمد الأكوغ، فكان بين الفريقين حربٌ تهول، واستمر يوماً كاملاً، وتداولوا حتى اختلطوا، وأسفر الحرب عن استشهاد النقيب ناجي بن ناصر العسل، والفقير أحمد الأكوغ وبعض المجاهدين، وقُتل من المخالفين عدة قتل، وارتفع الباقون من المجاهدين.

وفي اليوم الثاني، تقدم الباغون على مركز الضالع بقضيم وقضيضهم، وباشروا من فيه بالحرب، وصبر المجاهدون لهم صبر الكرام، ورزقهم الله الثبات، فكان ذلك اليوم يوماً مهولاً، اشتمل على حرب عظيمة ومعركة جسيمة، وحارب فيه المجاهدون الذين بالضالع إلى أن نفذت مؤونتهم، فخرجوا من أماكنهم وخالطوا الأعداء طعناً بجنايبهم ورجماً بالأحجار، ومد الله عليهم حجاب ستره، فلم يكن منهم غير شهيد وثمانية جرحى.

وقد كان الشيخ علي عمر المقداد وهو بالحصن حين رأى اشتداد الحرب على الضالع، أمدهم بعصاية، ولكنهم لم يقدرُوا على دفع سيل جموع الباغين، ومع ذلك فالزيادة والمد إليهم في توأل وتتابع، وانتشر الحرب حينئذ في عموم المراتب إلى الحصن وغيره، واشتعلت الأرض ناراً، وحاول كل فريق من المجاهدين أن يمد الآخر لاشتداد الحرب في كل مرتب، لكن ثبات المجاهدين كان يحملهم على الاعتقاد، أن الحرب لادن الفريق الآخر أشد بحسب المشاهدة، وقد تعذر التواصل بين المجاهدين لحيلولة الأعداء بينهم بكثرتهم، وانتشارهم في تلك الجهات، وهنالك حمي الوطيس، وطاشت الأحلام، ونفقت / ١١٤
سلع الأرواح في أسواق الصدام، ولولا ما من الله به على المجاهدين لكانوا

فريسةً للأعداءِ، فإنَّ اللهَ رزقهم الثباتَ، ودفعَ عنهم بعنايته ما تابعه الأعداءُ من الهجماتِ، وما زالَ الحربُ في ازديادٍ ولم يمنعهم عن إدامته هجومُ الظلامِ، واصطبغَ الأفقُ بالسوادِ.

وفي أثنائها وجَّهَ الشيخُ عليَ عمرَ المقدادِ همتهُ إلى جمعِ جرحى المجاهدين وشهادتهم، وتيسَّرَ له ذلكَ على ما في الحالِ من الصعوبةِ، ومقابلتها بنفوسٍ مكروبةِ.

وفي أوَّلِ نهارِ ذلكَ اليومِ، ولى المجاهدون من عُتْمَةَ ووصابَ نحوَ الجبِّيِّ وفرَّوا إليه. وقبيلَ نصفِ الليلِ من هذا اليومِ تلقى المجاهدون الأمرَ من لدنِ العاملِ بارتفاعِ المحاطِ إلى مركزِ الجبِّيِّ خشيةً من وقوعِ مَنْ في الحصنِ، وما إليه تحتَ الحصارِ، فارتفعوا إلى الجبِّيِّ وقد جرَّعوا الأعداءَ مرَّ النكايةِ، فالمقاتيلُ منهم تجاوزَ عددهم ستينَ، ولم يكنْ شهداءُ المجاهدين مثلَ سُدسِ هذا العددِ.

ولما وصلَ المجاهدون في جنحِ الليلِ إلى الجبِّيِّ كان ترتيبهم أحكمَ ترتيبٍ وتفريقهم في جهاته، لعدمِ الثقةِ بأهلِ البلادِ، وقد كانَ في أوائلِ هذا الاختلالِ وجَّهَ مولانا الإمامَ -عليه السلام- السيدَ أحمدَ بنَ عليَ المنصورِ مع نحوِ سبعِ مئةٍ من حاشدٍ وأرحبَ مدداً لمن في رَيْمَةَ من الجندِ، وحثَّهم على المسيرِ من جهةِ السَّلْفِيَّةِ، فدخلوا إلى ناحيةِ السَّلْفِيَّةِ ولم يتجاوزوها بعدَ أن كانَ بينهم وبينَ المخالفين حربٌ كانت فيها الدائرةُ على المخالفين، ثم اعترى المددُ المذكورُ الفشلُ، وتفرَّقَ بعدَ أن كان لبُّه برهةً في أطرافِ السَّلْفِيَّةِ، ولم يتيسَّرَ له الوصولُ إلى الجبِّيِّ، وقد لامَ مولانا الإمامَ -عليه السلام- من وصلَ منهم بعدَ ذلكَ بدونِ فسحٍ ولا إذنٍ، وتركَ إخوانه في الحصارِ، وجلبَ عليهم الوهنَ، ولا يخفى

قبُح ذلك عند كلِّ عاقلٍ، فضلاً عن زواجِرِ الدينِ ووعيدِ ربِّ العالمين.

ولما انتقلَ المجاهدون إلى عُرلة الجبِّي واحكموا ترتيبها استحكمت حلقاتُ الحصارِ عليهم من كلِّ جهةٍ، وأطبقَ أهلُ قضاءِ ريمةَ على الخلافِ، وكثُرَ عددُ قوادِ الإدريسيِّ الذين وصلوا إليهم وشايَعهم أهلُ البلادِ وذوو النفوذِ، ولم يبقَ على الطاعةِ غيرُ عاملِ الجَعْفَرِيَّةِ السيدِ محمدِ بنِ عليِّ النهاريِّ وأخويه، وأما بنو عمِّه ومنهم ولدُ السيدِ محمودِ النهاريِّ العاملُ السابقُ، فكلَّهم جالٌ في ميادينِ الخلافِ، وركبَ متونَ الاعتسافِ، ونبذوا ما في أعناقِهم من الأيمانِ، ونزلوا عن درجاتِ / أهلِ الإيمانِ، وثارَ أهلُ كُسمَةَ بعامِلِهم ومَن معه من المجاهدين، / ١١٥ وانضمَّ إليهم بغاةُ تهامةٌ، فلم يجدِ العاملُ ومَن معه بُدأً من مخابرةِ الأعداءِ على أن يكونَ خروجُهم بسلاحيهم ويذهبوا حيثُ أرادوا، فأظهروا إسعادَهم إلى ذلك، ولما خرجوا إليهم غدروا بهم وأخذوهم أسارى، وكانَ العاملُ في ذلك التاريخِ في كُسمَةَ السيدِ الهمامِ عليِّ بنِ حمودِ بنِ غالبِ، وليها بعدَ وفاةِ أخيه السيدِ عبدِ الله بنِ حمودِ عاملِها قبله، وكانتِ حالةُ المحصورينِ في الجبِّي تنذرُ بالخطرِ لكثرةِ الجموعِ المحيطةِ عليهم من كلِّ جانبٍ، وانقطاعِ الموادِّ عنهم، وهمُ جمعٌ غيرُ يسيرٍ، وربما داخلهم الفشلُ والمللُ من حصارِ الأعداءِ، فحصلَ من بعضِ المجاهدينِ، وهم من بني الحارثِ تركُ مرتبِهم، وأرادوا الفرارَ والنجاةَ بأنفسِهم ظانينَ بأنَّ الأعداءَ لا يعترضوهم فلما خلصوا إليهم تلقَّوهم بالقتلِ والضربِ وأنواعِ الهوانِ والعذابِ، وبلغَ ذلك إلى المجاهدينِ، فتعاقدوا على الثباتِ وأصدقوا العزائمِ ووطنوا أنفسهم على المدافعةِ حتى المماتِ. وذلك في الحقيقةِ من ألطافِ الله تعالى بهم وبمن في المحطةِ الإماميةِ من الأعيانِ، فلولا ذلك لتساهلَ الجندُ الأماميُّ في الركونِ إلى الفرارِ دفعاً لما بهم من حرجِ الحصارِ.

وقد جرت في أثناء الحصار بين الجند الإماميِّ والبغاة معاركٌ وحروبٌ وأهوالٌ وخطوبٌ، فيها كلُّها كانَ النصرُ للمجاهدين، وهو الذين بمنَّ اللهُ تعالى أنعشَ منهم النفوسَ، وخفَّفَ ويلاتِ النحوسِ، ولم ينقطعِ الحربُ يوماً واحداً، إلا أنه كان من الأعداءِ تجري كلُّ يومٍ سببٌ للتقدم العامِ منهم والهجوم على المجاهدين، عملاً بإرشادِ بعض المنجِّمين لهم إلى ذلك، فإنه أضلَّهُم بإرشادِهِ ووعدهم أنَّ النصرَ لهم كلِّما كانَ منهم القدومُ يومَ السبتِ، ولم يزدْهم التنجيمُ إلا خبالاً وإضلالاً، فما تقدّموا من جهةٍ إلا رجعوا خائبين، وانهمزوا عنها مغلوبين، وأصابَ منهم المجاهدون، وغنموا مما أجلبوا به عليهم وقتلوا منهم.

ومن أشهرِ تلك الحروبِ حربُ بابِ الثلوث^(١)، حين تجمع الأعداءُ إلى تلك الجهة، وتقدّموا حتى لم يبقَ بينهم وبين الوصولِ إلى الجبى غيرُ مسافةٍ قصيرة، وكان الحربُ ثائراً من جميع الجهاتِ فلم يشعرَ من في الجبى إلا بتقريبِ الأعداءِ من الجهة المذكورة، فخرج إليهم الشيخُ علي عمر المقداد وعصابةٌ من المجاهدين / نافعةٌ تقوي بأسَ مَنْ في المتاريسِ، وأصدق هو ومن معه عزائمهم / ١١٦ في جلاذِ الأعداءِ ومنازلتهم، وأذاقوهم مرارةَ الإقدام، فانقلبوا على أعقابهم خاسرين، وانهمزوا هزيمةً فاضحةً وتركوا قتلاهم، فاحتزّت رؤوسهم وغنموا من سلاحهم، وعادوا مرةً أخرى على تلك الجهة، فأصيبوا بما أُصيبوا به في المرة الأولى، وهاجموا من في الجهة الغربية من الجبى، وفيها من المجاهدين أهلُ الحدا عصابةٌ نافعةٌ، فخرجوا إلى أولئك المهاجمين وقابلوهم بهجومٍ أشدَّ من هجومهم، وردّوهم على أعقابهم وقتلوا منهم جماعةً، ولم يكتفوا بذلك بل طاردوهم إلى أن وصلوا إلى بعضِ القرى التي للمخالفين، وأخرجوهم منها،

(١) الثلث: عُزلة من ناحية البستان (بني مطر)، والثلث، عُزلة من بلاد حراز، وعُزلة من مخلاف بني بحر في ناحية عُمّة، انظر، معجم الحجري، ١ / ١٦٨.

وغنموا ما فيها، وعادوا والنصرُ يحفُّهم والعنايةُ تزفُّهم.

ومن الوقائع التي جرت بين الفريقين أثناء الحصار، أن الأعداء أجمع رأيتهم على القدوم من الجهة الشرقية بقبلة، وكان الرباطُ مرتباً بالمجاهدين، وهو مرتبُ الجهة التي قصدوها، وكان المتدبون لذلك قد وعدوا مقادماً الضالَّ^[١] بأنهم سيستولون على الجبى في ظرف أربع وعشرين ساعة، وقوى عزائمهم أبو الهادي من أعوان الضالَّ بأنهم سينالون ذلك على قاعدتهم في إدعاء الإطلاع على المغيبات، والافتراء على جبار الأرضين والسموات، فتقدّموا كتائب متعددة، والتزم كل فريق بعنوته، وأعانهم مدفع الضال. فلما شرعوا في إجراء ما أبرموه جاءهم من قدر الله ما لم يحسبوه، وانتقض المبرم، وحيل بينهم وبين ما يشتهون؛ إذ صوّبت عناية الله، رصاصةً بندق أحد المجاهدين على أميرهم الشيخ أحمد عبده الحسيني فوق المدفع، فقتلته في الحال، وأوردته حياض الوبال، فاعتراهم الفشل، وأمدَّ مَنْ في تلك الجهة الشيخ علي عمر المقداد مع أصحابه وجماعة من أرحب وبادروا بالهجوم على الأعداء، فانهزموا وتبعهم المجاهدون فغنموا منهم ما غنموا حتى أخرجوهم من محلّ البيضاء^(١) بحربٍ شديد، وجلاد ما عليه من مزيد، واستولى المجاهدون عليه، وكانوا قد تحصنوا فيها.

ووصل الشيخ يحيى الصلعي وأصحابه مدداً للمجاهدين آخرَ نهار ذلك اليوم، وقد زالت / سورة الحرب، وخفت وطأتها، فاستشهد رحمه الله، وكان بعد / ١١٧ ذلك رجوع المجاهدين منصورين إلى مراتبهم، ولم يجسر الأعداء على القدوم

(١) البيضاء: بلدة مشهورة من بلاد المشرق، فيها مركز الناحية، شرق جنوب صنعاء والبيضاء قرية من بلاد حيس في تهامة انظر، معجم الحجري، ١/ ١٣٣ .

[١] في س، الضال ابن ادريس.

واكتفوا بالحصارِ والرمي بالمدافع على جهة الاستمرار، ولما بلغ إلى مولانا الإمام -عليه السلام- حال الأجناد الإمامية في رَيْمَةَ، صدر أمره الشريف إلى عاملِ الحداء، واستنهض همتَه بجمع الأقسام النافعة ومبادرتَه، مغيراً على أبيه عاملِ رَيْمَةَ ومن معه، وكان ذلك قبيل عيد الأضحى الماضي، فاستنفر قبائل الحداء وبطونها وأقبلوا إليه من كلِّ حدبٍ، وجمع منهم زهاء ألفٍ وخميس مئة رامٍ فيهم أعيانهم ورؤساؤهم مثل الشيخ ناجي بن صالح القوسي ومحمد ناصر البخيتي وغيرهما، وسار بهم مجداً وأدركه عيد الأضحى، وهو في بعض الطريق، ودخل مع الجيش الإمامي بلادَ رَيْمَةَ، فأنزل على الباغين عذاب الهون، وأتاهم من صرامته ريبُ المنون بفتكات علوية وشجاعة قسورية، وهمة لا ترضى بالدون، ولا يهتمها تكائر الأعداء ولا ما يعدون، وكانت بين الفريقين معارك يطول شرحها وتعدادها، ولم يُعرج على الجبى بجيوشه، بل قصد الأعداء إلى محطاتهم، وأماكن استعدادهم وجهاتهم، فنازلهم بجيوشه، وأنزل العزيز منهم عن عروشه، ولم يسعهم غير الفرار والانحدار إلى أطراف ثمامة، واستولى الجيش المنصور على حصون تلك الجهة، وهي المنيعه، في سويعات أو سويعة مثل حصن مشحم^(١) وحصن مسعود وبنى أبي الضيف^(٢) وبنى الضبيبي^(٣)، وقطع الجيش المسافة الطويلة في ظرف يوم واحد يقتل ويحرق ويبدد ويمزق كالسيل الجارف والبرق الخاطف، وبهذا الفتح العظيم والنصر الفخيم انفك الحصار على من في الجبى، وزال الخوف عن الشائب والكهل والشاب والصبي.

ولم يستقر الجيش الإمامي هنالك إلا برهة، ووصل إليه المدد العظيم من

(١) حصن مشحم: حصن عُزلة من الجبى، انظر معجم الحجري، ١/ ١١٧ .

(٢) بنو أبي الضيف: عُزلة من ناحية الجبى من رَيْمَةَ، انظر، معجم الحجري، ١/ ٣٧٨ .

(٣) بنو الضبيبي: عُزلة من ناحية الجبى، انظر معجم الحجري، ١/ ١١٧ .

مولانا الإمام - عليه السلام - بقبائل خولان، وكان جيشاً عظيماً، فاجتمع الجيشان وقد دَوَّخا ما وراءهما ونادى أميرُهُ بالأمان، وتقدَّما على محطة بني ناح^(١). وفيها من جموع الباغين جنْدٌ كبيرٌ، فصَبَّحوهم بقارعةٍ جعلتْهم كأمسِ الدائر، وتفرَّقوا في كلِّ جهةٍ، وساقوا خلفَ البغاةِ إلى الحصنِ، فاستولوا عليه بعدَ حربٍ شديدٍ، / وامتلاَّت أيدي المجاهدين من الغنائم، وكانت لا / ١١٨ / مُحصَرٌ ولا تُقدَّرُ، لأنَّ الجيوشَ الإماميةَ أعجلتْهم تهريبُ^[١] أموالهم، وكان ما جرى عليهم بعضُ ما يستحقُّونه من نكالهم فقد خانوا أو نكثوا العهودَ، وعقروا الصلاحَ كما عقرَ الناقةَ أشقى ثمود، ولم يرقبوا في المجاهدين إلاَّ ولا ذمَّةً، وأتوا من بغيتهم وعنادهم كلَّ مذمة. ثم تقدَّم الجيشُ المنصورُ إلى بني الطليبي^(٢) وابتدأهم الأميرُ بالمراسلة، وطلبَ عودهم إلى الطاعة، وحذَّره من المصابِ بمثل ما أُصيبَ به الجماعةُ، فأظهروا اللينَ، ولم يقربوا، ومكثوا أياماً يماطلون، والأميرُ يوالي لهم النصائحَ ويرشدهم إلى ما فيه السلامةُ من الهولِ الفادحِ، فكأنهم ظنوا أنَّ حصونهم مانعتهم من الله. فلم يقبلوا العافية. والشقاوةُ تزجُّ بصاحبها إلى حفرةٍ [١] رداه. فحزَمَ الأميرُ جنده وكلفهم بالقدومِ عليهم إلى شامخاتِ جبالهم، فتقدَّموا إليهم بنياتٍ صادقةٍ وهاجموهم، ولم يبالوا بصعوبةِ الطلوعِ إلى تلكِ الجبالِ، وهي لا طُرُقَ فيها إلاَّ للواحدِ تلوَ الواحدِ، فارتقوا إليها تحتَ أستارِ الظلامِ، وأعانتهم عنايةُ الله حتى تسنموا ذراها كأنهم يمرُّون في سهيلٍ من السهولِ، وجاءَ الباغين ما يوعدون واستعجلوا يومَ القيامةِ^[٢]، وخابت منهم الظنون، وانتهبَ الجنْدُ الأماميُّ ما جمعه، وتفرَّقوا في الشعابِ

(١) ناحت عُزلة في بلاد رَيْمَة من ناحية الجبين، انظر معجم المقحفي، ٦٥١، معجم الحجري، ٧٢٧/٢.

(٢) الطليبي: عُزلة من بلاد رَيْمَة من أعمال كُسمَة، انظر، معجم المقحفي، ٢٨٢، ٤٠٤.

[١] في س، حضر. [٢] في ص، النقرة.

والأودية متجرّعين لكأس الندامة.

ثم نادى الأمير بالأمان، فتراجعوا إلى ديارهم وقد خرب معظمها، وبعده كان القدوم على كُسمَة، وتدويخ أقطارها، والتفت العامل وابنه إلى اصلاح ما تم فتحه من البلاد وتقرير أحوالها، وترتيب ما يحتاج إلى ترتيب من معاقلها واسترجاع أهلها، وتم ذلك في أقرب مدة بعون الله تعالى، ومن الإمام على جميع الثائرين من رؤساء أهل البلد بالعضو، وقد كان كثير منهم فروا إلى تهامة بأهلهم وأولادهم، وأقاموا فيها لا يؤملون الإذن لهم بالعودة لما جنته أيديهم الأثيمة من الذنب العظيم، والتسبب في خراب البلاد، وإزعاج الطاعين والمقيم، وقد قُدرت القتل من أهل ريمة، ومن البالغين بما ينوف على الألف، وأما محمد أمين فإنه فر إلى باجل، ومنه توجه إلى الضال^[١] إلى جيزان، ولبت مدة ولم تسعه الأقطار اليمينية فذهب إلى مصوع^(١)، ثم عاد/ واعتقل في باجل، وكان ذلك بعض جزائه فهو الذي سبب هذه الحروب، وجلب الكروب والعيوب، ولم يزل ابن عمه الشيخ علي يحيى، ثابت القدم على الموالة، وكان للمناصرين للحق أثناء أيام الحصار، وقام بمعاضدة العامل أتم قيام، فرعى الإمام -عليه السلام- وأعوانه له تلك المزية وسوغوه من الرعاية كل أمنية، والوفاء من شأنه أن يدني صاحبه من الخيرات، ويدفع عنه كوارث النكبات. وقد أتينا بما كان من ريمة من الفساد والإصلاح، وأوردتها متتابعة، لأن ذلك أشفى للنفس من الإيتان بها متفرقة.

/ ١١٩

وفي هذه الأمور مجال للاعتبار بما يجني الباغي من بغيه الذميم وما يتحمّله

(١) مصوع: جزيرة في البحر الأحمر، يربطها بالبر جسر طوله ١٨٠٠ م وعرضه ١٠ م، وعمرت مدينة ميناء ارتيريا، مركز محافظة مصوع، قربها جزيرة دهلّك، انظر تاريخ السودان القديم وجغرافيته لنعوم شقير، ط مصر، ١٩٠٣ م، ١٠٦ .

[١] في س، الضال الادريسي.

من الأوزارِ والعارِ والخطبِ الجسيم - نسألُ الله تعالى الوقاية من غدرِ الهوى، وما يقودُ إلى الدمارِ والردى.

وفيها دارت المراجعةُ بينَ مولانا الإمامِ والوالي محمود نديم، وكان المذكورُ مقيماً في صنعاء، ومولانا الإمامُ يُجري له الكفايات الفاضلة، وخلاصةُ ما دارَ من المراجعةِ ينحصرُ في التفكيرِ والتدبُّرِ فيما يكونُ به حسمُ الشرِّ الذي استطالَ شره في أطرافِ حَراز، وما قابَلَهُ من تُهمةٍ والتوصلُ إلى استمالةِ أولئك القبائلِ بواسطةِ سادةِ تُهمةٍ من بني الأهدل^(١)، لعلَّ في ذلك ما يدفعُ الشرورَ ويجلبُ السكونَ والحبورَ، فيرجعُ لدن مولانا الإمامِ - عليه السلام - إرسالِ المومي إليه إلى حَراز لمكاتبةِ رؤساءِ تُهمةٍ ومناصبها، ونصحِ الجميعِ بسلوكِ السبيلِ السويِّ ومنابذةِ الضال^[١] الغوي، ووقعِ الاختيارُ على الوالي المومي إليه لمكانِ معرفتهِ بهم، وأنهم يعرفون حَقَّهُ، ويميلون إليه ويقبلون كلامه، فتوجَّه إلى مَنَاخَةَ، ومكثَ هنالك تدورُ بينه وبينَ المذكورين الرسائلُ كافلةً^[٢] لما فيه أفضلُ الوسائلِ، فلم تجذُّ تلك الرسائلُ نفعاً^[٣] ولا وجدَ مِنْ أولئك ما كان يطلُبُهُ أفراداً وجمعاً، ونسوا ما بينهم من التعارفِ ووسائلِ التعاطفِ، وعرض الوالي المومي إليه تلك النتيجةَ، الصادقُ عليها، عدمُ الإنتاجِ، وأفادَ بأنه ما لداء^[٤] أنجعُ من دواءِ السيفِ وهو أنفعُ علاجٍ، وحينئذٍ أمرَ مولانا الإمامُ حاكمَ العرِّ بالنزولِ والتوجُّهِ إلى مَنَاخَةَ وكان الإمامُ قد أذن له بالقفولِ قبلَ أشهرٍ لما ألمَّ به من / ١٢٠ الأسقام، وأرسل مولانا الإمامُ جنداً كثيفاً من حاشد وبكيل زيادةً على من

(١) بنو الأهدل: من علماء تُهمة، أول من لقب بهذا الاسم الصوفي علي بن عمر الأهدل ت بعد ٦٠٠هـ، في المراوعة من قرى سهام، انظر، معجم الحجري، ١ / ٩٤، معجم المحقفي، ٥١.

[١] في س، الضال الادريسي. [٢] في س، معاً. [٣-٤] سقطت من س. [٤] في س، لداء اولئك.

هنالك، وأمَرَ جميع رؤساء المقادمية بالاجتماع إلى مَنَاحَة وإعمال التدبير النافع ومداولَة الآراء في ذلك مع الوالي وعاملِ حَرَّاز، فواصلَ أميرُ الجيش من صَعْفَان وغيره، وكان الإجماع^[١] وعلى تفريقِ الجندِ الإمامي إلى طوائف، ويكونُ تقدُّمُ كلِّ طائفةٍ على جهةٍ من جهاتِ الأعداءِ، فحاكَمُ العرَّ مع حاشد، وأهلُ جبلِ عيالِ يزيد، تكونُ طريقُهُم من بني إِسْمَاعِيلَ لأخذِ حصونِ غِرَّاس، والعارضَة ثمَّ مَدوَل من جهةِ القبلة، وعلى طريقِ الحنكة، وأميرُ الجيشِ مع جيشِ النظام، والأهنومُ وظُلَيْمَة ومعهم المدفَعُ يقصدون مَدوَل من جهةِ الشرق، والعدنُ والسيدُ أحمدُ بنُ علي الصعدي والشيخُ علي بن أحمد قطع وأهلُ الحَيْمَة على بني جرين ووادي حار وبني إِسْحَق، وعاملُ حَرَّاز القاضي علي بن عبدالله الأكوغُ والأميرُ صمصام توفيق مملوك^(١) مولانا الإمام، ومعهما عصابةٌ نافعةٌ من الجيشِ، وما يجتمعُ من أهلِ البلادِ، يقصدان ضامر لهاب فوقَ الحَجَيْلَة، لمنع مَنْ في الحَجَيْلَة من الأعداءِ من الامدادِ لمن بوادي حار منهم، عند مهاجمةِ الجندِ الامامي إياهم، والوالي محمود نديم بك مقيم^[٢] بمناخَة لتلقي وإرسالِ مؤنِ الجيشِ من دقيقٍ وجبخانيةٍ ومؤنه إلى كلِّ محطةٍ بقدرِ احتياجها، وتوجَّهَ الجميعُ من مَنَاحَة في شهرِ ربيعِ الأول من هذه السنة، وقصدوا الجهاتِ التي عُيِّنَتْ لهم، وباتَ حاكمُ العرَّ في الصافية^(٢)، وجمعَ مَنْ معه من القومِ من حاشد وبكيل فكانوا تسعَ مئةٍ مقاتل.

- (١) صمصام توفيق العتيق، كان يدعى بالأمير صمصام، عالماً وادارياً، ولي عماله المَخَائم عين مديراً للورشة الإيطالية بعد التعاون بين الإمام وإطاليا، انظر، حياة الأمير، ٥٥٤ .
- (٢) الصافية: الصافية في اليمن كثير، منها صافية صنعاء، الجزء الجنوبي من صنعاء، الصافية العدنية ومنها صافية، دَمَتْ وَجُبِي، الجَيْشِيَّة، رَدَّاع، وشحة، ثلاً، ذَمَار، سهام، عُمَّة، صعدة، مَقْبَنَة، الطور، الجوف، انظر، معجم المقحفى، ٣٧٢، تاريخ مدينة صنعاء، ٥٦٦، رياض الرياحين، ٦٩، مذكرات المؤيد بالله، ٣٦ .

[١] في س، الاجتماع. [٢] في س، يقيم.

وفي اليوم الثاني، قدّم الحاكم جماعةً من عكفته طليعةً لتعرّف الطريق، ودفع من فيها، فدخلوا بعد حربٍ يسيرٍ إلى العارضة، وفرّ من فيها من الأعداء نحو طريق بني سعد، وقد كان الحاكمُ أمرَ أكثرَ مَنْ معه بالمبيت في قرية دعوة^(١)، وأن يكونَ نهوضهم في اليوم الثاني إلى العارضة، والاجتماع هنالك لتدبير العمل، فلما شاهدوا تلك الطليعة قد استولت على العارضة قبل خروجهم من دعوة، عرجوا عن قصد العارضة ومروا من طريق القصبة التي إلى بني سعد ومدول وتقدموا إلى وادي الحنكة^(٢)، وهو وادي بين بني سعد ومدول وبني مديين وكانوا يظنون أن أمير الجيش^[١] سيتقدّم في ذلك اليوم من عدني مدول فأنكشف تأخره واعتذاره بفرار بعض النظام لينفي عنه الملام/ فاجتمعت عليهم طوائف الأعداء من كل جانب، وهم في الحنكة، / ١٢١
وليس لهم محلّ يأتون إليه، ولا جبالٌ يعتصمون بها، والأعداء مشرفون عليهم، فاضطربوا، وإن كان رائدُهم الثبات، واعتزتهم الحيرة، ولم يجدوا بُدأً من الرجوع إلى العارضة، وقد أصيب منهم ثلاثة شهداء، وعددٌ من الجرحى، وأكثرُ من ذلك ما حصل من الأعداء، وأمدهم من في العارضة عند اقترابهم من العارضة، فأخذوا ما بالأعداء من نار الطموح، وأوقفوا بعزائمهم جوادٍ بغيرهم الطموح، وأرسل الحاكم يومئذٍ عصابةً من أهل الجبل إلى شرقي مدول فلم يظفروا، وانقطع من أصحابهم اثنا عشر نفرًا عنهم، حال عن رجوعهم حصاراً

(١) دعوة: ما ورد في معجم الحجري، دنوه وهي غزلة من ناحية الجبي من ريمة، انظر، معجم الحجري، ٣٧٨/١.

(٢) الحنكة: بلد في الشمال من رداع، وهي قرية عامرة في وادي السرّين ثمن الأبناء من بني حسيش، شمال شرق صنعاء على مسافة ٣٢ كم، انظر، صفة ١٧٣، معجم المقحفي، ١٩٦، هجر العلم، ٤٨٧، والحنكة، قرية عامرة في أعلى وادي عاشر من بني سخام من خولان الطيال في مشارق صنعاء، انظر، هجر العلم، ٤٨٨.

[١] في س، الشريف عبدالله الضمين.

الأعداء إياهم في محلّ صغير يسمى اللبخة، فتداركهم الله تعالى بوصول الشيخ أحمد بن حسين السّلامي، والسيد هادي بن يحيى الكُحلاني، وعصابة من الأهنوم والنظام فشمر الشيخ الصفيُّ أحمد بن حسين إلى طرد الأعداء عنهم، فرفع عنهم الحصار، وتمكّنوا من اللّحاق بأصحابهم إلى العارضة، ثم تقدّم الشيخ أحمد بن حسين إلى حصن مَدَوَل والقريّة، فأصيب برصاصة في فخذه، فرجع، وأما السيد هادي والأهنوم، فتقدّموا إلى الرايس^(١) واستولوا عليه وباتوا هنالك.

وفي اليوم الثاني والثالث، اجتمع النظام والسيد هادي ومن معه، ونهضوا جميعاً على حصن مَدَوَل، وهو قريتان في رأس الجبل فأخذوهما عنوةً، وطرّدوا الأعداء، ووصل أهل الجبل قاصدين الوثوب على قرية بني السعود، فأعانهم الله تعالى على ما راموا، واستولى عليها الجند الإمامي، وتضايق مجال إقامة الأعداء في جبل مَدَوَل، فانهزموا إلى بيت المشرقي وبني مُدَيّهن ورايم^(٢) والزّعلا. والتفت الحاكم إلى تنظيم الرّتب ما بين مَدَوَل وصعفان فرتبها النقيب حسين بن محمد حبيش وأصحابه، وهم نحو المئة في شرق بشر^(٣) وما تحته من القرى، فكان هذا العمل جالباً لثبات من في مَدَوَل من الجند الإمامي، وأمانهم على ما وراء ظهورهم، وتوجّه حاكم العرّ إلى مقوارة عَجَب، لملاقاة أمير الجيش والمدفع، وطلع الجميع مَدَوَل، وأبقوا ثقلهم في العارضة وعليها السيد محمد بن حسن القاسمي، وحاشد وبعض أهل الحيمة حُماة من حادث غدر، ثم أجمع رأيي المقادمة على التقدم من الجميع في يوم واحد، كل طائفة على من في جهتها

(١) الرايس: بلدة بالقرب من لؤلؤة من همدان صنعاء، انظر، البلدان اليمنية، ٨٨.

(٢) رايم: عزلة من كُسمّة من ريمة، معجم الحجري، ١/٣٧٩.

(٣) بشر: قبيل من حرازا، انظر، معجم المقحفي، ٧٩.

[١] في س، حسين.

من الأعداء، فتقدّم من مَدَوَّل / على بيتِ المشرقي وبني مُدَيِّين ومعهم المدفعُ / ١٢٢
 والمتراليوز^(١)، فحاربوا الأعداءَ وهاجموهم الأبطالِ وضرِبوهم بالمدفع والمتراليوز،
 فكثُرَ القتلُ في الأعداءِ حالَ الفرارِ، ولم يبقَ لهم هنالك مَفْرُ ولا قَرَار. واستولى
 المجاهدون على ما قصدوه، ودخلوا^[١] الأهنومَ وظَلَيْمَةَ إلى بني مُدَيِّين مع السيد
 هادي بن يحيى الكُحَلَانِي، وتقدم^[٢] حاشدَ الذين بالَعَارِضَةِ إلى محلِّ القرداع من
 أطرافِ بني سعد. ونهض السيدُ محمد القاسمي ومن معه من الحَيْمَةِ بالأنقالِ
 إلى مَغْرِبَةِ مَدَوَّل، ورتبوا عليها الحُماةَ للمحافظة عليها. ولما مرضَ أكثرُ أهل
 الحَيْمَةِ الذين في مغاربِ صَعْفَانَ وتأخروا عن القدوم على وادي حارِ أمدهم
 الإمامُ - عليه السلامُ - بالسيدِ العلم قاسم بن حسن الوادعي. ومعه كتيبةٌ من
 حاشد، فافترقوا إلى طائفتين. طائفة حاشد، قصدوا حصنَ الهادي وشويع من
 بني جرين، وأهل الحَيْمَةِ قصدوا محطة وادي حارِ، فزرهم اللهُ النصر في الجهتين،
 وانهمز الأعداءُ إلى عُبال، وقد طرَقهم طارقُ الخزي والنكال، ولكنْ، كانَ من
 حاشدَ عدمُ التدبُّرِ والنظرِ في العواقبِ، فأحرقوا حصنَ الهادي وشويع وغيرهما
 من قرى بني جرين، ورجعوا إلى صَعْفَانَ، وكان الصوابُ الإبقاء على المحلاتِ
 المذكورة وترتيبها من طرفِ المجاهدين لحفظِ الحدودِ رداءً لتكونَ لغيرها من
 محطات الجنودِ الإمامية في مَدَوَّل والطَّرَفِ ومحطات جيشِ بُرع الآتي ذكره، إنْ
 شاء اللهُ، في المنامة^(٢) والشطبة، وعَطَّار^(٣) لأنَّ ذلك الإحراقُ منعٌ من إمكانِ
 البقاءِ فيها بعد ذلك. وكان المجاهدون كلما تقدموا عليها عادوا إلى صَعْفَانَ ولم
 يتمكنوا من البقاء، وصارت ميداناً لتردُّد الأعداءِ فيها، وتلك الحالةُ كانت سبباً

(١) المتراليوز: سلاح اوتوماتيكي بريطاني الصنع.

(٢) المنامة: أمام جبل بُرع، وبيت المنامة، سبق التعريف به.

(٣) عَطَّار: قرية من بلاد حراز، وبها حصن، وهي على الطريق بين مَنَاخَةَ والحَجَّيَّة، وبها
 طائفة من بني أسعد، انظر، معجم المحقفي، ٥٧٧/٢، ومؤرخنا يكتبها بالطاء.

[١] في س، أهل الأهنوم. [٢] في س، أهل حاشد.

لتعويق أكثر أعمال المحطات في تلك الجهات. وأما أهل الحَيمة فكان منهم، بعد الاستيلاء على وادي حار وإذاقة من به كاس الدوار، النهوض إلى جبل الطَّرَفِ بأمر حاكم العرّ، وتقدّموا على حصن الزَّعلا، فأخذوه عنوة بحول ذي الحول والقوة، وثبت أقدامهم هنالك، وصار حظّ الأعداء أمامهم، أي أسودَ حالك.

وفي أثناء هذه الحروب نُدب عاملُ حَراز الأميرِ صمصام توفيق^(١) بعصاية نافعة للهجوم على الحَجِيلَة / فهاجمَ مَنْ فيها بمنّ معه وطردهم عنها وأحرقها حيثُ أنه لا يتمكّن من البقاء فيها لعدم مناعتها، وعادَ بمنّ معه إلى الضامر^(٢)، ولبثَ عاملُ حَراز هنالك مدّةً ثم عادَ إلى مركز القضاء، مناخة.

وبقي الأميرُ صمصام في الضامرِ مع جندي وافر، ولم يكونوا من أهل حَراز، تارةً يمدُّ جيشُ بُرع، وتارةً جيشُ صَعْفَان، إلى أن كان ارتفاعُ جيشِ بُرع الآتي ذكره، فأمره الإمامُ بالانضمام إلى السيدِ العلم^[١] قاسم بن حسن الوادعي لضبط حدودِ صَعْفَان، لظهورِ الاستغناء عن محطة الضامرِ ومظنة الانتفاع به، وبمنّ معه في الجانبِ الآخر، وقد سبق بيانُ قدومِ المجاهدين من حاشد على محلّ القراع^(٣) من بني سعد^(٤) واستيلائهم عليه، وطردهم منه، ولكنهم لم

(١) صمصام توفيق بن عبدالله، العتيق: كان عبداً للإمام يحيى فأعتقه، وصار يدعى الأمير صمصام، كان علامة، ومذاكراً وإدارياً، تولى قيادة حروب المخائم عملتها، وله مشاركة في حروب اليمن الأسفل، عينه الإمام مديراً للورشنة التي جاءت محركاتها من إيطاليا، انظر، حياة الأمير، ٥٥٤ .

(٢) الضامر: جبل في بلاد القُحري وأعمال باجل، انظر معجم المحففي، ٣٥٢ / ٢ .
(٣) القراع: من قبائل مراد، منهم علي ناصر القردعي من ولد جميل، انظر، معجم المحففي، ٥١٠، تاريخ اليمن العسكري، ١٠٥، معجم الحجري، ٦٤٨ / ٢ وقد سبق التعريف بها.

(٤) بنو سعد: ناحية من أعمال المحويت في جِداد حَراز، بها قلعة الزاهر انظر، معالم الآثار، ٥٧، معجم المحففي، ٣١٥ .

[١] سقطت من س .

يقفوا فيه سوى يوم واحد، ثم تركوه لا عن حربٍ وطعانٍ وضرب، وارتفعوا إلى مَدُول، فطمع الأعداء الذين في بني سعد بذلك، وهم ألافٌ من الأشراف أهل الزاهر وغيرهم، ومن ذي غَيْلان^(١) باعوا دينهم بدنيا غيرهم وانخدعوا للأطماع فحاربوا الله بِشَرِّهم، وجمعوا معهم من بني سعد جماعة غير سيرة، وتقدموا لمنزلة السيد هادي بن يحيى الكُحلاني، ومن مَعَهُ من المجاهدين في بني مُدَيِّن، وقائدهم الشريفُ محمدُ بنُ علي مكرم، وقد تكاثر جمعُ الأعداء. وفي بني مُدَيِّن محلاتٌ كثيرةٌ غيرُ صالحةٍ للحربِ وَضَبَطُ جميعها يتعسَّرُ على مثل تلك العصابة، فالتحم الحربُ بينَ الفريقين، وكانت ملحمةً كبرى، تخلَّص في نهايتها السيدُ هادي ومن معه، وارتفعوا إلى بيتِ المشرقي، وتفرق جيشُ الأعداء في جميع قرى بني مُدَيِّن، وقد كانَ من في مَدُول من المجاهدين أمَدُوا السيد هادي ومن معه بعصابةٍ من المجاهدين، فرجعوا معهم إلى مَدُول، وازداد الشريفُ المذكورُ وجموعُ البغاة عُثُوا ونفورا، وبما كان وتمَّ لهم في بني مُدَيِّن فرحاً وحبوراً، فناهضوا مَنْ في بيتِ المشرقي من جندِ الحقِّ، وفيهم الأبطالُ الكُماةُ والرجالُ الحُماةُ والأُسُدُ الرماةُ إلى أن وصلوا إلى مسافةٍ قريبةٍ من المحلِّ، وحيثُ كان من الشريفِ المذكورِ مخاطبةُ المجاهدين بأن يلحقوا بالأولين منهم، فأجابوه بكلامٍ فيه لين، فصاح على أصحابه بالهجوم، وتقدَّمهم بنفسه، وكان ذلك دَلِيلاً والليله مقمِرةً، وثيابه مبيضةً، فرماه المجاهدون بثلاثِ رصاصٍ في الصلبة المتصلة بالبيوت، أثبتوه بها، فخرَّ صريعاً، وزهقت روحه إلى عذابِ ذي الجبروت، ثم خرج إليهم المجاهدون،

(١) ذُوغَيْلان: من قبائل وهم محمدي وحسيني، وبنو غيلان من أهل آنس، وغيلان قرية وجبل في بلاد صَعْدَةَ، انظر، صفة، ١٢٩، الاكليل، ١/٢٣٦، معجم الحجري، ٦٢٧/٢.

وقد اعترى جميع المخدولين الفشل، ونزل بهم من بأس الله ما نزل، فهزموهم بإذن الله تعالى، وأثخنوهم قتلاً وجرحاً، فانحدروا سراعاً إلى بني سعد، ولم يتمكن الأعداء من حمل قتلهم وأميرهم، بل اقتصروا على أخذ بندقيه، فأخذ بعض المجاهدين سلبه واحتز رأسه، وبعد برهة، تجمّع الأعداء في سمّهر وعُبال، ووصلت إليهم الامداد من الضال^[١]، وتقدّموا على من في رايم والزعلا. وتقدم منهم الجيش الذي في بني سعد على بيت المشريقي، واستمرّ الحرب بين الفريقين من وقت الفجر إلى آخر النهار، واشتغلت كل طائفة بمقاتلة من يباؤها من العدو، ونفذت المؤنة على من في الزعلا من الأنصار فشهبوا جنابيّهم، وخرجوا من مراتبهم لمطاعنة الأعداء، فلم يقفوا أمامهم وانهموا عنهم إلى فوق سمّهر، ولكنّ المجاهدين تغيّظوا من عدم إمدادهم، وخشوا من الكثرة عليهم، وهم بلا زاد ولا زناد، والبقاء على تلك الحالة خارج عن دائرة المعتاد، فتركوا الزعلا وأمّوا مدول، وكان وراء الزعلا بيت إبراهيم أحمد، وفيه من المجاهدين تسعة وثلاثون رامياً من نظام همدان، والشيخ محسن العلي والبوني من الجبل وأصحابها. ولما رأوا من في الزعلا قد تركوها همّوا باللاحاق بهم، فخطبهم العلي بكلام أثار حفاظهم، فرجعوا إلى البيت المذكور.

ولما علم الأعداء بخلو الزعلا من المجاهدين كرّوا عائدتين، فدخلوا الزعلا من دون ممانع، وحالوا بين من في بيت إبراهيم أحمد وبين إمكان الخلاص، وقطعوا عليهم الطريق، ويومئذ أقبل إبراهيم أحمد وأصحابه من وادي عرافة^(١)، فلما وصل إلى باب بيته الصغير أثبتته المجاهدون برصاصة قتلته في الحال، وقُتل أيضاً معه واحد من أصحابه، فتوارى الباقون عن عيون المجاهدين، وتظاهروا في اليوم الثاني، فقتل المجاهدون منهم اثنين، ففترقوا بعد ذلك، وهابوا الدنو من

(١) وادي عرافة: عُرْزلة من ناحية صَعْفَان وأعمال حراز، انظر، معجم الحجري، ٢/ ٥٩٧ ما ورد في الأصل عُرابة.

[١] في س، ابن ادريس الضال.

المجاهدين، والبيت الذي حوصروا فيه، ولكنه اشتدَّ عليهم الحصارُ من بعيدٍ،
وأثارَ طمعَ الأعداءِ في الاستيلاءِ عليهم تكاثُرُ جموعِ الباغين، ولا سيما بعدَ
ارتفاعِ مَنْ فِي / بيتِ المشرقيِّ وحواليه من المجاهدين إلى مَدَوَّل، فإنه تكاثُرَ / ١٢٥
الجمعُ من الأعداءِ، وملاؤا القُرى ونهضوا إلى مَنْ فِي قبلي مَدَوَّل وغربيه من
الأنصارِ، وكرَّزوا محاربتهم بقصدِ تعويقهم عن إمدادِ المحصورين، وإحالة
الإفراجِ عنهم، فلم يُعرفِ حالهم إلا بصوتِ النفيِرِ، وكلِّما أرسلَ المقدَّمي مدداً
للمحصورين، باشرهم بالحربِ جمعُ العدوِّ القريبِ منهم، واستمرَّ الأمرُ خمسةَ
أيامٍ وعزائمُ المجاهدين متقاصرةً عن إنقاذِ أولئك، حتى مرضَ الحاكمُ تأثراً من
تقاصرِ خطى القومِ، وعزمَ على القدومِ بنفسه لدفعِ العارِ واللُّومِ، فشمَّرَ أهلُ
الحَيْمَةِ عن ساقِ الهمةِ الساميةِ، وصمَّموا على الوصولِ إلى المحصورين ولو
كانتِ القاضيةُ، وأمرَ حاكمُ العرِّ وأميرُ الجيشِ بقيةَ المجاهدين بمحاربةِ مَنْ فِي
بيتِ المشرقي ليصرفوا نظرهم عن طريقِ عنوةِ الحَيْمَةِ، لأنهم نزلوا إلى الوادي
وطلعوا من طريقه إلى المحلةِ المتوسطةِ بين بيتِ المشرقي وبيتِ إبراهيمِ أحمد
والزَعَلَا، ففاجئوا مَنْ فِي تلكِ القري مفاجأةً، وهجموا عليهم بلا مبالاةٍ ولا
مُداجاةٍ، فهزموهم جميعاً بإذنِ الله، وحقَّقَ اللهُ ظنونهم، فوصلوا إلى المحصورين
في ثلثِ الليلِ، واشعلوا النارَ في سطحِ البيتِ الذي كان فيه المحصورون إعلماً
للمجاهدين بما تمَّ لهم من الظفرِ وإدراكِ البغيةِ والوطرِ، وكانوا في حالِ
سلوكهم قد رتَّبوا طريقهم بأكثرهم، لأنَّ وراءهم بيتَ المشرقي، وبيتُ المَزَادَةِ
والزَعَلَا لم يكن من الأعداءِ تخلُّيتها، فجعلوا الرِّتَبَ وقايةً من العذرِ، ولم يحصلِ
من الآخرين اشغالهم عنهم، ثم عادوا ومعهم من كان محصوراً إلى محطةِ
المجاهدين لم يشاكوا شوكةً، ولا سألَ منهم دم، وذلك من عنايةِ الله سبحانه

بالمجاهدين إظهاراً لمزية الإخلاص في الأعمال المرضية لذي القُدرة والجلال. وقد كان الأعداء ورؤساؤهم تمدحوا بما فعلوا، وكتبوا إلى قائد الجيوش الإدريسية، بباجل يطلبون منه الإفادة في كيفية تقسيم سلاح المحصورين، وعلى أيّ صفة يكون إيصالهم إليه، فخيّب الله ظنونهم وردّهم بغیظهم لم ينالوا خيراً/ والحمد لله كثيراً، وبعد أسبوع من فكّ الحصار والإفراج عنهم بمنّ الجبار، كرّ المجاهدون على الأعداء، وجدّوا في محاربتهم فطردهم من تلك القرى، واستولوا عليها مرة أخرى. ونزل حاكم العرّ في بيت إبراهيم أحمد، ولم يجد بُدأ من بقائه هنالك لتقوية عزائم المجاهدين، وتثبيت أقدامهم في تلك المواقع، لأنّ حالتها كانت حائلةً بين بقاء المجاهدين فيها، واستمرارهم على ذلك من شدة الوقت لعدم الماء للشرب والصلاة، فلم يصبر المجاهدون على البقاء هنالك إلاّ بعد معرفتهم أنّ أميرهم نازلٌ ومقيمٌ في أطرفِ المراتب، فصبروا على الشدائد صبر الكرام، إلى أن أغاث الله البلادَ بواكف الغمام، وذبالة الحربٍ مشتعلةً في أكثر الأيام.

ورأى حاكم العرّ أنّ مقابلة رمي العدو بالرمي من المجاهدين، لا يزيد الأعداء إلاّ جُرأة على تكرار الغزو ليلاً والقُدوم نهاراً، فأمر المجاهدون بترك الرمي، إلاّ إذا وصل الأعداء إلى أفناء^[١] البيوت، فكان ذلك أضّرّ على الأعداء من طردهم إلى الخبوت^(١)، لأنهم كانوا أشبه حالاً بالقروود، يهربون كلما رأوا المجاهدين عادين عليهم، بادروا بالفرار، ويعودون من فرارهم إذا عاد المجاهدون من مطاردتهم، وتلك عادة القروود لا عادة الجنود، فكان الإعراض

(١) الخبت: يقع في ناحية المحويت، وينقسم إلى عدة عُزل منها، بنو عمارة وبنو جبع والظاهر وعنس وغيرها، يحده المحويت غرباً وملحان جنوباً ولاعة والطور شمالاً، انظر، حياة الأمير، ٦١٨ .

[١] في س، أثناء.

عنهم أشدَّ عليهم من المحاربة والمطاردة، ولم يجسروا على التقدُّم إلى حَيِّزِ المشاهدة، وسيأتي، إن شاء الله تعالى، بيان ما تجددَ في هذه الجهة^[١] من الحروب^[٢] بعد إكمال^[٣] ما كان في بُرْج هذا العام لترتب ذلك على الحركات الجهادية هنالك^[٤].

وفيها جَهَّزَ مولانا الإمام - عليه السلام - الشيخ نصير الدين علي بن المقداد راجح بجندٍ كثيفٍ، كامل العدة لقصْدِ بُرْجِ وأطرافِ بلادِ رَيْمَةَ.

وأمر مولانا الإمام السيد جمال الدين علي بن محمد الشامي أن يقومَ بجنوده لاستفتاح ما بقي من بلادِ رَيْمَةَ حتى يكونَ التقاءُ الجيشين، وقصدُ بُرْجِ من الجهتين، فتوجَّهَ الشيخُ نصيرُ الدينِ بِمَنْ معه من الجنودِ من طريقِ بيتِ القبلي، وشرَعَ في مناجزةِ الظالمين، ومنازلةِ مَنْ في طريقه من / الباغين، وجرث بينه / ١٢٧ وبين الأعداءِ هنالك حروبٌ وخطوبٌ أسفرت عن انهزام الأعداءِ وجلائهم عن أطرافِ بلادِ الطَّعام، واستقرَّ الشيخُ نصيرُ الدينِ في حصنِ المنامةِ أمامَ جبلِ بُرْجِ، وقد نكلَّ بالبعْثِ، وأذاقَ جموعَهُمْ زوَامَ الحربِ ورداه، وواصلَ الاهتمامَ في ترتيبِ جنوده وحمايةِ كُلِّ جمعٍ منهم لأطرافِهِ وحدودِهِ.

وأما جيشُ رَيْمَةَ فإنه تقدَّم من تلك الجهةِ على الحَضْنِ والزَّعْلا، وزحفَ تحت قيادةِ أميرِهِ السيدِ جمالِ الدينِ علي بن محمد الشامي، وكان مؤلفاً من أهلِ الحِدِّاءِ وحَوْلَانِ وحاشدِ وجبلِ عيالِ يزيد، فاستولى على الحَضْنِ^(١) والزَّعْلا وما وراءَهُما غرباً، وما كان إلى جهةِ القِبْلةِ من الحَضْنِ إلى جُمُعةِ المسخنِ بعد حروبِ

(١) الحَضْنِ: غرب مدينة ذمار ومن أعمالها، والحَضْنِ، من أخصب وديان نجران، انظر صفة جزيرة العرب، ٢٢٧.

[١] في س، الجهات.

[٢] في س، الحرب.

[٣ - ٣] سقطت من س.

ضروس، جرت بينهم وبين الأعداء، أسفرت عن هزيمة المخالفين، وانتصار المجاهدين، واستولى المجاهدون على عزلة ذَرْحَانَ، وجبل الزعلا وما إليه من بني [١] الحوت^(١). وبلغ بعض أوائل الجيش إلي بني وقيد^(٢) والمسخن، وغنم المجاهدون مالا يُحصَرُ، وكانت القتلى والجرحى من بلاد الطَّعام كثيرةً والأسرى منهم كذلك، واحتُزَّت رؤوس جماعة منهم، فأرسلها أمير الجيش إلى أبيه، عامل رَيْمَةَ، وطيفَ بها في البلاد.

وفي اليوم الثاني من القدوم، أقبلَ بنو حسن^(٣) بعقائر الطاعة، وكذلك شيخ ذَرْحَانَ^(٤) ورتب الأمير ما وراءه كالحصن والزعلا. ثم زحفَ بجنوده على بني وقيد^(٢) وبني شَرَعْب والجمام والمسخن، فدخلها الجيشُ عنوةً بمعونة الله سبحانه، وأنزل بأهلها، ومن كان لديهم من البغاة مَرَّ النكالِ وعظائم الأهوال. فانهزموا أقبح هزيمة، ولاذوا بالفرار وعدّوه أكبر غنيمَةٍ، ولم يستقرَّ لهم لعظم ما قاسَوْه من صَوْلَةِ المجاهدين هنالك قرارًا فأصبحت البلادُ عن أهلها خاليةً خاويةً ولعظيم ذنوبهم وطغيانهم ناعية، وطالما جعلوا العتو لهم شعاراً واستحلوا مرارة البغي وردّوا حياضه استكباراً، ولم يقبلوا نصيحة ناصح، ولا ارتدعوا عن منكرات القبائح، بل جعلوا ديارهم للباغين مأوى للغادي

(١) بني أبو الحوت: عُزلة من ناحية الجَبِي من رَيْمَةَ الأشابط، انظر، معجم الحجري، ٣٧٨/١.

(٢) بنو وقيد: عُزلة من ناحية بلاد الطَّعام وأعمال رَيْمَةَ الأشابط، انظر، معجم المقحفي، ٧٠٣، معجم الحجري، ٣٧٩.

(٣) بنو حسن: عُزلة من ناحية بلاد الطَّعام من رَيْمَةَ الأشابط، انظر، معجم الحجري، ٣٧٩.

(٤) ذَرْحَانَ: قرية من ناحية هَمْدَانَ صنعاء من عُزلة حاتم، انظر، معجم الحجري، ٣٤٠/١، معجم المقحفي، ٢٥٠.

[١] في س، الخون.

والرائح، واشرعوا رماحهم إلى صدور المجاهدين / وبذلوا كل ما في طاقتهم في / ١٢٨
سبيل إعانة أحزاب الطغيان على حزب الرحمن، فأذاقهم الله عذاب الخزي في
الحياة الدنيا، وأراهم في أنفسهم وأموالهم ما يكرهون. وبهذه الأعمال تم بين
الجيشين الاتصال، وأجمع رأيي المقادمة على قصد الجبل، ومنازلة من فيه بكل
بطل فقصدته الجيشان من الجهتين، وجرت بين الأعداء وبينهم معارك
وخطوب، كان النصر فيها، والظفر حليف المجاهدين والخذلان والهزائم حظ
المخالفين، واستولى الشيخ نصير الدين وجنوده على الشطبة وعطار، وارتقوا^[١]
إلى الجبال حرباً، وجرعوا الأعداء من كؤوس طعانهم أهوالاً وكرهاً. وكذلك
كان الحال لدن الجيش الآخر، فإنهم حاربوا من في جهتهم وأجلوهم عن
أمامهم، وتسنموا ذرى الجبل لا يخالطهم تهيّب ولا فشل. وجاء الباغين ما لا
قبل لهم به، فولوا على أعقابهم منهزمين، وأرسلوا صريحتهم إلى تهامة مستمدّين،
ولم يواجه المجاهدين أحد من أهل الجبل بالطاعة، بل فرّوا وعلى عصيانهم
أصروا، فكانت جميع مؤن الجيش من الزاد تُنقل إليهم من حصن المنامة ومن
رِيمة، وفي ذلك من الصعوبة ما لا يخفى إلى أن مل من ارتقى الجبل^٢ من
الجيش^٣ الإقامة في مراتبهم، وتسلك بعضهم من هنالك، وأزمع على الفرار،
وصادف ما كان من خور العزائم إقبال الجيوش من التهائم من عُبال على
العادة.

ولكنّ الشيخ نصير الدين لم يفارق حصن المنامة، فإنه جعله مقراً لمحطته
ومعه عصابة نافعة من ذو غيلان وغيرهم، فقصدته الجيش القادّم، وجرى بين
الفريقين حرب عظيمة كان بها كسر حدة الجيش المهاجم ورجوعه إلى ما وراءه
غير ظافر ولا هازم، وعندما بلغ إلى من بالجبل ما حصل من الغارات

[٢] سقطت من س.

[١] في س، وارتفعوا.

اضطربوا، ولم يثبتوا، وخرجوا عن طاعة أمرائهم فتشتتوا وجرى عليهم ما جرى على السابقين، وارتفع جيش رَيْمَةَ من الجبلِ راجعاً إلى أطراف رَيْمَةَ، وتبعه الشيخ نصيرُ الدين ومن معه، وداخلَ الجميعِ الفشلُ وحسبَ الكلِّ أنَّ البقاءَ هنالك نوعٌ من الزللِ فركبوا مُتَوْنَ الخَطْلِ، وتفرَّقَ الجيشُ بأجمعه لما اعتراه من المللِ، ولم يأتِ بالفائدةِ المطلوبةِ ولا أكملَ ما ابتدئ به من / الأعمالِ المرغوبةِ، ولم يبالِ بما أدخلَ من السوءِ، ولما ارتفعتِ المحاطُ عن جبلِ بُرْعِ تَنَمَّرَ المخالفون، وعادتْ أطرافُ بلادِ الطَّعَامِ إلى الخلافِ، وكادَ الخللُ أن يسريَ إلى ما فوقها من بلادِ رَيْمَةَ، ولكنَّ عاملَ رَيْمَةَ وولده شمرًا عن ساقِ الهمةِ في حفظِ الأطرافِ وإطفاءِ نيرانِ الخلافِ، ومنعَ سريانِ ذلكِ الداءِ، ولم يعدَ الشيخُ نصيرُ الدينِ إلى حضرةِ الإمامِ - عليه السلام - بل قصدَ داره، وبقيَ فيها، وقد اعترتهُ الأمراضُ والأسقامُ إلى أن دعاه منادي الحِجَامِ في التاريخِ الآتي ذكره، وانتقلَ إلى جوارِ الربِّ العَلامِ. ولما تمَّ للبغاةِ ما أرادوه في هذه الجهة، وكانت جموعهم قد تكاثرت، وأمدهم الضالُّ الإدريسي من لديه بأجنادٍ ومهماتٍ، تزايدت وتكاثرت، انتفخت منهم الأوداجُ وئملوا بخمرةِ بغيهم، فأكثروا في ميدانِ تشويقهم إلى القتالِ من البكورِ والرَّواحِ والإدلاجِ، ونهَضَ الشقيُّ محمد طاهر رضوان قائدهم الكبيرُ إلى عُبال، وذلك في أواخرِ شعبانَ من هذا العام، وجمعَ إليه رؤساءَ جيوشِ الضالِّ^(١) الذين كانوا في بُرْع، ومن في جوارِ صَعْفَانَ وما إليه، وجمعَ أيضاً قبائلَ الفُحْرِيِّ وبني سَعْدَ ومدوَلَ والطَّرْفِ وبني جرين، حتى بلغَ جمعهم زهاءَ ستةِ آلافِ مقاتلٍ ففرَّقَ بينهم الزاناتِ وأمرهم بالتقدُّمِ على أصحابِ الإمامِ ومراتبهم من جميعِ الجهاتِ، وكانت محاطُ أنصارِ الحقِّ متصلةً من مغاربِ صَعْفَانَ إلى بيتِ إبراهيمِ أحمد في مَدوَل، وألزمهم أن يكونَ قدامهم

[١] في س، الضالُّ الأدرسي.

في يوم واحد، فتقدّموا في غرة شهر رمضان، وقد عنى كل فريقٍ منهم بجهةٍ من الجهات، فطائفةٌ تقدموا من الحجيلة على المقرية وأكمة خليفة، وطائفةٌ قصدوا من بني جرّين المغارب، ومن وادي حار، عدني مدّول والمشبه، وطائفةٌ من جهة سمّهَر، قصدوا الزعلا، ومن جهة غرابة بيت إبراهيم أحمد وأخرى من بني مُدَيّن، وجمعوا عزمهم على بيت المشرقي، وفريقٌ كبيرٌ يَمُمّوا الحنكة، وقصدُهم قبلي مدّول، وكانت أكبر الطوائفِ عدداً، ومدداً، التي من الحجيلة والحنكة وسمّهَر، فوقع بين الفريقين حربٌ عظيمٌ، ثبت فيه المجاهدون أكمل الثبات، وصبروا صبر الكرام، وحاربوا محاربة الأبطال الإثبات، ووقفوا في مراتبهم لم يزحزحهم عنها كثرةُ جموع الأعداء ولا إقدامهم إليهم إقدام الأشداء / وبلغ / ١٣٠ / الأعداء القادمون من الحجيلة إلى المقرية، فالتقاهم الشيخ مقبل بن حسين هراش وأصحابه من حاشد بعد خروجه من أكمة، وفيها مدفع الإمام، يعينهم بالضرب على الأعداء وإصلاحهم^[١] نار البلى، فمال المجاهدون عليهم أيّ ميلة، وكسروهم بعون الله إلى الحجيلة، بعد قتل ذريع، وفتك مريع، متتابع سريع، والقوم الآتون من الحنكة بلغوا إلى قرب قرية مدّول، فدافعهم من هنالك من النظام وطلع أمير الجيش ممدداً لهم بنفسه، ومعه الضباط، ومن عنده من العسكر، مع المدفع والمتراليوز، فهزموهم بإذن الله إلى بني سعد، بعد أن قتل منهم سبعة، واستشهد من المجاهدين واحد فقط، وطائفةُ الزعلا بلغوا قريباً منها وصاروا ما بينها وبين بيت إبراهيم بن أحمد، فخرجت عليهم طائفةٌ من أهل الحيمة كانوا في بيت إبراهيم المذكور من ورائهم، وكادوا يُحيطون بهم هم ومن في الزعلا، فبادر الأعداء إلى فوق سمّهَر بالانكسار ولاذوا بالفرار، وظهر من قتلهم أربعة وعدة من الجرحى، وسائر الطوائف من الأعداء ناوشوا

[١] في س، وأصلاحهم.

من بازائهم من مراتبِ الأنصار، ثم كانَ حظُّهم من قدومهم حظَّ الآخرين، فانهمزوا جميعاً آخرَ النهار، وعادوا بالخيبةِ والفشلِ لم ينالوا خيراً ولا دفعوا عن أنفسهم ضيراً.

وفي هذه الأثناء بعدَ رجوعهم من قدومهم بتلك الأرزاء جمع محمد طاهر إليه منهم الرؤساء، ودارت بينهم المراجعةُ على ترتيب أطرافِ تُهامةٍ وبني سعد، وتقويةِ محطةِ عُبالٍ وسَمَهَر، واقتصروا على ذلك لما علموه من عجزهم وخور عزائمهم عن القيام بدفع المجاهدين، فضلاً عما همُّ مكلَّفون من لدن الضالِّ من الاستيلاءِ على ما تحتَ أيديهم من المحال،. وشرعوا في طلبِ الهدنةِ مدةَ شهر الصيام، فأسعدهم المقادمةُ إلى ذلك، لما فيه من المصلحة، واستأذن الإمامَ أميرَ الجيشِ في الطلوعِ إلى حضرةِ الإمام، وزيارةِ أولاده، فأذنَ له الإمامُ - عليه السلامُ - ورُفِعَتِ المنارُ بعد المهادنةِ مِنَ الطرفين بركةِ شهرِ الله، رمضان الكريم، وارتفع حاكمُ العرِّ إلى المنصبِ، ووكلَ الشيخُ علي بن أحمد قطعَ على المجاهدين غير النظامِ وعلى سعيد بك، قومندان^(١) النظام، وإلى الحاكمِ مراجعتُهما في الإقدامِ والإحجامِ.

وفيها، في أوائلها كان توجيهُ أعمالِ قضاءِ رَدَاعِ ونواحيه وقبضُ واجباتِهِ إلى عهدةِ السيدِ العلامةِ يحيى بن علي الداري، فتوجَّهَ إلى محلِّ عمله وقامَ به خيرَ قيام، وحَصَّلَ الواجباتِ وضبطَ الأشرارَ وخابَرَ مَنْ في السَّوادِية^(٢) من المخالفين/ واستمالهم فلم يبعدوا عن الانقيادِ، وكان ذلك مقدِّمةً لأعمالِ الجهادِ الآتيةِ في العامِ المقبلِ وتوطئةً وتمهيداً لها.

(١) قومندان: قائد أو أمير جند.

(٢) السَّوادِية: قضاء من لواء البيضاء، شرقي دَمار بمسافة ١٥٠ كم، انظر، اليمن الكبرى، ٦٦، معجم المقحفي، ٣٣١.

وفيها، في أثناء إقامته هنالك تمالأ بنوعمر^(١) من (...)^(١) على قتل الشيخ سعيد المرقب من مشائخ تلك الجهة، فُضِبَ المعتدون أيماً ضبباً، ورُبطوا أحسن ربطٍ وسيقوا في السلاسل والأغلال إلى حضرة مولانا الإمام، وأودعوا داراً لاعتقال، وفُرِضَتْ على المتهاين الآداب لبيت المال ولحقهم بعدوانهم أشد النكال، وكذلك كان العدوان من بعض آل محسن يزيد من قَيْفَة^(٢)، وهم من أتباع الشيخ علي بن أحمد بن جرعون على بعض المجاهدين النافدين عليهم، وقتلوا واحداً منهم، وقتل منهم المجاهدون، ونالوا منهم، وأرسل شيخهم على بن أحمد بن جرعون إلى مقام مولانا الإمام وأحيل الطرفان إلى المحاكمة لتداعي الطرفين بأن المعتدي هو الآخر.

وظهر في خلال ذلك من الشيخ محمد بن علي الجهمي نوعٌ تهاونٍ بالعامل، فحاول ضبطه ففرَّ المذكور إلى حضرة الإمام، واقتضى الحال إرسال سيدي جمال الإسلام علي بن حسين الشامي^(٣) كاشفاً إلى هنالك، فَحَقَّقَ الأحوال، وما رُفِعَ من الأقوال، وتبيَّن من تحقيقه سلوك الشيخ محمد بن علي الجهمي في غير محجة الصلاح، فأودع دار الأدب بالقصر السعيد^(٤).

-
- (١) بنو عَمَر: أهل ذي ناعم من البيضاء، انظر، معجم المقحفي، ٤٦٤.
(٢) قَيْفَة: من قبائل رَدَاع، وهي بطن من مراد، انظر، صفة، ١٥٢، معجم المقحفي، ٥٢٨.
(٣) علي بن حسين بن عبدالله بن حسين الشامي ت ربيع الأول ١٣٧٢ هـ، عالم مبرز في كثير من العلوم ولا سيما العربية، شاعراً أديباً، وله مشاركة في علم التفسير والحديث، كان الإمام يحيى يشهد له بسعة علمه، تولى القضاء في مَقْبَنَة وِرْدَاع وِدَمَار وحرارز، وعضواً في محكمة الاستئناف بصنعاء، ولد بصنعاء سنة ١٣٠٢ هـ، ثم انتقل إلى جحانة ورحل إلى الأهنوم ١٣١٦ هـ، حيث درس في هجره، انظر، تحفة الاخوان، ٩٨، نزهة النظر، ٤٢٧، هجر العلم، ٣٢٥.

[١] بياض في النسختين.

[٢ - ٢] من عبارة «ومما يحسن ايراده ههنا إلى عبارة ومن ذلك الأبيات إلخ» سقطت من س.

ومما يَحْسُنُ إيرادُه ههنا نَفْثَةٌ أرسلها سيدي العبادُ يحيى بنُ علي الذاري - عافاه الله - أثناءَ إقامته هنالك إلى مولانا الإمام، وهي نَفْثَةٌ أخذت حظَّها من الإِجادة والإِحسانِ، ودلَّت على طولِ باعِه في البيانِ، وهي:

[السريع]

عمري لقد أَحَسَنَ يحيى بيا
انصبَّ نهاراً في طلابِ العلا
لكنه لو قالَ والليلُ لا
وسامرِ الأسفارِ يا حبذا لأ
وصِلْ ورداً لا تكنْ وانياً
وابك ذنوباً منك قد اثقلتُ
واتلُ كتابَ اللهِ يا ذا النهي
قلتُ أنا ما قلتُ مستدركاً
والقولُ مني خالفَ الفعلَ يا
لا تعجبوا إن همتُ في وجهتي
كم بثَّ في أسرِ الهوى موثقاً
واليومَ ما عُدري وها قد دنتُ
ياربِّ إني مذنبٌ خائفٌ
بالخمسةِ الأطهارِ أهلِ الكسا
هب لي من التوفيقِ يا ذا العُلى
واحفظْ أَمَامَ العَصْرِ وأمدِّه بالـ

/ ١٣٢

قلتُ، وهي كما تراها جميلةً موضوعاً ومقصدًا، مفيدةٌ في النهايةِ والابتداءِ، وقد انتقدَ النظامَ بها ما حكاه غيرُ واحدٍ من المؤرخين، أنه وردَ بريدُ خراسانِ على الرشيدِ، وكان يحيى بن خالدِ بن برمكٍ بين يديه، فرمى إليه بطاقةً فيها أنَّ الفضلَ بن يحيى تشاغلٌ عن مصالحِ العبادِ، بالصيِّدِ والقنصِ، وكان عاملاً على خراسانِ من قبلِ الرشيدِ، فكتبَ يحيى بنُ خالدٍ على ظهرها يلومُ ابنه على إهمالِ مصالحِ أعماله. ومن ذلك، الأبياتُ انصَبَ نهاراً في طلابِ العلى... الخ.

وفيها صدرَ الأمرُ الشريفُ من مولانا الإمام -عليه السلام- بعزلِ السيدِ الأجلِّ محمد بن علي الذاري^(١)، ورفعِه من عمالةِ زبيدٍ بعدَ طلوعِ جماعةٍ من تجارِ زبيدٍ يشكون من مطالبةِ العاملِ لهم بالزكاةِ الباطنة، وأنَّ الهيئةَ التي كلَّفها تقريرُ ما على كلِّ واحدٍ منهم جازفوا فيما وضعوه عليهم، وحملوهم ما لم يكن لديهم، فانتَهى أمرُ شكواهم إلى قبولِ أيَّامهم فيما يلزمهم من الزكاةِ، وتعيينِ السيدِ محمد بن محمد بن أحمد غمضان الكسبي كاشفاً يكون عزمُه صحبتهم لتقريرِ أحوالهم، ورفعِ ما يشكونه من عدمِ رعايتهم، وعزموا جميعاً إلى هنالك واقتضى الرأيُ الشريفُ بعدَ ذلكِ إناطةَ قضاءِ زبيدٍ وواجباته إلى السيدِ فخرِ الدين، عبدِالله بن أحمد الوزير من جملةِ البلادِ التي تحتِ نظره، وكذلك أُضيفَ إلى ما بيده من الأعمالِ واجباتُ قضاءِ إبِ جميعه، جبلةً وبلادها ومخلافِ الشوافي^(٢)

(١) محمد بن علي بن أحمد الذاري ت ٢٩ ربيع الآخر سنة ١٣٤٤ هـ، عالم عارف بالفقه والفرائض، تولى أعمال خبان ثم التَّادِرة فَعُتِمَ ثم زبيد، وقد عزله الإمام بعد ارتفاع الشكوى منه، فعاد إلى الذاري، وتولى أعمال ناحيتها، ولد في رمضان ١٢٨٧ هـ، انظر، نزهة النظر، ٥٦٩، ائمة اليمن (سيرة الإمام يحيى)، ١٣٢/٢، هجر العلم، ٦٦١.

(٢) مخلاف الشوافي: ناحية كبيرة، شمال غرب إب بنحو ميلين ويشمل عدة عُزل انظر، صفة جزيرة، ١٤٩، ٣٢١، معجم الحجري، ١/٤٩-٥٠، قرّة العيون، ٣٣٧.

ومخلاف بَعْدَانَ وناحية المخادر، وكذلك ناحية حُبَيْشٍ مِنْ أَعْمَالِ قِضَاءِ الْعُدَيْنِ، فاتسعت الأعمال التي بنظره، وصارت معظم البلاد.

وكان المومى اليه حرياً بهذه الثقة من مولانا الإمام، فإنه اتصف بالتخري على العدل فيما هو بنظره، وضبط أمور الواجبات، وتقريرها على أحسن منوال، وأجمل حال واستحصال^[١].

/ ١٣٣

وعين مولانا الإمام لعمالة زيد الفقيه محمد بن عبدالله الشامي، عامل حيس، حيث حمد مناب المذكور في قيامه بأعمال ناحية حيس، فكان في عمله الأخير مشكور السيرة، مشهوراً بالعفة والاستقامة، وطيب السيرة، فحزم أمور تلك الجهة، وضبطها أحسن ضبط،^[٢] ولم ينسب إليه تقصير^[٢]، ورضي به هنالك العامة والخاصة.

وأما السيد فخر الدين، عبدالله بن أحمد الوزير، فإنه بعد توجيه الأعمال إلى نظره نهض من دمار وأقام في إب أشهراً يرتب أمور جبايتها وأحوالها، واستمد من مولانا الإمام تعيين الفقيه محمد بن يحيى بن مداعس مأموراً للالمالية، فأسعد إلى ذلك. ولما أكمل ما يحتاج إليه ذلك القضاء انتقل من إب إلى زيد، وأقام فيها زماناً رتب فيه قواعده، وأقام فيه شواهدة، ثم قفل راجعاً إلى دمار، وقد بث في تلك الجهات ما رام من الأنظار ونتائج الافكار.

وفيها تحرك عامل الجشع والجزع في النصارى الذين في عدن، فأوحوا إلى شياطينهم بما في أفكارهم من الانزعاج من جيوش مولانا الإمام، وتقدمهم في تلك الأصقاع، ودبروا الحيلة في ما تكون به الغيلة، وكاتبوا رؤساء يافع

[١] سقطت من س. [٢ - ٢] سقطت من س.

وصديقهم الخيـث، نصر بن شايـف، وسلطان المكلا القطيعي^(١)، والجميع إليهم ينتمون، وفي نصرانيتهم يعمهون، وبذلوا لهم النقود الواسعة، والذخائر الحربية، حتى الدنميت الذي من شأنه أن القطعة منه تنسف الدار العظيمة، إذا ألقيت فيه، وأمروهم بمحاربة أصحاب الإمام، والعزم على ذلك بأقدام واهتمام، فمضى نصر بن شايـف نحو الأجعود، وشوقهم على الخلاف، والانضمام إلى من قد جمعهم من الأجلاف، فثاروا بمن لديهم من المجاهدين، واغتالوا جماعة من المجاهدين والأنصار، رزقهم الله الشهادة، وكتب لهم السعادة، وتجمع أهل يافع عن بكرة أبيهم، وانقسموا إلى طائفتين منهم، وهم معظمهم قصدوا الشُعيب، وهو من البلاد الإمامية، وفيه عامله السيد محمد بن علي بن إسحاق، ومعه عصابة من الأنصار، وكان القاصدون للشُعيب لا ينقصون عن ستة آلاف مقاتل، وقيل ثمانية آلاف، منهم: أبوبكر بن علي النقيب، والسلطان فضل محمد، والحضارم والمفالحة^(٢) وأهل المؤسطة وغير هؤلاء، وأما الطائفة الثانية، فمنهم السلطان الخائن الناكث، صالح بن عمر البكري والداؤوي^(٣)

(١) غالب بن عوض بن محمد بن عمر اليافعي ت ١٣٤٠هـ / ١٩٢٢، سلطان المكلا والشحر، كان لين الجانب، تولى بعد وفاة أبيه سنة ١٣٢٨هـ، ضم إلى بلاده وادي دوعن الشمالي والجنوبي ووادي حجر وميفع والريدة وبالخاف، عقد معاهدة مع آل كثير، توسط سنة ١٣٣٧هـ بالصلح بين يافع وإمام اليمن، أكثر إقامته في حيدر أباد الدكن، توفي بها أنظر، تاريخ حضرموت السياسي، ٢/ ٢٨، ٣٥، ٤٥، ملوك المسلمين المعاصرين، ٢/ ٤٢٨، الإعلام، ٥/ ١١٤.

(٢) المفالحة (المفلحي): ومنه قبائل السلياني والدهرشي والذرحاني وأهل مسلم وأهل خلة وغيرهم، انظر، تاريخ القبائل اليمنية، ٢١١-٢١٥.

(٣) الداؤوي من قبائل يافع العليا من أهل الحد والتي تسمى العناق قديماً، ويسكنون الجنب والحمرأ والخلقة وأهل ماحوم، انظر، تاريخ القبائل اليمنية، ٢٠٤.

والأبعوس^(١) والعِناق وغيرهم، فجعلوا قصدهم جُبْن^(٢) وما إليها، واتفقوا على أن يكونَ تقدم / القاصدين للشُعَيْب، وبعدَ أخذِهِم الأهبة، تقدّموا نحوَ الشُعَيْبِ والشيطانُ يقودُهُم ويُغويهم، وطَبَّقوا أنحاءَ الشُعَيْبِ وغشِيها جيشُ الباغين، وحاصروا العاملَ ومَنْ معه، وضَيَّقوا عليهم الحصارَ وحسبوهم أنهم قد صاروا تحتَ مَخالبِهِم وبرائينهم، وكانَ أميرُ الجيشِ سيدي يحيى بنُ محمد بنِ عباسٍ في قَعطَبَة حَيْثُذِ، وقد أهدقتُ به الأخطارُ من كلِّ مكانٍ، فبادرَ بإرسالِ مَنْ لديه من الجندِ نحوَ الضالعِ، وأمرَ عاملَ الضالعِ أن يعزِمَ بهم، ومَنْ لديه من الجندِ نحوَ الأجعودِ، والشَّقِيَّ نصر بنِ شائفٍ، فتقدم^[١] إلى البغاةِ والمخالفين وواقَعَهُم في أطرافِ الأجعودِ، وأسكنَ كثيراً منهم بطونَ اللحدِ، وفرَّقَهُم وشَتَّتْ شملَهُم، وفرَّ نصرُ بنُ شايِفٍ معَ مَنْ معه من النصاري، وكفى اللهُ المؤمنين شرَّ تلكِ الجهةِ، وقد كانَ أهلُ يافعَ قاربوا من جبلِ حريرٍ، وأرادوا ترتيبَه منعاً لمن يريدُ الإعانةَ للمجاهدين، ووصولِ المددِ إليهم من الضالعِ، وأمدَّ مولانا الإمامَ - عليه السلام - سيدي عمادَ الدينِ بأسودِ القتالِ، وأبطالِ النزالِ من المجاهدين مرةً بعدَ أخرى، وأمرَ الامامُ النقيبَ المجاهدَ قائدَ بنِ راجحِ الخولاني بالِعزمِ مجدداً من بَعْدان، ومعه جماعةٌ كبيرةٌ من أصحابِهِ، ومن أهلِ بَعْدان، وكذلك جمعَ الأميرُ جمعاً عظيماً من الشِعيرِ وعمَّارِ والعَوْدِ، ووجَّهَ الجميعَ إلى الشُعَيْبِ، وأمرهم بمُنازلةِ أهلِ الإفكِ والرِبِ، ومناجزتِهِم على جهةِ البدارِ، والتفريجِ عَمَّنْ تحتَ الحصارِ خشيةً من استسلامِهِم للعدوِّ الملازمِ لهم بالحربِ في الرواحِ والغدوِّ، فبادروا بالمسيرِ إلى أن وصلوا إلى أطرافِ الجهةِ التي استولى

(١) الأبعوس (البُعسي)، من قبائل يافع العليا منها الحَوْرِي والسيلي، انظر، تاريخ القبائل اليمنية، ٢٠٩ .

(٢) جُبْن: مدينة من قضاء رَدَاع، انظر، صفة جزيرة، ٣١٥، معالم الآثار، ٩٣ .

[١] في س، متقدم.

عليها الأعداء، وفعلوا بها كلَّ قضيةٍ شنعاءٍ، فلا تسَلَّ عمَّا داهمَ البغاةَ من الجِلادِ، وحرَّ الوخزِ بالأسنةِ الحدادِ، وكيفَ عادتْ جموعُ كثيرهم إلى القلعةِ، وبدَّلوا من كثيرهم بأقبحِ ذلَّةٍ، فإنَّ المجاهدين أقدموا عليهم إقدامَ الأسودِ، وهاجموهم مهاجمةً تتصدَّعُ بها الأكبادُ قبلَ الجلودِ، ولم يقتصروا على تبادلِ الرميِّ بالبنادقِ والمدافعِ، بل تناولوا جميعَ أصنافِ الطَّعانِ، وأرؤهم من صنوفِ الشجاعةِ ألواناً وأيَّ ألوانِ، فكانتْ ملحمةٌ كبرى، ويوماً من أيامِ الله التي لا يزالُ يتردَّدُ لها في العالمين ذكرى، أسفرَ عن إنزالِ الله نصره على المؤمنين، وهزيمةِ الباغينِ والمتفرنجينِ، ومنحِ المجاهدينِ أكتافهم، فطفقوا يقتلون ويأسرون من الأعداءِ، ويطاردونهم في تلكِ البقاعِ، وهم يفرُّون فرارَ الشاةِ عدتْ عليها الذئبُ في البيداءِ، لا يلوي الأُخُّ على أخيه، ولا يهتمُّهم غيرُ النجاةِ بأنفسهم، وإن تركَ الشجاعُ منهم ذويه وبنيه وأهليه / ومزَّقهم اللهُ شرَّ ممزقٍ، وشبعت / ٣٥ السباعُ من لحومِ قتلاهم، وامتلاتْ منها البقاعُ، فقيل: إن قتلاهم تجاوزَ عددُها المئةَ، وفيهم من أعيانهم كثيرٌ كالسلطانِ فضلِ محمد وولدِ الشيخِ أبوبكر بن علي النقيب، والشيخِ محمد بن زيد الحُرَيْبِيِّ وغيرهم، وأسرَ أيضاً من رؤسائهم وأعيانهم جماعةٌ، وانقشعوا عن الشُعَيْبِ كلُّه، ولم يستقرُّوا إلا في بلادهم، وكفى اللهُ المؤمنينَ شرَّهم، وانتهبَ المجاهدون ما وجدوه من أموالهم ومهملاتهم، وتعدَّى النهبُ إلى أموالِ أهلِ الشُعَيْبِ.

ولما كان الأميرُ يعلمُ أنَّهم مُكرهون من البغاةِ على مسالمتهم، أمرَ مَنْ في يدهِ من شيءٍ من أموالهم بردها فردوها، وصادفَ نهوضَ الطائفةِ الأخرى من الباغينِ وقتَ فرارهم من الشُعَيْبِ، وقد وصلوا إلى الدركِ الأسفلِ من الوبالِ والدمارِ، فرجعوا معهم وشاركوهم في الفرارِ وبطلَ ما أجمعوا عليه من الأضرارِ، وكفى اللهُ

مَنْ فِي جُبْنَ شَرَّهْمَ بَدُونَ قِتَالٍ وَلَا مِقَاسَاةٍ نَزَالَ.

وقد كان حاكمُ جبْنٍ ومن معه من الرتبة في تلك الجهة تحيروا في أمورهم، واضطربوا، فأتاهم من الفرج ما لم يحتسبوا، وأمدَّهم اللهُ بعنايته وألطفه، فستروا وحجّبوا، وتمَّ في كلتا الجهتين ما يُرامُ من الإصلاح، وإعادة الأمور إلى مجاريها وتقرير أحوالها، والمِنَّةُ لله وحده.

ولا يخفى أنَّ عاملَ الشُعَيْبِ ومن معه ثبتوا ثباتاً عظيماً، وأبلوا في هذه الفتنة بلاءً جسيماً، وصَبَرُوا صَبَرَ الكِرَامِ، ولم يبالوا بما داهمهم من الجيوش الكثيرة، والخطوب الكبيرة إلى أن أدركهم الفرج، وذلك من تثبيت الله تعالى ببركة مولانا الإمام، وأعجبُ من ذلك أن أميرَ الجيشِ سيدي العماد، أرسلَ قبلَ قدومِ الباغين على الشُعَيْبِ وهجومهم ثلاثين نفراً من النظام إلى عاملِ الشُعَيْبِ، فتأخروا في طريقهم، وباتوا في محلٍّ يسمى أرضة بالقرب من الضالع، فباكرهم جيشُ العدوِّ صباحاً، وباشرهم بالرمي، وقد تهيئوا للخروج إلى حيث أرسلوا فعادوا إلى البيوت، ودافعوا عن أنفسهم، وطمَّهم موجُّ الأعداء، فلم ينل منهم، ولم يقدِرْ على إخراجهم. ولما علمَ أميرُ الجيشِ بحالِ أولئك النظام، أرسلَ ممدداً لهم بعصايةٍ من جنودِ الحقِّ، وتيسَّرَ لتلك العصاية التفرُّجُ عن المحصورين / ولم يصابوا بأذى، فما هابوا تلك الجموع، ولا نالهم منه خطبٌ يروع، وقايةُ اللهِ أغنت عن مضاعفةٍ من الدروع وعن عالٍ من الأطم.

/١٣٦

هذا، وقد ذكرنا ما كان في الأَجْعُودِ وأنهم - أعني الأعداء والمخالفين - لم يظفروا بمرام، وكان حظُّهم ذلك الحظُّ المشؤوم، ولما تألَّبَتْ جموعُ يافعٍ وبلغهم ما عزموا عليه من القدوم، تراجعت إليهم أبعاضُ الآمال، وكادوا أن يعودوا لما

كانوا عليه من الضلال، ولكنَّ الأمير لم يترك امدادَ عاملِ الضالع، ولم تنسه مَنْ في هذه المحطة خطوب تلك المعامع، فثبتَ عاملُ الضالع، ومن لديه من الجنود، وجرى بينهم وبينَ البغاةِ عراكٌ وحروبٌ. فيها كلُّها كان النصرُ للمجاهدين والخذلان، نصيبَ أعداءِ الدين.

ولما انقضتْ غمامةُ فتنةِ يافع، وجَّهَ الأميرُ هَمَّتَه لتقوية تلك المحطة، وتقدّم المجاهدون على بقيةِ أهلِ الخِلاف، لم يكن منهم إلا المدافعةُ التي لا تُذكرُ حتى لاذوا بالفرار، وخلت منهم الديار، وبعدها واجهَ أهلُ الأَجْعودِ وبذلوا من أنفسهم الطاعة، وسلّموا ما اشترطَ عليهم من الرهائن، وكذلك أهلُ عبدالله^(١). ثم نهض الجيشُ إلى جبلِ رِدْفان وهو إلى محمد بن صالح القطيبي، وقد جمع جُموعاً، فكانت بينهم وبينَ المجاهدين محارباتٌ ومجادلات، كان النصرُ فيها لجندِ الحقِّ، واستولوا على معظمِ الجبل، ولم يبقَ لمحمد صالح وجوعه طاقةً على المقاومةِ واعتراهم الفشلُ، فتبدّد جمعُهم وخلي منهم، رُبْعُهم، واهتمَّ عاملُ الضالع بتثبيت المراتبِ في تلك الحدودِ وتقويتها، وأعرضَ عن التوغُّلِ لما أمره الإمامُ بذلك لما رآه من المصالحِ العامة، الجديرة بالملاحظة والاعتبارِ وإن خفيت على كثيرٍ من ذوي الأنظار، واستقرت بعدَ ذلك الأحوالُ في تلك الجهاتِ وطهرها من أدرانِ البغي والنجاسات.

وفي أوائل هذا العام، بعدَ أن كان من النجديين طائفةُ ابن السعود ما سردنا وقوعه، على قبائلِ يام منهم كثر الإرجافُ بغزوهم بينَ قبائلِ خَوْلان بن عامر، ودارت من أجل ذلك مراجعاتٌ بين علماء صَعْدَةَ وجهاتها، وبين رؤساءِ قبائلها، وأجمع أمرُهم على الاستعدادِ للمقاومةِ والمدافعةِ، إن قصدَهم بأقوامه^[١]،

(١) آل عبدالله علي في ذي الحجيرة من قبائل القطيبي من الأَجْعود (ردفان)، انظر تاريخ القبائل اليمنية، ١٥٢ .

وترتيب أطراف البلاد إذا ظهرت آثار أقدامه.

/ ١٣٧

وأجمع رأيهم أيضاً على أنهم لا يحتاجون إلى مددٍ من غيرهم، لما هم عليه من كثرة العدد، وقوة الجلد، والتمكّن من صدّ غارات النجود وغيرهم، وإنما الذي يحتاجون إليه هو المدد بالسلاح ومؤنة وإجراء الكفريات، ووجود رئيس يجمع كلمتهم، ويكونون تحت قيادته يدبّر أمرهم، وحصروا أمالهم في التعويل على المولى سيف الإسلام، محمد بن الامام الهادي^[٢]، وأنه لا يقوم غيره مقامه، ولا ينوب منابه، وراسلوا مولانا الإمام - عليه السلام - بما أجمعوا عليه، وكان المولى سيف الإسلام في تلك الأيام مقيماً في جبل الأهنوم بداره في المدان^(١)، فأرسلوا إليه عدداً منهم يحوي نفراً من السادة والعُقّال، ولم يُسعدْهم إلى ما راموا معتذراً بأعذار، وكان في تلك الفينة عاكفاً على العبادة، ومطالعة الأسفار لشدة شغفه بالعلوم، وارتشاف رحيقها المختوم، فطلبوا من مولانا الإمام الزامه بالإسعاد إلى ذلك المراد.

وقبل هذا الحادث كانت الظنون في أهل الشام مختلفة، فمن قائل أن أهل الشام إذا شاموا وسيلة للخلاف فلا بدّ من إهراغهم إليها، لأنهم لم يدخلوا في الطاعة إلا رهبةً بعد أن طال الحرب بينهم وبين الإمام نحو اثنتي عشرة سنة، أولاً في فتنة القاسمي^(٢)، ثم في فتنة الإدريسي، ولم يكمل إصلاح تلك الجهات وإزالة الخلاف إلا بعد أن انضم إلى جند الإمام جند الاتراك الذين دخلوا إلى

(١) المدان: مدينة في جبل الأهنوم، بها مركز ناحية شُهارة، إحدى نواحي محافظة حجة، انظر، البلدان اليمنية، ٢٥٤، معجم المحففي، ٥٧٣.

(٢) المقصود حسن بن يحيى القاسمي الضحيجاني ت في ٥ جمادى الأولى ١٣٤٣ هـ، عارض الإمام يحيى، ولد بضحيان سنة ١٢٨٠ هـ، انظر، نزهة النظر، ٢٤١، هجر العلم، ١٣١.

[١] في س، بقومه.

[٢] في س، الهادي لدين الله، شرف الدين.

بلاد خَوْلان بن عامر مدداً لأنصارِ الإمام، وقد خلت منهم تلك الجهات، فظهورُ ما يستندون إليه باعثٌ لهم إلى العودِ إلى ما كانوا عليه ولا يخفى ما في هذا النظرِ من قوة الاستدلال.

ومن قائل، قد زال ما في الصدور، وصلحت أحوالُ الجمهور، وثبتت أقدامُهم على الطاعة، فمن البعيد ميلُهم إلى الخروجِ عن الجماعة، ولا سيما إلى مثل هذا الغريب، وهذا كما لا يخفى نظرٌ مغزاه، الحمل على السلامة، لا سوى لتقدم ميلهم إلى الإدريسي وهو غريبٌ، وعلى ما نراه مما ذكرنا من مراسلتهم، وما أجمعوا عليه، نجدُ أنَّ الواقعَ قد حقَّقَ الرأيَ الأخيرَ العاريَ عن الدليل، وما ذاك إلا من جملةِ سعودِ مولانا الإمامِ الحارِقة، وما عوَّده اللهُ تعالى من عناياته وكفايته لمهماتِ الحوادثِ السابقة، فكَمَ خطبٌ جَلَلٍ ظنَّه أهلُ العقولِ مما يهولُ قد عادَ كأنَّ لم يكنْ ببركته - عليه السلام - واندفعَ بأيسرِ مشقةٍ وانقضى بسلام، وكفى اللهُ الإمامَ شرَّه، وكثيراً ما تكونُ الخطوبُ في تناهيها بعونِ الله تعالى لمولانا الإمامِ منقلبةً إلى ما فيه صلاحُ المسلمين والإسلام، وكاشفةً عن حصولِ ما لا يمكنُ الوصولُ إليه/ بالسيوف والأقلام.

١٣٨ /

ولما وصلت منهم هذه المراسلة، كان الأخذُ بالحزمِ هو الذي عليه التعويلُ لدن مولانا الإمام. وقد كان من المنقول عن جماعة النجود الذين وصلوا إلى يام ودخلوا بدرأ من نجران، أنهم كانوا يرتجزون بقولهم: (قد أرجفت صنعا وبدراً دين). ترجَّح لدى مولانا الإمام - أيده اللهُ - إرسالُ المولى، سيفِ الإسلام، أحمدَ بن قاسم حميدالدين، والمولى القاضي علي بن علي البياني، شيخ الإسلام،

والسيد العلم قاسم بن حسين أبوطالب^(١)، ناظر الأوقاف الصنعانية إلى المولى، سيف الإسلام، محمد بن الإمام الهادي إلى الأهنوم للمراجعة في هذا الشأن، وإلزامه الحجة بدخوله إلى بلاد صعدة، وقيامه بما عولوا عليه فيه، إذا ظهر من النجديّ العدوان، وقصد بلاد الإمام بما له من الأجناد الذين يسميهم بالإخوان، فتوجه المذكورون إلى تلك الجهة، ونزلوا في الأهنوم، ودارت بينهم وبين المولى، سيف الإسلام، محمد بن الامام المراجعة، وفي نهايتها كان منه امثال ما أمر به مولانا الإمام، وصرف الله شر أولئك النجود، فلم يكن منهم أقل تعرض على بلاد الشام أو المام. وانحصرت فائدة هذا الاضطراب في بيان ثبوت أقدام سكان تلك الجهات على الطاعة وحسن نيّاتهم فيما التزموه من البقاء مع الجماعة، وهي فائدة كبرى، أدخلت إلى قلوب المؤمنين السرور، وضاعفت الحبور، وعمّت بها البشرية والله الحمد.

وفي هذه السنة، شرع مولانا الإمام ببناء داره السعيدة في بستان المتوكل^[١] بعد أن شرى^[٢] البستان وما حوله من بيت المال. وكان الأتراك لما أخرجوا ما كان فيه من العمارة، بنوا مكانها بناءً فخياً، وجعلوه مستشفى للجنود، فنقض مولانا الإمام كثيراً من المستشفى وعمّر في مكان الجانب الغربي من المستشفى داره السعيدة.

(١) قاسم بن حسين بن محمد بن أبي طالب، ت محرم ١٣٨٠ هـ، المعروف بالقاسم العزي، أبو طالب، مصلح، عالم أديب مشهور، واحد من الذين توسطوا في عقد صلح دغان بين الدولة العثمانية والإمام يحيى، عينه الإمام يحيى سنة ١٣٣٠ هـ لنظارة الأوقاف الداخلية، وأرسل سنة ١٣٣١ هـ ضمن وفد لمراجعة محمد بن الأدرسي لحقن الدماء، كما أرسل في عدة مهمات للتهدئة، وقام بأدوار في اصلاح ما بين القبائل من منازعات، ولد بالروضة في شهر رمضان ١٢٩١ هـ، انظر نزهة النظر، ٤٧٦، حياة الأمير، ٥٨٢ (من مؤلفاته، بلوغ غاية الأشواق في ذكر السفر إلى العراق، مخطوط مكتبة أوقاف صنعاء، رقم ٦٩٥).

[١] في س، قاسم بن حسين. [٢] في س، اشترى.

وفيها لما انقضت الهدنة بين المجاهدين الذين في صَعْفَانَ وما إليه، وبين أعوان الضال^[١]، جهَّز محمد طاهر رضوان من باجل جيشاً ومعهم^[٢] مدفعان من مدافع الضال، فاجتمع إليه أهل الحدود، وتقدَّم الجميع على بيت إبراهيم أحمد من جهتين، فطائفةٌ ومعهم مدفعٌ قصدوه من الجهة القبليَّة من تحت حَمَاطة، والطائفة الأخرى ومعهم المدفع الآخرُ قصدوه من الجهة العدنية/ من / ١٣٩ المحلَّة التي فوق سمهر، وباشروا البيت المذكورَ بالرمي من المدفعين، ومكثوا يرمون عليه بهما يوماً كاملاً، فلم تُصِبِ البيتَ رصاصةٌ واحدةٌ، وأعجزهم اللهُ تعالى عن ذلك، فخارت قواهم وخمدت جمرتهم، وكان في البيت المذكور من المجاهدين عليّ بن أحمد الخمري، والنقيب حسن بن حسن الحداد، ونحو مئة رام من النظام وغيرهم، فانقسموا إلى طائفتين، وخرجوا إلى الأعداء، فطردوهم بمدفعيهم عن مكانهم، وأنزلوهم إلى البيداء، وأرجعوا المدفعين إلى باجل، وعادوا إلى الترتيب كما كان وأيسوا بعد أن بذلوا كلَّ جدِّ وإمكان، وما النصرُ إلا من عند الله العزيز المنان.

وفي خلال هذه المدة، كانت المراجعة من السيد مساوي بن عبد الرب الساكن في دهو الدار، وقد مرَّ ذكره فيما سبق بالصُّلح بين مقادمة الإمام وبين محمد طاهر المذكور، وسعى في ذلك أتمَّ سعي، وعضده في مسعاه منصبُ المراوعة^(١) السيد عبدالقادر بن أحمد الأهدل، وحاصل سعيها قصدُ إصلاح أهل الحدود الذين خربت ديارهم، وسُلبت أموالهم بأن يكون من الطرفين تهجيرُ تلك الحدود بارتفاع قوم الإمام إلى صَعْفَانَ، وانخفاض جيش الإدريسي

(١) المزاوعة: مدينة تُهامية شرقي الحديدة بمسافة ٣٥ كم، يعود تاريخ عمارتها إلى القرن الثالث الهجري انظر، فرجة الهموم، ٣٢٠، اليمن الخضراء، ٨٩/١، المفيد، ١٥٦ معجم المقحفي، ٥٨١.

[١] في س، الضال الادريسي. [٢] في س، ومع.

إلى باجل، والتزما التزاماً مكتوماً لمقادمة الإمام بإصلاح أهل الحدود من بني سعد إلى بني جرّين متى رجعوا إلى ديارهم وعمّروها، وادخلهم حظيرة الطاعة، لأنهما قد علما وعلم أهل البلاد أيضاً بأنه لا نجاة لهم من المهالك إلا بالدخول تحت طاعة الإمام. ولكنهم لا يتمكنون من الرجوع إلى ديارهم وبلادهم بما معهم في تهمّة من القراش^(١) والمتاع إلا باسم الصلح، لأنهم ممنوعون عن الرجوع من جهة محمد طاهر وأعوانه، فرفع مقادمة الإمام إلى الحضرة الشريفة حقيقة ما دار من المراجعة، فلم يحصل من الإمام الإسعاد^[١] إلى رفع^١ مراتب الجهاد خشية من الغدر، وحثّ الامام على تأمين من عاد إلى بيته من أهل البلاد، ولما لم يحصل مرأى السيدين، استأذن السيد مساوي المذكور من محمد طاهر في طلوعه إلى حضرة الإمام، والتماس الإسعاد إلى ذلك المرأى، وكان من قبل يستأذنه ولا يأذن به.

وفي هذه الأونة بعد الإياس رضي له بذلك، فوصل إلى حضرة الإمام، وقابله بكل بر وإكرام، وحرّر بيده الأوامر الشريفة بتأمين الناس وأصدقته أن لا محيص لهم من الطاعة والانقياد، وأنه لا يمكن رفع المراتب، وعاد المذكور من المقام الشريف بما معه من الأوامر/ الشريفة الامامية شاكرًا لما تلقاه به الإمام / ١٤٠ من البر والإكرام والإرشاد إلى ما به يعمّ نفع الأنام، ويكفيهم هول ما ارتكبوه من الشرور والآثام.

ولما عاد السيد بما زوّده الإمام به، وبثّ ذلك في أهل الحدود مالوا إلى المسالمة، وقد بلغت أرواحهم إلى التراقي من أهوال ما لاقوه من المشاق، وتلف منهم العدد الذي لا يُحصّر في فيافي تهمّة، فعادوا سراعاً إلى أوطانهم، واقتضى

(١) القراش: الحيوانات التي تعيش في المنزل ما عدا الكلاب والقطط، والبعض يراها إنما تقصر على حيوانات الركوب، الحمار والبغل والحصان، والتعبير شائع في اليمن.

[١ - ١] في س، برفع.

الحال تخفيف المراتب وتقليل الجنود للاستغناء عنهم، وأذن مولانا الإمام لحاكم العرّ بالارتفاع، وقد مكث هنالك هو والمجاهدون من أهل الحَيمة سنة وعشرة أشهر، وأمر الإمام أمير الجيش الشريف عبد الله بن محمد الضمين بالعزم إلى مَدُول، واستقرّ هنالك، ولم يبقَ بعد ذلك حادثٌ يستحقُّ الذكر والتدوين، وخاب أملُ الشيطانِ اللعين، وأنت أيّها الناظر المتأمل، إذا تأملت ما سردناه من حوادث تلك الجهة، وما كان فيها من [١] المعارك والخطوب والنكبات والكروب تجدها نتيجة مساعي ذلك الشقيّ عبد الله بشرٍ واغتنامه ما عليه حال أهل البلاد من الجهل البسيط والمركب، فحملهم على ركوب ذلك المركب الأصب، وبدّ لهم من أمنهم خوفاً. ومن هنائهم جوراً وحيفاً. ولم يحمله على هذا السعي الخبيث غير ما ظنه من المدافعة بذلك عن أطماعه التي كان يعتادها أيام الأتراك، وطلب الاستمرار على ذلك في أيام دولة الإمام، فجلب المحنة بإيقاظ الفتنة، وأتلف تلك البلاد وأهلها وأموالهم، وجرى من عدل الله تعالى أن اجتاحت النوائب الشقيّة المذكور وولده وأكثر أهليه وأمواله فيمن اجتاحت، فلم يصل إلى مأرب، وباء بسوء المنقلب. وإنما أوردت هذه النبذة جلباً للاعتبار بما يجري في هذه الدار، وأنّ الأطماع من شأنها جلب البوار، وإنزال صاحبها إلى درك الدمار، نسأل الله العافية والوقاية من كلّ داهية.

وفي هذه السنة كملت عمارة البئر العظيم [٢] والبناء الخالد الفخيم والإحسان الذي فات الأوائل، وكانت أمنية كلّ فاضل، وهو البئر المباركة العظيمة [٣] التي شادها مولانا الإمام - عليه السلام - للجامع الكبير في صنعاء المحروسة، [٤] والذي بعث همّة مولانا الإمام إلى هذا الخير المشكور والعمل

[١] في س، من الفساد والمعارك والخطوب. [٢ - ٢] سقطت من س.

[٣ - ٣] سقطت من س.

النافع المبرور، أن الجامع الكبير على ما هو عليه من الشهرة وعظم القدر وقدم العهد، وعموم الانتفاع^[١]، لم يكن موجوداً به ماءً حلواً، بل ماؤه كثير الملوحة وكثيراً ما هَجَرَ الوضوء في مطاهيره المصلون، ولا سيما في زمن الشتاء حين تشتدُّ/ يبوسةُ الهواءِ ويبردُ الماءُ فاستعمال مثل ماءِ الجامع الكبير يجلبُ تشقُّقَ الأقدام، ولم يهتدِ أحدٌ من الأئمة والملوك والسلاطين، على كثرة عددهم منذ كانَ عمارةُ الجامع المذكورِ، إلى هذا العهد لإزالة هذا النقصانِ،^[٢] فقيَّضَ اللهُ مولانا الإمامَ لحفرِ البئرِ المذكورةِ في طرفِ بستانِ الجامع، وكان الشروعُ بحفرِ بئرٍ صغيرة حتى جرى اختبارُ الماءِ في تلك البئر الصغيرة، ووَجِدَ حُلواً لا ملوحةً فيه، وحينئذٍ أمر مولانا الإمامُ - عليه السلام - في توسيع البئرِ المذكورةِ إلى المقدارِ الذي تحقَّقَ الاحتياجُ إليه وإجراء طوايتها وجعلها مرتفعةً من فوق سطح الأرض ارتفاعاً يمكنُ به وصولُ الماءِ منها إلى الجامع، ثم صارَ إجراءُ الحفرِ فيما بين البئرِ ومطاهير الجامع، وشيَّدتِ الساقيةُ من البئرِ الجامع^(١) في قساطير^(٢) تحت الأرض، وطُمَّتْ بعدَ تشييدها بالتراب. وعمَّر مولانا الإمامُ منهاجاً فوق حارة الأبهري^(٣) ليستقي منه أهل تلك الحارات، فعَمَّ به الانتفاعُ لاحتياج أهل تلك الحارات إليه، وعلى الإجمال، إنَّ هذا الأثرَ الكبيرَ عُدَّ من

(١) حول البئر والسبيل، انظر، مساجد صنعاء، ٧.

(٢) القساطير: جمع قسطار وهو الميزاب أو ما يشبهه، انظر، وصف صنعاء، ١٠١.

(٣) حارة الأبهري: نسبة إلى مسجد الأبهري التي عمرته فاطمة بنت الأمير الأسد بن إبراهيم بن أبي الهيجاء الكردي سنة ٧٧٦هـ، يعرف قديماً بمسجد بنت الأمير، في الجهة الجنوبية عدني الطريق النافذة من السايلة إلى جامع صنعاء، انظر مساجد صنعاء، ٧-٥، معجم الحجري، ٢/٥٤١.

[١] في س، فلم.

٢ - جاءت هذه الفقرة مبتورة في س حيث جاء «فحفرها في طرف بستان الجامع الكبير، ووجد الماء حلواً، وأوصله إلى الجامع بواسطة ساقية من البئر إلى الجامع في قساطير تحت الأرض.

حسنتِ مولانا الإمام التي تأخر منها الزمان، وتقدّمت في باب البرِّ والإحسان، ولم تعلق بها خواطرُ الأقدمين، ولم يوازنها ما تعاضم من أعمال السابقين، ورُفعت إلى مولانا الإمام التهاني بإكمالها كما ارتفعت من الخاصّة والعامّة الأدعيةُ المقبولةُ بمنّ الله إلى الربِّ ذي الجلال، بإثابة مولانا الإمام أفضل ثواب كوفيّ به مَنْ قامَ بجليل الأعمال، وقد أرّخ إكمال عمارة البئر والسبيل السيد الأديب محمد بن عبد الرحمن شرف الدين^(١) بقوله:

[المتقارب]

وهادي البرايا سبيل الرشاد	إمام الأنام سليل الكرام
بئراً فينا نعم ما قد أشاد	أشاداً لجامع صنعنا الكبير
فأكمل رونقه المستجاد	وأجرى له العذب من مائها
يدبُّ الكرى في حليف الشهاد	ترى الماء يجري إليه كما
ومال إليه جميع العباد	فقد صار جامعنا روضة
لجامعنا والسبيل المشاد	فلله بئر بناها الإمام
فقد بلغ الناس أقصى المراد	إذا قيل أرّحها نـاظماً
وتاريخه ذا سبيل الرشاد ^٢	فتاريخها مثل تاريخه

سنة ١٣٣٩

(١) محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد شرف الدين ت ١٣٦٢ هـ، عالم، أديب، شاعر، التحق بالعمل لدى الإمام أحمد منذ ولايته للعهد، حين قاد الحملات لاستعادة المناطق التي استولى عليها جيش عبد العزيز آل سعود في صعدة، ولد في صنعاء ١٣٠٨ هـ، كتب البرق المتألق في رحلة سيف الإسلام إلى المشرق، انظر، نزهة النظر، ٥٣٣، هجر العلم، ١٩١٩ .

١١] وينضمُّ إلى هذا الأثرِ الجليلِ ما أمر به مولانا الإمامُ من تحويلِ المنبرِ في الجامعِ المذكورِ^{١١}، فإنه كان المنبرُ موضوعاً على صفةٍ تمنعُ من اتّصالِ الصّفِّ الأوّلِ لحيلولةِ المنبرِ عن ذلك، ونحن معاشرَ الهدويةِ^(١) من مذهبنا أنّ الاتّصالَ في الصّفِّ الأوّلِ واجبٌ، وإلاّ بطلتْ صلاةُ المنقطعينِ عنه، المُوازينِ لمنْ خلفَ الإمامِ من أهلِ الصّفِّ الأوّلِ، فأمر مولانا الإمامُ بإدارةِ استتالةِ المنبرِ إلى جهةِ الشرقِ أو الغربِ، وأمکنَ بعدَ ذلك اتّصالُ الصّفِّ الأوّلِ كما يُرام.

و^٢ هذا، وإن كانَ أمراً يسيراً في بابِه، إلاّ أنّ فائدتهُ كانت عظيمةً والاهتداءُ إليه مع مرورِ الأجيالِ، وهو على ما كان عليه من سابقِ الحال، دليلٌ على الفكرةِ السليمةِ^٢.

وفيها أمرَ مولانا الإمامُ قبيلةَ همدانَ بأن يجمعوا منْ مقاتلتهم^٣ عدداً معلوماً يكونون من جملةِ النظامِ أسوةً بإخوانهم من القبائلِ المجاورةِ لصنعاءَ، فأظهروا الامتثالَ، ثم سلكوا سبيلَ المماطلةِ والتسويقِ، وشوّقَهُمْ على ذلك من لا خيرَ فيه من ذوي الجهلِ المُركَّبِ، بأن صوّروا ذلك الطلبَ والقيامَ والمبادرةَ إلى الانقياد له نوعاً من الإذلالِ، وصادَفَ في ذلك الحينِ، وعاملُ همدانَ السيدُ الجليلُ حسينُ بنُ علي الحيفي مُصَابٌ بالمرضِ، وقد أبل منه،^٤ ولكن اعترأه ما هو شبيهه بالمالنخوليا فهو معتزلاً للأعمال^٤، فأكثرُوا من التجمعِ وإعلانِ الظواهرِ بأنهم لا يرضون بما ذُكِر. وفي تلك البرهةِ رأي مولانا الإمامُ - عليه السلامُ - تعيينَ السيدِ الجليلِ محمدِ بنِ قاسمِ الظفري عاملاً على همدانَ، وأمره بالخروجِ إلى الناحيةِ ومباشرةِ أعمالها، وأصحبه بعصايةٍ من الجندِ لإجراءِ ما أمرَ

(١) الهادوية: اسم يطلق على اتباع المذهب الزيدي، نسبة إلى الهادي إلى الحق الذي ركز دعائم المذهب في اليمن.

[١ - ١] في س ورد «وفيها أمر الإمام تحويل المنبر في الجامع».

[٢ - ٢] سقطت من س. [٣] في س، مقاتليهم. [٤ - ٤] سقطت من س.

به الإمام من جمع النظام وتحصيل الواجبات.

فخرج العامل الجديد مع أصحابه وتوجه إلى لؤلؤة^(١)، وقد كان اجتماع عدد غير يسير من جُشم^(٢) وغيرهم كالهائمين لا يدرون ما مغبة تلك الحركات في سوق بيت أنعم^(٣)، ومنها توجهوا إلى جهة لؤلؤة، فرأى العامل أن المقام هنالك ربما أدى إلى حدوث فتنة وهي غير مُرادِه للطرفين، فنزل بمن معه إلى ضُلاع^(٤)، ومن هنالك بادر بالعزم ليلاً بنفسه والوصول إلى حضرة الإمام موضحاً للحال ومستمدداً لما يأمره به الإمام من مقابلة أولئك بالحرب أو الاعتزال، فرجع مولانا الإمام دخوله مع أصحابه إلى صنعاء، دفعا للفتنة التي هي غير مقصودة، وانتظاراً لما يؤول إليه أمر أولئك المجتمعين من الإصرار أو الندم وسرد الاعتذار.

وفي صباح ذلك اليوم، وصل جماعة من عُقالِ همدان واعتذروا ونسبوا ذلك إلى / السفهاء منهم والجهال، وطلبوا العفو من الإمام والإغماض عنهم، لأنهم لم / ٤٣ يقصدوا بذلك مقاتلة جنود الإمام، فقبل الإمام عُذرهم، وتفرق ذلك الجمع من

(١) لؤلؤة همدان: قرية وواد من ناحية همدان صنعاء على مقربة من ريعان، وهو واحد من متنزهات صنعاء الشمالية الغربية، انظر، اليمن الكبرى، ٧٥، قرة العيون، ٣٠٠ معجم المقحفي، ٥٥١ .

(٢) جُشم: قبيلة من حمير، منازلها في بحدان وريهان وعروان وحملان بلواء إب وكذا سَعوان وشعوب بضواحي صنعاء المشالية انظر، تاريخ اليمن الثقافي، ١ / ٨٦ .

(٣) بيت أنعم: قرية في أعلى وادي زهر من عزلة الربع من أعمال ناحية همدان، على بُعد ١٤ كم شمال غرب صنعاء، انظر، السيرة المنصورية لابن دعثم، ١ / ٢٠٨، رياض الرياحين، ٨٦، صفحات مجهولة، ٨٨ .

(٤) ضُلاع: بلدة في الشمال الغربي من صنعاء بمسافة ٨ كم، وهي من الوديان الخصبية المشهورة بزراعة القات، انظر، معجم المقحفي، ٣٩٦ .

ذاتِ نفسِه، واهتمَّ مولانا الإمامُ بالبحثِ عَمَّنْ تظاهر بمخالفةِ ما أمرَ به الإمامُ، وحثَّ الناسَ على الاجتماعِ والتهاونِ بالطاعةِ، فأرسلَ مَنْ ضَبَطَهُمْ وأودَعَهُمْ دارَ الاعتقالِ، ثم أنفذَ الإمامُ - عليه السلام - أمرَه فيهم من أجلِ النظامِ، وانقادوا لما أُلْزِمُوا به. ولم يُهْمَلِ الإمامُ ما كان منهم من التجمُّعِ، فأمرَ عاملَ هَمْدَانَ السَيِّدَ حسينَ الحَيْفِي، وقد شفاه اللهُ مما ألمَّ به من الأسقامِ، بالبحثِ عَمَّا يُزْرَعُ من القَضْبِ على المطرِ ويسمونه بالقَضْبِ^(١) العقر، فلمْ تخلُ عنه قريةٌ من قرى هَمْدَانَ، فأمرَ الإمامُ عاملَه باستحصالي واجبه منهم لما مضى من السنين، وعيَّن على كلِّ قريةٍ مقداراً من المالِ في مقابل ذلك، ولم يُرِدِ الإمامُ سوى تأديبهم على ما كان منهم، وزجرهم عن العُودِ إلى مثل ذلك، فأنفذَ العاملُ ما أمرَ به الإمامُ، وصلحتْ من أولئك الأحوالِ، فلم يَبْدُرْ منهم ما يكونُ داعياً للانتقامِ.

وفيها أسندَ مولانا الإمامُ عمالةَ الطويلة^(٢) وبلادها إلى عهدةِ الشيخِ راجحِ بنِ راجحِ بنِ سعدِ بنِ صالحِ وأبوه هو الشيخُ ظهيرُ الدين، أحدُ أعوانِ الإمامِ المشهورين بالوفاءِ والإخلاصِ في الطاعةِ، وكان مولانا الإمامُ قد أمرَ الشيخَ راجحِ بنِ راجحِ المذكورَ قبلَ توظيفه في العمالةِ بخَرْصِ الواجباتِ في تلكِ الجهةِ، فقامَ بذلكَ قياماً رفَعَهُ إلى صفِّ العَمالِ، والنظرِ إليه من الإمامِ بعينِ الكمالِ، وصادفَ في تاريخِ تعيينه أنَّ أحدَ أقاربِ النقيبِ محمدِ بنِ عليِ ردمانِ

(١) القَضْبُ: هو البرسيم عند غير أهل اليمن، انظر، مذكرات المؤيد بالله، ١٨٠.

(٢) الطويلة: مدينة بالغرب من كوكبان بمسافة ٢٥ كم، في سفح جبل القرانع، بها مركز قضاء الطويلة المطل على بلاد المحويت من الغرب، وإلى الجنوب على بلاد حراز والحيممة، انظر، صفحات مجهولة، ٧٢، اليمن الكبرى، ٦٣، طبق الحلوى، ٢٠١، معجم المصحفي، ٤٠٦، هجر العلم، ١٢٧٢.

تعدى عليه سفية من بني النويرة^(١)، أهل الخبت^(٢)، فقتله، فجيء بالقاتل إلى حضرة مولانا الإمام مكبلاً وأودعه القصر السعيد، وأفهم الإمام النقيب محمداً المذكور وهو المطالب عن ورثة القتيل، باختيار أحد الأمرين القصاص أو الدية، فكان ميل النقيب إلى الطرف الثاني، ولكنه لم يقنع بما يلزم شرعاً بل عن له أن يشتط في الطلب زاعماً أن المقتول نقيب والقتل غيلة، فهو يزيد مضاعفة الدية عملاً بما يعتاده أرخب من طريقة طاغوتهم الممقوت، فأقنعه الإمام عما لا يلزم شرعاً، فخرج من حضرة الإمام مغاضباً، وكاتب قبائل حاشد وبكيل مستجداً لهم على أهل الخبت وزاعماً بأنه سيغزوهم بمن سيجمع إليه، فلم ير الإمام بقاء مثل الطويلة وبلاذها خالية من العامل / فانتخب مولانا الإمام / ١٤٤ راجح للعمالمة المذكورة وأصدر أوامره الشريفة إلى الجهات التي يؤمل أن يكون مرور أصحاب ردمان منها، ومن سيجب من رُعاع القبائل بمحافظة أهلها لحدودهم، ثم زال ذلك الإبراق والإرعاد، ولم يجبه أحد إلى الفساد والعناد، فانقاد لأمر الإمام، ولم ينل من ذلك سوى تسويد الصحيفة، وتكدير رونق أعماله في الجهاد، فقد كان محمداً المذكور من أحسن أنصار الإمام واستفاد بحسن مناصرتيه جاهاً وقبولاً لما يقوله لذن قبائله أرخب وغيرهم، ولم يعلم المسكين أن سر ذلك هو حسن طاعته للإمام، ولما جرب نفسه في ضدّها خاب ظنونه، ولم يجد لداعي شره قبولاً ولا مجيباً، ولم يصف له يوم بعد ذلك، فإنه ابتلي بالمرض، وما زال ملازماً له إلى أن فارق الحياة، وانتقل إلى ساحة الوفاة.

(١) بنو النويرة: من سكان قُروى بخولان الطيال بالجنوب الشرقي من صنعاء، انظر،

معجم المقحفى، ٥١٣ .

(٢) الخبت: يقع في ناحية المحويت، يحده المحويت غرباً وملحان جنوباً ولاعة والطور

شمالاً، انظر، حياة الأمير، ٦١٨ .

وفيها عينٌ مولانا الإمام القاضي أحمد بن محمد الأنسي^(١)، عامل قعطبة رئيساً لمالية تعز، وأناط به ترتيب أمورها وضبطها على أحسن منوال، وعين مكانه في عمالة قعطبة أخاه القاضي علي بن محمد الأنسي فتوجهها إلى محلي أعمالها^(٢) وقاما بما عهد إليهما.

وفيها توفي الشيخ محمد ناصر مقل^(٣)، عامل القماعة، وأسند وصيته إلى مولانا الإمام بثلاث تركته، فوجه الأمام، عمالة القضاء المذكور إلى ابن أخيه الشيخ قايد بن صالح مقل لمكان كفاءته على القيام بالأعمال، فلم يؤثر عنه تقصير أو إخلال.

وفيها وصل إلى مقام مولانا الإمام الشريف ناصر بن شكر مرة ثانية بكتب من الشريف حسين بن علي بن محمد بن عون تتضمن عين ما في الكتب الأولى والخوض في ذلك الموضوع، فمكث برهة في حضرة الإمام ثم قفل راجعاً إلى مرسله مزوداً بالجوابات اللازمة والإفادات الهامة.

وفيها ظهر من بعض السادة آل النعمي سكان الشرف الميل إلى ناجم تهامة^(٤)، ونزل بعضهم إلى ميدي^(١)، ودارت بينه وبين أعوان الضال^(٤) مراجعات، وعاد من هنالك وقد وصلوه بالحظ البخس من الحطام، ووعدوه

(١) أحمد بن محمد الأنسي: ت في شعبان ١٣٤٦ هـ، كان رئيساً لمالية تعز ثم نائباً لأمير لواء تعز، حمل رسائل من الإمام يحيى لمصطفى كمال، وعين ناظراً للمعارف عند تشكيلها ١٣٤٦ هـ، انظر، حياة الأمير، ٥٣٤ .

(١) ميدي: مدينة على ساحل البحر الأحمر غربي حرض بمسافة ٣٠ كم، من قبائلها بنو مروان، تتبع ادارياً محافظة حجة، انظر، اليمن الكبرى، ١٠٩، معجم المقحفى، ٦٤٩ .

[١] في س، عملها.

[٢] في س، مقبل باشا.

[٣] في س، تهامة ابن ادريس.

[٤] في س، الادريسي.

بالمَدِّ والمعونة وعهدوا إليه بإفسادِ قبائلِ الشرفين، وأعطوه ما طلبه من المؤنة، وكان مولانا الإمامُ يثقُ بالسادةِ بنيِ النعمي كلهم، ولهم هنالك حظٌ كبيرٌ وكلمتهم مقبولةٌ لدى الصغير والكبيرِ خصوصاً السيد/ علي بن يحيى بن علي / ١٤٥

النعمي فهو من ذوي العرفان، ومن شارك مولانا الإمام في أيام الطلب في القراءة، وهو يتولى عن أمر الإمام أكثرَ وظائف الحكومة في تلك الجهة، فلم يكن يخطرُ على بالِ أحدٍ أن يظهرَ من أحدٍ منهم الميلُ عن الحقِّ إلى جانب الضلال والسعي فيما يُغضبُ ذي الجلالِ ويجلبُ الخزي والسوبال، فشرعَ النازلون إلى تُهامةٍ بعد رجوعهم في إفساد تلك الجهة، وتم لهم ما أرادوه من استمالتهم إلى ما يرومون، وشرعوا في أعمال الحيلة للاستيلاء على حصن كحلان الشرف، وفيه عامل الإمام السيد محمد بن محمد حجاج^(١)، فتيقظ العامل المذكور، وشعر بما قد حصل من التآلؤ على المكر والخديعة، وأخذ من أعمالهم الحذر فلم يتم لهم ما دبروه من الاحتيال والمكر والاعتيال، وظهر الخفي وبان وتميز من كان قد مال إلى المباينة وأغواه الشيطان، وجرت مصادمات ووقعات، وأمد مولانا الإمام عامله بجند من ذوي الثبات وحسن النيات، فتضاءل أمر الفتنة، واختفى شبح المحنة، وفر من مال إلى الفساد، وأعلن المباينة، وأقصر عن الاسترسال في ميدان الغواية من لم يكن قد أبدى الجفاء، وجاهر بعدم الوفاء، وتنصل عما قام به المجاهرون، وأظهروا البراءة منهم ومن أعمالهم، وما دبروه من الخديعة والإفساد ومحق الصلاح المنشور لوائه في البلاد، ووصل إلى

(١) محمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن مطهر جحّاف ت صفر ١٣٥٩ هـ، عالم، فقيه، رحل من ظفير حجة سنة ١٣٠٠ هـ، حين قصفه الوالي العثماني محمد عزت بالمدفعية، تولى للإمام يحيى بلاد الحيمة وبلاد الشرفين، ثم عاد إلى الأهنوم، مولده في ظفير حجة سنة ١٢٩٦ هـ، انظر، نزهة النظر، ٥٧٦، هجر العلم، ١٣٣٢ .

حضرة مولانا الإمام السيد علي بن يحيى النعمي متنصلاً مما نُسب إليه من الرضا بأعمال سفهاء ذويه، وشاكياً من أعمال العامل، وأنه هو المسبب لما ظهر من الاختلال، وبعد ذلك لم تمض مدة وجيزة إلا وقد عادت الأمور إلى مجاريها كما كانت من قبل وزال ما حدث من الاختلال وجَلَّ.

وفي شهر شوال من سنة ثمانٍ وثلاثين كانت وفاة القاضي أحمد بن علي السياغي^(١)، ناظر السنارة بمحروس حصن السنارة، وكان حازماً هماماً وفاضلاً حساماً، وعقيب وفاته وجه مولانا الإمام ما كان بنظره من الأعمال إلى السيد الهمام أحمد بن عبد الكريم حجر^(٢)، فقام بالأعمال خير قيام وحسنت نيابته كما يرام.

وفيها أيضاً في التاسع والعشرين من شهر جمادى الأولى كانت وفاة القاضي إسحق بن عبد الله المجاهد^(٣) بمحروس حصن كحلان تاج الدين، وقبره قريب من

(١) أحمد بن علي بن عبد الكريم بن أحدم السياغي ت شوال ١٣٣٨ هـ، عالم في الفقه، حافظ، له معرفة بالطب، هاجر إلى صعدة سنة ١٣٠٥ هـ، والتحق بالإمام الهادي شرف الدين تولى أعمالاً كثيرة منها ناظرة الشام بالنيابة، انظر، هجر العلم، ١٥٣١ .

(٢) أحمد بن عبد الكريم بن حسن حجر ت ١٣٦٢ هـ، تولى ووالده قبض الزكوات في بلاد أرحب، ثم وكيل بيت المال في صعدة ثم نظارة صعدة سنة ١٣٣٨، كان وكيل بيت المال والصراف للجيش الذي أخضع يريم، ولد بصنعاء ١٢٨٨ هـ، انظر، نزهة النظر، ٩٢، حياة الأمير، ٥٣٠ .

(٣) إسحق بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله المجاهد ت ٢٩ جمادى الأولى ١٣٣٨ هـ، عالم محقق في الفقه وأصوله، تولى حكومة سنحان ثم انتقل سنة ١٣٣٦ هـ بتكليف من الإمام يحيى إلى كحلان عقار للتدريس فيه وبقي حتى توفي، انظر، نزهة النظر، ١٧٣، ائمة اليمن، ٤٦/٢، هجر العلم، ١١٧٦، حياة الأمير، ٦٠، ٥٣٧ .

جامع كُحْلانَ في الجهة القبليّة، وكان مولانا الإمامُ أمره بالعزم إلى/ هنالك / ١٤٦
 للقيام بتدريس العلم الشريف، فامتثل أمرَ مولانا الإمام، ومكثَ هنالك مدةً
 قائماً بما أمرَ به، ثم اعترته الأسقامُ إلى أن وافاه الحِمامُ،^١ وهو من بيتٍ اشتهر بهم
 العلمُ واشتهروا به، ومكّنوا من غوامِضه جميعَ طلابه، ولم يزل هذا القاضي
 ملازماً للتدريس من عهد شبابه إلى أن شاخ، وطبعه يميلُ إلى الانقباض عن
 مخالطة الناس في جميع أحيائه، وإذا حضر مجلساً لزم السكوتَ إلا جواباً، ومع
 ذلك^١ فقد وليَ حكومةً سنحانَ في زمنِ الحكومةِ العثمانية مدةً طويلةً. ولما
 جرى الائتلافُ كانَ ممنَ عُيِّنَ شاهداً لَدنَ الحاكمِ الأولِ في صنعاء، واستمرَّ على
 ذلك إلى أن أُلغيَ توظيفُ الشهودِ لَدنَ الحكام، وعُيِّنَ حيثُ دُكرنا، إلى أن تُوفيَ،
 رحمه الله،^٢ وإنما أدرجتُ ذكرَ وفاته ووفاةِ عاملِ السِنارةِ ههنا للسّهو عن إدراجِ
 ذلك في حوادثِ السنة الماضية ووفاتها حريّةً بالتقييد، فأثبتُ ذلك لمن يريد^٢.

في أوائل سنة تسع وثلاثين، والإمام - عليه السلام - مقيمٌ في الرّوضةِ كان
 من مولانا الإمام تكليفُ أهلِ الغولة^(١) وبيتِ الذيب^(٢) بما كلفَ به إخوانهم
 من بني الحارث من النظامِ والانقيادِ والامثالِ بكلِّ ما يأمرهم به والمذكورون،
 لكونِ محلّهم بالقربِ من مساكنِ قبيلةِ أرحب، قد كانوا حالقوا أرحبَ في زمنِ
 الأتراكِ للتخلّص من مطالبِ الأتراكِ ولأُمورٍ اقتضت ذلك، فأرادوا الاستمرار
 على تلك الحالِ مع وجودِ الفرقِ بين الزّمانين والحالين، وجَدَّ عليهم الإمامُ فيما
 طلبَ منهم، والمذكورون قد سَوَّلَ لهم بعضُ عُقالِ أرحبَ تحسينَ الامتناعِ،
 فأنفَذَ عليهم الإمامُ عصابةً من حاشد، وأوصلوا عُقالهم وأعيانهم إلى حضرةِ

(١) الغولة، قرية في أرحب، وأخرى في بني الحارث، انظر، اليمن الكبرى، ١٨٦، معجم

المقحفى، ٤٨٦ .

(٢) بنو الذيب: قرية من بلاد بني مطر (البُستان)، انظر، معجم المقحفى، ٢٥٤ .

[٢ - ٢] سقطت من س.

[١ - ١] سقطت من س.

الإمام وأودع بعضهم الحبس.

وفي أثناء ذلك وصل جماعة من عُقَّالٍ أَرْحَبَ يراجعون من أجلهم، فأقنعهم الإمام أن لا محيص لأولئك عن الامتثال لما أمروا به، وانقضت تلك الحادثة، ولم يجر ما يكدر صفو السكون، وبعد أن ظهر التحزب لهم من بعض السفهاء، وأرادوا بذلك إشعال نار الفتنة، فصدّمهم الجِدُّ من الإمام، وألزمهم السكوت والإقلاع عن تلك الأحلام، وفيها في شهر شوال، رَفَعَ إلى مولانا - عليه السلام -.

السعيد¹ حرية بالاثبات، ومطلعها: / السيد النبيه محمد بن عبدالرحمن بن أحمد شرف الدين تهنئة بعيد الفطر / ١٤٧

[الطويل]

حكى زورقاً في جلة البحر عسجدا
على رغم أنف الحاسدين مع العدى
حراماً وسحر النظم سحر من اهتدى
زماناً وزهر النظم يزهو مؤبدا
دعانا إلى الباري تعالى وأرشدا
وبالعز والمجد الأثيل وبالندى
وبالبحري والحاجري وأحدا
سوى مدح من ندعوه مولى وسيدا
ومن بخصال الفخر طراً تفردا
له خلق يجلو عن المهجة الصدى
إذا جاءه أسقاه كأساً من الردى
ويا منبع الآداب والفضل والهدى

هلال لشهر العيد باليؤمن قد بدا
أم العيد وافانا بكل مسرة
أم السحر لا - استغفر الله - إنه
أم الروض إن الروض تزهو زهوره
ألا إنه نظم تخيرت أنه لمن
يُهنئه بالعيد السعيد وبالعلی
ولا غرو أن ازرى نظامي بالبها
فما زانه حتى على الشمس قد علا
إمام الهدى يحيى سليل محمد
له همة تمحو دجى كل مشكل
ولا عيب فيه غير أن عدوه
أيا روضة الإيمان يا نزهة التقي

١ - سقطت من س، من عبارة «حرية بالاثبات ومطلعها حتى ونفى عنها الغلواء».

تَقَبَّلَ مِنَ الْمَمْلُوكِ جَوْهَرَ مَدْحِهِ تَخَيَّرْتُهُ وَاسْمَحَ فَنَفْسِي لَكَ الْفَدَى
وَعُذْرًا فَإِنَّ الْقَلْبَ فِي غَيْرِ بُرْجِهِ وَمِنْ أَجْلِ ذَا نَجْمِ الْبَلَاغَةِ مَا بَدَا
أَطَالَ إِلَهُ الْعَالَمِينَ بِقَاكَ يَا حَيَاةَ الْهُدَى وَالْمَكْرَمَاتِ وَأَيَّدَا
وَلَا زَلَّتْ بَدْرًا فِي سَمَاءِ هِدَايَةِ لَشْمَلِ ظَلَامِ الْمُعْتَدِينَ مُبَدِّدَا
وَلَا زَالَ شِعْرِي فِي امْتِدَا حِكِّ جِيدًا وَنَجْمِ ذِكَايِ هَكَذَا مَتَوَقِّدَا

ولهذه القصيدة بقية تركت إثباتها لعدم إشتغالها على ما يبعث إلى ذلك من محاسن البيان وحسن الافتتان، وقد سرد الناظم عذره في دعواه، وعلو شعره على من ذكره من الفحول، بأن ذلك لعلو قدر ممدوحه - عليه السلام - وهو عذر / ١٤٨ مقبول أزال غرابة الدعوى، ونفى عنها الغلواء^(١).

وفيهما كان استفتاح القسم الأعظم من ناحية المقاطرة، وهذه الناحية معدودة من قضاء الحُجْرِيَّةِ، إلا أنها ما زالت بكرًا إلى قبل هذا التاريخ، واشتهرت قلعتها بالمناعة والحصانة وعدم النظر في الارتفاع، وانتفاء المضاد، وانضم إلى ذلك ما قيل أن المشير مصطفى عاصم باشا، ووقته هو الوقت الباسم، والفائق على سواه من أزمنة ولاية الأتراك، عاد عن هذه الناحية خائبًا، ولم يظفر منها بطائل، قيل عن جيشه إنه هُزِمَ، فطار صيئ تلك الجهة في الآفاق، واشتهر بأنها مما لا تُؤخذ عنوةً، ولا يوجد مثل رجالها في القتال والنزال، ولا يبعد أن يكون من المتولين من بني علي سعد^(١) في أيام الحكومة العثمانية إلى اتخاذ مخالفة أهل المقاطرة وتمردهم وسيلة للإبقاء عليهم، وإحالة أمور قضاء الحُجْرِيَّةِ إليهم وبياناً لمزية إطاعتهم، ومنذ دخول أعمال الحُجْرِيَّةِ تحت ولاية مولانا الإمام مكثوا على ديدنهم المعلوم، وقد أفرطوا في عتوهم في آخر أيام دولة

(١) بني علي سعد: أسرة حكمت الحُجْرِيَّةِ، وهم من بني الجماعي، يسمون أهل الأصيلح، انظر، حياة الأمير، ١٤١.

الأتراكِ حتى أنَّ منهم من قتلَ الشيخَ أحمدَ نعمان^(١) قائمِ مقامِ الحُجْرِيَّةِ، وهو في خيمتهِ وحوْلَهُ أصحابُهُ وعساكرُ الأتراكِ الموصوفون بالحزمِ وعدمِ الإخلالِ بنظامِ الحراسةِ والتعبئةِ وفرَّ مِنْ بينهم، وما زالوا على إصرارِهِم واستكبارِهِم، والمجاورون لَهُم من أهلِ الطاعةِ يشكون منهم دوامَ العدوانِ، ومع ذلك فقد تهاوَنوا بأموالِ الدين حتى لم يبقَ لديهم منهُ وَمِنْ تعاليمِهِ ما يُعَدُّون به من أهلِ الإسلامِ، إلى حدِّ إهمالِهِم لعقودِ الأنكحةِ وتركِ الصلاةِ وخرابِ المساجدِ. وساعَدَهُم على ما هُم عليه والازديادِ منه جعلُ قبلةِ أعياشِهِم وانتفاعِهِم دخولَهُم بكثرةٍ إلى بلدانِ الأجنبيِّ وبقاءَهُم خُدَّاماً لديهم، فمن أعذرَ منهم بادرَ مسرعاً إلى النصرارى، وشبَّ وشابَّ لديهم، فرفعَ جليَّةَ الحالِ وحقيقةَ الواقعِ من أمرِهِم، أميرُ الجيشِ سيدي جمالُ الدين، عليُّ بنُ عبدِاللهِ الوزيرِ إلى مسامعِ مولانا الإمامِ، وأسعد^[١] الإذنَ له بإصلاحِ تلكِ الجهةِ وإدخالِهِم إلى حظيرةِ الطاعةِ وتجديدِ ما اندرسَ من رسومِ الدينِ وتعاليمِهِ هنالك/ فألزمه مولانا الأمامُ - عليه السلامُ - بأخذِ الأهبةِ والاستعدادِ، ووالى إليه إرسالَ الأجنادِ، وأمره بمراسلةِ أهلِ الناحيةِ المذكورةِ، وهي عُزلُ مخاليفَ جمَّةٍ منبئةٍ في تلكِ الأَصْصاقِ، وفي جبلِ المقاطرةِ المذكورةِ ودعائِهِم إلى اللهِ تعالى والانضمامِ إلى الموحِّدين وأحزابِ التقوى واليقينِ، فلمْ تعملْ فيهِم وسائلُ الصَّلاحِ ولا أثمرتْ بالمُرَادِ من النَّجاحِ، وحينئذِ أصدرَ أميرُ الجيشِ أمرَهُ إلى عاملِ الحُجْرِيَّةِ بالوصولِ إلى تعزِ، فوصلَ إليه مبادرةً، وطالت بينه وبينَ الأميرِ المراجعةُ فيما

/ ١٤٩

(١) أحمد نعمان ت ١٣٣٣ هـ، كان قائم مقام قضاء الحُجْرِيَّةِ، زار استانبول مع عدد من زعماء لواء تعز قتل في قرية الزُمْلِيَّةِ في عُزلة الزعازع، وهو يجهز جنوداً لارسالهم إلى الحج للمشاركة في حملة سعيد باشا، القائد العثماني، على الانجليز في عدن خلال الحرب الكونية الأولى، انظر، هجر العلم، ٦٩٠ .

[١] في ص، واستمد.

يكونُ البناءُ عليه من عزمِ الأميرِ بنفسه وتوليئه لقيادة جيوشه أو استنابة مَنْ يقومُ مقامه في تولي زعامة الإصلاح ومباشرة الكفاح، فاستقرَّ الرأيُ الأخيرُ على بقاءِ الأميرِ بتعز، وتوجيه قيادة الجيوش^(١) إلى عاملِ الحُجْرِيَّةِ الشيخِ عبد الوهاب نعمان مع معاضدة أخيه الشيخ عبد الواسع بن نعمان^(٢)، واستمدَّ الأميرُ من مولانا الإمام توجية عمالة ناحية المقاطرة إلى عهدة الشيخ عبد الواسع نعمان^(٣)، فصدرَ الأمرُ الشريفُ بذلك، وعندها جمعَ الأميرُ الأجنادَ، وانتخبَ حماة الأبطالِ وسراة الجهادِ، واستكملَ ما يلزمُ لهم من المَهْمَاتِ وذخائرِ الحربِ والأقواتِ وحملها على الجمالِ، وعرضَ الأميرُ ذلكَ الجيشَ مع قائده، وزوَّدَ الجميعَ ما يلزمُ من النصائحِ وألزمَ الكلَّ الإعراضَ عن القبائحِ وصيانة الرعية والاستعانةَ بالله تعالى على العدوِّ، وعدمِ الاغترارِ بالكثرةِ وكمالِ العدة، فتوجهَ الجيشُ إلى يَفْرُسَ^(٤) وباتَ بها.

وفي اليوم الثاني كان مبيتُه بمركز قضاء الحُجْرِيَّةِ، ومنه فرقعَ استنوابُ مناجزة أهلِ عزلة الاكاحلة^(٥)، إذ هي أقربُ العُزَلِ من سائرِ البلادِ، وسكانُها أخبثُ من غيرهم جراءةً وعدواناً لقربيهم من بلادِ أهلِ الطاعة، فقسَّمَ العاملُ الجيشَ إلى طوائفَ للإحداقِ بالعُزلة المذكورة من جميعِ جهاتها، فتقدَّمَ عليهم من الجهةِ الشرقية الشيخُ محمدُ بنُ أحمدِ نعمان^(٦) مع أهلِ أَرْحَبَ وغيرهم، وهم

(١) عبد الواسع أحمد نعمان ت ١٣٣٩هـ، عُين عاملاً على المقاطرة قبل إخضاعها، إلا أنه مات أثناء المعارك، انظر، حياة الأمير، ٥٦٩ .

(٢) يَفْرُس: مدينة كبيرة في الحُجْرِيَّةِ بالغرب الجنوبي من تعز بمسافة ٣٠ كم، انظر، اليمن الكبرى، ٣٤، معجم المقحفي، ٧١٥ .

(٣) الأكاحلة: من عُزَلِ المقاطرة، في الجنوب الشرقي من قلعتها، انظر، حياة الأمير، ٦١٠ .

(٤) محمد بن أحمد نعمان : ت ٢٥ ربيع الآخر ١٣٨٧هـ، إداري قدير، كان مساعداً للوالي العثماني محمود نديم، وتولى قيادة الحملات على لحج، وكان عاملاً على القبيطة ومقبنة =

جيشٌ كثيرٌ معهم أحدُ المدافع، ومن الجهةِ العدنيةِ الشيخُ عبدُالواسعِ نعمان،
ومعه ثلثةُ النظامِ وغيرُهم من ذوي الإقدام، ومن الجهةِ القبليّةِ الشيخُ محمدُ بنُ
هاشمِ المذحجي، وقائدُ الجيشِ وباقي المجاهدين ومعهم مدفعان من جهةٍ،
وجرت بين الفريقين حروبٌ عظيمةٌ في كلِّ جهةٍ من الجهاتِ، واستمرَّ الحربُ
طولَ النهارِ/ إلى أنْ غرَبَتِ الشمسُ، وقُتِلَ من الباغين جماعةٌ وأسرَ منهم عدةٌ / ١٥٠
من أهلِ الشجاعةِ، واستولى المجاهدون على كثيرٍ من محلاتِ تلكِ العزلةِ، ولم
يبقَ غيرُ الحصونِ المنيعةِ فيها، وقد أحدقَ عليها المجاهدون، واستشهدَ في ذلكِ
اليومِ عبدُالواسعِ نعمان، وخُتِمَ له بالحسنى، وهي خيرُ الحسانِ، وبات كلُّ فريقٍ
من المجاهدين على تعبثهم في المحلاتِ التي قد استولوا عليها.

وفي اليومِ الثاني، تقدّم المجاهدون، كلُّ طائفةٍ على جهتها، فرزقهم اللهُ
الظفرَ بالأعداءِ وتمزيقَ شملهم في ذلكِ الفضاءِ، واستولوا على جميعِ الحصونِ،
وغنموا من الأعداءِ ما لا يُحصى، واحتزّوا رؤوسَ كثيرٍ من قتلاهم، وحلها
الأسارى وسيقوا إلى مركزِ اللواءِ ومقام أميرِ الجيشِ، وكانت شهداءُ أنصارِ
الحقِّ في هذه الواقعةِ قليلةً بالنسبةِ إلى مَنْ قُتِلَ من البغاةِ وأهلِ العنادِ، وبعد
الرفعِ إلى الأميرِ بصفةِ ما جرى وبلوغِ ذلكِ إلى مسامعِ الإمامِ، صدرَ الأمرُ
الشريفُ من مولانا الإمامِ بهدمِ بيوتِ شاهر^(١) وحصونهم فأُحِقَّتْ بِالْعَدَمِ
وسُوِّيتْ بالهدمِ إلى القرار.

= والمخا، نجح وعبد الجليل بن أحمد باشا في صد القوات الإيطالية عن المخا، ولد
سنة ١٢٩٩هـ، انظر، هجر العلم، ٦٩٣، حياة الأمير، ٥٨٧.

(١) هو شاهر بن قائد، قاتل الشيخ عبد الواسع بن نعمان، وحصون شاهر تقع في قرى دكة
والأكام والمسجد وهي حصون شاهر بن سمان بن عبدالله المكابري، انظر، حياة الأمير،
٦١٨، ١٤٣.

وصدر الأمر الشريف بتوجيه عمالة المقاطرة إلى الشيخ عبدالعزيز^(١) بن عبدالواسع نعمان مكان أبيه الشهيد، واستمدَّ عامل الحُجْرِيَّة من الأمير زيادة المدد، فأمدّه الأمير بما رام من الأقوام.

وفي أواخر شهر ذي القعدة الحرام من هذه السنة، باشر عامل الحُجْرِيَّة تقديم المراتب وتجهيز طوائف الجنود من طرفه إلى جهة الأحكوم^(٢) وحدود الأشبوط^(٣)، وقصد بذلك أن تزحف الجنود على العزل الشرقية من قلعة المقاطرة وهي، الزعيمة^(٤) والمدجرة والأشبوط والزعاذع^(٥).

فلما وصل الجند الأماميُّ إلى حدود الأشبوط، طلب أهلها الأمان، وفتحوا بلادهم بدون حرب للمجاهدين، وسلموا بذلك من المعرة والسقوط في حفر الهلاك والمضرة، وزحفت طائفة أخرى من المجاهدين على عزلة المسيجد^(٦) وما إليها وهي في الجهة القبليّة فطلبوا الأمان حين عاينوا صولة الجند الأماميِّ قد غشيتهم، وفر عنهم الشيطان.

وفي أوائل شهر ذي الحجة الحرام تقدّم الجند الإماميُّ من الأشبوط، وجرى

(١) عبد العزيز بن عبد الواسع نعمان: عُين قائداً لحملة القبيطة ثم عامل المقاطرة بعد موت والده، انظر، حياة الأمير، ٥٥٩ .

(٢) الأحكوم: عزلة في ناحية الشّاتين من قضاء الحُجْرِيَّة، في الجانب الشرقي من جبل المقاطرة، انظر، حياة الأمير، ٦٠٩، اليمن الكبرى، ٥٠ .

(٣) الأشبوط: عزلة من ناحية المقاطرة وأعمال الحُجْرِيَّة، تقع في الجانب الشرقي من قلعة المقاطرة، انظر، حياة الأمير، ٦١٠، معجم الحجري، ١ / ٨٠ .

(٤) الزعيمة: عزلة تقع شرق جبل المقاطرة، انظر، حياة الأمير، ٦٢١ .

(٥) الزعاذع: عزلة شرق جبل المقاطرة، انظر، حياة الأمير، ٦٢١ .

(٦) المسيجد: عزلة من المقاطرة، تقع قرب قلعة المقاطرة المشهورة، انظر، حياة الأمير، ٦٣٠ .

بينهم وبين الزعازع والزعيمة حربٌ عظيمٌ أسفرَ عن نصرِ الله للمجاهدين، وحلولِ مكرِ الله على الباغين، وانهمامهم هزيمةً فاضحةً بقلوبٍ مسوَّدةٍ ووجوهٍ كالحية بعدَ قتلِ كثيرٍ من عُواتهم والإثخانِ في طغاتهم، وتقدُّمِ المجاهدون الذين في عزلةِ المُسيِّجِد على باقي،/ العزلةِ الشرقيةِ فاستولوا عليها بعدَ حربٍ شديدٍ، حتى اتفقوا بالذين من الأُشبوطِ، واستولوا على الزعازع والزعيمة بعنايةِ الله العظيمة، وأما الجهةُ الغربيةُ من الجبلِ المذكورِ، فلما شاهدَ سكانُها ما أصابَ سكانَ الجهةِ الشرقيةِ من النكالِ، وما كانت عليه الحالُ فيمن طلبَ منهم الأمانَ وتركَ القتالِ، وصلَ جماعةٌ من أهلِ السودِ، وهي من الطرفِ الغربيِّ، وطلبوا الأمانَ، وبذلوا فتحَ بلادِهِم للمجاهدين، فأرسلَ قائدُ الجيشِ إلى ذلك الطرفِ ثلثةً من المجاهدين، فرتبوه إلى حدودِ المكابرةِ، وسبقَ أحدُ المدافعِ إلى شرفِ الجاهلي^(١) من شَرْجَب، فكان الرميُّ به على عُرْلةِ الدهمشة^(٢)، والهويشة^(٣)، فأروا ما لم يخطرُ لهم على بالٍ من أليمِ النكالِ، ولم يجدوا منجاةً مما داهمهم من الوبالِ غيرَ الالتجاءِ إلى الطاعةِ، والدخولِ في سلكِ أهلِها وهو أربحُ بضاعةٍ، وهنالك أمرَ العاملُ بالتوقفِ عن القدومِ، وأعادَ نظره إلى أحوالِ الأجنادِ، وتقويةِ مراتبها الكائنةِ في الأغوارِ والأنجادِ، وأخذِ الأهبةِ والاستعدادِ لجلبِ ما لا بدُّ منه من المؤن اللازمة للجهادِ.

وفي سادس^[١] شهرِ ذي الحجة الحرامِ، جهَّزَ الأميرُ مدداً لمن في تلك الجهةِ

(١) شرف الجاهلي. حصن في شَرْجَب ويطل على قلعة المقاطرة الشرقية، انظر، الاكليل، ٨٦/١٠، نشر العرف، ٥٨/١، معجم المقحفي، ٣٥٢، ٣٤٩.

(٢) الدهمشة: عُرْلة من المقاطرة، وتقع غربي القلعة، انظر، حياة الأمير، ٦٢٠، معجم المقحفي، ٢٤٢.

(٣) الهويشة: عُرْلة من المقاطرة، تقع في الناحية الغربية من جبل الفلق، انظر، حياة الأمير، ٦٣٢.

من الجنود، السيد المقدام حسن بن قاسم بن عبدالله عثمان الوزير^(١)، ومعه جيشٌ واسعٌ من أهلِ العُدين وأهلِ الجبل والنقيب عبدالله بن سعيد الجبري، ومعه أصحابه بنو جبر، وأرسل معهم الأميرُ أحدَ المدافع، وما يلزمُ من المؤن والمهمات، وأمرهم بأن تكون طريقهم على جهةِ خَدير^(٢) ثم القَبِيْطَة^(٣) فالمفالس^(٤) ليكونوا زيادةً لمن في المراتبِ الشرقية. وجَهَّزَ أيضاً كتيبةً تحت قيادة السيد علي بن عبدالله الشُّهاري، وبمعيته جماعةٌ من رؤساءِ العُدين ومشايخها، وجَهَّزَ على أثرِ هؤلاء عاملٌ جبل حَبْشي في جيشٍ كبير، واجتمع المددُ إلى مركزِ قضاء الحُجْرِيَّة، وكَمَّلَ به نصابُ التقدم على الفرقة الغويَّة، فكان الإجماعُ على قصدِ استكمالِ الجهةِ الغربية، وفيها عَزْلَةُ الزَّرِّيْقَة^(٥)

-
- (١) حسن بن قاسم بن محمد عبدالله عثمان الوزير ت، شارك في فتح المقاطرة، تولى عدة عمالات في لواء تعز، ثم عاملاً على جبل راس ومات بها، انظر، حياة الأمير، ٥٤٥ .
- (٢) خَدير: تقع بالجنوب الغربي من ماوية بمسافة ٤٢ كم يطل عليها جبل صبر من الغرب، مركزها، الدمنة، أشهر أسواقها الراهدة، انظر، حياة الأمير، ٦١٩، اليمن الكبرى، ٥٠، معجم المقحفى، ٢١٣، (تعرف اليوم بخَدير السلمي نسبة إلى حيدرة بن اسماعيل السلمي عاش في القرن ١١ هـ.
- (٣) القَبِيْطَة: من ناحية قضاء الحُجْرِيَّة، مركزها حيفان، وهي بالشرق من التربة، وعلى بعد ٣٠ كم منها، من أسواقها المفالس على بعد ٢٠ كم من حيفان، انظر حياة الأمير، ٦٢٨، اليمن الكبرى، ٣٠، معجم المقحفى، ٥٠٦ .
- (٤) المفالس: سوق وناحية القَبِيْطَة، يقع على بعد ٢٠ كم، جنوب حيفان من الحُجْرِيَّة انظر، حياة الأمير، ٦٣١، معجم الحجري، ٦١٦، اليمن الكبرى، ٥٠ .
- (٥) الزَّرِّيْقَة: عَزْلَة كبيرة تقع في أقصى غرب المقاطرة على حدود الوازعية، انظر، حياة الأمير، ٦٢١ (بالجنوب من مدينة التربة الواقعة إلى الجنوب من مدينة تعز)، انظر أيضاً معجم المقحفى، ٢٩٠ .
-

والنجيشة^(١) والصوالحة^(٢) والمكابرة^(٣) وواديهم.

فَقُسِّمَ الجَيْشُ بعد تقوية المراتبِ إلى طائفتين، طائفةٍ، يكونُ قصدها الزَّرِيْقَةُ وما إليها، وطائفةٍ يكونُ نزولها وادي المكابرة لتقوية تلك الجهة.

ثم يكون قصدها النجيشة، وأمر على الطائفتين أميرين، وأرسل أيضاً ثلثة^[١] كبيرةً لقصدي الصوالحة/ والنجيشة، فتوجهت الطوائف إلى الجهات تزفها العنايات، فأما المكلفون بالقدوم على الزَّرِيْقَةِ وما والاها، فقصدوا أولئك الأقوام ونازلوهم في عقر دارهم، وجرت بينهم حروبٌ شديدةٌ وخطوبٌ عنيدةٌ، كانت فيها الدائرة على الأعداء بعد قتلٍ منهم عديدة، وجرحى، وانهمزموا وانقشعوا إلى جبل مُنيف^(٤)، وهو مشهورٌ في تلك الجهة بالحصانة والمناعة، فتبعهم المجاهدون وأحدقوا بالحصن المذكورٍ إحداقاً الهالكةً بالقمر، ووثبوا عليه من كل جهة، فلم يسع البغاة غير الفرار والخروج منه قبل البوار. واستولى المجاهدون بذلك على جميع بلاد الزَّرِيْقَةِ وغنموا مما فيها أموالاً جمّة، وكان الشهداء من المجاهدين يُعدّون بالأصابع في هذه الواقعة. وذلك من وقاية الله وحسن عنايته.

(١) النجيشة: عُزلة من المقاطرة تقع في الناحية الغربية من جبل القلعة، انظر، حياة الأمير، ٦٣٢.

(٢) الصوالحة: تقع بالقرب من جبل المقاطرة، هي والنجيشة والزريقة والمكابرة تسمى بالعزل الغربية، انظر، حياة الأمير، ٦٢٤، معجم المحقفي، ٣٨٩.

(٣) المكابرة: عُزلة من المقاطرة، تقع في غرب قلعتها، وهي واسعة، بها وادٍ يسمى باسمها، ويقع وادي أديم في أسفلها، انظر، حياة الأمير، ٦٣١.

(٤) جبل مُنيف: يقع في الضالع ما بين الزَّرِيْقَةِ والمقاطرة وهو من جبال ناحية المقاطرة، انظر، حياة الأمير، ٦١٥، معجم الحجري، ٧٢٢/٢.

[١] في س، بضاعة.

وفي اليوم الرابع والعشرين من هذا الشهر، تقدم المجاهدون الذين أمروا بقصد النجيشة والصولحة على تلك الجهة، وقد تجمّعوا وانضم إليهم فلول من أهل البلاد التي قد استولى عليها أنصارُ الحق، فلما التقى الجمعان، تحركت على الباغين من الطائفتين المدفعان، وقذفا عليهم صواعقُ القُلل، وهجم عليهم المجاهدون من الغورِ والجبلِ وضايقوهم وأحاطوا بهم من جميع الجهات، ثم ألجأوهم إلى الفرار، فولّوا الأدبارَ لا يصدقون بالنجاة، وقد خاب منهم المسعى، وتعاطم الخسرانُ وكثُرَ القتلُ فيهم، وشبعت من لحومهم النسورُ والعقبان، واستولى المجاهدون على جميع النجيشة والصولحة، واستشهد في هذه الحرب أنفازُ من المجاهدين، رزقهم اللهُ الشهادةَ، وهي درجةُ الحسنَى والزيادة، وكانت الغنائمُ في هذه الجهة كثيرةً، نال منها المجاهدون حظوظهم الوفيرة.

ولما رفع قائدُ هذه الجيوشِ إلى الأميرِ خبرَ ما مَنَّ اللهُ به من النصرِ على أهلِ الجهادِ، وما جرى من العذابِ على ذوي البغي والفسادِ، وما هم عليه بعدَ ذلك من الإصرارِ على العنادِ، وما بقي تحتَ أيديهم من البلادِ نحو اثنتي عشرة عِزلةً من العُزَلِ المجاورة للقلعة وحصونها، وأنَّ أكثرَ الجيشِ قد تبدّد في المراتبِ لاتساع الأطراف، ولزوم ترتيبها وقايةً للمجاهدين من غدرِ ذوي الاعتسافِ فلا بدَّ من المددِ اقتضى رأيي/ لزوم نهوضه بالذات، وإقباله إلى هذا المرامِ على / ١٥٣
أكمل صور الثبات، فاستقرَّ مَنْ في جهات اللواءِ التعزي من المقاتلة والرجال، ونشرَ رسائله إلى جميع الأعمالِ، ورتّب مكانه في تعز مأمور المالِ القاضي أحمدَ بن محمد الأنسي، وأعانهُ بعاملِ البلادِ التعزية السيدُ محمدُ بن أحمد بن علي عبدالجبار، وجلبَ مَنْ في القضاوات من الأجنادِ الباقية، فاجتمع لدن الأميرِ جيشٌ عظيمٌ، رؤساؤه أبطالُ القتالِ، وفرسانُ ميدانِ النزالِ مثل حاكمِ العُدين

السيد حمود بن محمد^(١)، والسيد عبدالجليل بن أحمد بن علي عبدالجبار^(٢)،
والشيخ عبدالله بن يحيى عبدالجليل. واثنان من أولاد علي بن عبدالله بن سعيد^(٣)
وعبدالله عثمان^(٤)، وأحمد بن عبدالعزيز المجاهد وغيرهم فتجهَّز الأمير للمسير
واستصحب كلَّ لازم من المهمات، وذخائر الحرب، ومن الجملة المدفعُ
السرَّيعُ، ذو الطلقات المتعددة في الوقت القصير ومتراليوز، ولم يأت سابع
وعشرون شهر ذي الحجة الحرام، إلا وقد وصل الأمير بجمعه الغفير وجيشه
الكبير إلى مركز قضاء الحُجْرِيَّة^(٥)، وهناك كان إجراء التدبير في ما يكون عليه
التحويل. واستصوب الأمير إعادة إرسال الرسائل إلى أولئك المخالفين لعلَّهم
ينقادون فانقضى ما بقي من أيام العام قبل إكمال العمل الموافق للمرام.
ولذلك كان تأخير بيانه إلى سياق حوادث سنة أربعين، لوقوعه، في أول
شهوره، وسيأتي إن شاء الله تعالى.

-
- (١) حمود بن محمد بن أحمد بن محمد بن الإمام (الدولة) ت ١٣٨٥ هـ، صاحب كتاب
زورق الحلوى في سيرة قائد الجيوش وأمير اللوامنه نسختان مخطوطتان في مكتبة الجامع
الكبير رقم ١٠٢ تاريخ و٨٨ مجاميع، انظر فهرس مخطوطات المكتبة الغربية ١١٧ .
كان شاعراً، جزلاً فصيحاً، عُين سنة ١٣٣٨ حاكماً لبلاد العُدَّين، ولد بدمار
١٣٠٥ هـ. انظر، حياة الأمير، ٥٤٩، نزهة النظر، ٢٩٤ .
- (٢) عبد الجليل بن أحمد بن علي عبد الجليل باشا، شقيق عامل تعز محمد بن أحمد، كان
عاملاً لناحية مَقْبَنَة ثم المحَا، توفي بعدن، انظر حياة الأمير، ٥٥٦ .
- (٣) المقصود علي بن عبدالله سعيد باشا، أحد كبار مشاريخ العُدَّين.
- (٤) عبدالله عثمان: تولى أيام الأتراك مَقْبَنَة، شارك في حملة المقاطرة، أثر التآمر على قتل علي
بن عبدالله الوزير هرب إلى الادريسي وحارب معه في بُرَج ومن ثم عاد إلى تعز، في زمن
الإمام أحمد، تولى عمالة صنعاء، ثم الطويلة والمحويت، انظر حياة الأمير، ٥٦٤ .
- (٥) مركز قضاء الحُجْرِيَّة، تربة دُبْحان على بعد ٧٠ كم من تعز، انظر اليمن الكبرى، ٥٠ .
-

وفي أثناء هذه السنة، قبل الذي ذكرناه من غزوة المقاطرة جرى في قضاء القماعة حادثٌ مهولٌ وحربٌ يطول، وسببه فيما بلغ، أنه لما اسند مولانا الإمام عمالة القضاء المذكور إلى الشيخ قايد صالح^(١)، كان محمد عبدالسلام كاتب الشيخ محمد ناصر، اليه في الحقيقة الحل والعقد، لا سيما في أواخر أيامه. فلما أسندت العمالة إلى الشيخ قايد صالح، وكان الجؤ بينه وبين محمد عبدالسلام غير صافٍ، انعزل عن الأعمال، وهجر عن المراجعة في جميع الأقوال والأفعال، فقليل إنه الذي شوق أهل حُمر^(٢)، وهم مخالفٌ عظيمٌ، وأهل قوة وشكيمة وجراءة وإقدام، وهؤلاء هم في الحقيقة رجال محمد ناصر الدين كان يغزو بهم سائر الأقوام، ويناضل بهم من ناوَاه من الانام، وصادف هذا التشويق هوى في نفوسهم من قايد صالح، لأنهم كانوا لا يودونه، فثاروا للخلاف، ونادوا بالعصيان، وسلكوا مسالك الطغيان، فلم يشعر من في ماويه، وهي مركز القضاء، إلا بالرمي إلى المركز، من المخالفين، لأن قراهم ممتدة إلى قرب ماوية، وكان الأمير جمال الدين^[١] قد عرف/ من حال أهل اليمن الأسفل، أن شرارة / ١٥٤ الخلاف من أهله إذا تركزت بدون إطفاء استطار لهيها إلى أن يملأ الفضاء فيستحيل الإخماد، ويتعذر محو الفساد، فلذلك جعل همّه عند ظهور أقل خلاف المبادرة إلى إزالته قبل اتساع الخرق، ومتابعة إرسال الجنود إليه إلى أن ينقضي، وذلك من توفيق الله تعالى للأمير، ومن بركة دعاء مولانا الإمام له بالتشديد، فلما شبت نار الخلاف من أهل مخالف حُمر، وهم كما وصفناهم من

(١) قايد صالح الصراري: هو قريب الشيخ محمد ناصر مقبل صاحب ماوية، كان عامل

ماوية بعد وفاة محمد ناصر مقبل، قتله آل هريش في ماوية سنة عام ١٣٤٢هـ، انظر،

حياة الأمير، ٥٨٣ .

(٢) حُمر: عُرلة من بلاد ماوية وأعمال تعز، انظر، معجم الحجري، ١ / ٢٨١، معجم

القحفي، ١٩١ .

[١] في س، جمال الدين، علي الوزير.

الشدّة والإقدام، بادَرَ الأميرُ برسالي الجنودِ من تعز، وهم كثيرٌ وَعَيْنَ لهم جهةً من الجهاتِ المتصلةِ بالمخلافِ المذكورِ، وأرسلَ من جهةٍ ثانيةٍ السيدَ عبدَ الجليلِ بنَ أحمدِ بنِ عليِ عبدَ الجبارِ، ومعه جيشٌ واسعٌ، ومن جهةٍ أخرى، عبدَ الله بنِ يحيى عبدَ الجليلِ ومعه أصحابُه، ومن جهةٍ صَبَرَ أهلُ صَبَرَ بعاملِهِمْ. ولما كثرتِ الجموعُ وتلاحقتُ بالأصولِ والفروعِ، أمرهم الأميرُ بالتقدُّمِ من كلِّ جهةٍ على أهلِ الخلافِ، وذلكِ المخلافِ، فأحدقوا بهم من كلِّ جهةٍ، وأصدقوهم في الحربِ، فلم يمضِ غيرُ يومٍ أو يومين حتى تبدَّد جمعُ أهلِ الخلافِ، وتمزقوا وتفرقوا في الأطرافِ والأكنافِ، وألمَّ بهم كلُّ ما يُخافُ، وانتهبتُ أموالُهم، وقُتِلَ منهم كثيرٌ، ولم ينفعهُمُ إقدامُهم ولا ما كانوا عليه من الجراءةِ عند اتصافِهِمْ بالبغيِ المشؤومِ، لأن الباغِيَّ بسيفِ الحقِّ مهزومٌ، وامتلاَّت بهم بلادُ الحواشِبِ وغيرها. ودخلَ بعضُهم إلى عدن، وأرادوا الانتصارَ بالإفرنجِ، فلم يسمعوا منهم لأنهم لا يسمعون، ويصغون إلا لمن عرفوا منه تمكُّنه من القيامِ بالفتنةِ، لا لمن قد أسلمتُهُ، ذنوبُهُ. فغرقَ في بحرِ المحنةِ، ولما أيسوا من فُرجِ البغيِ وشعوبِهِ بادروا إلى طَرْقِ بابِ الفرجِ، بأعلانِ كلِّ منهم لآنيتهِ وتوبتِهِ، وطلبوا الأمانَ والإذنَ لهم بالعودِ إلى الأوطانِ. فأسِعَفُوا بما أرادوا ورجعوا، وقد طارتُ سكرةُ الجراءةِ من أدمغَتِهِمْ، فلزموا السكونَ وطردوا عن أنفُسِهِمْ سوءَ الظنونِ، وما هو من قبيلِ الجنونِ، وكان ما وقعَ عبرةً لغيرِهِمْ جالبةً للانزجارِ، ومحدِّرةً من الوقوعِ في محاذيرِ الأخطارِ.

وفي هذه السنةِ وقعَ انفصالُ الواليِ على عدن من قبلِ الانجليزِ، ووصلَ غيرُهُ خلفاً له^(١)، وكان الأولُ قد سلكَ بازاءِ دولةِ الإمامِ مسلِكَ المعادةِ، وكلَّهُمْ -

(١) المقصود ولاة عدن من طرف الانجليز، J.M. Stewart و L.N. Beatty القائم بأعمال المفوض السياسي في عدن والآخر هو T.E. Scott.

أعني الانجليز - أعداء، ولكن منهم من يُخفي ذلك مؤملاً/ أن يجني من وراء / ١٥٥
خطته فائدة لحكومته وبني قومه، والإنجليز قومٌ اشتهروا من بين طوائف أمم
الافرنج بالاحتياي والتضليل والتمويه بأساليب يدق فهمها على اللبيب، فكم
غَرُّوا بمظاهرِ سَلْمِهِمْ طوائفَ الأمم، وقد نصبوا تحت تلك المظاهرِ شباك
الاصطياد، وقادوا مَنْ لم يتيقظْ لمهاوي مغاريهم، فأوقعوه في حفيرة الإنكاد. وقد
كان الوالي السابق جسَّ نبضَ الإمام ببعض المكاتبه^(١)، فوجد الإمام ممن لا
ينخدع ولا تروج لديه التمويهات والأضاليل، فترك المكاتبه.

ولما وصلَ خلفه إلى عدن، عدلَ عن تلك الخطة، وخابَرَ الإمام - عليه
السلام - بأنَّ مرآة ومرام دولته أن لا يكونَ بينَ الإمام وبينَ الإنجليزِ الخصام،
وأنه مأمورٌ بتنظيم مصالحةٍ تتضمَّنُ تحسينَ علائق الجوار، وضمانَ حقوقِ مَنْ
يصلُ من رعية الإمام إلى عدن وتلك الديار، واستمدَّ من الإمام إرسال مندوبٍ
من طرفه للمراجعة في ذلك الموضوع، ولاقتضاء المصلحة العامة ملاحظة مثل
هذه الأمور ودفع الشرور، وترجَّح لذن مولانا الأمام انتداب القاضي عبدالله بن
أحمد العرشي^(٢) الخولاني، فتوجَّه إلى عدن، وأقام هنالك عن أمر الإمام، ولم
يذهب إلى ذلك الساحل إلا مزوداً بالوصايا من الإمام، وأهمُّ ما هنالك أن لا
يكونَ منه ابداء أيِّ شأنٍ أو الخوض فيه إلا بعد الإذن من الإمام توقيماً من مكر
الكافرين، وقد بلغ إلى الإمام أن مندوبه المذكور قوبل بحُسن التلقِّي، ولو حظ
ملاحظة تليق بمخدومه العظيم ومرسِله الكريم.

وأقول ههنا، وقف شواطئ القلم في بيان ما جرى بهذه السنة^[١] من الحوادث

(١) الموفد البريطاني هو هورلد جيكوب، ومندوب الإمام في عدن عبدالله العرشي .

(٢) عبدالله بن أحمد العرشي الخولاني، ضابط الاتصال بين الإمام وبريطانيا، انظر، حياة
الأمير، ٥٦٠ .

[١] في س، سنة ١٣٣٩ .

المستحقّة للتدوين، دون ما عداها من صغارِ الحوادثِ التي لا تتضمّنُ بيان الغايةِ الحاصلةِ من موضوع التاريخ، وما وقعتُ عليه من المدائح المرفوعة إلى مقام مولانا الإمام في التهنيئة بعيد الأضحى السعيد، ما قاله السيد الأديب محمد بن عبدالرحمن بن أحمد شرف الدين الذي سلف ذكره، فإنه هنا الإمام بقصيدةٍ مطلعها:

لقد زدّنتي شوقاً وهيّجت أشجاني
أذاقوا فؤادي كاس صدّ وهجران
إذا ابتسموا كالورد في شهر نيسان
يرينا إذا ما لاح ذراً بمرجان
فؤاداً خفوقاً مثل لمعك سيان
مفوّقة من قوس حاجب أعيان
يخاف من الإنصاف إظهار نقصان
سقيمة أجفان ضعيفة أركان
فجادت بودقي من كرب وأحزان
إذا قلّتها والدمع يجرح أجفاني
فقد أحرق القلب الكئيب بنيران
ولا الروضة الغناء ولا شغب بوان
معتقة من عهد موسى بن عمران
وكثرة أموال وصحة أبدان
به مدح خير الناس أفضل إنسان
أديب نجيب بحس علم وإيمان

رويداً بقلب الصبّ يا برق نعمان
وبالغت في تذكير قلبي أحبة
أردت بهذا الومض تحكي ثغورهم
حكيت ولكن فاتك الشبّ الذي
أفق أيها البرق الخفوق فإن لي
ولي من رمّنتي مقلّتهاه بأسهم
هو البدر إلا أنه غير منصف
ولا عيب فيه غير أن عيونه
أثار غيوم الغم فوج صدوده
فوا حرباً إن كان ذا اللفظ نافعي
ويا أسفي من هجر يوسف عصره
ولا طاب لي عيشي ولا سفح مربعي
ولم تذهب الكرب الشديد من الجفا
فلا خير في عمر تقضى ببعده
ولا خير في شعر رقيق ولم يكن
إمام نقي المعنى مهذب

/ ١٥٦

له خلُق كالروضِ بلله الندى
وكفَّ يحافُ المألَّ من سيفِ بذيها
إذا قلتَ ما بينَ الورى مثلُ ذاته
فصيحُ إذا ما راضَ أشقرَ فكره
ألا إنه يحيى إمامَ زماننا
إمامُ الهدى بحرُ الندى قامعُ العدى
وغوثُ لمن أسقاه صرفُ زمانه
ونجمُ إذا ما انقضَّ في جوِّ غزوة

وأضحك فيه زهرةُ برقِ أمزان
إذا ما انتضاه في معامعِ إحسان
صدقتَ ولم تنطقْ بزورٍ وبهتان
بميدانِ ذاكِ الذهنِ أزرى بسحبان
وأفضلُ ملكٍ في البرايا وسلطان
مذيقُ الردى ماحي دُجنة طغيان
كؤوسَ خطوطِ كؤوسِ ابنة الحان
ليرجمَ شيطاناً هوى كلِّ شيطان

١٥٧ /

ولها بقية، قال في آخرها، وقد فرغ من المديح والنسيب:

فدونك يا مَنْ ألبسَ الله ذاته
نظاماً من الفكرِ السليم كأنه
تخيُّرته مدحاً لذاتك موقناً
وصلَّ على طه الحبيبِ وآله

برودَ سعاداتٍ وعلمِ وإيمان
أزاهرُ روضٍ أو جواهرُ بستان
بأني في ذا العصرِ أعجزُ اخواني
وأصحابه والتابعين بإحسان

وفيا وقفتُ عليه من شعرِ الفقيهِ الأديبِ أحمدِ الجلالِ مادحاً لمولانا الإمام -
عليه السلام - في أثناءِ هذا العامِ قوله من قصيدة، مطلعها:

[مجزوء الرمل]

أيُّها البدرُ اليماي
والسراجُ النيِّرُ الو

وأخاً الآلِ الأطايب
هَّاجُ والجُمِّ المناقب

والإمام الفاضل الهادي إلى أهدي المذاهب
قمر الأكوان عين الدهر ميمون المناقب
يا شريف القدر عنك البدر في الديجور نائب
طلت باعاً في المعالي تحته غر الغرائب

ومنها:

يا إمام اليمن الميمون كل فيك راغب
وكما لنت جناباً لم يُجانِبك بجانب
سألمتكَ الأرض حتى سكنت منها الضوارب
جاءك النصر من الله الذي أولى المواهب
وأتاك الناس أفوا جأ على ظهر النجائب
لك ما بين يد الشر ق وما بين المغارب
ما لها غيرك مهما رامها الغير وكاذب
ورمى الله أعاديك من الحرب بحاسب

وهي طويلة اقتصرْتُ على هذا القدر منها دلالة على ما في الباقي من
الانسجام والسهولة وحسن المعنى، وله من قصيدة أخرى غديرية مطلعها:

[مجزوء الكامل]

أضربتُ عن ضربِ القيانِ وَغَنَيْتُ عن كلِّ الأغاني
وثنيتُ طرْفِي عن جما لِ الخُرْدِ البيضِ الحسانِ
ولَوَيْتُ عن ظبي اللوى وبهاءِ غرَّتِه عناني
وجعلتُ حبَّ محمدٍ ووصيةً مِّمَّا عناني
يا حبِّذا طه أخوال قرآنِ والسَّبْعِ المثاني

/ ١٥٨

وهو الذي شهدت له	بالفضل أعيان المعاني
بركاته عمّت لقد	جمت على قاص وداني
الله أنقذنا به	وبه وقانا كل شاني
نطق الكتاب بمدحه	والذكر أفصح ترجمان
ويذكره تصفو القلوب	ب كما تُنال به الأماني
وكذا علي قط لم	يأت الزمان له بشاني
نفس النبي وصنوه	ووزيره في كل شأن
ما زال ناصره وكا	شف كربه يوم الطعان
ولاه خير ولاية	عزا على قاص ودان
وغدا له يوم الغد	ير أغر يوم ذي أذان

وما زال سارداً من هذا السهل اللطيف لكل معنى ظريف إلى أن قال،
ونعم ما قال:

وأحب آل محمد	لودادهم داع دعاني
فهم الأهلّة والأدلّة	والأخلّة في الزمان
وهموا الأمان لمن على	الدنيا ويا لك من زمان
ما إن سألت الله كأ	س ودادهم إلا سقاني
أو أرتجيه بفضلهم	نيل الشفا إلا شفاني

ومنها في مدح مولانا الإمام - عليه السلام -

يا سائلي عَنْ فَضْلِ جَمِّ الـ
 أَعْنِ الإِمَامِ أُخِي الفُضَا
 أَعْرِفْتُمَا مِنْ تَسْأَلَا
 مِنْ فَضْلِهِ الجَمُّ الغَافِرِ الـ
 يَا أَيُّهَا البَدْرُ الَّذِي
 أَنْتَ الإِمَامُ ابْنُ الإِمَا
 وَأَخُو المَفَاخِرِ فِي الأَوَا
 وَلَقَدْ كَسَوْتَ الكَوْنَ نُو
 لَا يَنْكِرَاكُ إِنْ قَعَدْتَ
 فَضْلَ عَمِنَ تَسْأَلَانِي
 ثَلُ كَلَّهَا تَسْتَفْتِيَانِي
 نِي عَنْهُ أُمُّ لَا تَعْرِفَانِي
 جَزَلِي مَاذَا تَنْكِرَانِي
 يَهْدِي إِلَى نَيْلِ الجَنَانِ
 وَمِ وَصَاحِبِ القَطْرِ اليَمَانِي
 خِرَ والأَمَانَ مِنْ الهَوَانِ
 رَأَى مَا كَسَاهُ النِّيْرَانِ
 عَلَى السَّمَاءِ الفِرْقَدَانِ

وهي طويلة غالبها إلى شأو الإجابة مرفوعٌ، وفي قالب الحسن والسهولة مصوغٌ ومصنوعٌ. وممن نظم في هذا العام، وقد نظمته إلى تلك السُدَّة السنية مزاحماً لذوي النظام، محرِّزٌ هذه السطورِ المعترفُ بالقصورِ، وقد أثبتُّ ذلك جميعه لما فيه من الإلمام بأكثر وقائع هذا العام، وسردٍ من اللّه الجسام التي حصلت بركة مولانا - عليه السلام - وهي غديرية، مطلعها:

[الطويل]

حديثُ الهوى حلُّو ولا بدعُ أن يجلو
 ومن خبري في الحبِّ وردتُّه
 علقْتُ الهوى طفلاً ومَنْ يصحبُ الهوى
 وخضتُ وحقُّ الحبِّ جُتَّتُهُ التي
 وقد علم العُدَّالُ أني ومسمعي
 فما زال لي نقلاً يصحِّحه النُّقلُ
 نَميراً فطابَ النَّهْلُ لي منه والعُلُّ
 صبيّاً فَمِنْ فَرَضِ المَحَالِاتِ أن يَسْلُو
 أقامَ بِشَاطِئِهَا المَحَبُّونَ مِنْ قَبْلُ
 رَفِيقَانِ لَا يَنْسَابُ بَيْنَهُمَا عَدْلُ

إذا أجمعوا أمراً وساقوا جيوشهم
 وكم رددوا زوراً فردوا بغیظهم
 ومن مذهبي أني لمن أودعوا الهوى
 حفظت لهم عهدی القديم ومرتعي الـ
 وغالطت جلاسي فلم يعملوا بما
 يقولون يا هذا حولك مفترط
 علام الضنا فارفق بنفسك إنها
 ولو شربوا ماء الصبابة والجوى
 جعلت فدياً للنازحين وإن يكن
 هم أوثقوا قلبي أسيراً وأطلقوا
 وشنوا على لب المتيم غارة
 أخلاي إن الرمل بعد فراقكم
 وما ربكم لا أبعده الله عهده
 سقى عهدنا فيه من الغيث صيب
 ويا منزلاً لم أعرف المطل عنده
 إليك اشتياقي والهوى يستفزي
 لعل لماضينا بسفحك أوبة
 بمن سيفه سم المنايا وجوده
 ومن قيض الباري بيمن جهاده

علي انثنوا والجيش من عندهم فل
 ودق لبشري النصير في مسمعي طبل
 فؤادي وإن صدوا عن الوجد لا أخلو
 جيمم وإن جاروا فجورهم عدل
 كتمت وباب السر عندي له قفل
 وطرفك وكاف وجسمك مفئل / ١٦٠
 تعز علينا والفرار لها ثكل
 لما دار في الأفواه ليت ولا عل
 فؤادي لهم داراً وهل مثلهم نزل
 دموعي وقالوا في الهوى يحسن القتل
 فما رجعت إلا ومن نهىها العقل
 تنكر في عيني وأوحشني الرمل
 كما كان والغيد الحسان له أهل
 يكرّر تقبيل الثرى حين ينهل
 ولا غاب عني من أمانى اللقا وصل
 عليك ومن ذكراك في كيدي مهل
 كما عاد دين الحق في أفقه يعلو
 نمير العطايا لا يساجلها الوبل
 مناقب للإسلام عز لها مثل

إمام الهدى يحيى ولله درة
 ودك صروح الكفر والشرك بعدما
 فأقصر عما يشتهي الغي مبطل
 وأبصر من يدعو إلى الإفك إنما
 وما خفقت أعلامه وقلوبهم
 وحين طغى فرعونهم وقبيله
 طمى فوقهم بحر من الجندي مغرق
 فسئل زمر الضلال أنى توجهوا
 هموا أذركوا الأيام سوداً بيضة
 وسائل بأقوام دعاهم إلى الردى
 وكانوا على خير فلما تورطوا
 فذاقوا جزاء البغي لما أتتهم
 فما صدّهم حصن ولا ردّ بأسهم
 وكم دوّخوا أقطارها بوقائع
 وصعفان ما صعفان خانوا فعوجلوا
 وفي مدوّل دارت رحى الحرب مدة
 وفي الطّرف النائي وأطرافه التي
 وفي بُرع أبدي الجنود براعة
 صداها مدى الأيام يبقى وأمرها
 وما يافع لا سدّد الله يافعاً

/ ١٦١

إماماً محاماً شاده البغي والجهل
 تطاول عنق الملحدين بما ضلّوا
 تخطى إليه الحنف أو قاده الغل
 دعى الخطب إذا زلت بأقدامه النعل
 بأقصر منها حيث عمّتهم الختل
 وجاءوا بزور القول والأس مختل
 وما دبّ للإيمان في طبعهم نمل
 عن الطعنات الحمر تلك هي النجل
 فمطعمهم طعن وملبسهم ذل
 برمية شيطان فضلت بهم سبل
 تلاطم موج الشر عنهم وقد زلّوا
 كتاب من نصر الإله لها كفل
 جيوش وهل تقوى على الأسد البرل
 يدل على آثارها الحزن والسهل
 فكانوا كأميس الدابر انحلّ وانحلوا
 ودال عليهم من معامعها خبل
 يطول لها التعداد بالحنف قد أبلوا
 أفاق بها العصي ومالت به الزحل
 إليه يساق القول والمنطق الجزل
 أذيقوا الردى فالطفل من هوها كهل

فَأَنْفَضُوا إِلَى حَتْفٍ وَكُثِرُهُمْ قُلُوبًا
 بِأَيْدِي الْعَوَالِي فِي الشُّعْبِ وَقَدْ ضَلُّوا
 بِأَجْعُودِهِمْ لَمْ يَجِرْ فِي مَحْفِهِمْ رَسُلُ
 رَأْوَا أَحْمَرَ التَّنْكِيلِ لَيْسَ لَهُ مَهْلُ
 زَعَاذِعَ حَرْبٍ شَابَ مِنْ هَوْلِهَا الطِّفْلُ / ١٦٢
 وَعَمَّ عَلَيْهِمْ فِي مَعَاقِلِهِمْ عَقْلُ
 عَلَيْهِمْ وَلَا دَانِي تَقَاطَرُهُمْ غَلُّ
 سَرَدَتْ وَمَا أَهْمَكْتَ بَعَاضَهُ كُلُّ
 بِهَا وَهِيَ نَسْجُ السِّيفِ لَمْ يَجُوهَا الْعَزْلُ
 تَرَاجَعَ عَهْدُ الْوَحْيِ إِذْ جَاءَتِ الرُّسُلُ
 بِدَوْلَتِهِ الْغُرَاءِ دَامَ لَهَا الظِّلُّ
 وَمَحْمُودُ أَحْوَالٍ تَجَلَّى بِهَا الْعَدْلُ
 وَذَلِكَ أَسَاسُ الْأَمْرِ فِي حُكْمِهِ الْفَضْلُ
 تَجْمَعُ فِيهِ الْوَهْبُ وَالْعَقْلُ وَالنَّقْلُ
 مَزَايَاكَ لَا تُحْصَى وَأَيْسَرُهَا الْفَضْلُ
 وَمَفْرَدُهَا عَيْدٌ مُحَاسِنُهُ تَحْلُو
 هُوَ الْعَيْدُ وَالْيَمْنُ الْمَحْصَلُ وَالْأَمْلُ
 يُبَشِّرُ أَنَّ النَّحْرَ فِيهِمْ هُوَ الشَّغْلُ
 تَهَنَّأَ بِهِ عَيْدًا وَأَمْثَالَهُ تَتَلَوُ
 إِلَى اللَّهِ لَا يَدْنُو بِمَعْشَارِهَا الْمَخْلُ

أَتَوْا بِجَمُوعٍ سَدَّ أَلْفَافَهَا الْفَضَا
 وَجَاءُوا وَفِيهِمْ دَاءٌ أَشْعَبَ فَاَنْظَرُوا
 فَحَطَّطَهُمْ حَطَّ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا
 وَفِي حَمْرِ حُلُّوا الْوَقَائِعَ إِنَّهُمْ
 وَاللَّهِ مَا ذَاقَ الزَّعَاذِعَ إِذْ رَأَوْا
 كَمَا ذَاقَ سُكَّانُ الْمِقَاطِرَةِ الرَّدَى
 وَلَوْ أَنْصَفُوا مَا حَامَ طَيْرٌ حِمَامِهِمْ
 وَكَمْ فَتَكَاتٍ ضَمَّهَا الْعَامُ بَعْضَهَا
 لَقَدْ لَبَسَ الْإِسْلَامُ خَلْعَةَ جَدِّهِ
 وَرَدَّ لَهُ عَهْدَ الشَّبَابِ كَأَنَّا
 وَجَلَّتْ بِمَنْنِ اللَّهِ فِينَا مَوَاهِبُ
 أَمَانٌ وَإِيمَانٌ وَخَيْرٌ وَرَاحَةٌ
 وَتَحْكِيمٌ شَرَعَ اللَّهُ فِي كُلِّ حَادِثٍ
 وَحُبٌّ لِنَشْرِ الْعِلْمِ وَالْبَحْرِ عِلْمُهُ
 إِمَامَ الْهُدَى عُدْرَانًا فِإِنِّي مُقَصِّرٌ
 وَأَيَّامُكَ الْبِيضَاءُ فِي الدَّهْرِ غُرَّةٌ
 وَطُولُ بَقَاكَ الْيَوْمَ لِلدِّينِ وَالِدُنَى
 وَقَدْ جَاءَ عَيْدُ النَّحْرِ فَالْأَعْيُنُ عَلَى الْعِدَى
 وَمَنْ أَفْضَلُ الْمَرْغُوبِ أَنِّي قَائِلٌ
 فَكَمْ مِنْ قَلْدَتِهَا فِيهِ رَاغِبًا

وللّه ذاك الموكب الفخم إنّه
 برزت، وقد ضاق الفضاء بعسكر^[١]
 وسرت بهم بعد الصلاة كأنها
 ولولاك ما قرّت عيون وشاهدت
 ولم أنس في يوم الغدير مواكباً
 تمثل فيه الاحتفال وطال من
 هو اليوم نرجو من هواه وسيلة
 فقد عقّد المختار فيه لصنوه
 إذا ما تلى ردّ الصدى كل كائن
 وما وصفه سهل وقد مارت الدنى
 وكم للوصي المرتضى من مناقب
 ومن رام عرف البحر أمضى زمانه
 وسيان إطنابي وإيجاز مدحتي
 فيما مالكا بز الأئمة رتبة
 إليك ثنائي أو هنائي كأنه
 ترفع إخلاصاً ورقّ لطافة
 فدم للورى غوثاً وغيثاً ورحمة
 ولا زال صنع الله في كل حالة
 وفي ختمها صلى المهيمن سرمداً
 على المصطفى والآل ما لاح بارق

/ ١٦٣

أقرّ لعين الـدين فيما روى النبيل
 هم الأسد لا نابو السلاح ولا عزل
 تلاطم موج البحر فانتظم الحفل
 علا الدين منها الكل يتبعه الكل
 يشد إلى إدراك بهجتها الرحل
 مناقبه ما شاده الفرع والأصل
 يزداد بها منع ويدنو بها بذل
 لواء ولاء ما لمبرمه حل
 بتحقيقه واهتز شوقاً له الفعل
 به عظماً هيئات مني له حمل
 إذا عدّ منها لبعض حارب العقل
 على تعب والبحر لم يذر ما يبلو
 لديه وفوز النفس منه هو السؤال
 ورأياً كان الغيب قدامه مجلّو
 جنان سقاها الغيث فالدوح مخضّل
 وما فاتته جد ولا شأنه هزل
 وطوداً به تحبى الفرائض والنقل
 نزيلك يا من سيئه الكرم الجزل
 وسلّم تسليماً يتّم به الفضل
 وباكر من فيض الغمامة منهل

[١] في الأصل، بعساكر وهو خلل عروضي.

/ قلتُ: وقد سبق بيانُ العُدْرِ في زبرِ هذه القصيدةِ كاملةً، وهو ما اشتملتُ / ١٦٤
عليه من سردِ حوادثِ هذا العام، والإشارة إلى ذلك على سبيل الإجمال، وهي
حريّةٌ بالتقييدِ وصيانتِها عن تمزيقِ الزمانِ المبيدِ.

وفي هذه السنةِ كانَ مِنْ أعوانِ ابنِ سعودٍ إعادةُ الكُرّةِ والغزْوِ إلى يام،
وكانتِ آراؤُهُم قد اتفقتْ على مدافعةِ مَنْ يطرُقُهُم من تلكَ الجهة، فحينَ
بلَّغُهُم إقبالُ جيشِ ابنِ السعودِ بادِرُوا إلى أطرافِ بلادِهِم وقابلوهُ بالحربِ،
وتجمَّعوا عليه مِنْ كُلِّ جانبٍ، فهزموه هزيمةً فاضحةً وصدّوه عن بلادِهِم، وقُتِلَ
من الفريقينِ عددٌ كثير.

ومن جملةِ القتلى أميرُ جيشِ ابنِ سعودٍ، فأدركوا بهذه الواقعةِ ثارَهُم،
وانتقموا من عدوّهِم الذي أثنىَ فيهِم في العامِ الماضي، واحتَوُوا على ما أُجلبَ
عليهِم في هذه الحربِ، والحربُ سجالٌ.

ومن الحوادثِ الواقعةِ في العراقِ، وقد قدّمنا أنهُم في العامِ الماضي ثاروا
بالانجليزِ مطالبينَ بالاستقلالِ، ولم يخضعوا لإرادتِهِ وساعدَهُم على ذلك ما كانَ
يجري بينَ اليونانِ والأتراكِ من الحروبِ والوقائعِ العظامِ، وصادفَ في خلالِ
ذلك أن الشريفَ فيصلَ بنَ حسينِ بنِ علي بن محمد بن عون، لما فرَّ من الشَّامِ
قصدَ لَنَدن، دارِ مملكةِ الانجليزِ وعاصمتِهِم، فاتفقوا معه على تشكيلِ دولةٍ
عراقيةٍ تكونُ تحتَ حمايتِهِم، ونصَّبه ملكاً عليها، فعادَ مِنْ هنالكَ إلى بغدادَ، وتمَّ
بمعرفتِهِم نصُّبُهُ ملكاً على العراقِ، وتشكيلُ حكومةٍ للعراقِ تحتَ حمايتِهِم،
وخفَّ بذلكِ جِهُلُ الانجليزيينَ هنالكَ، إذ قَلَّلوا جيوشَهُم التي كانتِ مرابطةً في
العراقِ، وسكنتِ الأحوالُ بالنسبةِ إلى ما سبق، وبقي من أهلِ العراقِ أفرادٌ

فارقوا أوطانهم إلى غيرها من البلاد غير راضين بهذه الترضية، لعلمهم بأن الانجليز باق على تسلطه، وأن فيصل بن حسين ليس إلا آلة لهم، مُتَقَدِّمَةً لآربهم، وموصلة لهم إلى مطالبهم ورغائبهم.

ومن الحوادث العظام في هذا العام، ما جرى بين الأتراك الذين تجمّعوا في الأناضول، وقد سبق ذكرها، صاروا إليه وبين اليونان، فإنه جرى بين الفريقين حربٌ عظيمةٌ.

وكان اليونانيون^(١) قد احتلوا ولاية آيدين^(٢) التي مركزها مدينة إزمير، وهي المدينة الثانية بعد الأستانة في العظم وعموم المنفعة، وكان ذلك باتفاق دول الإفرنج / الكبيرة على ذلك، فشجّعهم على التوغل في بلاد الأناضول الانجليز انتقاماً من الأتراك المغاضبين، فاستولى على ولاية خداوندكار^(٣) التي مركزها مدينة بروسة^(٤)، وهي مدينة عظيمة كانت مقر سلطنة آل عثمان، قبل استيلائهم على أدرنة^(٥) والقسطنطينية، وتجاوزها بحروب كان الأتراك يتظاهرون أمامها

/ ١٦٥

(١) الحرب اليونانية، جاءت أثر أزمات بين الدولة العثمانية واليونان منذ سنة ١٨٨٢م وحتى اليوم، وتقوم بسبب الحدود الشمالية لليونان.

(٢) آيدين: تقع في غرب الأناضول، وهي مركز لولاية باسمها، فتحها العثمانيون سنة ١٤٢٦م.

(٣) خداد وندكار: كلمة فارسية معناها الصاحب أو الحاكم، كانت سنجق في العهد العثماني فتحها العثمانيون زمن أورخان، ثم أصبحت ولاية منذ عام ١٨٦٧.

(٤) بروسة: تعرف باسم بورصة، تبعد حوالي ٢٢٠ كم إلى الجنوب الغربي من استانبول، على قمة جبال اولداغ، فتحها العثمانيون سنة ١٣٢٦م، وأصبحت أول عاصمة لهم.

(٥) أدرنة: مركز ولاية، تقع في القسم الأوروبي، غرب استانبول، تمتد حتى الحدود اليونانية والبلغارية، فتحها العثمانيون زمن السلطان مراد الأول، وكانت العاصمة العسكرية للفتوحات في أوروبا وحصار القسطنطينية.

بالانهزام، إلى أن وصلَ بجنوده إلى ضفافِ نهرسقاريا^(١) الكائن بالقرب من مدينة أنقرة^(٢)، التي جعلها الأتراكُ مقراً لهم ولسلطنتهم الجديدة، وهنالكَ كانت بينَ الفريقين واقعةٌ عظيمةٌ استمرَّ الحربُ فيها بدونِ انفصالٍ نيّفاً وعشرين يوماً، وتعاطى الفريقان فيها من كُؤوس الطّعانِ وفنون القتالِ ما يهولُ، وفي نهايتها انهزمَ اليونانيون، وقد تَخَضَّبَتْ تلك البقاغُ بالدماءِ، وامتزجَ ماءُ النهرِ المذكورِ بها، وتراجعوا إلى مدينةِ اسكي شهر^(٣)، ومدينةِ أفيون^(٤) قره حصار، وكانتا محطّتين لجندهم، وهما في قلبِ الأناضول، وغنمَ الأتراكُ منهم ما لا يُحصى من الغنائم، والتي تقدَّرُ بالملايين من الجنيهات، فيها الأسلحة والمُدافعُ والسياراتُ المدرَّعةُ.

^[١]قلتُ: وهذه السياراتُ من مخترعاتِ الانجليزِ، صنعوها في أثناء الحربِ العامّةِ الكبرى، ولم نشاهدها حتى الان، ولكن بلغَ من وصفها، أنّها آلةٌ تسيرُ بقوةٍ بخاريةٍ، وقد جُعِلَتْ مُدْرَعةً بالحديدِ، ووُضِعَتْ عليها من آلتهم الجهنميّةِ عدّةُ مدافعٍ ومتراليوز،^[٢] فيكون المهاجمةُ بها، وظهر لها أثرٌ عظيمٌ في الحروبِ التي كانت بينَ دولِ الإفرنجِ والألمانِ^[٣].

(١) نهر صقاريا: يقع شمال غرب الأناضول (انقرة)، كان يعرف بياء أنقرة، وسمي باسم مدينة تقوم على النهر.

(٢) انقرة: مدينة في وسط الأناضول، فتحها العثمانيون سنة ١٣٥٦ م، زمن السلطان اورخان، اشتهرت بقلعتها الحصينة، هي عاصمة الجمهورية التركية منذ أعلنها مصطفى كمال منذ سنة ١٩٢٣ م.

(٣) اسكي شهر: مدينة تقع في الأناضول الأوسط، وهي أول مدينة سقطت في يد العثمانيين زمن عثمان الذي تنسب إليه الدولة، وأصبحت عاصمة لهم، ومنها انطلقت القوات العثمانية توسع رقعة دولتهم إلى بورصة ونيقية، وهي اليوم مركز ولاية كبيرة.

(٤) أفيون: مدينة في الأناضول، سميت بهذا الاسم لاشتهارها بزراعة الخشخاش منذ القرن الأول قبل الميلاد، والذي يؤخذ الأفيون من زهرة، شكلت طريق تجاري مهم إلى جزر الهند الشرقية وإيران ومصر والصين، وبها قلعة حصينة.

[٢ - ٢] سقطت من س.

[١ - ١] سقطت من س.

وبعد أن تراجع اليونان إلى المدينتين المذكورتين، تقدم الأتراك إلى أن وقفوا بإزائهم، واستمر تبادل الحرب بين الفريقين طول هذا العام، ولكنه تبادل موضعياً، ومكث كل فريق يستعد للآخر، ودول الإفرنج مثل الانجليز ومن على شاكلتهم، يتوسطون في المصالحة بين الطائفتين، ولم يُثْمِر من سعيهم ما يكون به انتهاء الحرب، للخلاف الحاصل منهم^[١] بالنظر إلى اليونان، فالإنجليز كانوا يمدون اليونان بكل وسائل الإمداد والإعانة، والفرنسية والطلليان كانوا غير راضين بتوسُّع دولة اليونان في البلاد الأناضولية، ويودون إخراجهم منها، ومن ههنا ظفر الأتراك من الفريق المجانب لليونان بمدد من الذخيرة ونحوها واتفقوا مع أهل انقره على / تخليّة ولاية أضنة من تحت أيدي الفرنسية^[٢] وتسليمها إلى الأتراك، وكان الفرنسيون قد وضعوا أيديهم عليها منذ عقد الهدنة بينهم وبين الأتراك، ورفعوا أيديهم عن القسم الشمالي، من ولاية حلب^(١) مثل مرعش^(٢) وعيتاب^(٣) وغيرهما بحجة أن أكثر سُكَّانها من الأتراك، وكذلك رفع الطليان جيوشه من مدينة أنطاكية^(٤) وما جاورها، وكانت

/ ١٦٦

- (١) ولاية حلب: خضعت للحكم العثماني منذ زمن السلطان سليم الأول سنة ١٥١٦ م، وشكلت إحدى ولايات الشام المهمة، وامتدت أراضيها عبر الأناضول، وبعد صدور قانون الولايات سنة ١٨٦٤ م أصبحت تضم ألوية، حلب، الرقة، عيتاب، كيليس.
- (٢) مرعش: مدينة تقع في جنوب الأناضول، مركز ولاية، فتحها العثمانيون عام ١٤٤٩ م زمن السلطان مراد الثالث على يد ولده محمد الفاتح، وشكلت مركزاً للصراع بين محمد علي والدولة العثمانية، أغلب سكانها من العرب.
- (٣) عيتاب: في جنوب شرق منطقة الأناضول، وهي مركز لولاية، تقع على أحد فروع نهر الفرات، قريبة من الحدود السورية، بها قلعة شهيرة فتحها العثمانيون سنة ١٥١٦ م، زمن السلطان سليم الأول، وهي مركز ولاية اليوم.
- (٤) انطاكية: عاصمة لواء الاسكندرونة، الجزء المسلوب من بلاد الشام، وهي قضاء يتبع ولاية حلب، منذ سنة ١٦٣٧ احتلتها تركيا بالقوة وأصبحت تعرف بولاية خطاي.

[١] في س، بينهم. [٢] في س، الفرنسيين.

تحت أيديهم، ودخلها الأتراك، وبظهور هذا الاختلاف بين دول الإفرنج التي لا تزال تقول، بأنها متحالفة على العدو المشترك بينها، قويت عزائم الأتراك وأطماعهم في التمكن من طرد اليونانيين والانجليز من بلادهم، وأمدتهم جميع العالم الاسلامي بالإعانات المتتابعة من النقود وغيرها، والكل يرجون أن يعود إلى الأتراك بعض ما كانوا عليه من التمكن والقوة ليكونوا سداً حائلاً بين دول الإفرنج وبين زيادة تمكّنهم من بقية بلدان الإسلام، فهذا ما كان عليه حال الأتراك في هذا العام.

ودخلت سنة أربعين بعد الثلاث المئين والألف.

والأحوال العامة كما ذكرناها، وأحوال اليمن كما أسلفناها ومولانا الإمام مقيم بروضة حاتم لتمضية فصل الخريف، وناجم التهائم محمد بن علي الإدريسي باق في صبييا^(١)، وتحت تسلطه^[١] الجهات التي أسلفنا ذكرها، والحرب لا يزال مستمراً بين أعوانه وبين جنود الإمام في بلاد الطعام^[٢]، وكل فريق واقف بإزاء الفريق الآخر في مراتبه، والرمي بين الفريقين غير منقطع والأحوال ساكنة في بلاد الشام، أعني صعدة وبلادها، والعمال في جميع الجهات من ذكرناهم في العام المنصرم.

وفي أوائل هذا العام، وصل إلى مولانا الإمام من سيدي المولى سيف الإسلام، وبدر الآل الكرام، محمد^(٢) بن أمير المؤمنين المتوكل على الله، إمام

(١) صبييا: بلدة عامرة في المخلاف السلياني، شمال جازان بمسافة ٦٥ كم، انظر هجر العلم، ١١٥٤.

(٢) محمد بن يحيى بن محمد حميد الدين، سيف الإسلام، الأمير البدر، أمير لواء الحديدة غرقاً في ١٦ ذي الحجة ١٣٥٠ هـ، عالم، أديب، شاعر، ولاء الإمام يحيى أعمال قضاء =

[١] في س، سلطته. [٢] في س، الطعام بريمة.

الزمان، تهنته غَرَاءُ، وقصيدة عَصَاءُ جَمَعْتُ بَيْنَ محاسن الاستعطافِ، ولطيف العتبِ، وطلبِ الاعتابِ والإتحافِ والمدحِ الرفيعِ والمعنى البديعِ ولا غرو، فالدرُّ لا يستخرجُ إلا من ذلك البحرِ العبابِ، والبلاغةُ لم تقفْ إلا على تلك الأبوابِ، وهي كما تراها، تأخذُ بالألبابِ، وتمتزجُ بالأرواحِ، وتجلبُ لسامِعِها لطافةً الانشراحِ ومطلَعُها^[١].

عن الحميِّ هل عهدُ الهوى عندهم يُرعى
لعلّةِ قلبي في سوى وِصلِهِمْ نفعاً
وأبدلها بالدمعِ عن نفسه خلعا
وذلك شيءٌ لم يكن منكمُ بدعاً
إذا تمَّ فيها الاتصالُ انتهت قطعاً
وراحوا وقد صارت محاسنُهُمْ جدعاً
فقد وجدّت في فرد ذاتكم جمعاً
وعادت وقد صار الغرامُ لها طبعاً
فهامٌ وأضحى وهو ذو مهجة لوعاً
وسامتهُ قيديلاً يطبقُ له ضلعا
عسى أنّها إن راسلت شُعبتُ صدعا

نسيم الصبَا سلّ في السرى بارق الجَزعا
وخبرهُمُو أنّي طلبتُ فلم أجِد
أهيل الحمى قد طلق النومُ مقلتي
أسرّتم وأرسلتم فؤادي ومدمعي
لكم في قلوب العاشقين مضارب
تخيّر أهل الحُسن في كنه حُسنكم
إذا افترت أجزاؤه في جميعهم
لقد فتنّت شمس الضحى بجمالكم
فأخبرت البدرَ المنيرَ بما رأت
ومال بصهباءِ الهوى، فانبرت له
وصاغتهُ خلخالاً لإتحافكم به

/ ١٦٧

= الشرفين من أعمال لواء حجة، فاتخذ المحابشة مقرأله، ثم عين أميراً على لواء الحديدة في شعبان ١٣٤٦هـ، اهتم بفتح المدارس ونشر المخطوطات التراثية، ولد في القفلة في رمضان سنة ١٣١٦هـ، انظر، تحفة الإخوان، ١٣٨، نزهة النظر، ٥٩٨، ائمة اليمن، ٢/٢٩٠، وانظر الشوقيات، ٣/١٦٩، فقد رثاه أحمد شوقي بقصيدة مطلعها:
مضى الدهر يا ابن امام اليمن وأودى بزین شباب الزمن

[١] ورد في س الأبيات الأربعة الأولى فقط.

وَضَمَّتْ أَزَاهِيرَ النُّجُومِ قِلَادَةً
 وَأَهْدَتْ إِلَيْكُمْ كُلَّ ذَاكَ تَوَدُّدًا
 قَرَأَ كُتُبَهُ أَهْلُ الْغَرَامِ فَسَلَّمُوا
 رَجَاءً وَصَالٍ بَلْ رَجَاءٌ إِبَابَةٌ
 أَحَبَّةٌ قَلْبِي طَالَ وَاللَّهِ هَجَرُكُمْ
 إِذَا أَشْفَقْتُ شَمْسُ الضُّحَى مِنْ جَمَالِكُمْ
 فَمَا حَيْلَتِي فِي وَصَلِكُمْ أَوْ وَسِيلَتِي
 أَمَا تَرَحَّمُوا جِسْمًا نَضَاهُ فَوَّادَهُ
 وَصَبَّ عَلَيْهِ صَوْبَ حُزْنٍ وَلَوْعَةً
 يُشِيبُ نَسِيمُ الشَّرْقِ نِيرَانَ صَدْرِهِ
 لَهُ فِي هَوَاكُمُ مَعْجِرَاتُ نَبْوَةٍ
 دَمٌ مَدَّهُ بِحَرٍّ وَنَارٌ تَأَجَّجَتْ
 وَرِيحُ الصَّبَا فِي قَبْضَتِي إِنْ تَنَسَّمْتِ
 وَلَيْلَةٌ أَسْرَى بِي إِلَى عَرْشِكُمْ غَدَتْ
 يُلِينُ جَلَامِيدُ الْحَدِيدِ تَنْفَسِي
 وَكَمْ لِي فِي شَرِّ الْهَوَى مِنْ قَضِيَّةٍ
 صَلَوَنِي صَلَوَنِي قَدْ حَجَجْتُ إِلَيْكُمْ
 وَإِلَّا تَرْقُوا لِي رَفَعْتُ شَكَايَتِي
 إِلَى مَلِكٍ لَوْ كَانَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
 إِلَى مَلِكٍ مَعْنَى الْفَضَائِلِ ذَاتُهُ

بِحُسْنِ نِظَامٍ لَا شَبِيهَ لَهُ قَطْعًا
 هَدِيَّةً صَبَّ صَبَّ مِنْ جَفْنِهِ الدَّمْعَا
 وَصَلُّوا إِلَى مَحْرَابِهِ الْوُتْرَ وَالشَّفْعَا
 عَلَيْهَا وَخَوْفًا أَنْ تَرُدُّوا لَهُ الْمُنْعَا
 أَلَا تُبَدِّلُونَا بَعْدَ خَفْضِ الْجَفَا رَفْعَا
 وَمَا قَابَلْتُ فِي الْفَضْلِ مِنْ نَعْلِكُمْ شِئْعَا
 وَقَدْ ضِيقْتُ فَمَا نَالَ مِنِّي الْجَفَا دَرْعَا
 وَصَاعٌ عَلَيْهِ مِنْ عَذَابِ الْقَلْبِ دَرْعَا
 وَأَوْدَعَهُ بَعْدَ الْعَذَابِ فَمَ الْأَفْعَى
 وَيُيَكِيهِ ضَحْكُ الْبَرْقِ مَا سَرَى لَمْعَا / ١٦٨
 تَحْدَى بِهَا الْعُشَّاقُ إِذْ عَدَّهَا سَبْعَا
 وَشَرُّ غَرَامٍ قَدْ صُدِعَتْ بِهِ صَدْعَا
 أَثَرَتْ عَلَيْهَا مِنْ جَوَى مَهْجَتِي نَقْعَا
 مَلَائِكَةُ الْعُشَّاقِ مِنْ هَيْبَتِي صَرَعَى
 وَأَفْهَمُ شِدْوَ الْوُزْقِ إِنْ رَفَعْتَ سَجْعَا
 تَرَدَّدَ فِيهَا كُلُّ مَنْ يَعْرِفُ الشَّرْعَا
 وَفِي سَوْحِكُمْ قَدْ طُفْتُ سَبْعِينَ لَا سَبْعَا
 إِلَى ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ أَفْضَلَ مَنْ يَسْعَى
 نَبِيٌّ لَكَانَ الْمُصْطَفَى بَعْدَهُ قَطْعَا
 نَمَا فِي الْعَلَا وَالْمَجْدِ حَتَّى عَلَا السَّبْعَا

إلى ملكٍ لو سابقَ الغيثَ جوْدُهُ
هو العامِرُ الدينَ الحنيفيَّ بعدَما
هو المالىءُ الآفاقَ عدلاً وحكمةً
خليفةُ ربِّ العالمين على الورى
كريمُ السجايَا والمُحيَا بهييةِ
إمامٌ يخافُ الدَّهرُ من صولاتِهِ
هزبرٌ تراهُ في الحروبِ عَضَنَفَرا
يسوقُ الكماةَ الأُسْدَ في حَلِيبةِ الوغى
لقد أذعنَ العاصي وذلَّتْ وأقبَلتْ
لقد ملأَ الأرضَ العريضةَ فضلهُ / ١٦٩
منزهةً عن لَو ولولا صفائهُ
تبارى بيميناه اليراعُ وسيفُهُ
إذا قامَ دجَّالٌ بتمويهِ باطلٍ
وما هو إلاَّ صالحٌ في ثمودِهِ
به اختالَ هذا الدِّينُ في بُردِ عزِّهِ
إليكَ أميرَ المؤمنين قصيدةً
إذا انخفَضتْ تحتَ الثرى فنظامُها
وهيئتَ عامماً قادمأ بمسرةِ
وبالفالِ أرخُ نجمَ عزِّكَ طالعُ

لأعجزه فخراً وأتعبه صنعا
عفا رسمه واستظهرتِ بدعُ شُنعَا
وقد حكمتُ حكماها العسفَ والضلعا
وأفضلُ من يُرجى وأكرمُ من يُدعى
تخرُّ مُنيراتُ النجومِ لها رُوعَا
لقد صيرَ الأيامَ تجري لنا طوعاً
إذا ضاقَ فرسانُ الطعانِ لها ذرعا
فشطرهم كالشاءِ وهو لهم يَرعى
لهيئته الأقيالُ مسرعةً هطعا
ولم يبقَ جنساً للمعالي ولا نوعاً
فما صفةُ منها لِلوْلا ولو تُدعى
فذا كاتبٌ فصلاً وذا كاتبٌ قطعاً
تَلَفَّتْ له من عزمِهِ حيَّةٌ تسعى
فأشقى الورى من في مناواتِهِ يسعى
وهنِّيَ عُمراً بعد أن كادَ أن يُنعى
نظمتُ بها في سلكِ قافيتي جَزعا
بِذِكْرِكَ من فوقِ الثريا سُمى رِفعا
مقاديْرُهُ فيما تَريدُ به تسعى
له الله يا محيى بتوفيقه يَرعى^[١]

سنة ١٣٤٠

[١] أي بحساب الجُمَّل ١٣٤٠ .

ولما دخلت هذه اللطائف إلى غرفِ الأسماع، ومثلت مثوول الاستحسان
لَدُن مولانا الإمام، وهو مليكُ البلاغةِ والإبداع، أجابَ نجله الكريمُ بنظامٍ
يُجْجِلُ النسيمَ رقةً ولطافةً ويناطح الكواكبَ جزالةً وأناقةً ومطلعه:

[الطويل]

أماناً فَمِنْ حَقِّ الْمُتَيْمِ أَنْ يُرعى وجوباً على المختالِ في حُسْنِهِ شرعا
وَمَنْ مَدِيحِ الْجَزْلِ:

هَمَامٌ إِذَا عُدَّ الْفَحُولُ وَصَارمٌ يصوولٌ وبيدُرٌ طالَ إشرافُه كعما
له الهمةُ القَعَسَاءُ تَرَبُّ وشأنه عظيمٌ وأسرارُ النُّهى فيه تُستَدعى
وكانَ بحمدِ اللهِ أكملَ سيدي علا فوقَ هامِ النجمِ وانتعلَ الحقعا
وجلتَ معاليه كما طابَ أصلُه حلالاً وطالَ المجدُّ مِنْ نُبلِه فِرْععا

/ ومنه:

١٧٠ /

وقد جاءني منك النظامُ كأنه فواكهُ جناتٍ دنتَ وزكَّتْ ينعما
أنالكَ ربُّ العرشِ طوَدَ فضيلةً وليس الذي أعنيه رضوى ولا سلعا
وأبقاكَ محمودَ المساعي متوجِّجاً تُداني من الآمالِ أعظمها مسعى
بجاءِ رسولِ اللهِ أفضلِ مَنْ مشى وأسرى به الخلاقُ فاخرقَ السَّبعا
عليه صلاةُ اللهِ ثم سلامُهُ مع الآلِ ما صبَّ الحيا صوبَهُ همعاً^١.

وَمِنْ رَفَعِ إِلَى مَقامِ مولانا الإمام - عليه السلام - تهاينةً بقدم هذا العام،
سيدي فخرُ الدين همام بنى الرسول الأمين، المولى عبدُالله بن إبراهيم، بنُ
الإمام^(١)، وذلك قوله^[٢]:

(١) عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن المهدي ت شعبان ١٣٤٩ هـ، أديب، شاعر،
كان له شأن في العهد العثماني، تولى القضاء ببلاد كوكبان، هاجر إلى هجرة حوث، قاد
حملة عسكرية على إب سنة ١٣٢٣ هـ، وفتح المخادر وبعدان ومناطق واسعة من =

[١ - ١] سقطت القصيدة من س. [٢] سقطت من س، ولم يرد في س إلا مطلع القصيدة.

[المتقارب]

ونسال من الله أسنى المنن
 أمنا به من ظلام الفتن
 عراه فأكرم به من وطن
 وأسدى له كل فضل ومن
 سليل الأئمة محيي السنن
 بتأييده فأرانا السنن
 فما مسسه من كفور درن
 على القطر واستدرجوا بالشطن
 بجازان بعض البغاة الخون
 ذوي الجهل اتباعهم من عدن
 على النار أطفأها ذو المنن
 لمن حارب الحق منهم ومن
 ومن كان مستخفياً واستجن
 وأهل عسير وداعي المحن
 ونصبح في الأمن لأنمتهم
 يقاسي شدايد أهل الإحن
 لراحاتنا مانعاً للوسن
 بهذا الإمام فطب واشكرن
 إليهمكم حمداً أهل القطن

تفرد بالفخر قطر اليمن
 به الأمن قد ساد حتى لقد
 وولنا السعادة واستحكمت
 سقاه الإله الشراب الطهور
 وأحيا يحيى إمام الهدى
 منار الشريعة واختصه
 وأرشدنا وحمى قطننا
 وقد حاول الكافرون القضا
 شياطينه تارة جهزوا
 وأخرى استمالوا بأموالهم
 ولكنهم كلما أوقدوا
 يغيث من النضر مستأصل
 أعان ذوي البغي أهل الضلال
 ولا تنس ما كان من نجدهم
 ونحن نبيت براحاتنا
 وهذا الإمام التقي الذي
 يواصل أيامه بالليال
 فيا قطر يهنيك كسب الفخار
 ويامن به قد أقام احمدوا

/ ١٧١

= اليمن الأسفل ثم قاد حملة على مطرح ذيغان من غيال سريح، كان ضمن الوفد
 الذي سافر إلى استانبول للمفاوضة حول اصلاح اليمن سنة ١٣٢٥ هـ، وفتح يريم وله
 دور في مفاوضات صلح دغان، ولد في صنعاء سنة ١٢٧٨ هـ، انظر، نزهة النظر، ٣٦٦ .

ولا تبخلوا بالدُّعَا لِلْإِمَامِ
عَقِيبَ الصَّلَاةِ وَعِنْدَ الصَّلَاةِ
إِمَامَ الْهُدَى وَمُبِيدَ الرَّدَى
إِلَيْكَ نِظَامَ الْهِنَا صَادِحاً
يُنَادِيكَ هَذَا زَمَانُ الْفَتْوحِ
وَجَاءَ بِهِ الْفَالُ أَرْخُ سَهَاً
وَإِذْ جَاءَ بِالْخَيْرِ أُرْخَتْ جَا
وَحَطَّ^[١] عِيدَاكُمْ بِتَارِيخِهِ
وَأَرْخُ كَمَا لَ جِيوشِ الْإِمَامِ

سنة ١٣٤٠

^{٢١} ولا يخفى على الفطن اللبيب ما في هذه القصيدة من الأسلوب الغريب،
والانطباع العجيب، وجلالة قدر قائلها فوق قدرها، وله من بنات الأفكار ما
يزاحم شمس النهار^{٢٢} بهاء وإشراقاً وعلواً واتساقاً^{٢٣}.

١٧٢ /

وفي أوائل محرم الحرام من هذه السنة، وردت البشرى من أمير الجيش
سيدي جمال الدين، علي بن عبد الله الوزير باستيلائه على قلعة المقاطرة، وما
حولها عنوة، وتفصيل ما جرى هنالك، أنه لما وصل أمير الجيش إلى مركز قضاء
الحجريّة، وتم له ما أراد من جمع الأجناد، وما يحتاج إليه من المؤن، بادر إلى ما
ذكرناه من مراسلة الباغين، واستمالتهم إلى جانب الحق، وتخويفهم من الأضرار
الأشقى. وقد كان قبل ذلك وصل إلى مقام الأمير شمس^(١) عبد الله من المكابرة
ساعياً في الإصلاح، وطالباً رفع الكفاح، فأرسله أيضاً مع كتبه، ودارت

(١) شمس بن عبد الله المكابري: قائد حملة التمرد في المكابرة، وكان يدعّمه شيوخ
المقاطرة، ولده شاهر بن سيف انظر، حياة الأمير، ٥٥٣.

[١] في الأصل، وحطّ. [٢-٢] سقطت من س. [٣-٣] سقطت من س.

المراجعة بين الأمير وبينهم، فانكشف من نهايتها أنهم على العصيان مُصرون، وبقلعتهن وما حوّلها من الحصون مُمتنعون، وأنهم لا يرضون بتمكين الحق من قلعتهن، وظهّر منهم العزم على غدر من كان قد أرسله الأمير إليهم لقبض رهائنه إن أطاعوا، ولم ينبج منهم إلا بالاحتراز من مكرهم ووسائل غدرهم. ولما تيقن الأمير منهم ذلك، بادر بنقل محطته نحو تلك الجهة. فاستقر في محل قريب من محلات البغاة، وعبأ الجنود وقوى المراتب، فجعل في الجهة الغربية عامل الحجريّة، والسيد عبدالجليل بن أحمد بن علي عبدالجبار^(١)، ومعهم جيش نافع وأحد المدافع، وفي الجهة العدنية السيد يحيى بن محمد الوادعي^(٢) وجيش وافر وأحد المدافع، وفي الجهة الشرقية عدد كبير تحت قيادة السيد حسن بن محمد عثمان الوزير^(٣) ومعهم مدفع أيضاً، ولم يبق سوى الجهة القبليّة وقد رُفِع إلى الأمير أنّ منها يمتار البغاة، ولا يتم حصار بدون ترتيبها ومضايقة الأعداء من جهتها، وترجّح لذن الأمير أنّ المهاجّة والأخذ عنوة هو أصوب من العدول إلى الحصار وانتظار ما يؤول إليه حال البغاة من الاضطرار، لما في المناجزة من الاقتراب إلى منح الربّ الوهاب، ولم يرجح ذلك إلا بعد الاستشارة وتكرير الاستخارة، والتقرّب إلى الله تعالى بتفريق الصدقات وتلاوة كتاب الله تعالى،

(١) شقيق محمد بن أحمد باشا، عُين عاملاً لناحية مَقْبَنَة ثم المخا لأكثر من اثنتي عشر سنة، ولما أصيب بمرض في عهد ولي العهد، فنقل إلى عدن ومات هناك، انظر، حياة الأمير، ٥٥٦.

(٢) يحيى بن محمد بن محسن الوادعي، مقدم، شارك في حملات حُبَيْش وصَبْر والمقاطرة، اعتاد أن لا يفارق البندقية ولا لبس الطيار المليء بالذخيرة، انظر، حياة الأمير، ٦٠٦.

(٣) ما ورد في حياة الأمير، ١٥٠ حسن بن قاسم عبدالله عثمان الوزير، ولد سنة ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٦م، تولى عدة عمالات بلواء تعز، آخرها في عمالة، حَيْفان، وعينه الإمام عاملاً بجبل راس حيث مات هناك.

استمداداً لتعجيل النصر والظفر، وإعانة التالين بالأموال.

وفي خلال تلك ورد/ على الأمير كتابٌ من حاكم جبل صبر السيد عليّ / ١٧٣
بن محمد بن أحمد، السابق ذكره، قد أودعه نظماً بديعاً، فكان فالاً دالاً على
النصر وقرب الفتح، ومطلعه:

تقدّم فقد ثلثت عروش الجبابرة
١] وشببت بنار الحرب من حول جيشهم
فباءوا وقد باعوا من الكفر دينهم
يظنون جهلاً ما نعتهم حصوئهم
وأنى لهم أمنٌ وقد سار نحوهم
ستعلو ذراهم أسد حرب ضراغم
كأني بهم والحرب قد اثختهمو
كذا كل باغ سوف يجزي بغيه
فقل لبغاة خالفوا الأمر إننا
لم يعلموا ما أوقع الله سابقا
وأن أمير المؤمنين إمامنا
ومنها:

قدّم سيدي في موكب النصر فاتحا
وتاريخها حم [٢] إن إمامنا
معاقلها طراً وليست بنادره
سيملك جبل شمساً بعد المقاطره

سنة ١٣٤٠

وجبل شَمْسَان^(١) الذي ذَكَرَهُ النَّاظِمُ وعِناهُ، هو الجَبَلُ المُطَّلُّ على عَدَنَ،
ومن يملكُهُ يكونُ مالِكاً لعَدَنَ، وهو مُراد الناظِمِ^[١].

ولما تمَّ للأَمِيرِ ما ذَكَرناه من ترتيبِ الجِهاتِ الثلاثِ، انتدبَ للجِهةِ القِبْلِيَّةِ
السَيِّدَ الأَجَلَّ حمودَ بنَ مُحَمَّدٍ، حاكمَ العُدُنِ معَ جندٍ كَثِيفٍ، فيه من رؤساءِ
المجاهدين / جماعةٌ من أهلِ البصائرِ والثِّباتِ، وأصحابِهِم المدفَعُ السَّرِيعُ، / ١٧٤
وألزَمَهُم الأَمِيرُ بالمهاجِمَةِ وتركِ الحِصارِ، وَعَيَّنَ لَهُم الجِهةَ المَقْصودَةَ، فبادروا
بالعزمِ وارتقوا من محلِّ الجاهلي إلى المحلِّ المَقْصودِ، فقرَّبوا بِذَلِكَ من الحصونِ
الأربِعةِ المَسَمَّاةِ بالليِّمِ^(٢)، وهي أربِعةُ حصونٍ شواهِقٌ لا يَمكُنُ الوُصولُ إلى
القلعةِ وحصنِها المَسَمَّى بالتميدني^(٣) بدونِ الاستيلاءِ عليها، وقد كان الأعداءُ
حصَّنوها تحصُّناً باهراً وعمَّروا المتاريسَ في جوانِبِها، وأوقفوا فيها رجالَ القتالِ،
وجمِيعُ هذه الحصونِ يجمي بعضها البعض الآخر.

فلما رأى الأعداءُ طلائعَ المجاهدين، بادروهم بالحربِ ومتابعةِ الرَّمْيِ،
وتوقَّفَ المجاهدونَ إلى أن تكاملتْ عدَّتُهُم ورتَّبَهُم قائِدُهُم، فجرى بين
الفريقين حربٌ عظيمٌ وصبرَ فيه المجاهدونَ صبرَ الحرِّ الكريمِ، وأقدموا فيه
إقدامَ الأسودِ، وبذلوا كلَّ مقدورٍ ومجهودٍ، وكانَ للمدفعِ السَّرِيعِ أثرٌ كبيرٌ في
تقويةِ القلوبِ، وصبرِّها على تلكِ الكروبِ والخطوبِ، فإنه نَسَفَ بعضَ نُوبِهِم
المستحكمةِ^[١] وصدَّ الغاراتِ، فلمْ تغرُبْ شمسُ ذلكِ اليومِ إلا وقد يسَّرَ اللهُ

(١) شَمْسَان: جبل مشهور في الغرب الشمالي من مدينة عَدَنَ، ويطل عليها، انظر، معجم
المقحفِي، ٣٦٣، معجم الحجري، ٢/٤٥٧ .

(٢) الليِّم: مجموعة من الحصون المتناسكة الطبيعية، تشكل حراسة لقلعة المقاطرة، وهي
تقع شمالها وجنوبها، انظر، حياة الأمير، ٦٢٩ .

(٣) حصن التميدني: أحد الجبال المشهورة في جنوب قلعة المقاطرة، انظر، حياة الأمير، ٦١٧ .

[١] في س، المتحكمة.

للمجاهدين الفتحَ وعظيمَ المنحِ، باستيلائهم على الحصونِ المُسماةِ بالليِّمِ، وأجلاً مَنْ فيها منَ البغاةِ إلى التردّي من شواهِقِهما أو الاستسلام إلى أيدي المجاهدين، وعمَّ مَنْ فيها القتلُ والأسرُ والتردّي.

وفي ذلك اليوم، تقدّم أيضاً المجاهدون الذين بالجهة الغربية على قريتي الخَزْفَارِ^(١) والقاعدة^(٢)، وبعدَ حربٍ غير يسير استولى المجاهدون عليها، وفرَّ منها الأعداءُ، وتقدموا في تلك الجهة، إلى أن تيسّر لهم الاتصالُ بالمجاهدين الذين استولوا على الليِّمِ.

ولم تمّ لهاتين الطائفتين القيامُ بهذا العملِ المبرورِ، رفعَ أمراؤُهُما خبرَ الفتحِ إلى الأميرِ، وساقوا الأسارى إليه، فشجّدَ الأميرُ عزائمَ الجنودِ الذين في الجهاتِ الباقية، ونسبَ إليهم التواني، وألزمَهُم بالبدارِ واللحوقِ بإخوانهم وقربَ بنفسِه من إحدى الجهاتِ.

وفي اليوم الثاني، تقدّم جميعُ الجيشِ من جميعِ الجهاتِ على القلعةِ / وحصنِ / ١٧٥
التميدني، وكان مَنْ فيهما منَ البغاةِ قد أجمعوا على عدم تسليمها أو الموتِ دونها ولم يُقتَ في أعضادِهِم ما جرى على مَنْ في الليِّمِ، لأنَّهم كانوا على غايةٍ من الجهلِ وضعفِ الأحلامِ، ومن ظنونهم الفاسدةِ أنهم^[١] لا يقدرُ عليهم أحدٌ، ولا تؤخِّدُ قلعَتُهُم عنوةً، ومن الغريبِ، أن نساءَهُم كُنَّ أكثرَ منهم جراءةً، فإنَّهم في

(١) الخَزْفَار: قرية صغيرة، واقعة غرب جبل قلعة المقاطرة، انظر، حياة الأمير، ٦١٩، نُسب إليها الصوفي حميد الدين الخَزْفَارِي المشهور في بداية هذا القرن الميلادي، انظر أيضاً، معجم المقحفّي، ٢١٤.

(٢) القاعدة: من عَزَل المقاطرة، من عَزَلَة مكابرة الجبل، انظر، اليمن الخضراء، ١/ ٨٤، اليمن الكبرى، ٤٥، معجم المقحفّي، ٥٠٤.

[١] في س، انه.

أثناء الحرب كانوا يسمعون منهنّ من التويخ والتقريع ما يملئهم على معاودة الجِدِّ في الحرب، ودوام الإصرار والامتناع، فهضَّ إليهم المجاهدون بنياتٍ صادقة، وأقدام إلى الفوز متسابقة، فاستمرَّ الحربُ نهارَ ذلك اليوم من قبيلِ الفجر، وكان يوماً مهولاً، أبلى فيه المجاهدون، ولم يهابوا المنون، ولم يصدَّهُم عن الإقدام والتسابق في الارتقاء إلى تلك الشواهِقِ ما كان يقذفُهُ عليهم الأعداءُ من الأحجارِ ولا الصخورِ التي أرسلوها على المجاهدين من مدقاتِ البارود، وأعظمُ الأفعالِ كان لهذه الصخورِ والأحجارِ في هذه الحرب.

وبما زال المجاهدون في تقدُّمهم إلى أن دخلوا القلعةَ وحصنَ التميديني عنوةً، وحينئذٍ أيسَّ الأعداءُ من الخلاصِ، إلا بالاستسلام والنزولِ على حُكْمِ الأمير، وخابروا في ذلك مَنْ دخلَ إليهم، وأسكتوا بنادقهم، وخضعوا بعد الإباء الشديد والإصرار الأكيد، فبادرَ الأمراءُ إلى إعلام الأجنادِ بذلك، ووقفت الحربُ، وكان إخراجُ النساءِ والأطفالِ وإيداعهم إلى محلِّ الصونِ عمّا يشين، وجمعُ الأسارى، وقد بلغوا إلى مئتين وخمسين نفراً، وبلغ عددُ القتلى منهم في هذين اليومين إلى المئتين.

وأما شهداءُ المجاهدين فكانوا عدداً غير كثيرٍ، وذلك من وقاية اللطيفِ الخبيرِ والغنائمِ التي ظفَّرَ بها المجاهدون لا تُحصى.

وفي اليوم الثاني من الفتح، وصلَ الأميرُ إلى القلعةِ وحصونِها وطافها، ورأى ما هي عليه من المناعةِ والحصانةِ، فكان أخذها عنوةً لديه بعدَ المشاهدةِ، من غرائبِ صنعِ الله وتيسيره، ولم يرجعْ منها إلا بعدُ/ ترتيبها وتقريرِ أمورها وإصلاحِ أحوالها وأحوالِ الناحيةِ المذكورةِ، وارتفع إلى مركزِ قضاءِ الحجريةِ.

/ ١٧٦

ووصل إليه أهل الزعازع مُذعنين للطاعة والدخول في سلك الجماعة، فأمرهم بعمارة المساجد وتشبيد المعابد، وكان الفتح المذكور فتحاً عظيماً انتظمت به أحوال قضاء الحُجَرِيَّةِ وهابه البعيد والقريب، وتحذَّثت به الركبان، وأذهل مَنْ في قلوبهم مرضٌ ضعف الإيمان، وارتاع له مَنْ في عَدَنٍ من عَبَدَةِ الصُّلْبَانِ، وقوي به جانبُ الحقِّ، وانهدَّ به رُكْنُ الباطلِ وانشقَّ، ثمَّ كانَ مِنَ الأميرِ إرسالُ الأسارى^[١] صحبةً ثلثةً من عسكرِ النِّظامِ، إلى حضرةِ مولانا الإمامِ - عليه السلام - فوصلوا إلى الحضرةِ الشريفةِ والإمامِ مقيماً بداره السعيدةِ بمحروسِ الرِّوَضَةِ، وقد عمَّهم الخوفُ والفرقُ، واستولى عليهم الجزعُ وحلقُ، لما أسلفته أيديهم من الذنوب، فحين وقعت عينُ الإمامِ عليهم، بادرهم مولانا الإمامُ بما جُبِلَ عليه من مكارمِ الأخلاقِ، وأزال عنهم ما داخلهم من الفزعِ والإشفاقِ، وأمنَّهم وسكَّنَ رُوعَهُمْ وأسمعَهُمْ من العتابِ اللطيفِ ما أخذَ بمجامعِ قلوبهم، فدعوا للإمامِ واعتذروا مما جرى منهم بما كانَ يصلُ إليهم من التَّخْويفِ من ذوي الأغراضِ.

ثمَّ أمرَ مولانا الإمامُ في تلك الحال بفكِّ أغلالهم وأطلقَهُمْ من عقابهم، وأمرَ لَهُمْ بالكفاياتِ وكساهم جميعاً وأذنَ لَهُم بالعودِ إلى أوطانهم وديارهم، فهبُّوا سراعاً وكانوا قبلَ ذلك لا يُصدِّقون بالنجاة، ولا يؤمِّلون الفكاكِ مما نسجتُهُ أيديهم على أنفُسِهِمْ من شباكِ الأسرِ وبلَّواه.

وبعدَ مدَّةٍ، وصلَ أيضاً إلى مقامِ مولانا الإمامِ الشيخُ شمسَانُ عبدُاللهِ، ومعه جماعةٌ من أصحابه، وقد خاضَ أحشاءَ تهامةٍ وغيرها هائماً على وجهه، فقابَلَهُ مولانا الإمامُ بالتأمينِ وأسعَفَهُ بمرايدِهِ من الإذنِ له بالعودةِ إلى بلَدِهِ، والأمرِ

[١] في س، الأسرى

برعايته والأغماض عما سلف من ذنوبه.

وقد قيل في هذا الفتح من الأشعار وبنات الأفكار ما يناسب ما له من العِظَمِ وعلو المقدار، [فمن ذلك ما نظمه سيدي العلامة عبد الوهاب^(١) بن أحمد بن علي بن يحيى بن أحمد بن محمد بن اسماعيل بن عبد الله، بن الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد - عليه السلام - وإنما قدمتُ قطعته على غيرها لجلالة قدر قائلها من العلم والعمل والورع الشحيح، وتحري مرضاة الرب، عز وجل، ووجه بها إلى سيدي الأمير جمال الدين، حفظه الله تعالى، وهي كما تراها/ ١٧٧

[الطويل]

لَفَتَّحْ عَظِيمٌ مَوْجِبٌ أَعْظَمَ الشُّكْرِ	نُهْنِي جَمَالَ الدِّينِ بِالْفَتْحِ إِنَّهُ
إِلَيْكَ فَنِلْتَ الْفَتْحَ بِالسَّيْفِ وَالْقَهْرِ	نَهَضْتَ عَلَى اسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ نَاطِرٌ
حِبَاهُ إِلَهُ الْخَلْقِ مَشْتَهَرَ النَّصْرِ	وَحَظُّ إِمَامِ الْعَصْرِ فِي النَّاسِ غَالِبٌ
وَأَعْدَاؤُهُ بِالذُّلِّ بَاءَتْ وَبِالْخُسْرِ	وَأَجْنَادُهُ مَنْصُورَةٌ أَيْنٌ وَجُّهَتْ
وَيَجْرُسُهُ مِنْ كُلِّ سَوْءٍ وَمِنْ مَكْرٍ	فَأَسْأَلُ رَبِّي أَنْ يُطِيلَ بِقِوَامِهِ

وَمِنْ نَظْمٍ فِي هَذَا الْفَتْحِ الْعَظِيمِ وَالْمَنْحِ الْجَسِيمِ الْقَاضِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَكْوَعِ الدِّيْبِينِيِّ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ مِنْ قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ مَطْلَعُهَا:

(١) عبد الوهاب بن أحمد بن علي المعروف بعبد الوهاب بن أحمد الوريث ت شوال ١٣٥٠ هـ، علامة، أديب، شاعر، هاجر سنة ١٣٠٩ هـ إلى الحداء مؤازراً للإمام المنصور محمد بن يحيى، تولى القضاء في يريم وبلادها، ولد سنة ١٢٨٧ هـ، انظر، نزهة النظر، ٤٠١.

[١ - ١] من عبارة «فمن ذلك ما نظمه إلى وفي هذه السنة السيد الأجل المقدم علي بن علي السراجي، سقطت من س.

[الطويل]

إلهي لك الحمدُ الذي أنتَ أهلهُ
على ملّةِ الإسلامِ بالنصرِ للذي
وليُّ الرقابِ الحائزُ الفضلَ عن يدِ
إمامِ الزمانِ الفذِّ يحيى نصرتهُ
بمنك مولانا تسنم ذروةً
ياحسانِكَ اللهمَّ قد طأ طأتُ له
بهمتِهِ العلياءِ في الذبِّ للعدى
وإخلاصِهِ الأعمالِ لله لا سوى

ومنه في صددِ الثناء على أمير الجيش:

[الطويل]

تقدم عن أمر الامام وهمتهُ
وأرقلَ نحوَ القومِ بعدَ نصائحِ
فلم يسمعوا نصحاً فأمضى عزائماً
وجالَ بميدانِ اللقا في جحافلِ
رقى ذروةَ الحصنِ المنيعِ بجيشِهِ
فبعضُهُم أسرى ومنهُم إلى الردى
ودوخَ أقطارَ البلادِ ووأوثقَ الر

رضاربه حرباً وسلماً بأحوالِ
لهم منه والإنذارُ من قبل إرقالِ
إلى أخذه واللهُ عونٌ له كالي
تسدُّ الفضا كالأسدِ أشبالِ أبطالِ
فجرَّعَ من فيه مَرارةَ أهوالِ
تردَّى ومنهُمُ مجفَّلُ أيِّ إجفالِ
هائنِ والأسرى بضبطِ وإغلالِ

٧٨ /

وهي طويلةٌ استغنيتُ عن إكمالها لما في المذكورِ من الدلالة على الباقي، وما فيها نفثةٌ فقيهه لا نفثةٌ أديب.

وَمِمَّنْ نَظَمَ فِي هَذَا الْبَابِ، وَأَتَى بِالْعَجَابِ مِنْ مَحَاسِنِ الْآدَابِ السَّيِّدُ الْجَمَالِي
عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الشَّامِي، وَذَلِكَ قَوْلُهُ مِنْ قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ الْبَاعِ فِي نَادِي الْفَصَاحَةِ
وَبِحَالِ الْإِحْسَانِ وَالْمَلَاحَةِ:

[البسيط]

يا منزلَ الحَيِّ إِنَّ الْوُزُقَ وَالْبَانَا	زَهَتْ قُدُوراً وَأَلْحَاناً وَأَلْوَانَا
وَكَلَّمَا مَرَّ مِنْ عَصْرِ الشَّبَابِ فِيهَا	بُشْرَى لَنَا أَنْ نَرْجِيَهُ وَيَلْقَانَا
وَإِنَّ طَالَعَنَا الْمَيْمُونَ غَايَتُهُ	عَيْنُ السَّلْوِ فَبِالْإِقْبَالِ آوَانَا
غَصْنٌ يَعْدُ لَهُ لَيْنُ الْقَوَامِ فَإِنْ	هَبَّ النَّسِيمُ عَلَى أَعْطَافِهِ لَنَا
شَمْسٌ إِذَا نَشَرَتْ جُنَحَ الظَّلَامِ عَلَى	صَبْحِ الْجَبِينِ رَأَيْتُ الْوَرْدَ أَوْجَانَا
يَا أَيُّهَا الصَّبُّ إِنَّ الْحَادِثَاتِ لَهَا	فِي النَّازِحِينَ تَبَارِيحاً وَأَشْجَانَا

وما زال ناظم هذه الدررِ صاحباً ذيولَ النسيبِ والتشيبِ حتى تخلَّصَ إلى
مدح الأميرِ وما تمَّ على يده من الفتوحِ والخيرِ الممنوحِ، إلى أن قال: [البسيط]

مَا لِلْمَقَاتِرَةِ الْفِيحَاءِ هَاجَ بِهَا	مَوْجُ الضَّلَالِ فَأَبَدَتْ مِنْكَ عَصِيَانَا
وَعَرَّهَا مِنْكَ بِالْجِدِّ الْمَطْوُوقِ مَا	لَا يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ الطَّرْفُ إِمْعَانَا
وَأَوْثَقْتَ أَهْلَهَا فِي عَزٍّ مَنَعَتِهَا	وَلَا يُعْزِرُ رِذَاءَ الْكِبْرِ شَيْطَانَا
حَتَّى دَعَيْتَكَ بِجَيْشٍ مَا قَصَدَتْ بِهِ	إِلَّا تَشِيدَ لِلْإِسْلَامِ أَرْكَانَا

ومنها:

إِنَّ الْمَقَاتِرَةَ الْفِيحَاءَ مَا نَظَرْتُ	كُفُوءاً سِوَاكَ وَلَا أَوْلَتْهُ إِمْكَانَا
نَشَرْتُ فِي الْقَيْضِ هَامَ الْمَارِقِينَ لَهَا	دَرّاً وَمَنْ عَلَقَ الْأَوْدَاجَ مُرْجَانَا

/ ١٧٩ / قلتُ: ولها بقيةٌ مفرغةٌ في هذا القالبِ البديعِ، والأسلوبِ الجامعِ لمحاسنِ
البيانِ الرفيعِ. ومما قاله الشيخُ الأديبُ اسماعيلُ بنُ أحمدَ بنِ قاسمِ بنِ يحيى علي

سعد الجماعي مهنتاً للأمير:

[البسيط]

لله درُّ أمير الجيشِ إنسانا ولا يزالُ لِعَيْنِ الدَّهْرِ إنسانا
به تزيَّنتِ الأيامُ وابتَهجتْ بعد التَّعبِيسِ أزماناً فأزمانا

ومنها بعد نظام بديع:

قُلْ لِلْجَهُولِ بأوصافِ الأميرِ أما أَعْنَتْ مضارِبُهُ صمّاً وعميانا
كَمْ فتكةٍ في العدى جَلَّتْ مواقعُها حتى أطاعوه إسراراً وإعلانا
وما المقاطرةُ القصورى بقاصيةٍ عن بأسِهِ بل كساها الذُّلُّ قُمصاناً
وها هي اليومَ في أبوابِ دولتهِ تُعَلِّي الأذَانَ لشكوى^[١] مُرٍّ ما كانا
مِنْ بعدِ ما كانتِ الأتراكُ تاركةً لها واخلاطُها صيداً وفرسانا

وهي طويلة: وقد قيلَ في هذا الفتحِ من الأشعارِ ما لا تُسَعِّه هذه
الصحائفُ المقصورةُ على سلوكِ جادةِ الاختصارِ، وقد أثبتُّ منها ما يدلُّ على
جسامَةِ هذا الفتحِ المستجادِ، وإنَّ الظنونَ كانتِ تحيلُ التمكنَ منه، وإبدالَ
صعوبتهِ بالانقيادِ والانخراطِ في سلكِ ما مَنَّ اللهُ به على مولانا الإمامِ من
التمكينِ والإسعادِ، وعلى مقدارِ ما كان في النفوسِ للمقاطرةِ من الصعوبةِ،
وبعدِ المنالِ، كان تأثيرُ صدى الفتحِ إعظماً له في قلوبِ الرجالِ، ولا سيما في
عَدَنَ وما جاوَزَزه، فإنَّه أذعَرَ الإفرنجَ ومَنَّ والاهم، ودكَّ من أمالِهِم بنيانها
الشامخَ وأبلاهِم، والله الحمدُ والمنةُ^[١].

وفي هذه السنة، توفي السيدُ الأجلُّ المقدمُ عليُّ بن علي السراجي^(١) بعد

(١) أحد القادة البارزين في عهد الإمام، عُين عاملاً على بلاد البُستان بعد صلح دَعَّان من
قبل الأتراك ومن ثم عينه الإمام على نفس المنطقة، له مشاركة فعالة في الوقائع إلى
جانب الإمام، انظر حياة الأمير، ٥٧٥.

[١] في زورق الحلوى: تعلی الأذان وتشكى مُرَّ ما كانا، والقصيدة وردت في زورق الحلوى في سيرة
أمير الجيش، أمير اللوا للعلامة الأديب الملقب باسم حمود الدولة.

مرضى طال، وكانت إليه عمالة بلاد البُستان، فوجه مولانا الإمام عمالة تلك الناحية إلى عهدة الشيخ عبدالله بن أحمد ناصر الرماح من مشايخها، فقام بأعمالها، وأجال نظره في متعدد أحوالها^١ وجبى أموالها، وكانت بواقى الواجبات فيها كثيرة، فاشتهر بحسن النصح والمسارة إلى الامتثال والقيام بما يؤمر بإجرائه من الأعمال. وكانت هذه العمالة قد تطلع إليها كثير من الاعوان بعد وفاة عاملها، فانصرفت إلى الشيخ المذكور، وأعرضت عن تطلع إليها من ذوي القدر المشهور لما رآه الإمام - عليه السلام / من المصلحة العامة المرجحة لتعيين المذكور وتوليته^٢.

وفيها، في أواخر شهر صفر، وصل إلى حضرة مولانا الإمام السيد علوي بن حسن الجفري^(١) أكبر أعوان سلطان لحج عبدالكريم بن فضل العبدلي^(٢)، والشيخ صالح بن سعد العبادي^(٣) من رجال السلطان المذكور ومعهم كتب من حكومة عدن مرسله معهم إلى مولانا الإمام، ومعهم واحدة من السيارات المسماة بالاتومبيل التي تسير بإيقاد البنزين فيها،^٤ وهذا البنزين نوع من زيت البترول المسمى بالقاز، الذي صار التعويل عليه في التسريح بهذه الأزمنة المتأخرة، إلا أن البنزين أرفع درجة وقوة من القاز^٥، ووصل معهم مهندس

(١) السيد علوي بن حسن الجفري: كان وزيراً لسلطان لحج، قام بدور في المفاوضات مع الإمام ت ١٣٧٥هـ / ١٩٢٥م، انظر، حياة الأمير، ٥٧١ .

(٢) عبد الكريم بن فضل بن علي بن محسن العبدلي ت ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م، سلطان لحج، منحته بريطانيا لقب سير ونشان امبراطورية الهند من الدرجة الثانية (KCIA)، ولد في الحوطة، وتولى بعد مقتل ابن عمه علي بن أحمد سنة ١٣٣٣هـ، انظر، هدية الزمن، ٢٣١، ملوك المسلمين المعاصرين، ٤١٠، الأعلام للزركلي، ٤ / ٥٤ .

(٣) صالح بن سعد بن سالم، أحد امراء لحج، كان مثل وزير للسلطنة، انظر، هدية الزمن، ٢٣٩ .

[١ - ١] سقطت من س. [٢ - ٢] سقطت من س.

هندي اسمه أحمد خان لأجل تركيب أدوات السيارة المذكورة وآلاتها، لأنها كانت محمولة على الجمال قطعاً. وهذه السيارة أرسلت لمولانا الإمام هدية^(١) من الانجليز. فلما وصل المذكورون إلى حضرة الإمام، قابلهم بكلِّ برٍّ وإكرامٍ، وأنزلهم في دار ضيافته، وكان وصول المذكورين فيما ظهر لغرضين:

الأول: ما كان من تكليف حكومة عدن بذلك.

والثاني: بيان ما عليه حال سلطان لحج من الميل إلى جانب الإمام وتمسكه بالموالاة، واستمداد جلب حسن النظر من الإمام إليه.

ولما جرى بين المذكورين وبين الإمام، الاتفاق، قدّم الشيخ صالح بن سعد من نظمه هذه القصيدة الآتية وهي:

[الطويل]

أَتَيْنَاهُ نَسْعَى مِنْ مَحَلٍّ وَمُحْرِمٍ	إلى الركن من بيت الإمامة نرتمي
صَعُوداً وَنُمْضِيهَا بِجِدِّ مَصْمَمٍ	نجاوِزٍ مِنْ شَمِّ الْجِبَالِ وَنَرْتَقِي
وَلَيْسَ طِلَابُ الْعِزِّ مَوْضِعٌ مَنْدَمٍ	تَجَشَّمْتُ لِلْعِلْيَاءِ أَصْعَبَ مَرْكَبٍ
مَتَى يَدْعُ دَاعٍ لِلتَّجَشُّمِ أَسْأَمٍ	وَلَدُّ رَحِيلِي لِلْمَعَالِي وَإِنِّي
يَنْشِطُنِي سِيرِي إِلَى خَيْرٍ مَقْدَمٍ	هَضَابٌ وَوَدْيَانٌ رَكِبْتُ صَعَابَهَا
بِتَرْجِيْعِهِ بِالْقَلْبِ طَوْرًا وَبِالْفَمِ	وَيُسْعِدُنِي حَبٌّ يَجِيئُ خَوَاطِرِي
فَإِنَّكَ مَهْمَا تُسْعَفِ الْيَوْمَ تُكْرَمِ	أَقُولُ لَغَيْثَانِ النَّجِيبِ تَجَلُّدًا
وَذَاكَ قَلِيلٌ فِي الشَّهَامَةِ فَاعْلَمْ	وَإِلَّا فَسَعِيًّا ثُمَّ جَوًّا إِلَى الْعُلَى
بِزَوْرَتِهِ حَرَّ اللَّطَى مِنْ جَهَنَّمَ	نَزُورُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِنَتَقِي
وَنُذْرِكَ لَلْأَدْوَاءِ أَفْضَلَ مَرَهْمِ	وَنَحْظِي مِنَ الدُّنْيَا بِرُؤْيَا وَجْهِهِ
وَأَبْرَزَ حُكْمَ اللَّهِ لَمْ يَتَكْتَمِ	إِمَامٌ دَعَا لِلَّهِ وَالْحَقُّ جَاهِدًا

١٨١ /

(١) انظر حول الهدية والي عدن الجنرال استيورات كتاب، هدية الزمن، ٢٧٠.

تَرَدَّى شِعَارَ الدِّينِ وَالْعِلْمِ وَالتَّقَى
 بِسْمَتِ عَلِيٍّ هَدْيِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
 لَهُ رَهْبَةٌ فِي قَلْبِ كُلِّ مَنْفِقٍ
 تُعْظُمُهُ كُلُّ الْقُلُوبِ وَتَنْطَوِي
 يَسُوسُ عِبَادَ اللَّهِ بِالدِّينِ وَالْحِجَى
 تَلِينُ لَهُ الشَّمُّ الصَّعَابُ وَتَنْتَهِي
 يَرْوِحُ بَلْقِيَاهُ الْمَوَالِي مُسَوِّدًا
 رَأَيْتُ بِلَادًا أَنْتَ سُسْتِ نِظَامَهَا
 إِمَامَ الْهُدَى جِئْنَا إِلَيْكُمْ بِرَغْبَةٍ
 لَنَا سَلَفٌ فِي حَبِّكُمْ مَتَعَمِّقُ
 وَإِنِّي لَشَيْعِيٌّ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
 وَرَثَتَ بَقَايَا مِنْ مَحَبَّةِ مَالِكٍ
 وَإِنَّ لَكُمْ فِي لِحْجِ فِرْدَاؤِ مَشَايِعًا
 يَبَادِلُكُمْ مِنْ خَالِصِ الْوَدِّ جِهْدَهُ
 وَيُؤَلِّقُكُمْ حُسْنَ النَّصِيحَةِ عَالِمًا
 فَعِظْفًا عَلَى عَبْدِ الْكَرِيمِ إِمَامِنَا
 لَهُ فِيكُمْ رَأْيٌ أَكِيدٌ بِحَبِّهِ
 وَإِنَّ لَهُ حَقًّا بِطَارِفِ وَدِّهِ
 شَهَادَةٌ حَقٌّ لَسْتُ فِيهَا بَزَائِعِ
 وَدُمْ سَيِّدِي فِي مَرْسِحِ [٢] الْعِزِّ رَافِلًا
 وَصَلَّ عَلَى خَيْرِ الْبِرَايَا مُحَمَّدٍ

/ ١٨٢

وَقَامَ بِأَمْرِ سَائِسَهُ الشَّرْعُ مُحْكَمِ
 وَسِيرٍ عَلَى خَطِّ الْوَصِيِّ الْمَكْرَمِ
 وَحُبِّ ثَوَى فِي الْقَلْبِ مِنْ كُلِّ مُسْلِمِ
 عَلَى شَغْفٍ أَكْرَمَ بِهِ مِنْ مُعْظَمِ
 وَيَهْدِي إِلَى طَرِيزٍ مِنَ الْحَقِّ مُعَلِّمِ
 بِأَفْكَارِهِ أَوْ بِنَانْتِضَا كُلِّ لَهْذِمِ
 وَيَغْدُو بِهِ الْعَاصُونَ فِي عَطْرِ مَنْشَمِ
 تُعَدُّ بِقَاكُمِ دَائِمًا خَيْرٌ مَعْنَمِ
 وَوَدٌّ سَرَى مِنْ قَبْلِ فِي اللَّحْمِ وَالْدَمِ
 وَنَحْنُ عَلَى تِلْكَ الطَّرِيقَةِ نَرْتَمِي
 أَخْفُفُ إِلَى دَاعِي الْهُدَى غَيْرَ مُرْغَمِ
 لَأَلِ عَلِيٍّ لَا لَهْنَسِدِ وَحَتَمِ
 أَبَا الْفَضْلِ ذَا وَدِّ عَرِيقِ مُسَلِّمِ
 وَيُوسِعُكُمْ فِي الْغَيْبِ شُكْرَ مُتَمِّمِ
 بِأَنَّ لَكُمْ حَقًّا عَلَى كُلِّ مُسْلِمِ
 فَإِنَّ لَهُ فِيكُمْ وِلَاءٌ مُتَمِّمِ [١]
 وَيَبِيضُ أَمَانٍ كَالطَّرَازِ الْمَسْتَهَمِ
 وَتَسَالِدُهُ مِنْ كُلِّ وَدِّ مَقْدَمِ
 وَلَا جَالِيَا قَوْلَ الْكُذُوبِ الْمَذْمَمِ
 وَبِاللُّطْفِ وَالتَّأْيِيدِ وَالنَّصْرِ تَحْتَمِي
 وَأَهْلِ الْكِسَا وَالْأَلِ كُلِّ مَكْرَمِ

[١] في ص، متمم. [٢] في س، مسرح.

قلت: وقد أثبتُّ هذه القصيدةَ كاملةً، لما فيها من البيوتِ العامرةِ، والدلالة على مرادِ هذا الوفدِ الذي كان إيضاحه قريباً.

وبعد أيام رفع الشيخُ صالحُ بنُ سعدٍ إلى مقامِ مولانا الإمامِ أبياتاً رائعةً، وقطعةً من النظمِ فائقةً، فاستحسنها مولانا الإمامُ، ولم أظفرَ بها حالَ التحريرِ، فكانَ الجوابُ عليها من الحضرةِ الشريفةِ، بما تراه، وهي من بحرِ الأصلِ ورويةً^[١]:

[الرمل]

لا وَمَنْ إن لَاحَ جَلًّا الغَيْهَبَا	أو رآه كَامِلُ النُّسْكِ صَبَا
أو تَبَدَّى بِاسْمًا عن لَوْلِيٍّ	عَلَّمَ البَرْقَ اللَّمَّوعَ الأَشْنَبَا
أو تَرَامِي فَوْقَ أَقْدَامِ له	شَافِعٌ من شَعْرِهِ قَد حُجِّبَا
وَإِذَا مَا سَلَّ من الحَاظِلِهِ	سَيْفَهَا الهِنْدِيَّ أَبْدَى عَجْبَا
أو تَنَنَّى بِقِوَامِ غَنَجِ	رَاقِصِ القَلْبِ مُجِدًّا وَسَبَا
يَتَهَادَى فِي مُلَا بَهْجَتِهِ	فِيوَدُّ الجَفْنَ لَوْ كَانَ رُبِي
أو تَجَلَّى مُسْفِرًا عن قَمَرِ	لَاحَ من مَطْلَعِهِ أَوْجَ القَبَا
وبَوَاوِ الصَّدْغِ أو عَقْرِبِهِ	وَبِخَالِ زَانَ خَدًّا مُذْهَبَا
وَبِخَمَرِ من لَمَاهِ أَسْكَرَتْ	لَمْ تَجِدْ فِي الكَرَمِ أُمًّا وَأَبَا
عُتِّقَتْ لَكِنَّهَا مَا عُتِّقَتْ	أَوْ أَتَتْ تَتَلَوُ عَلَيْنَا الحِقْبَا
مَا سَمِعْنَا مِثْلَ نَظْمِ رَائِقِ	رَوْنِقِ الحُسْنِ إِلَيْهِ انْتَسَبَا
بَهَرَتْ أَيْبَاتُهُ مَذْ سَحَرَتْ	أَيُّ سِحْرِ مِنْهُ ذُو السِحْرِ اخْتَبَا
مَائِلِ الرُّوْضِ إِذَا الرُّوْضِ هَمِي	وَأَبْلُ السُّحْبِ بِهِ انْسَكَبَا
وَأَرَانَا نُزْهَةَ الطَّرْفِ كَمَا	شَاءَهُ الطَّرْفُ جَمَالًا مُعْجَبَا
وَأَنْبَرَتْ لِلسَّمْعِ مِنْهُ نَعْمَةٌ	مَا لِشَحْرُورِ الحَمِي مِنْهَا نَبَا

١٨٣ /

[١] هذه القصيدة من بحر الرمل وقصيدة صالح بن سعد من البحر الطويل فيقتضى التنبيه لذلك.

إنه قول أمير ماجد صالح سعيد نبيه أنجبا
 مثلت فطنته ذات الذكا ذلك النور وقدت حجباً
 وأبانت صدق ما أخبره ذو الهوى فيه وجلت سبباً
 وهو من أخلاقه زاهرة غصنه يحسدها زهر الربى
 وإلى آل عبادي يمتت في سراها وترقت نسباً
 فليقل ما شاء فيه ناطق إنه بالصمت أقوى مذهباً
 يا أمير النظم وافي نظمكم ينشر الميت ويدعو للصبأ
 هزمني عاملاً أعرفه سابقاً والشيب لم يأت الحبا
 فتكلفت وغذري ظاهر إن أكن قابلتته محتسباً
 لا عدك الخير في الدهر ولا زال عنك الرشد ما هبت صبا

ولما وصل إليه هذا الجواب، وهز منه أريحية الاعجاب، تحركت منه عوامل
 الثناء والإطراب، وقد أخذت بمجامع قلبه مكارم أخلاق الإمام، وغرق من
 لطفها في بحر المحبة والغرام، فرفع إلى مولانا الإمام - عليه السلام - جواباً
 صاغه في هذا القالب النفيس وأودعه من المعاني ما هو/ جدير بالإثبات
 والتكريس وهو^[١]:

من تثنى عطفها نشر الكبا وشميم المسك أو زهر الربى
 ذات حُسنٍ لم تفارق خدرها أحجلت قلباً ترامي فصبا
 يا لقومي من جمال باهر ناضر أبصرته دون الحبا
 ما دعاني الهوى إلا الهوى فطرتي من وقت أيام الصبا
 غير أني كاتم من لوعتي كلما حركت من دهري أبي
 شرف الملوک عقد باهر فارتقى بالنظم منه منصباً

[١] سقطت من س.

من أمير المؤمنين المنتقي
 من حميد الدين مولانا الذي
 جدّد الملك بجيد باهر
 إن سمي للأمر فيه صالح
 أو تجلّي للعدى في بأسه
 أو تجلّي بالرّضا عن عبده
 كلّه خيرٌ وفضلٌ سلّ به
 يأمنُ السالكُ في أقطاره
 لا يخافُ الحيفَ والجورَ ولا
 حبذا المولى عيادا للورى
 يا إمامَ الوقتِ والعصرِ الذي
 ربّ يومٍ في هواكم أبتغي
 عِشتمو في بهجةٍ لا تنتهي
 صفوةُ الأخيارِ من أهلِ العبا
 حلّ من عليّا المعالي المنكبا
 وأعاد الدينَ نسجاً أقشبا
 قالت العلياءُ أهلاً مرحبا
 سامهمُ خسفاً بعسالِ الضبا
 فازَ بالعطفِ ونالَ المطلبا
 فعلةُ تسمعهُ عنه مُعربا
 من أقاصيها إلى أرضِ سبا
 يدركُ الخوفُ به قد طنبا
 وإماماً إن تجلّى أعتبا
 منحَ اللهُ به خيرَ الجبا
 أصعبُ الصعبِ لنفسي مَرَكبا
 وسعودِ مشرقٍ لن يغربا

١٨٥ /

قلتُ: وقد كانَ من السيّد محمد بن [علوي] ^[١] السقّاف ^(١) المكي مرافقهُ
 المذكورين في السفرِ من الحج إلى حضرة الإمام. والمذكورُ رسولٌ قادمٌ من
 الشريفِ حسين بن علي بن محمد بن عون، ومندوبٌ من طرفهِ للمراجعة فيما
 قدّم لأجلهِ الشريف ناصر بن شكر في السنة السابقة، ووصلَ ومعه كتبٌ من
 الشريفِ الحسين إلى حضرة الإمام، فلبثوا برهةً في الرّوضة حين كان الامام
 مقيماً بها.

(١) محمد بن علوي السقّاف: أحد أعضاء مجلس الشيوخ الذي شكله الشريف الحسين
 بن علي بتاريخ ٧ ذي الحجة ١٣٣٤هـ / أكتوبر ١٩١٦م، انظر: أسرار الثورة العربية
 الكبرى، ١٢٨. وورد اسمه في عمدة القارىء محمد بن أحمد السقّاف، والأول هو
 الصحيح.

[١] بياض في النسختين والإضافة من أسرار الثورة العربية لأمين سعيد، ١٢٨.

ولما قوّض مولانا الإمامُ منها خيامَ الإقامة، ارتحل المذكورون جميعاً برحيل الإمام، وأقاموا في صنعاء، ودارت بينهم وبين الإمام مراجعاتٌ، ثمّ قفل السيد علوي ورفيقه راجعين إلى لحج، وقد حمدا زمنَ الإقامة، ورأيا بأعينهما وقلوبهما ضخامةَ الإمامة، وبقي السيد محمد السقاف ملحاً في إسعافِ موله الشريف إلى مأمولِهِ، وإسعاده إلى ما طلبَهُ من توثيق العُرى، والإقبالِ إلى مقبولِهِ، فترجّح لَدُنْ مولانا الإمام - عليه السلام - انتدابُ السيد^[١] عزَّ الإسلام^[١] محمد بن محمد زبارة وإرساله إلى مكة مرافقاً للسيد محمد السقاف للمراجعة فيما يرغب فيه الشريف الحسين، وأصحابه مولانا الإمام بما اقتضاه الحال من البيان، وما ينبغي التعويلُ عليه في هذا الشأن، فتوجّه المومئ إليهما إلى تلك البقاع، وكانت طريقهما من لحج فعدن، ومن هنالك ركبا على الوابورِ إلى جدّة ومنها إلى مكة، فاستقبل مندوبُ مولانا الإمام عند وصوله أجمل استقبال، وحلّ ضيفاً لدن الشريف الحسين، وواجه هنالك رجالَ مكة ومنّ فيها من الرؤساء والعلماء . ولقد وصّفَ من تعظيمهم للإمام - عليه السلام - ما يليقُ بمثلهم من جيرانِ حرم الله ولهجتهم متحدة في الدعاء لمولانا الإمام، وبعد مكثِ المندوبِ هنالك برهة واجتماعه مراتٍ متعددة بالشريف، قفل راجعاً إلى اليمن من طريق عدن إلى أن وصل إلى حضرة الإمام، وأودّع ما حمّله من تلك الجهات من الإفادات، ورفعها إلى مسامع مُرسيله.

وقد كان مولانا الإمامُ أصحابه عند عزمه إلى تلك الأماكن المقدسة نصيحةً
 / ١٨٦ / عامةً لإخوان الدين / وهي مصدرّة بنثرٍ جاء نصّه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد حمدِ الله الذي أرسى قواعد الإسلام، وأمرَ أهله بالاجتماع،

[١ - ١] ورد في س، العلامة.

والتمسك بحبله والاعتصام به، وجعلهم شهداء على الكافة وأوطأهم من العز
بجسوتهم وأكنافه، وحثهم على معالي الأمور، وفتح بماضي عزمهم الأقطار
والثغور، وملكهم بصدق النيات غلب الرقاب، وجعلهم الحكام بالسنة
والكتاب، والصلاة والسلام على من أكمل الله به النعمة، وأرسله للعالمين رحمة،
سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله، سيد العرب والعجم وعلى آله وأصحابه عصم
الأمم منار الظلم، فهذه نصيحة جامعة قائلة بالحق إن شاء الله نافعة داعية
لإخوان الدين إلى الاجتماع والعمل بالحق والاتباع، فقد وضح السبيل واستنار
الدليل، وأكمل الله هذا الدين بما جاء في كتابه المبين، وعلى لسان رسوله
الأمين، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم
نعمتي، ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾^(١). وقال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم «ما تركت شيئاً يقرّبكم إلى الجنة إلا وقد دلّلتكم عليه، ولا شيئاً يبعدكم
عن النار إلا وقد حذرتكم منه». وإن في كتاب الله وسنة رسوله، صلى الله عليه
وآله وسلم، كفاية لمن وعى وكتاب الله ناطقٌ بوجوب الاجتماع وعدم الافتراق،
وفي أفكار ذوي الاستبصار ما يوضح المسالك لكل ذي حمية على نصر الدين
متهالك:

[المتقارب]

فما بالنا الأُمس أسدُ العرينِ وما بالنا اليوم شاء النَّجفُ
وفينا السيوفُ تسوقُ الحُتوفَ وتُفني الأُلوْفَ وتُنفي الصِّلْفُ
وفينا الرجالُ أسودُ النُّزالِ بِسُمرِ طوَالِ بها الدينُ دَفَّ

جمع الله شمل المسلمين، وإخوان الدين، ووقفنا جميعاً السلوك نهج الحق
المبين، وبصرنا طرق النجاة، وأخذ بنواصينا إلى ما فيه رضا، اللهم آمين، [١٧ وصلى
الله وسلم على محمد وآله^[١] وسلاماً على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

(١) المائة، آية، ٩٨ .

[١ - ١] سقطت من ص.

مُغْلَغَلَةٌ مَنْشُورَةٌ فِي الْمَحَافِلِ
لِمَا حَالَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَعِزَّهُمْ
إِلَى بَلَدِ اللَّهِ الْحَرَامِ تَوَجَّهَتْ
إِلَى مَنْبَعِ الْإِسْلَامِ مَجْمَعِ أَهْلِيهِ
بِأَمِّ الْقُرَى حَطَّتْ رِكَابًا وَأَنْقَذَتْ
بِأَخْوَانِ دِينِ اللَّهِ أَضْحَى هَتَافُهَا
مُحْصَنٌ جَمِيعُ الْمُسْلِمِينَ حَفِيَّةٌ
تَنَادِي بِأَسْمَاعِ الْحَجِيجِ بِجَمْعِهِمْ
وَفِي عَرَفَاتٍ مَوْقِفِ الْعُرْفِ أَضْرَمَتْ
وَعَجَّتْ وَشَقَّتْ جَيْبَ دَرَعٍ وَأَعْلَنْتْ
أَمَا أَنْ يَا قَوْمُ التَّفَاتُ لِمَا عَرَى
هَلَمُّوا أَفِيقُوا أَخُوَةَ الدِّينِ وَاحْذَرُوا
وَحَدُّ شِفَارٍ جَرَدَتْهَا يَدُ الْعُدَى
فَمَا لِي أَرَاكُمْ غَافِلِينَ وَأَنْتُمْ
أَلَا أَيْقِظُوا أَحْلَامَكُمْ وَتَنْبِهُوا
دِيَارَكُمْ وَلَا تُنْشِبَنَّ مَخَالِبَ الْـ
وَكُونُوا يَدًا عِنْدَ الشُّدَايِدِ تَرْتَقُوا
أَمِيطُوا ثِيَابَ الْعَارِ وَالْخَسْفِ عَنْكُمْ
أَيَا قَوْمُ هَبُّوا شَمُّرُوا وَتَعَاضِدُوا
كَمَا فَعَلْتُ أَصْحَابُ طِهٍ وَمَنْ تَلَا

[الطويل]

تَهِيمٌ وَتَذْرِي الدَّمَ تَهِيَامَ ثَاكِلِ
وَبَيْنَ عُيُوبِهِمْ مِنْ وَبَى التَّخَاذِلِ
إِلَى مَطْمَحِ الْأَمَالِ مَرْقَى الْوَسَائِلِ
مَلَاذِ هُمُ عِنْدَ احْتِدَامِ النُّوَازِلِ
صَوَارِخِهَا تَغْشَى صُرُومَ الْقِبَائِلِ
بِبَدْوٍ وَحُضَارٍ مَقِيمٍ وَرَاجِلِ
لِقَاصِ وَدَانٍ لَا تُصِيخُ لِعَاذِلِ
وَخَيْفٍ مَنَى عِنْدَ اذْدِحَامِ الْمَحَامِلِ
بِنَارِ حِفَاظِ مَغْلِيَاتِ الْمَرَاجِلِ
مَكْرَرَةً تَدْعُو بِصَوْتِ مَوَاصِلِ
وَإِجْمَاعِ آرَاءِ لِدَفْعِ غَوَائِلِ
دَوَاهِي دَبَّتْ بِالسَّمُومِ الْقَوَاتِلِ
لَفَرْيِ أَدِيمِ الدِّينِ تَجْرِيدِ خَائِلِ
أَوْلُو الْحَزْمِ مِنْ كَيْدِ الْعَدُوِّ الْمَاحِلِ
لَمَّا مُدَّ فِي سَاحَاتِكُمْ مِنْ حِبَائِلِ
عِدَاةٍ بِهَا تَضَحُوا فَرِيْسَةَ آكِلِ
مِنَ الْعِزِّ أَعْلَى شَاخِحَاتِ الْمَعَاقِلِ
بِنَخْوَةِ آبَاءٍ عَنِ الضَّيْمِ نَاكِلِ
وَحَوْطُوا ذِمَارُ الدِّينِ عَنْ كُلِّ مَائِلِ
هُمُ قَافِيَا آثَارِهِمْ مِنْ حَلَاكِلِ

همو فتحوا أقصى البلاد وحصنوا
 همو كسروا كسرى الملوك وقصرت
 همو ربأوا الإسلام وانتصروا له
 وشادوا له قصراً منيعاً وسوروا
 همو نشروا للدين أغلى مطارف
 همو غرسوا دوحاتيه اللات أنمرت
 همو سلف الخير الكرام وإنكم
 ولا تصبحوا فوضى ولا تتفرقوا
 أطيعوا أولي الأمر الذين أمرتموا
 تواصوا بصبر وابدلوا أنفساً زكت
 بهذا أمرتم أيها القوم فاعلموا
 وهذا كتاب الله فينا ونوره
 وسنة خير المرسلين وبحرها الـ
 تأسوا بظه أمة الرشد واعملوا
 نبي له أيدي العناية ألبست
 به نسخ الأديان أظهر دينه
 وأُمَّتُهُ قَدْ أَصْبَحَتْ خَيْرَ أُمَّةٍ
^١ فلا تهنوا ولا تحزنوا قوم ابشروا
 إليكم بني الإسلام من آلوك
 على أحمد والآل والصحب ختمها

ثغوراً تسامت عن يد المتطاول /
 يدي قيصر منهم جموع الجحافل
 بعزم وإقدام وشدة باسل
 حماه بأسياف وسمر ذوابل
 همو نسجوا أصفى برود الغلائل
 بأحلى جنى للطاعم المتناول
 لهم خلف فابنوا فخار الأوائل
 وذبوا عن الأعراض ذب المصاول
 بطاعتهم في واضحات الدلائل
 لإحياء حق أو إماتة باطل
 ولا تغفلوا فالله ليس بغافل
 وبدر هداة طالع غير آفل
 عباب تميز الورد عذب المناهل
 بقول وفعل واقتفاء شمائل
 من الله أعلى سابغات الفضائل
 وأيده بالمعجزات الفواصل
 بحكم إليه نافذ الحكم عادل
 بنصر وتأيد من الله عاجل
 شذا عرفها يزري بطيب المنادل
 أتم صلاة في الضحى والأصائل

تمت

[١ - ١] في البيت خلل عروضي ويستقيم إذا قرئ: فلا تهنوا يا قوم أو تحزنوا أبشروا.

/ ولما وَعَتَّ أَسْمَاعُ سَكَانِ بَلَدِ اللَّهِ الْحَرَامِ هَذِهِ الرِّسَالَةَ، وَقَامَتْ بِنَشْرِهَا جَرِيدَةُ الْقِبْلَةِ^(١) الَّتِي فِي مَكَّةَ، كَانَ لَهَا فِي النُّفُوسِ أَعْظَمُ تَأْثِيرٍ وَأَجْمَلُ تَعْظِيمٍ وَتَوْقِيرٍ، وَهِيَ جَدِيدَةٌ بِذَلِكَ، فَقَدْ أُودِعَتْ مِنَ النَّصَائِحِ وَالتَّذَكِيرِ مَا يَلِينُ مِنْهُ صَمُّ الْجَلَامِيدِ فَضلاً عَنِ الْقُلُوبِ، وَأُبْرَزَتْ مِنْ أَسَالِيْبِ الْفَصَاحَةِ وَالبَلَاغَةِ أْبَدَعُ أَسْلُوبٍ، وَلِذَلِكَ انْبَرَى الشَّيْخُ فُوَادُ الْخَطِيبِ^(٢)، وَكَيْلٌ خَارِجِيَّةٍ حُكُومَةٍ الْحِجَازِ لِلْجَوَابِ عَلَيْهَا، وَالْجَوَابُ الْمَذْكُورُ بِمَكَانٍ مِنَ الْإِبْدَاعِ وَدَرَجَةٍ رَفِيعَةٍ مِنْ حَسَنِ الْأَسْمَاعِ وَإِهْدَاءِ النَّافِعِ إِلَى الْأَسْمَاعِ، وَهُوَ مَا تَرَاهُ مَرْسُوماً وَبَأَنَامِلِ الرَّغْبَةِ مَرْقُوماً:

(١) جريدة القبلة: جريدة الثورة العربية الكبرى، صدرت سنة ١٥ شوال ١٣٣٤هـ، رئيس تحريرها فؤاد الخطيب.

(٢) هو فؤاد بن حسن بن يوسف الخطيب ت ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م، ولد في دمشق في قرية شحيم قرب بيروت سنة ١٢٩٦هـ / ١٨٧٩م، ودرس في الجامعة الأميركية ١٩٠٤، عمل مدرساً في المدرسة الأرثوذكسية في يافا، ثم كلية غوردن بالخرطوم، انضم للثورة العربية الكبرى ١٩١٦، وتولى تحرير جريدة القبلة، وكان وكيل الخارجية للشريف حسين بن علي، حضر مؤتمر فرساي مع الشريف فيصل وسمي أميناً للشؤون الخارجية في القصر الملكي بدمشق ١٩١٩م، واستدعي إلى مكة وكيلاً للخارجية، وبعد سنة ١٩٢٤، أصبح مستشاراً للملك عبد الله بلقب باشا حتى ١٩٣٩م ومن ثم التحق بالعاقل السعودي عبد العزيز بن عبد الرحمن، حيث عينه وزيراً مفوضاً في أفغانستان من ١٩٤٧م، له العديد من المؤلفات والدواوين الشعرية انظر، مجلة المجمع العلمي العربي، ٣٢ / ٥٤٢-٥٤٤، ديوان الخطيب ١٩٥٩م، آداب العصر، ٢١١، الأعلام للزركلي، ١٦٠ / ٥.

[الطويل]

مُعَلَّغَلَةً لَيْسَتْ تَصِيحُ لِعَاذِلِ
مَحَبَّرَةً أَزْرَتْ بِشِي الْخَمَائِلِ
كَنْفَحَةَ إِسْرَافِيلَ مَيْتِ الْأَوَائِلِ
لِصَوْتِكَ أَجْيَالُ الْمَدَى الْمُتَطَاوِلِ
هَوَتْ فَسَمَتْ فَوْقَ الدُّرَى وَالْمَعَاوِلِ
بِأَبْيَضٍ بَتَّارٍ وَأَسْمَرَ ذَابِلِ
مِنَ الْأَرْضِ فِي لَيْلٍ مِنَ الْغَيِّ لِائِلِ
وَفِي الْبَرِّ مِنْ أَبْطَالِهَا كُلِّ بَاسِلِ
وَلَسْتَ عَنِ الدَّاءِ الدَّفِينِ بَغَافِلِ
وَمِثْلُكَ مَنْ يَقْتَصُّ مِنْ كُلِّ بَاطِلِ
لَأَعْرُقُ مَا فِي آلِهِ مِنْ شَمَائِلِ
عَلَى النَّسَبِ الْوَضَّاحِ غُرُّ الدَّلَائِلِ
وَمَا امْتَدَّ فِي أَرْجَائِهَا مِنْ حَبَائِلِ
وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا غَيْرُ كَفِّهِ حَابِلِ
مُسَيْلِمَةٌ يُجْتَثُّهَا بِالتَّخَاذِلِ
فَمَا هُوَ إِلَّا فِي يَدِ الْمُتَنَاوِلِ
إِذَا انْطَوَّتِ الْأَعْلَامُ غَلَّةَ ثَاكِلِ
وَيَقْضِ عَلَيْنَا مُعْنَا فِي الْمُقَاتِلِ
إِذَا اتَّحَدَتْ وَاسْتَمْسَكَتْ بِالْوَسَائِلِ
إِذَا اجْتَمَعَتْ أَشْتَاتُ تَلِكِ الْقَبَائِلِ

دَعَوَتْ وَقَدْ أَسْمَعْتَ يَا خَيْرَ قَائِلِ
نَسَجَتْ لَهَا مِنْ وَشَى صَنْعَاءَ بُرْدَةٍ
وَمَا هِيَ إِلَّا صَرْفَةٌ مِنْكَ أَنْشُرَتْ
أَهَبْتَ بِهِمْ مِنْ سُدْفَةِ الْغَيْبِ فَاَنْطَوَتْ
فِي ابْنِ الَّذِي هَزَّ الْجَزِيرَةَ بَعْدَمَا
وَمَدَّتْ عَلَى كَسْرَى وَقِيصَرَ ظَلُّهَا
وَكَانَتْ مَنَارَ الْعِلْمِ فِي كُلِّ بَقْعَةٍ
وَفِي الْبَحْرِ مِنْ أَسْطُورِهَا كُلِّ سَابِحِ
غَضِبْتَ لِدِينِ اللَّهِ غَضِبَةً صَادِقِ
وَمِثْلُكَ يَا فِرْعَانَ النَّبُوَّةِ لِلْهُدَى
شَمَائِلُ كَانَتْ فِي أَبِيكَ وَإِنَّمَا
دَلَائِلُ تَغْزُوهُمْ إِلَيْهِ وَحَسْبُهُمْ
كَفَى حُزْنَاً مَا بِالْجَزِيرَةِ مِنْ جَوَى
تَخْوَمُ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَحْبَةً
أَيَنْجُمُ مِنْهَا يَوْمَ شَدِّ صَلَاتِهَا
لِئِنْ نَالَ مِنْهَا مَعْنَاً كَانَ مَغْرَمًا
بَنِي عَمَّنَا هِيَهَاتَ تَبْرُدُ عَبْرَةً
بَنِي عَمَّنَا مَنْ يَرْمِكُمْ يَرْمِنَا مَعًا
بَنِي عَمَّنَا مَا أَرْهَبَ الْعُرْبَ دَوْلَةً
بَنِي عَمَّنَا مَا أَيْسَرَ الْمَجْدَ مَطْلَبًا

١٩٠ /

بني عمنا لا بارك الله بالذي
 فويح الذي يستنصر البغي مُسْرِفاً
 حذارٍ فما للعود غيرٍ لحائه
 وقفَتْ بَجْرَعَاءِ الجزيرة مُطْرِقاً
 طوائفُ في طولِ البلادِ وعرضِها
 فقلتُ وللتاريخِ صيحةٌ زاجرُ
 أكارثةٍ مرَّتْ فكُرَّتْ مُعْجِرةٌ
 عفا اللهُ عن ماضٍ من الخُلفِ غابِرِ
 تصافحَ فيه المخلصونَ وشمَّرتْ
^{١١} كأنك بالجرْدِ العتاقِ تلاحقتْ
 وبالعلمِ فياضٍ وبالمُلكِ باذخِ
 وبالعربِ كالبيانِ تُندقُ دونهمُ

انتهى ما سردهُ المجيبُ، وقد أجاد وأفاد، ودخل من بابِ الجزالةِ وحسنِ
 الفخامةِ إلى غُرفِ القولِ المُستجَادِ، وقد تركتُ من القصيدةِ أربعةَ أبياتٍ، لم
 تكنْ على الشرطِ، فاهمَلْتُها من الإثباتِ.

وفي هذا الجوابِ دلالةٌ على ما يسعى إليه الشريفُ حسين وأعوأنه من
 الاتحادِ بينَ طوائفِ العربِ، على أن يكونَ توحيدُ كلمتهم في الأمورِ الخارجيةِ،
 وتبقى كلُّ طائفةٍ مستقلةً بأمورها الداخليَّةِ، ولكنهم بينا هم يسعونَ نحوَ هذا
 المقصدِ نجدُهم / قد أهملوا الوسائطَ الموصلةَ إليه، فهم يمدُّون أيديهم إلى
 مولانا الإمام، ويعرضون عمَّن يجاورهم في الحجازِ، وكيف يقبلُ إلى ذلك مَنْ

عَرَفَ أَنَّ الْحِجَازَ لَمْ يَنْتَظِمْ أَمْرُهُ وَالتَّعَادِي بَيْنَ سَكَانِهِ بَاقٍ عَلَى حَالِهِ، نَسَأَلَ اللَّهَ تَعَالَى لِلْمُسْلِمِينَ تَوْفِيقًا يُوَصِّلُهُمْ إِلَى التَّمَكُّنِ مِنْ إِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ، وَيُدْفَعُ عَنْهُمْ صَوْلَةَ أَعْدَائِهِمْ وَهُمْ أَعْدَاءُ. ^١ وَقَدْ فَاتَ عَلَى جَامِعِ هَذِهِ السُّطُورِ أَنْ يذَكَرَ مَا رُفِعَ إِلَى مَوْلَانَا الْإِمَامِ عِنْدَ وَصُولِ الْوَفْدِ وَمَنْدُوبِ الشَّرِيفِ إِلَى الْحَضْرَةِ الشَّرِيفَةِ، وَكَانَ الظَّفَرُ حَالِ تَحْرِيرِ هَذَا بِقَصِيدَةٍ لِلأَخِ الْأَدِيبِ الْقَاضِي مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ مَطْهَرٍ ^(١)، بَلِغَةٍ فِي بَابِهَا، جَدِيدَةٍ بِدُخُولِ شَبَحِ الْإِثْبَاتِ إِلَى مَحْرَابِهَا، وَمَطْلَعُهَا:

نَادَتْ عَلَى خَوْفٍ مِنَ الرُّقَبَاءِ هَيْفَاءً تَخْطُرُ فِي بُرُودِ حَيَاءِ

ومنها، بعد أن سَرَدَ النَّاظِمُ مِنَ النِّسَبِ مَا يُبْهِرُ اللَّيِّبَ، وَمِنَ الْمَدِيحِ مَا يَجِيرُ الْفَصِيحَ فِي صَدِيدِ ذِكْرِ الْوَفْدِ:

[الكامل]

جاءوا إلى المولى الإمام عمادنا	حامي الأنام وملجأ الضعفاء
يبغون عقداً تسالم بتلطف	يتطلبون رضاه بالسفراء
لا غرو إن خضعت كل الورى	حتى علا شأواً على العواء
فله على الإسلام أعظم منية	لما حماه بعزيمة ومضاء
والله لولا سعيه وجهاده	لم يبق للإسلام من نصراء
ولأصبح الدين الحنيف بغربة	ولقام كل الخلف في الرؤساء
وتفرقوا فرقا فكل قبيلة	مع غيرها في غارة شعواء
فبفضل مولانا الإمام وسعيه	لم يبق شرقت في الأنحاء
فالأمم فينا ضارب أطنابه	والدين في شرف مع استعلاء
ولقد أعاد له قديم فخاره	وأقام للإسلام خير لواء

(١) محمد بن أحمد بن عبد الله مطهر ترمضان ١٣٨٦ هـ، شقيق مؤرخنا، أديب شاعر، ناقد لاذع، كان يجيد العثمانية، عمل كاتباً في ديوان الإمام، وكان خفيف الروح، مليح النادرة، ولد بصنعاء ١٣٠٦ انظر، هجر العلم، ٤٤١ .

[١ - ١] من عبارة: «وقد فات على جامع هذه السطور حتى عبارة ومن باب الوفاة ولجوا» سقطت من س. ي في الصفحة التالية.

فاليومَ رايتهُ على وجهِ البسيطةِ
ولقد غدا الإسلامُ في شرفٍ على
خابت مساعي الكُفْر لما شاهدوا
وتزعزعتْ أركانُ كلِّ ضلالةٍ
واختلتِ الأحوالُ فيهم بعدما
وقفوا إزاءَ فعالِه في حيرةٍ
إنَّ السعيدَ بعصرنا مَنْ كانَ في
أرضٍ وقاها اللهُ شرَّ عداَتِه
في حالٍ ضعفِ المسلمين بأرضِهِمْ
ولقد دها الإسلامَ من أعدائِهِ
لولا أيادِ للإمامِ تداركتْ
وتتابعَتْ حيلٌ لهم بديارنا
فالحمدُ لله الذي قد حاطنا
والشُّكرُ حقٌّ للإمامِ على الورى
فاللهُ أوجدهُ لِنُصرةِ دينِهِ
ولقد حوى كلَّ البلادِ وحاطها
حتى غدا عصرُ الفخارِ زمانُهُ
يتلونَ أدعيةً بطولِ بقائه
والكلُّ في نِعَمٍ وسَعْدٍ دائمٍ
لا زالَ في نصرٍ وشأوِ سعادةٍ

رايةَ الإسلامِ والعلياءِ
رغمِ الكفورِ ومُدَّعي الشركاءِ
سعيَ الإمامِ علا على الحكماءِ
لهمو بسيفِ صادقِ الأئمءِ
كانوا زُهاةَ الناسِ في الغبراءِ
يخشونَ بطشهُ بيومِ لقاءِ
ظلَّ الإمامِ وأرضِهِ العَصماءِ
فتطهَّرتْ مِنْهُمْ بدونِ مرءِ
في الشامِ والأناضولِ والشهباءِ
خطبُ وراموا هدمَ كلِّ بناءِ
أرضاً لنا كُنَّا بحالِ عناءِ
مثلُ الذي أجرؤهُ باللقاءِ
وديَارنا بالذِّكرِ والقُرناءِ
إذ ذادَ عنَّا ضرَّ كلِّ بلاءِ
وحمايةَ الآباءِ والأبناءِ
من شرِّ كلِّ مثلثِ الإغواءِ
فالكلُّ في أمنٍ وفضلِ رخاءِ
فبفضلهِ أمِنُوا من الضراءِ
والقطرُ منه مُعطرُ الأرجاءِ
وسيادةٍ وكراميةٍ وهناءِ

ولَعَمْرِي، لقد أجادَ الناظمُ فيما قال، ومدحَ مولانا الإمامَ مدحاً أفصحَ عن حقائقِ الأحوالِ، ولم يعرِّجْ على كُتبانِ تلكِ الجُمَلِ التي قد ملَّتها الأسماعُ، وما هنالك من الأكامِ والتلالِ، بل أبانَ خبايا الحقيقةِ، على أجملِ أسلوبٍ، وأحسنِ طريقةٍ، ولقد صدَّقَ، فلولا منَّ اللهُ على العبادِ بشوكةِ مولانا الإمامِ لتمنى الأحياءُ أنهم قد درجوا، وانقضتْ أيامُهُم، ومن بابِ الوفاةِ ولجوا^[١].

/ وفيها تحركٌ بعضُ الأجعودِ المتصلينَ بمنْ ورائهم من البلادِ الخارجةِ عن / ١٩٣
الطاعةِ للخلافِ ومباينةِ طريقِ الحقِّ والإنصافِ، وأعانهم الشيخُ محمدُ بنُ صالحِ القُطَيْبي وغيره شايِف بن نصر المخذول، وقد كانَ من مولانا الإمامِ متابعاً إرسالِ الجنودِ إلى الأميرِ سيدي^[١] يحيى بن محمد بن عباس قبلَ هذا الحادثِ من النظامِ وغيرهم، وإرسالهم من طرفِ الأميرِ إلى عاملِ الضالعِ مع غيرهم من خولانٍ وسواهم، وفيهم من أبطالِ الجهادِ جماعةٌ. كالنقيبِ قايد بن راجحِ الخولاني والشيخِ علي بن مصلحِ العبدي وجماعتهما، وتجمَعُ المخالفون وغيرهم من البغاةِ إلى جبلِ ودنة^(١)، وهو حصنٌ منيعٌ وانتشروا في جهاته.

واستقرتْ محطةُ المجاهدينِ وأنصارِ الحقِّ في بلادِ البكري، ورتبوا تلكِ الأطرافَ مثلَ جبلِ الخضراءِ^(٢)، ولما تكاثفَ جمعُ البغاةِ، قَصَدُوا جبلَ الخضراءِ، واغتيالَ من فيه من المجاهدينِ، وقتَ صلاةِ الجمعةِ، وكان فيه ثلثةٌ من النظامِ ومعهم أحدُ المدافعِ، فشعروا بالأعداءِ، وجرى بينهم وبينَ الأعداءِ حربٌ

(١) جبل ودنة: جبل في ردفان يسكنه من قبائل ردفان من السناني، أهل مثنى حسن وبيت مطهر حسين من العطافي وبيت حسين عبد القادر من الحافي انظر، تاريخ القبائل اليمانية، ١٦١ .

(٢) جبل الخضراء: عَزَلَةٌ من حُبَيْشِ وأعمالِ إب يطل على السباني من الشرق، انظر، اليمن الكبرى، ٤٤، معالم الآثار، ٦٢، ٨٩، معجم المقحفي، ٢١٩ .

[١] في س، سيدي العماد.

شديداً، أسفرَ عن انهزامِ البُغاةِ ورجوعهم خائبين بعد أن أثخنَ فيهم
المجاهدون، وقتلوا منهم جمعاً كثيراً، لأنهم غامروا بأنفسهم، وظنوا أنهم
سيصيبون من المجاهدين غزوةً بقصدِهم في ذلك الوقتِ، ورمى المجاهدون
بالمدفعِ إحدى نُوبِ جبلِ ودنه فهدموها، فكانت هذه الواقعةُ عليهم لاهم،
ومكّن اللهُ المجاهدين منهم، فعادوا بالصفقةِ الخاسرةِ والسَّلعةِ البائرةِ.

وبعدَ ستّةِ أيامٍ من تاريخِ الوقعةِ الأولى أرادَ البُغاةُ قصدَ جبلِ الرديفِ^(١)،
وهو متّصلٌ بالمحطةِ، وكان مرتباً بعصابةٍ من خولانٍ، فتقدّموا إلى الجبلِ
المذكورِ، وشرعوا في ارتقائه، فصدّتهم الرتبةُ عن الاستمرارِ في طلوعِ الجبلِ
بحربٍ شديدٍ، وأمدهم من في المحطةِ ببلوكٍ من النظامِ، فحميَ وطيسُ الحربِ
وتدانى الفريقانِ، واشتدَّ الطعانُ، فانهزمَ الأعداءُ راجعين على أعقابهم بعد
سقوطِ كثيرٍ منهم قتلى وجرحى، واستشهدَ من النظامِ واحدٌ منهم، وذلك من
عنايةِ اللهِ بالمجاهدين، ووقايتهِ لهم من صداماتِ المعاندين.

وبعدَ برهةٍ يسيرةٍ أمرَ المقدّمِيُّ، وهو عاملُ الضالعِ، جنودَ الحقِّ بالتقدّمِ
على / جبلِ حقلة^(٢)، وفيه جمعٌ من أهلِ الخلافِ، فقصدَه المجاهدون من النظامِ
وأصحابِ النقيبِ قايد بن راجحِ الخولاني ليلاً، وارتقوا إليه وعندَ اقترابهم من
مراتبِ البُغاةِ، شعروا بهم وبأدروا إليهم بالحربِ، فاستمرَّ العراكُ بينَ الفريقينِ
إلى أن طلَعَ الفجرُ، والحربُ في اشتدادِ، والمجاهدون مستمرّون على الارتقاءِ كلّما
عنّتْ لهم الفرصةُ، وبعدَ الفجرِ أجمعَ رأيُ عرفاءِ المجاهدين وضباطِ النظامِ على

(١) جبل الرديف: متصل بجبل الخضراء، يسكنه أهل أحمد سريع من فروع الأصحفي من

قبائل ردفان في الجنوب، انظر تاريخ القبائل البيانية، ١٥٦ .

(٢) جبل حقلة: المقصود حقل .

المهجوم، فأقدموا على البُغاة إقدامَ مَنْ لا يخافُ الموتَ، ولا يُبالي بالفوتِ، وضايقوا مَنْ فيه، فاضطّروا إلى الفرارِ، وولوا الأدبارِ، واستولى الأنصارُ على ذرورةِ الجبلِ ورثبوه ببلوك من النظام.

ولما تمّ للمجاهدين المراءُ من المواقع الحائلةِ بينهم وبين الاستيلاءِ على جبلِ ودنه، وهو المقصودُ وعليه معوّلُ الباغين، أمرهم عاملُ الضالعِ بالاستعدادِ للاستيلاءِ عليه وأخذِه، وقصدَهُمْ له من جميع جهاته. ووصلَ في تلك الحالِ إلى جميع مَنْ في المحطةِ من أميرٍ ومأمورٍ خطابٌ من مولانا الإمامِ يحثُّ الجميعَ على القدومِ إلى ودنه، وأخذِه عنوةً وشحدَ الإمامُ عزائمهم على الإقدامِ بدونِ تريثٍ وإحجام، وذكرَهُمْ بنصرِ اللهِ الذي مكّنَ المجاهدينَ مِنَ الاستيلاءِ عنوةً على قلعةِ المقاطرةِ، وأنَّ ودنةَ ليس بأمنعَ منها، ولا المجاهدون هنالك بأرغبَ منهم في ابتغاءِ ما أعدَّ اللهُ للمجاهدينَ من الأجرِ والثوابِ، فكان هذا الخطابُ فاتحةَ النصرِ للمجاهدينَ، فإتهم قوَّوا عزائمهم على الاستيلاءِ والصعودِ إلى الجبلِ المذكورِ، وأجمع رأيهم على تعذُّرِ الارتقاءِ إليه نهراً، وترجيحِ قصده ليلاً من ثلاثِ جهاتٍ، فمن الجهةِ الشرقيةِ يكونُ النقيبُ قايد راجح وأصحابه، ومن جهةِ الجنوبِ الشيخُ عليُّ بنُ مصلح العبدي وأصحابه بنوعبد، وحاشدُ من جهةِ الشمالِ، والنظامُ فوقَ العبديينَ، وتقدّموا على الجبلِ المذكورِ في ليلةِ الجمعةِ، تاسعَ عشرَ شهرِ جمادى الآخرةِ من هذه السنةِ، وعوّنُ اللهُ يُرافقَهُمْ، ووقايتهُ تسابقُهُمْ، واشتدَّت الحربُ بينهم وبين الأعداءِ من ثلثِ الليلِ إلى الثلثِ الأخيرِ، وأعان اللهُ الأنصارَ على النهوضِ إلى أعلى الجبلِ والاستيلاءِ / عليه وطردِ المخالفينَ بعدَ مصادمةٍ شديدةٍ وجلادٍ عنيفٍ ومصابِ الأعداءِ / ١٩٥
بكثيرٍ من القتلى والجرحى، وسلامةِ المجاهدينَ، إلا عدداً يسيراً منهم رزقهم

الشهادة، وأنالهم بذلك درجة السعادة.

وفي صباح ذلك اليوم وما بعده، انبثَّ المجاهدون فيما جاوزَ ذلك الجبلَ من المحلّاتِ، وقد فرَّ البغاةُ منها، وتركوها خاليةً خاويةً، فاستولوا على غنائم كثيرةٍ، وأحرقوا بعضَ البيوتِ، ورَتَّبَ المجاهدونَ جبلَ ودنةً، وقد فازوا بها راموه بحولِ اللهِ ومَنِّهِ، ولَمَاتِ انقشَعَ المخالفونَ من تلك الأطرافِ تجمَّعوا إلى جبلِ رَدْفَانٍ، وتكاثرتْ هنالك جموعُهُم، ووصلتْ إليهم الامدادُ مِنَ النَّصَارَى، فأرادوا الانتقامَ من المجاهدين، وأجمعوا أمرَهُم على قصدِ جبلِ حقلَةَ بعدَ أن فرَّقوا طوائفَ منهم على سائرِ مراتبِ المجاهدين وعلى المحطَّةِ ليصدُّوهم عن الغارةِ والامدادِ لمن في جبلِ حقلَةَ، وكانت عدةُ القاصدينَ لجبلِ حقلَةَ نحواً من ثمانِ مئةٍ مقاتلٍ فقصدوه ليلاً، وارتقوه إلى أن قاربوا مراتبِ الحريسِ، وشعرَ بهم جندُ الإمامِ، فقابلوهم بالحربِ وهُم مستمرُّون على هجومهم، والمجاهدون يُدافعون عن أنفسهم مدافعةَ الأبطالِ، إلى أن اختلطَ الرِّجالُ بالرجالِ، واشتدَّ النَّزالُ، ولم يصلِ إليهم المددُ، فاستشهدَ في تلك الليلةِ ثمانيةٌ من النظامِ، واستولى الأعداءُ على بعضِ المراتبِ، وانحازَ الباقونَ إلى مكانٍ قد أعدَّوه لهم، ومنعوا الأعداءَ من الوصولِ إليه فحاصروهم فيه.

ومعَ هذا، فقد كانَ القتلُ في الأعداءِ كثيراً في تلك الليلةِ، فإنه بلغَ عددُ قتلهم إلى الأربعينِ، فيهم من رؤسائهم وأشرارهم جماعةً، ومكثَ المجاهدونَ في الحصارِ إلى قريبِ نصفِ النهارِ من ذلك اليومِ، فتمكَّنَ أميرُ المحطَّةِ من إرسالِ المددِ إليهم ورمي الأعداءِ بالمدفعِ، وحينَ أحسَّ المحصُّورونَ بوصولِ المددِ إليهم، خرجوا من أماكنِ حصارِهِم وهاجموا الباغينَ، فوقَّعوا بينَ نارينَ، وانهمزوا هزيمةً فاضحةً، تاركينَ لقتلهم وجرحاهم وركنوا إلى الفرارِ، فكانتْ

هذه الواقعة مشتملة على نصر الله للمجاهدين، وتبديد المعاندين، وإدخال
اليأس في قلوبهم من زحزحة الجند الإمامي عند مواقعهم ومراتبهم، وقد فت
في أعضادهم كثرة قتلاهم وجرحاهم وتشتيت/ شملهم، وتوالي الهزائم عليهم، / ١٩٦
ولكنهم عادوا إلى ردفان واستمروا على العصيان وموالاته الشيطان، وصادف في
ذلك الحين فراز بعض النظام مملأ من طول الإقامة في المراتب، ووقف
الفريقان عن الحرب، ووالى أمير الجيش سيدي عماد الدين إرسال الأمداد إلى
المجاهدين بأهل الشعر وعمار إلى نحو ألف رام، ولم يتمكن الأنصار من
التقدم إلى جبل ردفان ومناجزة من فيه من الأعداء اللئام، فرأى الأمير عماد
الدين أن الصواب وصوله بالذات وحضوره لإكمال الأعمال على ما يوافق مراد
باري البريات، فتوجه إلى الضالع. بجمع وفير من أبطال المجاهدين وأهل
الثبات، ومنه تقدم بمجموعه إلى محطة المجاهدين، وانضم إلى من فيها بمن
معه من الرجال، ورثب الأمور، وأزال موجبات التوقف عند مناجزة ذوي
البغي والفجور، وراسل البغاة إعداراً وإنذاراً، وخوفهم عاقبة ما استمروا عليه
عناداً وإصراراً واستناداً إلى مدد الكافرين واغتراراً، فلم يرجعوا عن غيهم،
وتمادوا على ضلالهم، وبغيهم، وعول على القدوم ومباداتهم بالهجوم، فقسّم
المجاهدين إلى كتائب بحسب ما اقتضاه الحال، ونهض إلى جبل ردفان،
مستمداً لإعانة ذي الجلال، فجرت بين الأنصار وبين الأعداء حروب
ونخطوب، أسفرت عن إحراز أنصار الحق علام الغيوب. ومصاب الأعداء
بأمر الكروب، واستظهار المجاهدين عليهم واستيلائهم على جبل ردفان وطرد
الأعداء منه، وانهمزاهم إلى ما وراءه من الخبوت والفيافي، وقد ضاق بهم الحال،
وعجزوا عن التلاقي وفر محمد صالح القطيبي فيمن فر، ولم يبق له مستقر،

واستولى المجاهدون على ما جمعوه، ونزل بهم من البلاء ما لم يعرفوه.

ولما علمَ الأميرُ بما صاروا إليه من الكروب وتجرعوه من الخطوبِ، وأنهم قرعوا سنَّ الندامة، وأصبحوا يتمنونَ الولوجَ إلى بابِ السلامةِ، شرعَ الأميرُ في مُراسلتِهِم وترغيبِ محمد صالح القطيبي، للدخولِ في الطاعة، فوجدوا بذلك نسيمةَ الفرجِ والخلاصِ مما ضاقوا به ذرعاً من الحرجِ، فأقبلوا إلى الطاعةِ مهرولين، وإلى أوطانِهِم مسرعين، وبذلوا ما طلبَ منهم من الرهائنِ ووثائقِ الطاعةِ، وانقادوا، فزالَتْ عنهم الأتراح، وأمنوا من نوائبِ الكفاح، ووصلَ الشيخُ محمد صالح القطيبي، إلى مقامِ الأميرِ، وقوبلَ بالتكريمِ والاحترامِ، ورتَّبَ الأميرُ جبلَ رَدْفَانَ وأصلحَ الأحوالِ، وقَلَعَ جذورَ الضلالِ، وعادَ إلى الضالِّعِ محفوفاً بإسعادِ الربِّ الصانع، وقد هابَهُ القريبُ والبعيدُ، واعترى سكانَ تلكِ الأطرافِ الخارجةِ عن الطاعةِ مزيدُ الخوفِ الشديدِ، وصارتْ غايةَ أمانِهِم الظفرَ بالسلامةِ من معرَّةِ الجنودِ الأماميةِ، والنجاةِ من أهوالِ الحروبِ ونوائبِ الخطوبِ، ولو تقدَّم المجاهدون على أئبنِ لأجأوا أهلها إلى الطاعةِ، ولكنم توقَّفوا عن التوغُّلِ لما وصلَ إليهم من الأوامرِ الإماميةِ الناهيةِ عن التوغُّلِ والقاضيةِ بلزومِ التوقُّفِ لما يراه مولانا الإمامُ من المصلحةِ العامة، ودفعِ المفسادِ الجالبةِ لكلِّ طاقة، وانقضتْ هذه الحركاتُ الجهاديةُ في تلكِ الجهاتِ، ومُحِيًّا أصباحِها مُسْفِرًّا عن فنونِ الصِّلاحِ، وإعزازِ دينِ الله تعالى، وذلك بمنِّ الواهبِ المنّاحِ.

وفي أوائلِ هذه السنةِ والى السيدِ الجليلِ عليِّ بنِ محمد الشامي عاملِ رِيْمَةَ، نيابةً عن أبيه إلحاحَهُ على مولانا الإمامِ بطلبِ الإذنِ له بالعودِ إلى وطنِهِ، واللَّحوقِ بأبيه إلى مُسْتَقَرِّ سَكْنِهِ، معتذراً بطولِ مدةِ الغيبةِ، وتكاثُرِ الأعمالِ

وفنونها الغربية من جهادٍ وجبايةٍ، ونظرٍ في أحوالِ الرعية بالرعاية، وتكاثُرِ المحاطِ، فأسعدهُ الإمامُ إلى المرادِ، وأذنَّ له بالوصولِ واقتضى رأيي مولانا الإمام في هذه الأيامِ إناطةَ أعمالِ قضاءِ رِيْمَةَ جميعها إلى نظرِ القاضي أحمدَ بنِ أحمد الجرافي مضافةً إلى ما بيدهِ من أعمالِ الجهةِ الأنسيةِ، وراعى مولانا الإمامُ في ذلك نقطةَ الإصلاحِ، لأنَّ أكثرَ المجاهدين في تلك الظروفِ الموجودين في جبلِ رِيْمَةَ من سكانِ الجهةِ الأنسيةِ، وهم يتعاقبون في القيامِ بالمرابطةِ والجهادِ فريقاً بعدَ فريقٍ على قاعدةِ مُحْكَمَةٍ في التداوُلِ والمناوِبةِ وحسنِ المعاقبةِ، وكثيراً ما جرى الاختلافُ في شأنِ الجوامِكِ^(١) المستحقَّةِ لهم بينَ العاملينِ.

ومع هذا فقد جُرِّبَتْ كفاءةُ القاضي الصفيِّ أحمدَ الجرافي في القيامِ بالأعمالِ،/ على أسلوبٍ من الورعِ مستحسنٍ، ونهجٍ من التحريِّ والإصلاحِ / ١٩٨
واضحِ السُننِ، فأمره الإمامُ - عليه السلام - بالعزمِ إلى تلك الجهاتِ وإصلاحِ أحوالها، وتنظيمِ أمورِ جباياتها فتلكاً عن الإسعادِ معتذراً عن ذلك باشتغاله بأعمالِ الجهةِ الأنسيةِ وجسامتها، واحتياجِ قضاءِ رِيْمَةَ إلى مَنْ يقومُ بأعمالِ الجهاديةِ وغيرها على جهةِ الانفرادِ، وطالتُ بينه وبين الإمامِ في ذلك المراجعةُ، ولمْ تنفَعه الأعداءُ، ولا قوبلتُ بالقبولِ والالتفاتِ السارِ، ولمْ يجدْ بُدأً من الامتثالِ، فعرضَ على مولانا الإمامِ ما يحتاجُ إليه من الأعوانِ على ما كلَّفَ به من الأمورِ، وما يراه مقدِّمةً لعزمه إلى ذلك القضاءِ، وإصلاحِ ما به من الثُّغورِ، فأسعده الإمامُ - عليه السلام - إلى ما أرادَ، وصدرَ الأمرُ الشريفُ بتوجيهِ عمالةِ ناحيةِ كُسمَةَ إلى السيدِ الوجيهِ عبدِ الكريمِ بنِ إسماعيلَ من بني^[١] شمس الدين، أهلِ كوكبانَ وشبامَ، وتوجيهِ عمالةِ بلادِ الطعامِ إلى عهدةِ الشيخِ المقدمِ عليِّ بنِ عمرِ المقدادِ مع الرياسةِ على مَنْ في تلك الجهةِ من الأجنادِ، واناطةِ

(١) الجوامِك: المخصصات أو المرتبات من الأموال.

[١] في س، آل.

تدبير أعمال الجهاد إليه. وكان الحرب بين جنود الإمام وأعدائهم الضالّ الإدريسي الموجودين في أطراف بُرع، وبلاد الطّعام مستمرة، والمناوشة بين المراتب مستطيلة على الدوام، وفي كلّ حين، وبين أجناد الحقّ وبين الطغام وقعة والحرب سجال، ولكنّ أكثر الوقائع فيها النصر لجنود الإمام، فلذلك اقتضى الرأي الشريف أفراد تلك الجهة بعامل ليمكن من إصلاحها، وإزالة فسادها، وعيّن مولانا الإمام الشيخ علي عمر المذكور.

وتوجّه العمال المذكورون جميعاً إلى أعمالهم، ومعهم جنود من الإمام زيادة على من هنالك، وبدلاً لمن قد طالت مدة إقامتهم في تلك الأصقاع. ولما وصل القاضي الصفيّ إلى جبل ريمّة، ارتفع السيّد جمال الإسلام على بن محمد الشامي من هنالك، وباشّر العامل الجديد الأعمال وتحرى ما فيه مرضاة ذي الجلال، وثبتّ مراتب بلاد الطّعام، وقوى مركز العامل هنالك، وشرع في استمالة من بقي على الخلاف، فأقبل بعضهم إلى الطاعة رغبة ورهبة، وقام عامل بلاد الطّعام بما عهد إليه، وجرت بينه وبين الأعداء حروب يطول تعدادها لاستمرارها بطول هذا العام، حتّى إنه لم ينقض هذا العام إلا وقد حصل المرأ من إثنان الأعداء في تلك الجهات، واستكمال بلاد الطّعام، وإدخال أهلها في سلك الطاعة، والوقوف عليها^[١] على أحسن ثبات، وأصلح القاضي أحمد أيضاً أطراف ناحية الجعفرية واستمالهم وأعادهم إلى الانقياد، وطهر جهاتهم من أدران الفساد وكف أيدي المشايخ عن تسلطهم عن الرعية، ومطالبتهم بما لا يستحقونه، فحمد الكل منابه، وشكر الناس سيرته وانتدابه.

وبعد لُبّته أكثر أيام هذا العام هنالك، عاد إلى صوران مركز عمله القديم،

[١] سقطت من س.

لتفقد أحوال أنس، واستناب بإذن الإمام على الأعمال في رِيْمَة عامل كُسمَة، واستقدمه منها إلى الجبسى، فأقام عامل كُسمَة في المركز، والمراجعة تدور بينه وبين القاضي أحمد الجرافي فيما لا بد منه من أمور القضاء المذكور.

وفيها وجه مولانا الإمام حكومة قضاء المخا إلى عهدة القاضي محمود بن محمد الزبيري، وكان المذكور قد قدم من حيس إلى حضرة الإمام للزيارة بعد مكثه في حكومة حيس منذ تعيينه فيها، وثبت حسن قيامه بأمر الحكومة في تلك الناحية، واستقامته ومباشرته لكثير من أعمال الإصلاح التي مناطها بالعامل. وبعد نقل عامل الناحية المذكورة إلى عمالة زبيد، ناب عن العامل في حيس،^[١] فحمد منابه^[١]، فرأى مولانا الإمام توجيه حكومة المخا إلى عهده ليقوم بوظائف الحكومة في القضاء المذكور، ويجري ما يلزم من الإصلاح لأحوال قبائله العديدة، ويزيل ما كثر رفعه إلى مسامع الإمام من عدم توقف العامل على عثمان على ما هو مأمور به من مولانا الإمام، من نشر العدل وتحكيم شريعة الله سبحانه في الأمور والحادثات، فامتثل القاضي المذكور ما أمره الإمام به، وبأدر بالعمز إلى المخا واستقر فيها، وكان العامل الشيخ علي عثمان أكثر إقامته في مؤزع^[١]، فرأى الحاكم المذكور أن العامل غير جارٍ على السنن المرضي، ولم ينتصح حين كرر الحاكم النصح له بلزوم السير على النهج السوي، واستشعر من نزول الحاكم ووجوده في المخا ما ساقه إليه قبح الفعل من توهم أن المراد إيقاع النكايه به ووجه همته إلى إفساد جند الإمام، الذين في المخا وجهاته، واستمالتهم إليه واعراضهم عن امتثال أوامر الحاكم / المذكور / ٢٠٠ والاستهانة بأوامره^[٢]، وتزايدت النفرة منه عن الحاكم، وتفاقم الحال وظهر من

(١) مؤزع: مدينة بالجنوب الغربي من تعز بمسافة ٨٠٠ كم، انظر، صفة جزيرة العرب، ٩٥، معالم الآثار، ١١٥، قره العيون، ٣٤٧، الاكليل، ٩١ / ٢، طبخ الحلوى، ١٥٦ .

[١ - ١] سقطت من س. [٢] في س، بأمره.

المذكور إرادة النكث والخروج عن الطاعة، فأرسل الأمير جمال الدين إلى العامل المذكور وأمره بالطلوع إليه إلى تعز، وطيب قلبه وأمنه، فوصل إليه. وقد كان أخوه الشيخ عبد الله عثمان عاملاً على ناحية مقبنة، وأعماله في تلك الناحية على نحو أعمال أخيه في المخا والشكوى منه متكاثرة من أهالي الناحية المذكورة^١ فطلبه الأمير أيضاً ومكثا مدة، ثم استأذنا الأمير في وصولهما إلى دارهما في جبل صبر، فأذن لهما بذلك، وخرجا من لديه على أن يعودا إلى تعز، وقد أضمر الخلاف وركوب أعمال الاعتساف، ولكنهما لم يتمكنوا من البقاء في محل أعمالهما، لأن القاضي محمود قبل فرارهما قد تمكن من استجلاب مشايخ البلاد وأعيانها إليه، وأفهمهم بمقاصد الإمام وأمير الجيش وحسن نواياهما، وقبح أعمال المذكورين، وما يريدان من جلب البلى على تلك الجهة، فلم يبق لهما من النفوذ ما يتمكنان به من الامتناع، ففرا إلى عدن.

ولما رفع المولى أمير الجيش - حفظه الله - حقيقة الحال إلى مولانا الإمام - عليه السلام - أمر الأمير جمال الدين بالاحتياط على دار المذكورين بصبر والاهتمام بشأن فرارهما، خشية من وقوع ما لا يُحمد عقباه من حوادث المكر والخداع، فأجرى الأمير أمر الإمام، ووجد معها من المؤنة شيئاً غير يسير، مما كتماه من ذخيرة الحكومة في دارهما وفي موزع وبطل سحرهما، فلم يتمكنوا إلا من الفرار، وحكما على أنفسهما بالاغتراب، واستبدال العز بالهوان، ودوام الاضطراب، وتجوُّلا في عدن ثم في مصوع وغيرهما، وعادا إلى جيزان، ثم نزلا بالحديدة، وأواهما الضال، وشوقهما على استجلاب طائفة من أهل جبل صبر وشرارهم حالاً بهم في تهامة، وكانا من جملة أعوانه.

[١ - ١] في س، مقبنة.

وفيها وصل إلى مقام مولانا الإمام الشيخ علي بن يحيى الأصابع، أحد مشايخ ملحان، مراجعاً في بعض أمور الجبل المذكور، ومريداً لتخفيف المحطة التي هنالك، وكان مولانا - عليه السلام - بعد طول إقامة السيد الأجل فخر الدين عبد الله بن يحيى أبو منصر هنالك، وشكواه من ضياع الأعمال التي بنظره في ثلا وبلادها، وأعمال السود وما إليه، لغيبته في جبل ملحان.

/ فأذن له بالعود، واستنابة ولده السيد الهمام محمد بن عبد الله أبو منصر / ٢٠١
مكانه، وأمر الإمام أيضاً النقيب أحمد بن يحيى حبيش بالعزم إلى ملحان، لما له من المعرفة السابقة بأحوال أهله، وهو ممن حضر في الفتح السابق، فمكث النقيب هنالك إلى أن مل الإقامة، وجرى في أثناء ذلك من بعض أهل الجبل ما يدل على الميل إلى أهل ثهامة، وبلغ إلى السيد محمد بن عبد الله أبو منصر أنها قد وصلت إليهم ذخيرة من عند أعوان الضال، فتثبت فيما بلغه إلى أن قويت قرائن الدلالة على ذلك، وبحث عن الأفراد المتماثلين، ووثب عليهم ووثب الأسد الخادر، وحال بينهم وبين ما يشتهون من العمل الخاسر، وساق منهم كثيراً إلى الحبوس، وقوى رهائن الطاعة من الجهة التي ظهر فيها التملؤ، وأصرّ الكثيرون منهم على أنه لم يكن هنالك ميل إلى الخلاف، ولكنهم يتضجرون من ثقل المحطة، لأنه لم يتفص عدد المجاهدين في الجبل منذ الفتح عن ألف، بل كانوا يزيدون على الألف بمئات، فدارت المراجعة في شأن تخفيف المحطة، وكانت قد حملت بيت المال عبئاً ثقيلاً مع قلة واجبات الجبل المذكور. ووصل الشيخ علي يحيى المذكور إلى حضرة الإمام من أجل هذا الأمر، مراجعاً في شأن تخفيف الرهائن، وشاكياً من السيد محمد بن عبد الله وقسوته، فأصغى الإمام إلى إفادته، ورأى أنه لا يتم البناء على أمر فيه الصلاح والفلاح إلا بوصول مشايخ

الجبل المذكور إلى الحضرة الشريفة.

فصدر الأمر الشريف بوصولهم، فوصلوا جميعاً، وأمر الإمام السيّد الفخريّ عبد الله بن يحيى أبو منصر، وهو إذ ذاك مقيم بالحضرة الشريفة، بالخوض معهم فيما ينبغي اعتماده، وأفهمهم الإمام بأنه إذا حصل الوفاق على صون الجبل من الأعداء، والتزموا بذلك، أمكن إسناد العمالة إلى كبيرهم علي يحيى الأصابع، ويكون إبقاء رتبة صالحية في حصون الجبل المذكور مع أحد الأمراء، فكثرت المراجعة في هذا الشأن، وظهر من أحوال المشايخ أنهم لا يرضون بتصدّر علي يحيى الأصابع.

وفي آخر الأمر، عاد المشايخ إلى ملحان، وتمّ الكلام على أن يكون نزول السيّد الفخري عبد الله بن يحيى إلى هنالك، وقيامه بعمارة ما يحتاج إليه من الحصون، وتقرير الأحوال، وأخذ الضوابط من المشايخ والرفع إلى حضرة الإمام عن مقدر ما يحتاج إليه الجبل من الرتبة، ولم يتيسر للسيّد عبد الله أبو منصر العزم في تلك الأيام، بل كان إرسال السيّد يحيى بن علي / أبو منصر بدلاً / ٢٠٢ عن السيّد محمد بن عبد الله أبو منصر، وتوجّه مع علي يحيى الأصابع إلى ملحان، فلم يتمّ بينهما التوافق، ولم تثمر تلك المساعي، وظهر من النقيب الرغوب في البقاء بملحان.

وفي تلك الأثناء، كان تعيين السيّد أحمد بن علي الحيفي مأموراً للمال في الجبل المذكور، والقاضي محمد بن علي الحلالي كاتباً للعامل، ويكون بقاؤه بمعية النقيب، فكانت حولة الجبل المذكور فوق ما يستحق، وبعد مدّة، توجه السيّد^[١] فخر الدين عبد الله بن يحيى أبو منصر إلى هنالك؛ للقيام بما أمر به من

[١] في س، سيدي.

عمارة الحصون اللازمة، وشرع في إجراء ما أمره به مولانا الإمام متناوياً ومباشراً للأسباب التي يكون بها الوصول إلى مرغوب حضرة الإمام.

ومع هذا الحال، فلم تزل الحربُ نائرةً في أطرافِ الجبلِ من جهةِ تُهامةَ، والزيلعيُّ باقي على الخلافِ، والمغربُ تارةً بأيدي المجاهدين، وتارةً بأيدي المخالفين، وقد صار سكانُ تلك الجهةِ مشتتين في بلادِ تُهامةَ، وهنالك في المنوابِ وما فوقه إلى حدِّ بلادِ الطاعةِ جماعةٌ من التهاميين وأشرار حاشدِ المخدولين، وبينهم وبين المجاهدين في كلِّ حينٍ وقعاتٌ ومعاركٌ وقتالٌ مستمرٌّ والنصرُ في جميع ذلك لجندِ الإمام وحزبِ الأنصارِ، ولم تخلُ هذه الحروبُ من قتلى في كل معركةٍ من البغاةِ كثيرٍ وشهداءٍ من الأنصارِ وخرج هذا العامُ والحالُ كذلك، ولكنَّ جانبَ الحقِّ في ظهورِ والأعداءِ في خذلانٍ وفنور.

وفي شهرِ شعبانَ من هذه السنةِ، وصلَ إلى حضرةِ مولانا الإمام -وهو بمحروس بئرِ العزبِ- الفيلسوفُ الشهيرُ أمين الريحاني^(١) اللبناني العيسوي، ورفيقه الزعيم قسطنطين^(٢) يني البيروتي العيسوي وافدئين، فأما الأوَّلُ منهما، فهو من المشهورين بالسَّعي في وحدةِ العربِ، وبكثرةِ الجَوْلانِ في بقاعِ الأرضِ من أمريكا، وغيرها من بلدانِ أوروبا، ونصارى الشامِ كثيرٍ الإعجابِ به، وبها

(١) أمين بن فارس بن انطون الريحاني ت ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م، كاتب، خطيب، مؤرخ، لبناني الأصل، رحل إلى أميركا، اشتغل بالتجارة والتمثيل، طاف البلاد العربية حيث زار نجداً والحجاز واليمن والعراق وفلسطين والعراق ومصر والمغرب والأندلس، كتب الريحانيات، أربعة أجزاء وملوك العرب وتاريخ نجد الحديث وفيصل الأول وقلب العراق وغيرها كثير، انظر الاعلام، ١٨/٢ المقتطف، ١٩٣/٤٠ .

(٢) قسطندي يني: لبناني شاعر خُدم عند الشريف الحسين بن علي، صديق لأمين الريحاني، كان قسطندي يني مرافقاً لأمين الريحاني في رحلته في البلاد العربية التي بدأها في ٨ رجب ١٣٤٠هـ / ٢٥ فبراير ١٩٢٢، انظر ملوك العرب، ١/ ٢٥ .

ينشره من المقالات الاجتماعية. ونصارى الشام في هذا العصر لكون لغتهم هي العربية يدعون أنهم من نصارى العرب، وقد أكثروا من التصاريح في اللغة العربية،^[١] وأتوا بعجائب تُستحسن عند النقاد لما تحويه من المواضيع الأدبية وغيرها^[٢]، مما لا علاقة له بالديانة، ونشروها على الملأ في كتب مطبوعة. وهذا منهم تقليدٌ لطوائف الأفرنج في التشيع للجنسية والوطنية، وتقديمها على الرابطة الدينية^[٣].

وأما الثاني فهو كما ذكرنا بيروتي الدار، ومنذ كانت الحروب العمومية، وقيام الشريف حسين بن علي على الأتراك بالثورة كما أسلفنا، سكن جدّة وأفاد أنه مستخدمٌ في شعبة الطيران باسم مدير، وأوضح أن مرامها من الوصول السياحة وخدمة العرب، وحثهم على الاتفاق وجمع الكلمة والاتحاد، ولما وصلا أنزلها مولانا الإمام في أحد البيوت بمحروس بئر العزب، وأجرى عليهما الكفاية الفاضلة، وحين أذن مولانا الإمام لهما بالمثل في حضرته الشريفة، دخلا متأدبين، وقبل الإذن لهما بالجلوس، استأذن قسطنطين المذكور مولانا الإمام في الإنشاد لما قد نظمته، فأذن له مولانا الإمام، وأمل قصيدته الآتي ذكرها قائماً ومطلعها:

اخفيض الطّرفَ رهبةً واحتراماً وتكلّم إذا ما استطعتَ الكلاماً
وتقدّم للعرش واجتُ لديه لتحّيي عن الحجاز الإماماً

ثم سرد من هذا الكلام المملوء فخامةً وجزالةً مادحاً للإمام - عليه السلام - ووصفاً ما كانت عليه حالة العرب مع الأتراك من الاضطهاد، ومستطرداً لما كان فيه العرب في الأجيال الغابرة من علو الشان والسيادة على

[٢ - ٢] في س، بين يديه

[١ - ١] سقطت من س.

الممالك والبلدان، وما نتج عن تفرُّق الكلمة من الانحطاط واستيلاء الأتوام
الغربية، أهل أوروبا على معظم البلاد العربية إلى أن قال:

هذه حالة البلاد فخلَّصها من الجورِ وارحم الأتواما
يسألون الإمامَ عطفاً ويلقونَ نَ عليه تحيةً وسلاماً
إن أحلامهم معلقةً فيك فحقّق بسعيك الأخطاماً
وحدِّ العربَ واجمع الشملَ وانهضْ لتُزيلَ النفورَ والانقساماً
قد دنت ساعةُ الخلاصِ فهيا وانصرِ العربَ تنصرِ الإسلاماً
دُمت ملجأ الضعيفِ والنصرُ يمشي في لواءِ الإمامِ عاماً فعاماً

قلت: ومكث المذكوران برهةً في الحضرة الإمامية، وجرت بينها وبين
الإمام مراجعاتٍ فيما يسعيان له، ثم قفلا راجعين من طريق الحديدة،
ولقسطنطين المذكور أشعارٌ حسانٌ^[١] نظَّمها في مواضع شتى كمخاطبة لقصر
غمدان، ونحو ذلك^[١].

وفيها أمر مولانا الإمام بالاحتفالِ بختم سيدي مطهر بن الإمام لقراءة
القرآن الكريم، وأقام وليمةً كبيرةً، دعا إليها الأفاضل والأعيان والعلماء وطلبة
العلم الشريف بجامع صنعاء، وعددًا كثيرًا من الفقراء، وتلقى مولانا الإمام في
ذلك التهاني من الأدباء،^[٢] ومَن نظمَ في ذلك جامع هذه السطور والتاريخ
لسيدي العلامة فخر الدين، عبد الله بن إبراهيم، وأوله:

[١ - ١] سقطت من س.

[٢ - ٢] من عبارة «ومَن نظمَ في ذلك جامع السطور حتى عبارة وبالختم بيد أئيل العلي» سقطت

من س.

[المتقارب]

على جيد عصر إمام الملا
وطيب المنى وجمال السولا
شعاعاً أنارَ ونورا عَلا
بما شئتَ من نصرِكَ المُجتلى
وهدَّ الكفورَ بنحسِ البلى
على كلِّ جانٍ أرادَ القِلا
وأجرى حياهُ كَسَيْلِ الفِلا
تقلَّدها الخلقُ طوقاً حلا
أجادَ روايتهما مَنْ تلا
براحِ الفصيحِ وعذبِ الطِّلا
جبالٌ تطولُ فلا تُعتلى
رسولُ المليكِ بها يُجتلى
نراه لنا حَرَمًا أَفْضَلا
فيلقونُ غيثَ الندى مُرسِلا
زمانٌ فيدركُ ما أمَّلا
همُ الأنجمُ الزُّهرُ لنُ تأفلا
ولم يدركوا الحُلُمَ الأكملا
سروجُ الخيولِ وأوجُ العُلا
صقورا نؤمُّ لها أجُدلا
تكادُ مِنَ الفَهمِ أن تُشعلا
إذا أظلمَ الدُّهرُ مستقبلا

لك الحمدُ نظمتُ دُرَّ الحَلَى
ويسرَّتَ فيه سناءَ الهناءِ
وأرسلتُ فيه لشمسِ السُّعودِ
ومكَّنتُ فيه إمامَ الهدى
فصانَ الثغورَ وأجرى الأمورَ
ومدَّ الأمانَ بمدِّ السُّنانِ
وفاضتُ يدها بمغنى العُفاهِ
وفي كلِّ وقتٍ له مِنَّةٌ
وأيُّ السُّعودِ وقراًنُها
وماذا يقولُ مريدُ المديحِ
وقدَّامَهُ البحرُ أمواجهِ
إمامَ الهدى أنتَ من تَبَعَةِ
وأما مقامُك فهو الذي
يطوفُ بكعبتِهِ الأملونُ
ويسعى إليه الفتى خانَهُ
وللَّـهِ شأنُ بنيك الألى
عظامُ الحلومِ كبارُ الفهومِ
بدوُرُ مطالعِ إشراقِها
إذا ركبوا خِلَّتْهم فوقَها
وإن نطقوا أبرزوا فِطْنَةً
همو سنسدُّ الأملِ المُرتجى

/ ٢٠٥

وهم للورى سادة تارة
 وأكرم بمن كان من أجله
 بحسن الختام يروق الكلام
 ولم لا وفيه شعار الهدى
 فيا موكباً ما رأى الناظرون
 جلبت لنا كوكباً نيراً
 يسير عليه من أحداقنا
 بظل البنود ونور السعود
 لعمري لقد كان هذا الختام
 إمام الهدى أنت غوث الورى
 وأيامك الغر بسامة
 وربك أولاك أفضاله
 ستنظر أنجالك الأكرمين
 سراه الرشاد حماة العباد
 ملامح من ضئضئ المصطفى
 وكم نطق الفال في رمزه
 ألم تره قال أرخ وطب

٢٠٦ /

مصابيح تلقى بهم موثلاً
 إشادة ما قد حلا محفلاً
 ويبدو النظام به أمثلاً
 بأجل أوصافه حبلاً
 أحسن منه ولا أجلاً
 على سابح يسبق الشمال
 نطاق بتعويذنا مثلاً
 وصف الجنود وجمع الملا
 بديع النظام حلا منتهلاً
 وحصر صفاتك لن يحصلاً
 ومفرقتها بالسنا كلاً
 فلا عجب من هنى أقبلاً
 وقد شيدوا مجدك الأطولا
 سيوف الجهاد إذا أعضلاً
 إذا أدركت بينت مجمللاً
 بشرى سرى طيها مندلاً
 وبالختم يبدأ نيل العلى

وفيها استمر الأمير الشريف عبدالله بن محمد الضمين في مَدَوَّل، وتلك
 الجهات، ومعه من الجند النظام، عدد كافٍ لحماية تلك الأطراف، وما زال ساعياً
 في استئالة مَنْ بقي من أهل تلك البلاد خارجاً عن الطاعة ومقرباً لهم إلى ما
 يكفيهم هول ما هم فيه من الأراعة إلى أن تم بحميد سعيه المراد. وعاد الشاردون

إلى مواطنيهم وصلحت تلك الجهة، ولم يبقَ فيها للعدوِّ مطمَعٌ اغتيالٍ ولا مطمَحٌ احتيال، وبارك اللهُ لهم في الثَّمارِ، فعادوا إلى ما كانوا عليه من الرِّخاءِ وصلح الأحوال.

وفيها في شهر [....]^[١] توفي الشيخ نصير الدين، عليُّ بنُ المقداد راجح بداره في جبلِ الشرقِ، بعدَ أن عادَ من حوالي بُرع، والشيخُ المذكورُ أشهرُ من أن يُذكرَ فهو الذي انفرَدَ بالسبقِ إلى الجهادِ والموالاتِ ومنابذةِ الأتراكِ في قلبِ البلادِ، وهي الجهةُ الآنسيةُ والقيامُ والإعانةُ لمولانا الإمامِ المنصورِ بالله، رضوانُ اللهُ عليه، والاستمرارِ على ذلك إلى أن توفي الإمامُ المنصور، واستشهدَ من أهلِ بيتهِ واخوتهِ جماعةٌ في مواطنِ الجهادِ، وكذلك مع إمامِ زماننا -عليه السلام- جرتَ بينه وبين الأتراكِ حروبٌ وخطوبٌ، وقاسى من الشَّدائدِ ما لا يُوصفُ.

ثمَّ توفي على فراشه، رحمه اللهُ، وكذلك في هذا العامِ توفي ابنُ أخيه الشيخُ / ٢٠٧ / محمدُ بنُ أحمدَ المقدادِ أو بعدَ رجوعه / من بُرع؛ لأنَّه كانَ لا يُفارقُ الشيخَ نصيرَ الدينِ في سفره وإقامته، وما يتصدَّرُ له الشيخُ نصيرَ الدينِ من الأعمالِ قامَ بها المذكورُ مُعيناً لعمِّه، فقاربتْ وفاتها وأجالها، ولم يخلفْ نصيرَ الدينِ من الذكورِ سوى ولده مجاهد بن علي، وهو الآن في سنِّ الشباب، وعليه أماراتُ الصِّلاحِ ظاهرةٌ بادية، وما زال مولانا الإمامُ يتعهَّدُه بالرِّعايةِ النامية.

وفيها وصلَ إلى الحضرةِ الشريفةِ مولانا سيفُ الإسلام، وثاني أنجالِ الإمامِ محمد بن أمير المؤمنين قادمًا من حَجَّةَ لزيارةِ والده مولانا أمير المؤمنين، بعدَ غيبتِهِ عن الحضرةِ الشريفةِ مدةً تناهزُ السَّنَتَيْنِ، فاستقرَّ في الحضرةِ مشغلاً بدراسةِ الفنونِ عاكفاً على تحصيلها،^[٢] وإكمالِ معارفه الغريزةِ بجِدِّ ودأبٍ تقرُّبه العيونُ، ويُرغمُ به المبغضون^[٣].

[١] بياض في كل النسخ، ولم يذكر الشهر في كتب التراجم المعاصرة.

[٢ - ٢] سقطت من س.

وفيها كان توسعُ دائرة التعليم للفنون العسكرية والمهارة فيها، بتشكيل مكتبٍ لتعليم الرمي، وتعيين جماعةٍ من ضباط الأتراك للقيام بتعليم أفراد النظام وتدريبهم على ذلك، ومن لوجظ فيه وجود الكفاءة والقابلية لأن يكون من الضباط أُذخِلَ بعدَ اكمالِ تحصيله في المكتب المذكور، ونُقِلَ إلى مكتب الضباط المسمّى بالمكتب الحربي،^[١] وقد زيدت فيه مدة الطلب والتحصيل إلى سنوات^[٢]، وكذلك كان تكثيرُ عددِ الجيوش من النظام، حيثُ شوهد ما فيه من المنفعة العامة والمصالح الهامة، وقيام النظام بجلال الأعمال على غاية ما يُرام^[٣] مع توفرٍ مزيدٍ حسن الأمتثال والتوقف والثبات^[٤].

وفيها بلغ إلى مسامع مولانا الإمام أن أيدي شرار الغواة من أعوان الضالّ الموجودين بياجل، قد امتدّت إلى قبائل الزرانيق^(١) الشامي^[٣] باستمالة عُقّالهم إلى الانضمام إلى الضالّ، وأن مقصدهم من ذلك إزالة الحواجز الحائلة بينهم وبين زبيد، وأنهم قد أخذوا كثيراً من الرهائن، فاهتم لذلك مولانا الإمام، ووالى إرسال الجنود إلى سيدي الأمير عبد الله بن أحمد الوزير لإرسالها إلى زبيد، وأمره بالعناية بمكاتبة من بقي من الزرانيق غير مائل إلى الأدريسي مثل الشيخ أحمد فتيني جنيد، وجميع قبائل الزرانيق اليماني^[٤] وتحذيرهم من مكر الضالين، وإمدادهم بما يحتاجون إليه من ذخيرة في دفع أعوان الضالّ عن بلادهم، فتيسر بمنّ الله تعالى وعونه

(١) الزرانيق: من أشهر قبائل تُهامة ونسبهم في الأشاعرة، ومنهم قبائل المعازبة وفروعهم، بنو محمد وبنو مقبول وبنو مشهور وبنو الجنيد والهبالية والبهادرة وغيرهم والذين جنوب بيت الفقيه يسمون أهل الطرف اليماني ولمن في شمالها أهل الطرف الشامي والحسينية جنوبها، انظر، اليمن الكبرى، ١٣٤، معجم المقحفي، ٢٩٠، معجم الحجري، ١/٣٩٤، ٢/٦٣٦.

[٢-٢] سقطت من س.

[٤] في س، اليمانيين.

[١-١] سقطت من س.

[٣] في س، الشامية.

إبطال حيلة الماكرين في استمالة الزرانيق الباقين، وتراجع أكثر الأولين عن تمام الانقياد بعد هرج ومرج في قضاء بيت الفقيه، ولم يتمكن الخاسرون من الوصول إلى الزرانيق فضلاً عن زييد، وكفى الله/ المؤمنين القتال وهو الولي الحميد. / ٢٠٨

و^[١] فيها في شهر [ذي القعدة]^[٢] توفي القاضي عبد الرحمن بن علي الحداد الأبى الشافعي، حاكم لواء تعز، ورئيس مجلس تدقيق الأحكام في مدينة تعز وهو كهلاً، والمذكور من علماء مدينة إب، وأبوه الفقيه علي بن ناجي الحداد مفتيها، اشتهر بالرسوخ في الفنون والتفوق على غيره من علماء تلك الجهة علماً وعملاً، واستمر في الفتوى إلى أن توفي، فخلفه في منصبه ولده القاضي عبد الرحمن هذا، وخرج عن طريقة أبيه في الانقباض وعدم المداخلة في الأمور السلطانية، فباشراً ما لا تعلق له بالفتوى، وزاحم أرباب المناصب، إلى أن صار الرجل المشار إليه في قضاء إب في الحل والعقد، وصار مأموراً بالحكومة في القضاء المذكور يعملون بإشارته، وله قبول عظيم لسنن الأتراك ثم ارتقى به الحال إلى أن صارت الحكومة العثمانية تستعين به في معضلات أمور اللواء جميعه: كالإصلاح بين المشايخ، ودفع الفتن.

ولما وصل عزت باشا إلى صنعاء، كان المؤمى إليه أكبر رجال لواء تعز الذين وصلوا لزيارته، فاستحسن بإشارة الوالي محمود نديم بك اسناد منصب القضاء في لواء تعز إلى عهده، فتوجه إلى تعز ومكث فيها، وعند أن صار الحرب العام، وكان الأتراك من جملة الدول المحاربة للإنجليز، احتاجوا إلى استدعاء المتطوعين للجهاد من سكان اللواء عند قدومهم على الحج، ومحاربة

[١-١] وقع سقط في س يصل إلى عشر صفحات من عبارة «وفيها في شهر، إلى عبارة، ولما بلغ إلى الأمير جمال الدين، صفحة ٢١٨ من الأصل.

[٢] الإضافة من نزهة النظر، ٣٤٨ .

سلاطينها، فكانَ المؤمى إليه فَمَنْ جَدَّ واجتهدَ في ذلك الحينِ، وأُطلقَ عليه لقبُ
رئيسِ رؤساءِ المجاهدين، ومنذَ تعيينِهِ للقضاءِ في لواءِ تعزٍ إلى أنِ انقضتْ أيامُ
الأتراكِ والمذكورِ في أغلبِ تلكِ المدَّةِ وكيلاً متصرفِ اللواءِ.

وقد سَرَدْنَا وصولَهُ إلى صنعاءَ عندَ تسليمِ الأتراكِ إلى الانجليزِ وما تمَّ بينَهُ وبينَ
الإمامِ -عليه السلامُ- ورفقائه من المراجعةِ. وكانَ المذكورُ من قَبْلِ ذلكِ موصوفاً
بالانحرافِ عن الإمامِ، وحُسنِ ما رآه من مولانا الإمامِ من المقابلةِ الجميلةِ تبدَّلَ
لديه الحالُ، وصارَ من جملةِ أشياحِ الحقِّ المنابذين للضلالِ، وعيَّنهُ مولانا الإمامُ
قاضياً في تعزٍ كما كانَ، فحمدَ منابَهُ، وكانَ من قَبْلِ ومِن بَعْدُ موصوفاً بالعِفَّةِ وعدمِ
قبولِ الرشوةِ، وما زالَ قاضياً في تعزٍ إلى أنْ توفِّيَ في التاريخِ المذكورِ، ورثاهُ جماعةٌ من
الأعيانِ، ولم يحضُرْ لديَّ حالَ التحريرِ شيءٌ من ذلكِ، حتى يكونَ إثباتُهُ.

وقد كانَ المؤمى إليه في أثناءِ سنةٍ تسعٍ وثلاثينٍ وثلاثمائةِ نظمَ أرجوزةً فيما بلغَ إليه
من اختياراتِ مولانا الإمامِ التي / ألزَمَ حكَّامه أنْ يكونَ عملُهُم بها، فيما حَوَّثُهُ. / ٢٠٩

ثم شرحَ منظومتهُ المذكورةَ شرحاً لطيفاً، استظهرَ على تلكِ الاختياراتِ
بالأدلةِ الواضحةِ، وبيَّنَ مع ذلكِ ما يقوِّي جانبها من أقوالِ أهلِ المذاهبِ
الأربعةِ، وأرسلَ الشرحَ مع الأصلِ إلى مولانا الإمامِ، فانبرى الأفاضلُ إلى
تقريظِهِ، وأولُ منظومةِ المذكورِ:

الحمدُ لله وصى اللهُ	على رسولهِ ومصطفاهِ
محمدٍ وآلهِ وسلِّم	وبعدَ قد اجبتَ نظماً معلماً
بما أتانا عن إمامِ العصرِ	يحیی الذی أزعَبَ أهلَ الكفرِ
من اختياراتِ لعمري إذْ غَدَّتْ	مسفرةً أنوارها قد أشرقتْ
لعليةٍ مع الدليلِ الشافي	لسالكِ محجَّةِ الإنصافِ

وقال في آخرها، وقد استوفى ما وَعَدَ به من النظم والبيان وإيضاح المراد
لذوي العرفان:

ناظمٌ هذا طالبُ الغفران	هو المسمى عابدَ الرحمن
نجلٌ علي المشهور بالحداد	المرتجي من ربِّه الجواد
مغفرةٌ تُحيط بالذنوب	وتسترُ الجاني عن العيوب
بفضلِ طه سيِّد الأبرار	وآله وصحبه الأخيار
صلى عليهم ربُّنا وسلِّمًا	ما دامت الأرض ودامت السما

والمسائل التي نظمها القاضي المذكورُ ثلاث عشرة، واختيارات مولانا
الإمام أكثر من ذلك، ولكنه نظم ما بلغ إليه:

أولها: لا هبة ولا وقفَ لبعضِ الورثة دون بعضِ حديثِ النعمان بن بشير
ولقوله: «غيرُ مضارٍّ وصيةٌ من الله، فمن خافَ من موِّصٍ جَنَفًا أو إثماً الآية
ويستثنى من ذلك إذا كان الوارثُ ذا عاهةٍ تُعجزه عن الكسبِ أو مِنَ الضعفاء
الذين لا يملكون حيلةً ولا يهتدون سبيلاً.

الثانية: لا وصية لوارث.

الثالثة: الكفاءة غيرُ معتبرة مع بلوغِ المرأة ورضاها.

الرابعة: لا تُقبَلُ شهادةُ شهودِ المدَّعي بعدَ طلبه ليمينِ المدَّعي عليه،
وتحليفه، لقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلَّم:

/ شاهدك أو يمينه، ولأنَّ المرادَ باليمينِ كَفُّ الدعوى. / ٢١٠

الخامسة: لا تُشترطُ الألفاظُ في البيعِ والإجارة، إذ المناطُ هو التراضي،

فكلما دلَّ عليه نفذَ به البيعُ، إلا ما نُهيَ عنه كالمامسةِ والمنازدةِ.

السادسة: ما باعه الفضوليُّ عن الصغيرِ للحاجةِ الماسةِ في سني الشدةِ فهو نافذٌ من بابِ الصلاحيةِ لتضييقِ الحادثةِ، لكن مع عدمِ العُبنِ في الثمنِ زماناً ومكاناً، ومصيرُ الثمنِ إلى الصغيرِ نفقةٌ ما على المحسنين من سبيلٍ وهو محسن.

السابعة: المرأةُ التي غابَ عنها زوجها، وليسَ له مالٌ تستنفقُ منه، وليسَ لها أيضاً مالٌ إذا جاوزتْ غيبةَ زوجها ثلاثَ سنين، وجُهلَ حاله أحيٌ هو أم ميتٌ، وأرادتِ الفسخَ، فلها ذلكَ لحديثِ أبي هريرة، وحديثِ امرأةٍ ثابت بن قيس بن شماس له دخلٌ في هذا البابِ، ولقوله تعالى: ﴿وَلَا تَضَارُّوهُنَّ لِتَضَيَّقُوا عَلَيْهِنَّ، فابعثوا حكماً من أهلهِ وحكماً من أهلها﴾، ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم في الرجل: لا يجدُ ما ينفقُ على امرأته يفرقُ بينهما.

الثامنة: الهبةُ والنذرةُ ونحوهما الواقعةُ من البائعِ للمشتري لأجلِ الحيلةِ في إبطالِ الشفعةِ لا اعتبارَ لها، لأنَّ ذلكَ لا يكونُ إلا بعدَ التواطؤِ على ثمنِ الجميعِ ويكونُ التعبيرُ بلفظِ النذرِ ونحوه مجرداً عن إرادةِ المعنى الذي وُضِعَ له اللفظُ، ولو لم يتمَّ بينهما البيعُ لرجعَ الناذرُ عما نذرَ به على المشتري.

التاسعة: لا تأثيرٌ للضرورةِ المجهولةِ التي تُضمُّ إلى الثمنِ لأجلِ إبطالِ الشفعةِ بجهالةِ الثمنِ، لأنَّها كالزيادةِ في الثمنِ، ولا تكونُ إلا بعدَ التواطؤِ بينَ المتبايعينِ على قدرِ الثمنِ، وإذا فرضَ كونها من الثمنِ حقيقةً، فالجهالةُ في مثلِ ذلكِ يسيرةٌ، ويلزمُ الشافعُ قيمتها؛ لأنَّ جهالتها دونَ جهالةِ ما شُفِعَ من مبيعٍ كثيرٍ ولا سببٌ للشافعِ إلا في بعضه.

العاشرة: شهادة المثل مقبولة ما لم يُؤثر عن الشاهد الزور والدخول في الكبائر التي تصم وتعمي، وإذا قُبِلت شهادة الكافر عند مظنة عدم وجود المسلم فبالأولى شهادة غير العدل عند مظنة عدمه.

الحادية عشرة: إجبارُ الزوجة على الرجوع إلى طاعة زوجها ولو بالحبس أو حبس وليها إذا لم يتحقق الضرر من الزوج، وهذا من مواضع النظر.

الثانية عشرة: ما بيع في سني المجاعة لا شفعة فيه لحاضر لم يطلب الشفعة أو غائب بطلب المعيشة أو صغير لا مصلحة له عند البيع.

الثالثة عشرة: الغالب أنه لا تحقق للأثمان في سني المجاعة لعدم استقرارها.

٢١١ / / أقول: وقد حوت تقاريرُ الأعلام لمقطوعة القاضي المذكورٍ قدراً صالحاً من مديح مولانا الإمام وبيان بعض ما من الله به على يديه من المنن الحسام، فاستحسننا إيرادها لأنها لا تخلو عما يُستحسن من أقوال ذوي الفطن، وهالك ما قاله المولى، شيخ الإسلام القاضي العلامة علي بن علي اليماني: [رجز]

أعقدُ دُرَّ أم نظامِ جوهر	أم درُّ ألفاظِ الوجيه الأشهر
نجلُ عليِّ العالمِ الأديبِ	الألمعيُّ المصقِّعُ الأريبُ
حوى من المسائلِ المختارة	ما شاع من أنظارِ قطب الدارة
أعني الإمامَ بنَ الإمامِ الأعظمِ	يحيي أمير المؤمنينِ الأفخمِ
كلاه ربُّنا من الغوائلِ	وكل سوءٍ وقرينِ باطلِ
ونسألُ اللهَ بلسوغِ الأملِ	والختمِ بالخيرِ وحسنِ العملِ
وتتبعُ الصَّلاةَ بالسَّلامِ	على النبي وآله الأعلامِ

وقال حاكمُ العُدَيْنِ الأجلُّ حمودُ بنُ محمد بن الإمام من السادةِ أهلِ ذَمَارِ:

الحمدُ لله مفيضُ العلمِ وجاعلُ الفضلِ لأهلِ العلمِ
مكْرَرُ الصلَاةِ والصلَامِ على النبيِّ وآلِهِ الأعلامِ
حمَاةُ دينِ ربَّنَا والحجَّةِ والسالكينِ واضحِ المحجَّةِ
بابيضِ السيفِ وماضيِ العزمِ وتيَّرُ القولِ سديدُ الفهمِ
مجدِّديِ الدينِ لما منه بلا وهمَّةٌ تعلو على كلِّ علا
والعارفينِ صحَّةِ الأقوالِ وحلٌّ ما فيها من الإشكالِ
من جاءَ تطيهرهمو في الذكرِ وهم ولاةٌ نهينا والامرِ
وأوجب اللهُ به ودادهم في محكمِ القرآنِ واعتمادهم
لأنهم سفينةُ النجاةِ وقادة الانعامِ والهداةِ
منهم أميرُ المؤمنين يحيى من جدِّ الدينِ لنا وأحيا
ومن أقالِ عشرةِ الشريعةِ بمحو كلِّ بدعةٍ شنيعةِ
عوَّده اللهُ عزيزَ النصرِ وفتحَ كلِّ بندرٍ وثغرِ
وبعدُ فالمسائلُ المنفَّذةِ من الإمامِ عندنا معتمدةِ
لأنه يلزمنا اجتهادهِ بأمرِهِ في الحكمِ واعتمادهِ
ولا تقولُ فيه ما دليُّه ولا على كيفَ بنا تعلُّيه
فهو الخبيرُ بالذي رواه كصاحبِ البيتِ بما حواه
وقبله أئمةٌ قد قرَّروا مثلَ الذي قرَّره وحرَّروا
ومن يَكُنْ للاجتهادِ صالحاً يعرفُ فيه الاجتهادَ واضحاً
وقد أجادَ نظمها الوجيه القاضي العلامةُ النبيه
ميسراً للطالِبينِ ضبطها فهي لآلِ والنظامِ سمطها

٢١٢ /

وحسنتها تمّ مع الإفادة فذوقها يجلو لمن أعاده
 وفقنا الله لما يرضاه ملاطفاً لنا بما قضاه
 ونرتجي لذنبنا غفرانا يا ربنا حقق لنا رجانا
 وصل يا ربّ وسلّم أبداً على النبي وآله أصل الهدى

وقال أحدُ تلامذةِ المولى العلامةِ إمامِ السنةِ النبويةِ، وخاتمةِ الحفاظِ للعلومِ
 النقليّةِ والعقليّةِ القاضي الحسينُ بنُ عليِ العمريِّ، على لسانِ المولى، شرفِ
 الإسلامِ.

الحميدُ لله إليه الخلقُ هادي العبادِ لاتباعِ الحقِّ
 حمداً يضوعُ نشره المعطرُ ويملاً الكونَ ثناءه الأوفرُ
 وأشرفُ السلامِ والصلاةِ تستغرقُ الأحيانَ والساعاتِ
 على الرسولِ السيدِ العظيمِ وآلهِ سُفنِ النجاةِ القُرومِ
 ورضيَ اللهُ عن الصحابةِ أهلِ الرشادِ عمدةِ الإصابهِ
 ما قامَ لله إمامٌ يدعو فمدّه من نصره بالمرجو
 مثلُ إمامِ الحقِّ مولانا المهابِ مؤيدُ الدينِ بلائِ الصوابِ
 يحيى أميرُ المؤمنينِ القائمِ ذخرُ الوجودِ وغياثُ العالمِ
 من خصّهُ اللهُ بيمينِ النصرِ وغرّةِ تحكي عمودَ الفجرِ
 ومنحِ الأوهامِ لا تُحصَرُ وهي من الجسمِ الكثيرِ أكثرِ
 تضيقُ عن تعدادِها الدفاترِ وتزدهي بذكرِها المنابرِ
 وهي التي عادَ بها للدينِ شبابهِ الناضرِ عن يقينِ
 وأوضحتْ مناهجَ الشريعةِ وشيّدتْ حصونَها المنيعِ
 وأتصفتْ للحائرِ المظلومِ من كلِّ خبيّ معتدٍ أئيمِ

/ ٢١٣

وزادها بفضلِه تحسِينا
مسائلٌ دليها مثلُ القمرِ
وسهّلتُ رفعَ خصامِ الناسِ
وقد أجادَ نظمها بياننا
قاضي تعز الأوحُدُ الأجلُ
لله نظمٌ جاننا بهيّا
وشرحَ النفسِ سنا التعليقِ
فازدادتِ البهجةُ والإيناسُ
لا زال متخوّفاً من الخلاقِ
ولا عدى المولى الامامَ نصرا
ما غرّد الحادي وغنى القمري

ما اختاره في هديه نبينا
جاءت بحسمِ الداءِ في كلِّ نظرٍ
وأذهبتُ ضرَّ هوى الألباسِ
وزادها برصفِه تبياننا
لا زال بين الفاضلين يعلو
يحكي لنا روضَ الهنى النديا
بها يروم طالبُ التحقيقِ
وانتظمتُ وردتْهُه والآسُ
بكلِّ خير هامرٍ دفاقِ
يكفلُ بالفتحِ ويُفنى الكنزا
ونسيجِ النسيمِ درغُ النهـرِ

٢١٤ /

وقد قرّظ محرّز هذه السطورِ تلك المنظومة مقتدياً بالأعلام، فقال:

سبحان منْ تعنوله الوجوهُ
أولى ووالى منّهُ التوفيقُ
أحمدُه حمداً يطوّلُ مدا
ثم صلاةُ الله والسلامُ
وإليه الكواكبِ السيّارة
ما اطلع الانصافُ في أفقِ الفكرِ
مثلَ اختباراتِ إمامِ الأمة
يحى أميرُ المؤمنين البدرُ
والرحمةُ العظمى لأهلِ الوقتِ
ولا إلهاً غيرهُ نرجو
وأسبغَ النعمةَ بالتحقيقِ
ويعجزُ الحاسبُ عنه عدداً
على الذي لاح به الإسلامُ
وصحبه الصيدِ ليوث الغاره
شمسٌ هدىً أنوارها تجلو النظرِ
بحرِ العلومِ أوحِدِ الأئمة
خليفةُ الله إمامُ العصرِ
ركنُ الهداياتِ وسعدُ البختِ

أوجدَهُ باري العبادِ غوثًا
فسوّرَ الدينَ بسورِ النَّصْرِ
وذَبَّ عنه بالجهادِ المرتضى
وشبَّ بينَ العالمينَ عدلُهُ
واختارَ مارجحَ من مسائل
حلَّتْ من الدينِ محلَّ البصرِ
وزيَّنتْ مفارقَ الشريعةِ
وهي التي قالَ بها الأجلَّةُ
وانتصرتْ بكلِّ نصِّ محكمٍ
لذلكَ جاءَ الخيرُ منها يترى
وظهرتْ أحكامها المصونةُ
وهكذا الحقُّ له مزايا
وزادها مِنْ راغِبٍ تقريبا
يَهْرُ منه رونقٌ لطيفٌ
وتزدهي بمثله الدفاترُ
أحسنُ ما شاءَ به وزادا
ذو الفطنةِ السريعةِ الوقاده
كمْ أظهرتْ أراؤه المصيبةَ
وكمْ غزا بفهمِهِ عَوِيصا
ششنةٌ نعرفها من أخزم
أما تراه شرحَ الصُّدُورا
فجاءَ تعليقاً يحاكي الذُّرا

/ ٢١٥

وساقه للمجدِ بين غيْثا
وصانهُ عن منكراتِ الكُفْرِ
وسلَّ سيفَ الاجتهادِ وانتصبا
فدادَ عن جسمِ الأمانِ العلةُ
برهائِها من أوضَحِ الدلائلِ
وطارَدَتْ كلَّ ضروبِ الضُّرِّ
وأوضَحَتْ فروقَها الرِّفِعةُ
وشيدوها بُعلا الأدلةِ
مصححٍ مهذبٍ مقوِّمٍ
في حسمِ كلِّ المعضلاتِ جهرا
بقطعِ أسبابِ العنا ضمينةِ
يهمي بها النفعُ على البرايا
نظَّمْ حوى من السَّنا عجيبا
وحُسْنُ رصيفِ سبْكِه ظريفُ
كما علَّتْ بنقلِهِ المحابِرُ
قاضي تعزِ الأوحُدِ انتقادا
والفكرةِ الصالحِ المنقادةِ
شكلِ السدادِ في الملا العجيبةِ
فجعلَ الحِلَّ لهُ قميصا
ومنحةٌ تعلُّو على التعلُّمِ
بشْرِجِهِ واستاقَهُ ظهيرا
قد زُيِّنَتْ به الحسانُ نحرا

حرسَهُ اللهُ عن الأَفْوَهِلِ وجادَهُ بالعملِ المقبولِ
يا رَبِّ وانصُرْ كوكَبَ الإمامةِ أفضلَ مَنْ عزَّتْ به الزَّعامَةُ
إمامنا الأعظمُ ربَّألِ الزَّمنِ مؤيِّدُ الشرعِ ودَفَّاعُ الفتنِ
بحقِّ ما أنزلتَهُ في الذِّكْرِ من سُورٍ تُتلى بطولِ الدهرِ

وأقول: إن التقاريط التي من هذا الأسلوب كثيرة، وفيما أوردته دلالة على الباقي منيرة، وإنما سردت هذا البعض، وإن لم يكن من موضوع التاريخ لما سبق من اشتماله على مدح مولانا الإمام، وبيان مزايا أياديه الجسام على جميع الأنام، وتوحيه لما فيه مرضاة الربّ العلام.

وفيهما وجه الأمير جمال الدين علي بن عبد الله الوزير همته بموجب أمر مولانا الإمام إلى إصلاح أحوال ناحية القبيطة^(١) من أعمال الحجريّة، بعد إكمال عمل ناحية المقاطرة، وكانت أطراف الناحية المذكورة مهملة عن الإصلاح عريّة عن الضبط التام الضامن للفلاح، فوجه إليها الشيخ محمد بن أحمد نعمان مع جنده وأصحابه أحد المدافع.

/ فنكّل بأهل الخلاف، وألزمهم الوقوف على رسم الطاعة، وما لها من / ٢١٦
الأوصاف، وفر من عاند إلى الصبيحة^(٢)، وظنوا أنّ ذلك منح لهم من هول كل

(١) القبيطة: على بعد ٣٠ كم من التربة، من ناحية الحجريّة، ومركز ناحية القبيطة حيفان ومن أسواقها المفاليس على بعد ٢٠ كم جنوب حيفان، من توابعها، عَزْل، اليوسفين، الأعبوس، الأغرّوق، الأغابرة، الأشاور، الهجر هذلان، حياة الأمير، ٦٢، ٧، اليمن الكبرى، ٣٠.

(٢) الصبيحة: من القبائل اليمنية في اليمن الأسفل، موطنها البقعة الممتدة على طول ساحل باب المنذب حتى رأس عمّران وقم (بين باب المنذب ونافع)، متعددة الأفخاذ والفروع والبطون، انظر، تاريخ القبائل اليمنية، ٣٣، تاريخ اليمن الثقافي، ٨٧/١، الاكليل، ١٤٣/٢.

صبيحةً، فكاتبهم الشيخُ محمد بن أحمد نعيان، ونادى أولئك الفارين، ومنّ نزلوا لديهم إلى العافية ودعاهم إليها، فلم يقبلوها، وأصرّوا على ما هم عليه من الضلال، ودوام الاحتلال، وجرّأهم على ذلك بعد العهد بالطاعة، وأنهم لا يعرفون لأحد ولايةً مع ما هم عليه من البداوة، وشدة الجهل والعبادة. ومع ذلك فلم يقتصروا على الفرار بل شرعوا هم ومنّ نزلوا لديهم في الغزو على المجاهدين.

وقد كان الشيخُ محمدٌ ومنّ معه من الجند اتخذوا معادن^(١)، وهي أقصى حدّ الناحية محطةً لهم، وأقاموا فيها، فرفع قائدُ المحطة الخبرَ إلى الأمير جمال الدين، ويبيّن ما عليه أولئك من التعصّب للفساد والتحزب للعناد وأذيتهم للمجاهدين، وانضمّ إلى ذلك تعرّض أشرارٍ من الصبيحة إلى السبيل، وقتل بعض المسافرين ونهب أموالهم، وبلوغ الشكوى إلى الإمام، وصدور الأمر من حضرة الإمام بتأديب أولئك المعتدين، وقد كان الأميرُ كتب إلى سلطان حج بضبط أولئك الأشرار، فاعتذر بأنهم لا ينقادون إلى طاعة وليس في وسعهم إلقاء القبض عليهم لتعصّب رؤسائهم لهم. فأمر الأميرُ قائدَ محطة معادن بتأديب أولئك العصاة والشروع في ضبط من قدر عليه منهم، فامثل الأمر، وبادر إلى القدوم عليهم إلى بعض محالهم من بلاد الصبيحة، ووالى عليهم غاراته، فتجمّعوا من أطراف بلادهم، ولم يتوقفوا عن دفع إغارة المجاهدين عليهم، بل شرعوا في العدوان واستعانوا بأهل القبطة على إفساد بعض أطراف الناحية، وحين رأى قائدَ محطة معادن أنّ الشرّ منهم قد أحدق به، رفع إلى الأمير

(١) معادن: واد فيه قرى تنساب فيه مياه الجبال، تكثر فيه الزراعة، واكثرية سكان من آل سفيان، أقصى حدّ من ناحية الحجرية، انظر، تاريخ القبائل اليمنية، ٣٤، ٤١.

مستمداً إرسال الجنود إليه وتلافي الحال، فأسعده الأمير إلى ما أراد، وأرسل إليه الأجناد من كل جهة من أهل اللواء وغيرهم من حاشدٍ وبكيل حتى ضاق الفضاء بهم، وبلغت عدة جنود الحق في ذلك الطرف إلى نحو خمسة آلاف مقاتل فيهم من المشاهير كالشيخ عبدالله بن يحيى عبد الجليل وابن أخيه الشيخ علي همام، وبعض أولاد علي بن عبدالله بن سعيد أهل العدين وحمود بن عبد الرب عامل العدين وغيرهم، وكان المجاهدون من حاشدٍ وبكيل تحت قيادة السيد حسن بن قاسم عثمان الوزير، فتقدم المجاهدون بعد اجتماعهم إلى وادي طفيح^(١) من بلاد الصبيحة، وأجلوا من هنالك بحربٍ شديد، ووقف المجاهدون في الوادي المذكور وانبثوا في جهاته، ووقف المقدمي في الزيلة من محلات الوادي المذكور، وطال البقاء منهم هنالك فعاتبهم الأمير جمال الدين، وحثهم على مناجزة الباقيين من البغاة، ولأمهم على مرور الأيام بدون جدوى / ١٧ ولا طائل، وهو مع ذلك يُرادف إرسال الأجناد إليهم، وما يحتاجون إليه من الذخيرة والزراد، فانتدب لهم الشيخ عبدالله بن يحيى عبد الجليل وكافة جند الحق من أهل لواء تعز ورؤسائهم، ومعهم المدفع، وتوغلوا في خبوت الصبيحة وطرودا جموع الباغين وأذواقهم مر النكال وعظائم الأهوال، واستولوا على أكثر القرى، ومنها مدينة الفرشة^(٢)، وهي أكبر محلاتهم، ثم ساقوا جيوشهم ونزلوا قلعة المنصوري، وقد اجتمع إليها رؤساء الصبيحة ومقاتلتهم وصناديدهم. وقد كان أهل الصبيحة استمدوا من الإفرنج أسلحتهم ومؤنتها وأعطوهم من ذلك الكثير، وكتبوا أهل الأطراف بإعانتهم كالحواشي وغيرهم، وأمدوهم فدارت

(١) وادي طفيح: من أرض الصبيحة يسكنه فخذ الجروي من قبيلة الديني أنظر تاريخ

القبائل اليمنية، ٣٨ .

(٢) الفرشة: من بلاد الصبيحة.

رحى الحرب بين الفريقين في حرارة القيظ، وصبر الفريقان صبراً عظيماً، ووالى جند الحق الزحف على الأعداء، واستشهد من المجاهدين جماعة كالشيخ علي همّام، وطال الأمر والنضال، ولم تسفر الحال عن المراد، وتراجع بعض المجاهدين إلى ورائهم، وأعاد الأعداء ما نصبوه من الكمين على المجاهدين، فإنه أضعف همم المجاهدين، فاضروا إلى الرجوع إلى الفرشة وباتوا بها، ورفع بالحقيقة رؤساء المجاهدين إلى الأمير وإلى السيد الأجل حسن بن قاسم عثمان، وكان باقياً هو ومن معه من الجند في وادي طفيح، فبادر الأمير إلى حث الجند الإمامي باللحاق إلى الفرشة وتدارك المجاهدين الذين هنالك، ومبادرة الجميع لمناجزة جموع الباغين، فبادر المقدمي المذكور، ووصل إلى الفرشة، فوجد المجاهدين قد أعادوا الكرة على الأعداء، وشرعوا في مناجزتهم وأصلوهم نادراً حامية وبدلوا سراهم بالضراء فحين وصل هذا المراد العظيم انقطعت آمال هذا العناد من القدرة على المقاومة ورد ذلك السيل الجسيم، ولكنهم لم يتركوا الحرب، فطال العراك وعظم الاشتباك، وحمي الوطيس وتيسر للمجاهدين بعد أهوال اقتحام القلعة، وقد فر من فيها، ومزقوا الأعداء شراً ممزقاً، وتبدد جمعهم وتفرق، وكانت قتلاهم كثيرة، ومن الجملة أكثر رؤسائهم، وصاحب القلعة المذكورة وانحل أمرهم وبلغ الفارزون إلى عدن ولحج، وامتألت منهم الساحات، وعم الرعب والفرق كافة من في تلك الجهات، وغنم المجاهدون من القلعة المذكورة غنائم كثيرة، وبعد الاستيلاء عليها حط الجيش أثقاله في تلك النواحي، ومكث مرابطاً هنالك امتثالاً لما أمرهم به الأمير / ٢١٨ وقاس منه وخامه هواء تلك البلاد أنواعاً.

ولما بلغ إلى الأمير جمال الدين^(١) أن جماعة من أهل الحواشب أجابوا أهل الصبيحة وحضروا معهم في وقائعهم، وكانوا من أعظم الأسباب في صعوبة الاستيلاء على قلعة المنصوري، أمر الأمير الشيخ نور الدين بن حسان بالذهاب إلى ماوية في خمس مئة رام من أهل جبل حبشي، وقد كان لهم في وقائع المقاطرة أثر حسن وإقدام متقن، وأمر الأمير أيضاً طائفة من الجند الإمامي باللحاق بهم، فذهب ذلك الجمع إلى ماوية، ومنه تقدم إلى الدرعية^(٢)، وناوشوا الحواشب بالحرب، وانضم إليهم عامل الإمام الشيخ قايد صالح، وداخل أهل الحواشب من الرعب والخوف ما تركوا به أوطانهم وهاموا على وجوههم، وبعضهم دخلوا إلى لحج وعدن، فغصت بهم وبأهل الصبيحة البقاع، واضطرب الحال في عدن وحواليه وتوالت الأفزاع، وكثر الإرجاف بوصول الجند الإمامي، وتقدمه على تلك الأصقاع، وكان للإفرنج محطة في دكيم^(٣) بالقرب من لحج، فيها جمع من جنود الإفرنج، وجملة وافرة من مدافعهم وآلاتهم، فترقب الإفرنج فرصة غفلة من في الدرعية، وأمنهم من الخطر وأرسلوا طيارتين من طياراتهم الحاملة للمقذوفات الجهنمية، وكانوا من قبل لا يرمون من الطائرات إذا طافوا بها في تلك الأنحاء، فحلقت الطيارون بطياراتهم فوق الدرعية، وخرج المجاهدون للتفرج عليهما،^(٤) لكن ما عدا أهل جبل حبشي كانوا على احتراز من مكر الأعداء.

(١) الدرعية: قرية ما بين ماوية ولحج في منطقة الصبيحة بجنوب اليمن، انظر، معجم الحجري، ١ / ٣٣٠، حياة الأمير، ٦١٩ .

(٢) دكيم: محطة للمسافرين إلى لحج، تقع على ميزاب ثبن، سيل لحج، انظر، معجم المقحفي، ٢٣٨ .

وأما أهل جبل حبشي فلم يحترزوا بل اجتمعوا فوق الأكام، وقعدوا يتفرجون على الطيارتين المحلقتين عليهما، وهم غافلون عن مكرهم، فاغتنموا من أولئك الفرصة، وقذفوا عليهم من القليل التي تحملها الطيارات، ولما وصلت إليهم انفجرت بينهم، واستشهد من المجاهدين جماعة، وجرحت جماعة، وبادر الباقون إلى الفرار إلى ماوية وتبعهم غيرهم من الجنود، ولم يبق أحد منهم في تلك الجهة، وتم للإفرنج ما أرادوه من الإرهاب وتقوية جانب أهل الحواش وغيرهم، وذلك من نتائج إهمال الحزم والاحتياط من مكر العدو، واضطرب الحال هنالك، فلم يجد الأمير جمال الدين بداً من تلافى الأحوال، وتسكين ما طرى من الاختلال والاعتلال، وكان حينئذ مقيماً في تربة يفرس^(١) رداً لمحطات المجاهدين، فبادر إلى الانتقال منها قاصداً ماوية بجيوش سدت الفضاء، وضاقت بها الرحاب.

/ ٢١٩

ولما وصل إلى تلك الجهة أزال ما فيها من الاضطراب وأصلح ما فيها من الاعتلال، وأعاد المراتب إلى ما كانت عليه من المنعة، واقتضى الرأي الشريف الإمامي صدور الأمر الشريف لى الأمير جمال الدين بالتوقف عن التقدم لمصلحة رأها الإمام، فبقي الأمير في ماوية وأوامره نافذة إلى جميع الأطراف والأكناف.

وفي أثناء إقامته، وصل إليه جماعة من أمراء الحج، وكانت بينهم وبينه المراجعة، ومكثوا لديه أياماً، ثم عادوا إلى الحج، وظهر من مراجعتهم محاولة رفع الجيش من الصبيحة، وأنهم قد تابوا من العود إلى التعرض على أبناء السبيل، وأنهم راضون بما يحكم عليهم في شأن ما مضى منهم من هذا الفعل الويل.

(١) يفرس: أحد فروع جبل حبشي، بها جامع أثري، على بعد ٣٠ كم في الجنوب الغربي من تعز، وفيها، قبر أحمد بن علوان. انظر، حياة الأمير، ٦٣٤.

وقد كان المجاهدون الذين في الصَّبِيحَةِ سَمُّوا من طولِ الإقامةِ فيها، ولحقتهم فيها الأمراضُ، فترجَّحَ لدن مولانا الإمامَ بعدَ الرِّفْعِ إليه بحقائقِ ما هنالك من المتاعِبِ الجسامِ، صدورُ الأمرِ الشريفِ بارتفاعِ المُحاطِ من بلادِ الصَّبِيحَةِ وبقاءِ الجندِ الكافي في معادن. ولم يرتفعِ الجندُ الإماميُّ من هنالك إلا بعدَ أنْ أُخربَ قلعةَ المنصوريِّ إلى القرارِ، وذاقَ أهلُ الصَّبِيحَةِ من الأهوالِ ما لم يخطرُ لهم على بالٍ ولا دارَ بالأفكارِ. وبعدَ بُبْثِ الأميرِ جمالِ الدينِ شهوراً في ماوية، عادَ إلى تعز، محفوفاً بالنصرِ وهيبيةِ العزِّ.

وفيها رجَّحَ رأيُ مولانا الإمام - عليه السلام - إعادةَ السيدِ الأجلِّ علي بن محمد المطاعِ إلى رَدَاع، وأمره بالتوجُّهِ إليها للقيامِ بأعمالها، فتوجَّهَ إلى هنالك ومعه ثلثةٌ من الأجنادِ، أهلُ الثباتِ زيادةً على من هنالك من العسكِرِ وبوصوله إليها ارتفعَ السيّدُ العلامةُ يحيى بنُ علي الداري، وعادَ إلى المقامِ الإمامي فباشَرَ الأعمالَ وضبطَ ما اختلَّ من الأحوالِ بالإصلاحِ النافي للاختلالِ والاعتلالِ.

وقد كانَ جرى في أواخرِ العامِ الماضي أنَّ العاملَ توجَّهَ إلى دَمْت^(١) مريداً فصلَ المادةِ التي طالَ النزاعُ فيها ما بين قَيْقَةَ والمتصدرِ عليهم / الشيخ محمد بن / ٢٢٠ / سعيد الذهب، وبين صَبَاح^(٢) والمتصدرِ عليهم الشيخ يحيى علي علاو، وذلك

(١) دَمْت: ناحية من قضاء النَّادِرة، بالشرق الشمالي من إب على مسافة ١٣١ كم انظر، معالم الآثار، ٩٣، اليمن الكبرى، ١٤٤، المدارس الإسلامية، ١٦٢، معجم الحجري، ١/ ٣٦٥ (بها قلعة حصينة، وبالقرب منها حمام طبيعي يقصده الناس من جهات شتى للاستشفاء به من الأمراض، بجانب الحمام وادي ثريد).

(٢) صَبَاح: من قرى ناحية ذي ناعم بالبيضاء من رَدَاع، وصَبَاح، قرية من ناحية الجبِّي انظر، اليمن الكبرى، ٤٤، معجم المقحفي، ٣٧٣، معجم الحجري ٢٠/ ٣٦٠، الاكليل، ١٠/ ٢٥٢.

من أجل حصن قرن الملح^(١)، وهو بين حدود الطرفين، وكان بيد أصحاب الذهب، فغزا أهل قرية مشورة من صباح، وقُتِلَ من الفريقين عدة قتلى، وذلك بزمن عمالة السيد علي بن محمد المطاع المرة الأولى، واستولى أهل صباح على الحصن المذكور، فصدر الأمر من مولانا الإمام بتأديب المعتدين، وساق عليهم العامل عصابة من الجند الإمامي في حينه، فأخرجوا أهل مشورة^(٢) ومن معهم من الحصن المذكور، وساقوا أعيان أهل مشورة في الأغلال، وضرب العامل عليهم بأمر الإمام أدباً لبيت المال على قدر جرمهم، وآل الأمر إلى وصول الشيخين المذكورين إلى حضرة الإمام والطرفان يدعيان تملك الحصن المذكور، فمكثا مدةً مديدةً في محاكمة، وصدر في نهايتها الحكم الذهب وأصحابه في الحصن المذكور دون أكثر الأموال المحيطة به، فهي لأهل^[١] صباح، ولم يقنع الغريمان، وتوفي في خلال ذلك محمد سعيد الذهب، وقام ولده الشيخ عبد الولي بن محمد مكانه، فأمر مولانا الإمام السيد العماد يحيى بن علي الذاري عند توجهه، بأن يتولى إكمال فصل النزاع، فوصل في أثناء إقامته هنالك إلى دمت، وحضر الشيخ علاو والشيخ عبد الولي الذهب إليه، فثارت بين يدي العامل الفتنة عند أن أمر بحبس عبد الوالي وقُتِلَ حينئذ اثنان من الحاضرين وجرح آخر، وكاد الشر أن يصل إلى العامل لولا تيسر اطفاء الفتنة، فكان ضبط علاو والذهب وبعض أصحابها وإرسالهم إلى حضرة الإمام، فأودعا دار الاعتقال، وانضم إلى ذلك الشيخ علي بن أحمد جرعون، كان في المقام أيضاً، فاقضى

(١) قرن الملح: حصن في جبل الملح بتهمامة جنوب اللحية، وملح، محلة في نهم، ودار ملح، من عزلة بلاد غيل وأعمال المحويت والملح، قرية في جبل باقم من قضاء جماعة وأعمال صعدة، والمقصود جبل تهمامة، انظر، معجم المحقفي، ٢٢٨ .

(٢) مشورة: قرية في جبل المشورة الواقع في الجنوب من جبل حبش، انظر، اليمن الكبرى، ٥٩٩ .

الحال حبسه والجهميُّ كان محبوباً أيضاً من العام الماضي، فكان توجيهُ السيد علي بن محمد المطاع وأكثرُ مشايخ جهة رَدَاعِ محبوسين في القصرِ السعيدِ، ولا يخفى ما عليه المشايخُ من الأطماعِ وحيلولتهمِ محافظةً على مواردِ أطمائهم بين الرعية ودوامِ السكونِ، فكان الحبسُ للمذكورين مما أعانَ العاملَ على القيامِ بأعماله على ما يرام.

وَمِنْ أَوَّلِ أعمالِهِ أَنْ أَنْفَذَ ما أمره الإمامُ به من هَدْمِ حصنِ قرن الملح المذكورِ إلى القرارِ دفعاً للخصومةِ بينَ الفريقين؛ لأنَّ تصلُّبهما عليه لم يكنْ لأجلِ كونه بيتاً، بل لكونه دركاً يتمكَّنُ به ساكنه من أذيةِ الأخر.

وفي خلالِ ذلك احتالَ الشيخُ محمدُ بنُ علي الجهمي في فراره من الحبسِ، فاهتمَّ مولانا الإمامُ -عليه السلام- بأمره، وكتبَ التلغرافاتِ إلى سائرِ الجهاتِ بإلقاءِ القبضِ عليه، وأمرَ عاملَ رَدَاعِ بانفاذِ/ عصابةٍ من الجندي إلى بيوتِ الشيخِ / ٢٢١ المذكورِ، وهي حصونٌ منيعةٌ مرتفعةٌ إذا وصلَ إليها الشيخُ المذكورُ، وأرادَ التمنعَ وإيقاظَ الفتنة، تيسَّرَ له ذلك، فأرسلَ العصابةَ المذكورة، وقبضوا الحصونَ المذكورة، وأمرهم مولانا الإمامُ بهدمِ أهمَّها مناعةً فهدموه.

وبعدَ أيام، وقَعَ الظَّفَرُ بالشيخِ محمد علي الجهمي في إحدى قرى مخلافِ عنس^(١)، وسيقُّ إلى دَمَارِ، ومن هنالك أُرْسِلَ إلى حضرةِ الإمامِ وأُعيدَ إلى محبسه، ولم يحصلَ على طائلٍ من فراره، بل جَلَبَ على نفسه المحنةَ بخرابِ حصونه.

إذا لم يكنْ عونٌ من الله للفتى فاولُّ ما يجني عليه اجتهاده

ثم استمدَّ العاملُ المذكورُ مِنْ مولانا الإمامِ إرسالَ الجنودِ اللازمةِ للاستيلاءِ على ناحيةِ السواديةِ، وكانت متروكةً مهملةً منذَ عادَ عنها سيفُ

(١) مخلافِ عنس: ناحية واسعة غربي دَمَارِ بمسافة ٤١ كم، انظر، نيل الوطر، ٢/ ٣٤٠.

الإسلام المولى أحمد بن قاسم حميد الدين، وكان الشيخ أحمد بن قايد الجبري من مشايخها يتظاهرون بالميل إلى دولة الإمام، ويودّ الدخول في الطاعة، ولكنه يعتذر بامتناع من سواه من المشايخ بالناحية وقبائلها عن الطاعة، ويستمدّ إرسال الجيش الإمامي لإخضاع النافرين، ووعدّ بالمعاونة، وطلب من العامل أن يُصان جانبه، ويُراعى حقّه، فوعدّه العامل بما أراد ومراجعة العامل للإمام بأن يكون نصّبه عاملاً على البلاد، وقد سبق ما هو قريب من هذا في العام الماضي، مع العامل السابق، ولما تمّ الوفاق على هذا، ورفع العامل حقيقة الحال، وإلى مولانا الإمام متابعة إرسال الأجناد إلى رذاع إلى أن كملت العدة المطلوبة، وأمر مولانا الإمام عامل رذاع بجمع جيش من بلاد رذاع وقبائلها، فجمع من أهل النجدة ثمان مئة رام وزيادة، وانضموا إلى الجنود التي أرسلها مولانا الإمام، فبلغت عدة الجيش المعين للسوادية ألفاً وثمان مئة مقاتل غير الاتباع، فيهم من المشهورين بالرئاسة جماعة كالنقيب محمد بن عبد الوهاب بن سنان الأرحبي وعلي غانم بن مهدي وغيرهم^[١] من رؤساء أرحب، ومن خولان كثير من^[٢] عقال بطونها^[٣]، وكذلك من حاشد من بني صريم وخارف ولما أخذ الجيش أهبة للعزم، ومعه أحد المدافع، وصل الشيخ أحمد بن قايد الجبري وأخوه محمد بن قايد إلى رذاع وأوصلا أولادهما إلى رذاع على ما كان به الوفاق بينه وبين العامل، واعطاء العامل إلى الشيخ أحمد الرأي^[٤]، الشريف بالعمالة، وإلى أخيه أمر المشيخ وتوجه الجيش من رذاع في سادس شهر ربيع الأول/ من السنة وقد عين مولانا الإمام قائداً للجنود الإمامي الشيخ صالح بن صالح الطيري^(١)، شيخ مشايخ مخراف العرش لمكان خبرته بالبلاد، فبات الجيش في ذلك اليوم

/ ٢٢٢

(١) صالح بن صالح الطيري: من مشاهير الرؤساء في اليمن، شيخ بلاد العرش، انظر، معجم الحجري، ١/ ٣٦٣.

[١] في س، وغيرهما. [٢ - ٢] في س، عقالها. [٣] في س، الأمر.

بأطراف البلاد الإمامية.

وفي اليوم الثاني، وصل إلى آل غنيم^(١) من السوادية^(٢)، وهم المنتمون إلى أولاد قايد الجبري فتلقوهم بالترحيب، وأضافوا الجيش كله، وحضر إلى قائدهم كبار آل غنيم^(٣) من آل السلال وآل بصير وآل سرحان وآل منصور ومن عبس^(٤) وشيخهم ضيف الله علوي ومن عميد وشيخهم طالب بن أحمد بعد الأمان للشيخين المذكورين وجماعتهما، وواجه الجميع بالطاعة والإنقياد والدخول في سلك حزب الرّشاد.

ثم انتقل الجيش من هنالك متوغلاً في بلاد السوادية، وقد هرب أهلها، وكذلك أهل عفار وذاهبة^(٤) والطفة^(٥)، فاستقر في محلّ الشيخ حسين حسن السّوادي، ومحلات الشيخ محمد عبده حسين، وأرسل العامل بالامانات اللازمة

(١) آل غنيم: من آل ربيع من آل أحمد أصحاب الجبّري، مساكنهم ما بين رداع والسوادية، وشيخهم الجبري، انظر، معجم الحجري، ١/ ٣٦٢، ٢/ ٦٢٦ .

(٢) السّوادية: ناحية من رداع العرش في الجنوب الشرقي من صنعاء شرقي ذمار بمسافة ١٥٠ كم، انظر، معجم الحجري، ١/ ٣٦٠، معجم المقحفى، ١/ ٣٣١، من توابعها، العزل التالية: بنو وهب، بنو منصور الملاقم، آل حسن، الطاهرية، الحراتيك، آل غشام الملاحم، رذمان آل عوض، ذاهبية، حوران مشنير، حورات آل عامر، السادة، آل عامر، ذو القمر آل عوض، حربة آل عوض، فاقع آل عوض، انظر، معجم المقحفى، ٣٣١ .

(٣) عبس: ناحية في هامة، يقال لها عبس بن ثواب مركزها الرّنف من أعمال ميدي، لواء حجة، انظر، معجم المقحفى، ٢/ ٥٧٤ .

(٤) ذاهبية: من قبائل قيفة غير القرشيين من رداع العرش، انظر معجم الحجري، ١/ ٣٦٤ .

(٥) الطفّة: قرية من بلاد البيضاء، وهي مركز ناحية، انظر، معجم الحجري، ٢/ ٥٨٨، معجم المقحفى، ٤٠٣ .

[١ - ١] سقطت من س.

إلى قائد الجيش والشيخ أحمد الجبري، فعاد بالأمان سكان وادي عميد^(١)، وهي قرى متعددة، ثم أصحاب حسين حسن ودخلوا في الطاعة، وبعدهم طلب الأمان أهل الطاهرية^(٢) وهي من المحلات التي اتخذها الإمام المهدي^[١] أحمد^(٣) بن الحسن عند دخوله إلى المشرق محطة، وله فيها جامع باقٍ إلى الآن، فكان تأمينهم، ثم طلب الأمان أيضاً السلطان علي بن حسن الرصاص وجماعته فأمنوا، وكذلك أهل زهران وآل عواض طلبوا الأمان، ووصل مشايخهم إلى المحطة ثم سلاطين أهل ذي خير^(٤) من آل بهجه، ووصل كبارهم إلى المحطة، ودخلوا في الطاعة رغبة ورهبة. وبارشاد عامل القضاء كان الرمي بالمدفع مرات فسمع أهل تلك الجهة ما لم يعهدوه وهابوا وارتاعوا، لأنهم لم يكونوا قد سمعوا أصوات المدافع، وكان السلطان صالح بن أحمد الرصاص قد أخرج بيتين له في الزهيرية وأبقى النوية، واستعد للقتال، ومعه أخوه السلطان حسين بن أحمد، وانضم إليه الشيخ سالم أبو بكر، والشيخ أحمد صلاح، وهما أهل حصون عفار، وكذلك كبار عفار والطقة جميعهم، وشايخهم الشيخ عبدالله الخضر من آل

(١) وادي عميد: عزلة فيها ثمان قرى من قبائل قيقة غير القرشيين، انظر، معجم الحجري، ٣٦٤/١.

(٢) الطاهرية: نسبة إلى آل طاهر، منهم السلاطين بنو طاهر بن معوضة بن تاج الدين ملوك اليمن بعد بني رسول، من قبائل قيقة غير القرشيين، انظر معجم الحجري، ٣٦٤/١.

(٣) المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم ت بالمواهب سنة ١١٣٠ هـ، تولى الإمامة سنة ١٠٩٧ هـ في زمنه أخضعت يافع وجزيرة زيلع، واختط مدينة الخضراء على مسافة ميل من ركاع انظر، البدر الطالع، ٩٧/٢، فرجة الهموم، ٢٢٢، نشر العرف، ٤٤٩/٢، تاريخ المخلاف السلياني، ٣٨٤.

(٤) ذي خير: المقصود امارة آل خيرات على المخلاف السلياني.

[١] في س، المهدي لدين الله، أحمد بن الحسن الإمام القاسم.

عُنَيْمٍ، فَإِنَّهُ فَرَّ مِنْ دُورِهِ، وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنْ عَفَّارٍ، فَكَانَ تَرْتِيبُ دُورِهِ بِالْمُجَاهِدِينَ، فَاجْتَمَعَ الْمَذْكُورُونَ وَاسْتَعَدُّوا لِلْقِتَالِ، وَحَشَدَ السُّلْطَانُ صَالِحَ الْمَذْكُورِ غَيْرِهِمْ مِنْ الْمَلَاجِمِ وَذِي نَاعِمٍ، فَرَأَسَلَهُ عَامِلُ رَدَّاعٍ وَنَصَحَهُ فَاِنْقَادَ ظَاهِرًا، وَوَصَلَ إِلَى الْمَحْطَةِ بِالْأَمَانِ، وَأَرْسَلَ لَهُ الْعَامِلُ / بِالْكَسُوفَةِ وَأَكْرَمَهُ غَايَةَ الْإِكْرَامِ، وَطَلَبَ مِنْهُ / ٢٢٣ الْوُصُولَ إِلَى رَدَّاعٍ، فَاعْتَذَرَ، وَطَلَبَ الْإِمَهَالَ ثُمَّ عَادَ إِلَى الزُّهَيْرِيَّةِ، وَتَمَسَّكَ بِالْعِنَادِ، وَاتَّفَقَ مَعَ الشَّيْخِ سَالِمِ أَبُو بَكْرٍ، وَأَهْلِي عَفَّارٍ عَلَى تَسْلِيمِ الْحِصُونِ إِلَيْهِ، وَظَنَّ أَنَّ مَنَاعَتَهَا سَتَحْمِيهِ مِنْ نِيرَانِ جَيْشِ الْإِمَامِ، وَغَرَّهُ مَا هِيَ مِنْ قُوَّةِ الْبِنَاءِ وَإِحْكَامِهِ، فَقَدْ وُصِفَ مِنْ قُوَّةِ بِنَائِهَا أَنَّ عَرَضَ الْجُدَارِ مِنْ أُنْبِيَةِ الْحِصْنِ الْمَذْكُورِ نَحْوَ ثَلَاثَةِ أَذْرَعٍ، وَالْحَجْرُ مِنْهُ فِي ذَلِكَ الْمَقْدَارِ نَافِذَةٌ مِنْ وَجْهِ الْبِنَاءِ إِلَى الْطَرَفِ الْآخِرِ مِنْهُ. وَلَمَّا لَمْ تَنْفَعُهُ رِسَائِلُ النَّصِيحِ، أَمَرَ مَوْلَانَا الْإِمَامُ بِمُوَاقَعَتِهِ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ فِي تِلْكَ الْحِصُونِ، فَارْتَبَّ قَائِدُ الْجَيْشِ جُنْدَ الْإِمَامِ، فَجَعَلَ أَرْحَبَ مَعَ الْمُدْفِعِ فِي جِهَةٍ، وَمَعَهُمُ الْمُقَدَّمِيُّ، وَأَهْلُ رَدَّاعٍ يَتَقَدَّمُونَ إِلَى مَحَلَّاتِ الطُّفَّةِ مِنْ وَرَاءِ الْحِصُونِ؛ لِمَنْعِ مَدِدِ الْعَدُوِّ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ، وَخَوْلَانُ يَتَقَدَّمُونَ إِلَى مَحَلَّاتٍ مَعِينَةٍ، بِقَصْدِ الْحِصَارِ لِمَنْ فِي الْحِصُونِ، فَتَقَدَّمَتْ كُلُّ طَائِفَةٍ إِلَى الْمَحَلَّاتِ الَّتِي أَمُرَتْ بِهَا وَاسْتَوْلَتْ عَلَيْهَا، وَاقْتَصَرَ قَائِدُ الْجَيْشِ عَلَى رَمِيِ الْحِصُونِ بِالْمُدْفِعِ، وَتَمَكَّنَ فِي خِلَالِ ذَلِكَ مِنْ مَعْرِفَةِ الْحِصْنِ الَّذِي فِيهِ السُّلْطَانُ صَالِحَ الرِّصَاصِ، فَأَمَرَ بِالرَّمَايَةِ عَلَيْهِ دُونَ سِوَاهِ، وَالتَّرَامِيِ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ مُسْتَمِرًّا، فَتَيَسَّرَ بِرِصَاصِ الْمُدْفِعِ إِخْرَابُ جَانِبٍ مِنَ الْحِصْنِ الَّذِي فِيهِ السُّلْطَانُ الْمَذْكُورُ، وَأَيْسَرَ مَنْ فِي الْحِصُونِ مِنْ إِمْكَانِ وَصُولِ الْمَدِّ إِلَيْهِمْ مِنْ جِهَةِ الْمَشْرِقِ، وَكَانَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ صِلَاحٌ قَدْ خَرَجَ مِنْ حِصْنِهِ الْمُنِيْعِ، وَأَبْقَى فِيهِ جَمَاعَةً، وَتَخَيَّرَ مَكَانًا يَتِمَكَّنُ فِيهِ مِنَ الرَّمِيِ عَلَى مَنْ حَوْلَ الْمُدْفِعِ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ، وَلَمْ يَكُنِ الْجُنْدُ الْإِمَامِيُّ وَلَا قَائِدُهُ مُتَوَقِّعِينَ حُصُولَ

ضررٍ من تلك الجهة، فلما تمكَّنَ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ هُوَ أَصْحَابُهُ، أَطْلَقُوا بِنَادِقِهِمْ عَلَى أَصْحَابِ الْإِمَامِ، فَاسْتَشْهَدَ النَّقِيبُ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ حُسَيْنِ أَمْرَ حَلِيقَةٍ، وَأَحَدُ الطَّبِجِيَّةِ، وَآخَرُ مِنْ رَدَّاعٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وَلَمَّا شَعَرُوا بِهِ وَبِمَكَانِهِ، أَقْدَمَ عَلَيْهِ الْمَجَاهِدُونَ كَالْأَسْوَدِ وَهَاجَمُوهُ إِلَى مَكَانِهِ، فَفَرَّ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ، فَدَامَ الْحَرْبُ عَلَى مَنْ فِي الْحِصُونِ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ، وَفِي آخِرِهَا رَكَنُوا إِلَى الْفِرَارِ، وَدَخَلَ الْمَجَاهِدُونَ إِلَى الْحِصُونِ، وَاسْتَوْلُوا عَلَيْهَا، وَأَمَرَ الْإِمَامُ بِإِخْرَابِ الْحِصُونِ، فَوَضَعُوا فِيهَا الْبَارُوتَ وَأَشْعَلُوهُ، وَلَمْ يَوْثُرْ فِيهَا، ثُمَّ أُخْرِبَتْ بِالْأَيْدِي، وَبَقِيَ الْجَيْشُ يَعْمَلُ فِي هَدْمِهَا أَيَّامًا، ثُمَّ عَطَفَ عَامِلُ رَدَّاعٍ نَظْرَهُ إِلَى أَخِيذِ الرَّهَائِنِ مِنْ جَمِيعِ قَبَائِلِ السُّوَادِيَّةِ فَانْقَادُوا، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ بَطْنٌ بَدُونِ رَهِينَةٍ، وَضَبَطَ الْأُمُورَ، وَرَتَّبَهَا أَحْسَنَ تَرْتِيبٍ، وَاسْتَأْذَنَ مَوْلَانَا الْإِمَامَ فِي عِمَارَةِ حُكُومَةٍ فِي مَرْكَزِ السُّوَادِيَّةِ، فَأَذِنَ لَهُ الْإِمَامُ بِذَلِكَ، وَأَمَرَهُ بِاسْتِمَالَةِ الرِّصَاصِ، وَلَمَّا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الطَّيْرِ مِنَ النَّفُورِ، أَمَرَ قَائِدُ الْجَيْشِ بِالرَّجُوعِ إِلَى رَدَّاعٍ، ثُمَّ دَارَتِ الْمُرَاسَلَةُ بِوَسْطَةِ الْجَبْرِيِّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرِّصَاصِ، وَتَمَّ الْأَمْرُ عَلَى أَنْ يَكُونَ الرِّصَاصُ عَامِلًا عَلَى الْبِيضَاءِ، بِشَرْطِ رَجُوعِهَا إِلَى قَبْضَتِهِ لِأَنَّهَا بِيَدِ الْحَمِيقَانِي، فَجَرَى الْحَرْبُ بَيْنَهُمَا، وَفِي أَثْنَائِهَا، وَقَعَ قَتْلُ صَالِحِ الرِّصَاصِ عَلَى يَدِ الْحَمِيقَانِي، وَصَلَحَتْ أَحْوَالُ السُّوَادِيَّةِ جَمِيعِهَا، وَرَجَعَ الْجُنْدُ مِنْ هُنَاكَ، وَبَقِيَ فِيهَا حَاكِمُهَا وَعَامِلُهَا.

/ ٢٢٤

^{١٧} وفيها توفي السيد الفاضل محمد بن يحيى شريف من علماء صعدة وأعيان سادتها، وأدركته المنية وهو في سن الكهولة، وكان من العلم بمكان، وإليه يُشار بالبنان، ويُقصد لفصل الخصام وإصدار الأحكام، ولم يبلغ إلي من أحواله ما يكون كافلاً بالتعريف به وإيضاح ترجمته كما ينبغي حال التحرير، فلذلك

[١ - ١] سقطت من س.

كَانَ مَنِّي الْاِقْتِصَارُ عَلَى هَذَا الْمَقْدَارِ^[١].

وفيهما أُنيطتُ أعمالُ الشَّرْفَيْنِ وحجورِ إلى المولى، سيفِ الإسلامِ أحمدَ بنِ أميرِ المؤمنين، وانقضى هذا العامُ وهو مقيمٌ بحجَّةَ، وقد أحكمَ جميعَ أمورِها وضَبَطَها الضَّبْطَ التامَ، وقاسى في ذلك متاعبَ تجاوزَها إلى المرامِ بصراحةٍ واهتمامٍ؛ لأنَّ في تلكِ الأطرافِ كثيراً من النقايلِ من حاشدٍ وبكيلٍ، ولم يكونوا يخضعونَ لكنَّ قبلَه في التحريِ على واجباتِهِم وغيرِها، فألزمَهُم المولى سيفُ الإسلامِ بأن يكونوا من جملةِ أهلِ البلادِ، وأمرَ الخارصينَ للواجباتِ أن يخرصوا أملاكَهُم مثلَ غيرِهِم، فكثُرَ منهم لأجلِ ذلكِ الاضطرابِ والاعتصابِ، ولم يبالِ بهم بل شدَّدَ العزيمةَ في إمضاءِ ذلكِ، وتمَّ له ما أرادَ مِنَ الضَّبْطِ المستجادِ.

وفي أواخرِ هذا العامِ، أمرَ مولانا الإمامَ جمالَ الإسلامِ عليَّ بنَ محمدِ الشامي بالعزمِ إلى رَيمَةَ لاستلامِ زمامِ أعمالِها وجهادِها، كما كان من قبلُ لإلحاحِ القاضي أحمدَ بنِ أحمدِ الجرافي على مولانا الإمامِ في رفعِ التكليفِ بذلكِ عنه، متعذراً بعدمِ تمكِّنه من القيامِ بأعمالِ الجهةِ الأنسيةِ ورَيمَةَ معاً، فتوجهَ السيدُ جمالُ الإسلامِ إلى هنالكِ، وأستلمَ زمامَ الأعمالِ وارتفعَ بوصولِهِ السيدُ عبدُ الكريمِ بنِ إسماعيلِ الكوكباني من هنالكِ، ووصلَ إلى حضرةِ مولانا الإمامِ.^[١] وههنا وقفَ جوادُ القلمِ في بيانِ ما حصلَ في هذهِ السنَةِ من الحوادثِ في البلادِ الإماميةِ. ومما وقفتُ عليه من أشعارِ الفقيهِ أحمدَ بنِ صالحِ الجلالِ، التي رفعها إلى الحضرةِ الشريفةِ في أثناءِ هذا العامِ، قوله من قصيدةٍ مطلعها:

[١ - ١] من عبارة «وههنا وقف جواد القلم حتى عبارة ودرر نحو الكعاب»، سقطت من س.

[الخفيف]

وَلِعَلِّمِ الرَّسُولِ طَابَ اقْتِبَاسَا
 وَصَفَا فِكْرَةً وَصَابَ حَوَاسَا
 عَن يَدٍ لَا يَخَافُ مِنْهَا انْعِكَاسَا
 وَأَتَاهُ الْوَرَى أَنَسَاً أَنَسَا
 فَهُوَ خَيْرُ الْوَلَاةِ عَيْنَاً وَرَاسَا
 أَتَعَسَ اللَّهُ حَخْدَهُ إِتْعَاسَا
 وَجَلَالاً وَوَلَابَسَاً وَوَلَبَاسَا
 أَوْضَحَ الْمَشْكَلَاتِ وَالْأَلْتَبَاسَا
 حَسَنَ الْفَضْلِ إِنْ أَرَدْتَ التَّمَاسَا
 صَاحِبَ الْعِزْمِ أَعْظَمَ النَّاسِ بَاسَا
 أَنَسَ اللَّهُ ذَاتَهُ إِيْنَسَا
 مَلِكُ الْجُودِ وَالْوَجُودِ فَوَاسِي

حَيٍّ مِنْ طَالَ لِلْأُمُورِ مِرَاسَا
 الْإِمَامَ الْهَمَامَ مِنْ فِئَاقٍ فَهَمَّ
 دَوَّخَ الْأَرْضِ فَهِيَ تُجْبَى إِلَيْهِ
 وَأَتَتْهُ الْوَفُودُ قَوْمًا فَقَوْمًا
 وَتَوَلَّى الْبِلَادَ شَرْقًا وَغَرْبًا
 كُلُّ مَنْ رَامَ لِلْخَلِيفَةِ حَرْبًا
 هُوَ سُرُّ الْوَجُودِ طَابَ جَمَالًا
 هُوَ بَحْرٌ مِنَ الْعُلُومِ عَمِيقٌ
 التَّمِيسُ فَضْلُهُ الْجَزِيلُ تَجِدُهُ
 وَارْتَقِبْ بِأَسِهِ الشَّدِيدِ لَغَابِنِ
 هُوَ لِلْمُؤْمِنِينَ قِرَّةٌ عَيْنِ
 هُوَ لِلْسَائِلِينَ كَعَبَّةٌ خَيْرِ

وهي طويلة، والمختار منها هو ما نقلته، وله أيضاً من قصيدة أخرى في مدح مولانا الإمام - عليه السلام - قوله بعد مطلع ونسيب لم استحسّن إثباته:

[الخفيف]

قَمَرُ الْكَوْنِ طَيِّبُ الْأَغْرَاسِ
 وَغِيَاثٌ وَنِعْمَةٌ لِلنَّاسِ
 لِي قِيَامًا وَزَانَ بِالْقِسْطِ
 لَيْسَ بِالْفِظِّ وَالْغَلِيظِ الْقَاسِي
 نَا وَشَانَاً فَمَا لَهُ مِنْ قِيَاسِ
 فَرَاءَتْ فِي حَلَّةِ الْإِيْنَسِ

الْإِمَامُ الْهَمَامُ بَدْرُ اللَّيَالِي
 هُوَ نَوْرٌ وَرَحْمَةٌ وَأَمَانٌ
 قَامَ بِالْقِسْطِ فِي الْعِبَادِ وَبِالْعَدِ
 رَافَقَ الرَّفِيقَ فَهُوَ خَيْرُ رَفِيقِ
 وَلَقَدْ فِئَاقٌ مَنْ تَقَدَّمَ سُلْطَا
 يَا إِمَامَ الْهُدَى أَنْزَلْتَ اللَّيَالِي

أنت من خيرٍ معشرٍ وكـرام
 أنت من خيرٍ من بهم عُرِفَ الخيرُ
 قرَّ عيناً فأنت خيرُ إمام
 نحن في اليُمنِ ما بقيت أخوا اليُمنِ

شرفوا في السورى وخيرِ أناسٍ / ٢٢٦
 ومن طهروا من الأذناسِ
 صحبَ الدينَ صحبةَ الأكياسِ
 فلَسْنَا نخافُ من إبلاسِ

وهي طويلةٌ أيضاً، وله من أخرى في مدح مولانا - عليه السلام -: [الرميل]

سيدي ما زلت بالفضلِ جديراً
 أودعَ اللهُ تعالَى سِرَّهُ
 أنت سرُّ اللهُ في الخلقِ ومما
 أنت من أضحجَ للدينِ يداً
 أنت بمنَّ ظهَرَ الحقُّ بهِ
 يا ابنَ ياسينَ وطه خيراً من
 يا ابنَ ساداتِ كرامِ سبقوا
 يا ابنَ أزبابِ المعالي والعُلا
 يا ابنَ قومٍ لم يَزَلْ قائمُهُم
 سادةٌ سادوا فجادوا وغدوا
 هم هداةٌ يهتدي الناسُ بهم
 حُجَّجَ اللهُ على الخلقِ إذا
 كم أراي اللهُ منهم سيِّداً
 أنسوا بالحربِ لا بالإنسِ واستبدلوا
 فازَ من وإلى بني الزهرا وان
 يا إماماً أمةَ الخيرِ وما

ومن الجورِ مغيثاً ونصيراً
 فيك حتى صرَّتْ للأمةِ نوراً
 زال سرُّ اللهُ في الخلقِ كبيراً
 ولساناً وسناناً وظهيراً
 وتجلَّى فحكى الشمسَ ظهوراً
 جاء بالحقِّ بشيراً ونذيراً
 ما لهمُ واللهِ في الكونِ نظيراً
 وذوي الفضلِ قديماً وأخيراً
 شاهرَ السيفِ على الدينِ غيراً
 كالحيا وما زال ربّاً طهوراً
 ولذا صاروا نُجوماً وبُدوراً
 ما رأوا يوماً عبوساً قمطريراً
 صارَ في سؤددهِ الكونُ حقيراً
 بالمنزلِ الأدنى خطيراً
 حُشِرَ القالونَ يَصَلِّونَ سعيراً
 زال للمؤمنِ نوراً وسروراً / ٢٢٧

طال ما نلت من الفخر وما بز مولانا على الفخر فخورا
زين الله بك الدنيا واع طاك مولاك غدا ملكا كبيرا

ولها بقية مفرغة في هذا القالب الحسن، والانجسام المستحسن. وممن نظم
في مدح مولانا الإمام في هذا العام، الأخ الأديب القاضي محمد بن أحمد مطهر^(١)،
فإنه رفع إلى الحضرة الشريفة قصيدة غديرية^(٢)، حوت لطيف الانجسام
وحسن الإفادة عن المرام، وهي:

حدثاني عن عيد يوم الغدير وأحاديث عزة ولبنى
وذكر زينب والسدير وجميل وعروة وكثير
واتركا وصف حسن عيد ومرد وجمال وأيكية وسير
واشرح لي تلك الولاية بالله بقول من البشير النذير
مخبرا فيه مبلغا عن إله العرش أسنى ولاية وطهور
فيه منبتاي غاية أنسي ووفور الهنا بشرح الصدور
وهو أحلى عندي من المن والسلوى وأوفي ذخيرة للنشور
أي من به أننا لعلي من إله الوري وأي سفور
إذ علا ربوة وقال ألامن كنت مولاة معلنا للحضور
منحة خصها إله البرايا فاستقامت بها قنأة الأمور
ذلك الفخر لا الفخار بملك أو بهال ومعقل وقصور

/ ٢٢٨

(١) محمد بن أحمد بن عبد الله مطهر: ت بصنعاء ١٣٨٦ هـ، أديب شاعر، فقيه، ناقد، كان يجيد اللغة العثمانية وله معرفة بالفرنسية، من كتبه الإمام يحيى ولد بصنعاء ١٣٠٦، له نوادر وظرائف انظر، هجر العلم، ٤٤١ .

(٢) غديرية: أي بمناسبة عيد الغدير الذي يصادف ١٨ ذي الحجة من كل عام عند الشيعة.

كُلُّ فَخْرٍ مِنَ الْعَلِيمِ الْقَدِيرِ
 وَتَجَلَّتْ بِكُلِّ وَصْفٍ مَنِيرِ
 الدَّهْرِ لآلِ الرَّسُولِ بِالتَّامِيرِ
 جَاءَ عِلاَهُمْ مِنَ الْمَلِكِ الْقَدِيرِ
 وَهُمْ لِلنَّجَاةِ سُفُنٌ بِحُورِ
 وَعُلا مَجْدِهِمْ جَمَالُ الدَّهْوَرِ
 مِنَ اللَّهِ فِي الْكُتُبِ الْمَنِيرِ
 فَهِيَ حَقٌّ لَهُمْ بِغَيْرِ نَكِيرِ
 وَبَسْعِي خَلَا عَنْ التَّقْصِيرِ
 تَدْفَعُ الْكَرْبَ وَاخْتِلَاجَ الضَّمِيرِ
 قِ نِعَمَ الْمَفَازِ يَوْمَ النَّشُورِ
 سَادَةَ أَهْلِ الْيَقِينِ وَالتَّقْوِيرِ
 سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ، فَخْرُ الْعِصْوَرِ
 سَنَدُ الْخَلْقِ مُحْكَمُ التَّدْبِيرِ
 جَدِ جَالِي الْكَرُوبِ خَيْرُ نَصِيرِ
 هِيَ أَمْضَى مِنْ فَتْكِ لَيْثِ هِصْوَرِ
 مُفْسِدِيهِمْ إِلَى مَهَاوِي السَّعِيرِ
 وَقَفَّتْ دُونَهَا عِلْمُ الصُّدُورِ
 ضَلَّلَ الرَّايِ مِنْ دَعَاةِ الشُّرُورِ
 فَغَدَوْا يَخِيطُونَ فِي دَيْجُورِ
 بِرَأْيِ حَمِي جَمِيعِ الثُّغُورِ

فَحِظْوَظُ الدُّنْيَى تَزُولُ وَيَبْقَى
 ذَاكَ يَوْمٌ بِهِ الْعِنَايَةُ جَلَّتْ
 سَحَبَتْ ذَيْلَهَا فَخَاراً لَدَى
 وَكَفَّاهُمْ مِنَ الْمُنَاقِبِ أَنْ
 فَهَمُوا فِي الدُّنْيَى هِدَاةُ الْبَرَايَا
 يَنْقُضِي سُودُودُ الْأَنْسَامِ وَيَمْضِي
 وَلَهُمْ وَاجِبُ الْمُوَدَّةِ بِالنَّصِّ
 وَرَثُوا تِلْكَمُ الْوِلَايَةَ حَقّاً
 وَحَمُوا قِصْرَهَا بِجِدِّ الْمَوَاضِي
 وَأَبَانُوا لَنَا مِنْهَا هَجَّ حَقِّ
 وَهَدُونَا إِلَى صِرَاطِ إِلِهِ الْخُلُقِ
 فَهَمُّ السَّادَةِ الْمِيَامِينُ الْقِي
 سِيَا فَخْرُهُمْ إِمَامُ الْبَرَايَا
 دَرَةُ التَّاجِ نَوْرُ عَيْنِ الْمَعَالِي
 غَوْتُ كُلِّ الْعِبَادِ بِدَرْ سَمَاءِ الْمَدَى
 مَنْ لَهْ فِي الْوَعْيِ عِزَاتٌ بِأَسَى
 قَمَعَتْ صَوْلَةَ الْبُغَاةِ وَأَزْدَتْ
 وَلَهْ فِي الْعِلْمِ رَتْبَةٌ عِزٌّ
 وَإِنْتِقَادُ سَاسِ الْبَرَايَا بِرَأْيِ
 حَارَ مِنْهُ الْمَلُوكُ شَرْقاً وَغَرْباً
 لَمْ يَرَوْا ثَغْرَةً وَقَدْ مَدَّهُ اللَّهُ

خَابَ مَسْعَاهُمْو فَظَلُّوا حِيَارِي
 يَا أَمَامَ السُّورِي وَيَا خَيْرَ دَاعِ
 إِنَّمَا أَنْتَ رَحْمَةٌ مَنَحَ اللهُ
 وَغَيَاثٌ مِّنْ كُلِّ خَطْبٍ وَوَيْلٍ
 لَمْ تَقَعْ فِي الدَّهْوَرِ عَيْنٌ عَلَى مِثْلِ
 شُدَّتْ لِلدِّينِ أَيُّ رُكْنٍ مَنِيْعٍ
 فَهِيَ مِنْ حَزْمِكَ الْمُجَدِّدِ فِي عَدَا
 وَالرَّعَايَا فِي ظِلِّ أَمْنٍ وَخِصْبٍ
 دُمَّتْ لِلْعَالَمِينَ كَهْفًا مَنِيْعًا
 وَإِلَيْكُمْ مِنَ الْفَقِيرِ نَظْمًا
 يُعْلِنُ السُّودَّ فِيكُمْ آلَ طَيْفَةٍ
 وَصَلَاةً مَشْفُوعَةً بِسَلَامٍ
 تَبْلُغُ الْمُصْطَفَى مَعَ الْإِلِّ طُورًا
 مَا شَدَا بُلْبُلُ الرِّيَاضِ وَغَنَى

ولا يخفى على الفطن اللبيب ما في هذه القصيدة من الأبيات العامرة
 بالمحاسن، والينبوع المتدفق بهاء الإجابة العذب لا الآسن، على أن مدح ذلك
 الجناب يُعَلِّي قدرَ كَلِّ خطابٍ ويُلحِّقُه بالذَّراري، ودرر نَحْوِ الكعاب.

ومما جرى في هذا العام، أَنَّ الأَمِيرَ حَسَنَ بَنِ عَلِيِّ بَنِ مُحَمَّدِ بَنِ عَايِضٍ^(١)

(١) حسن بن محمد علي بن محمد بن عبد الرحمن عاتض، آخر امراء آل عايض في عسير،
 تولى الامارة بعد أبيه ١٣٣٠هـ - ١٣٤٢هـ، تعاون مع الإدريسي ومع الشريف الحسين
 بن عون وحارب عبد العزيز بن مساعد بن جلوي قائد القوات النجدية فأسر ثم
 اطلق وعاد مرة أخرى للمقاومة، فأخذ إلى الرياض، وبقي هناك حتى توفي، انظر
 تاريخ عسير للنعمي، ٢٢٧، الإعلام، ١/ ٢٠٧.

صاحب عسيرة، ترقب الفرصة لأعوان ابن سعود، صاحب نجد، وكانت بلاد عسيرة في أيديهم منذ استيلائهم عليها، كما بيناه فيما سلف، فثار في أثناء هذا العام بهم مع من انضم إليه من أهل عسيرة، وأذاقهم الأهوال وطردتهم منها، بعد أن اجتحف القتل غالبهم، وهدم جانبهم، واستقر الأمير حسن في أبها، مدينة عسيرة وعقيلة قراها، مستعداً لما يأتي من قبل صاحب نجد من الغارة، ومستمداً لمن حوله من أمراء الأطراف بأنجاده ودفع مهاجماتهم الضارة، وسيأتي بيان ما آلت إليه أحوالهم في حوادث العام المقبل / إن شاء الله تعالى. / ٢٣٠

^١ وفي فصل الربيع من هذه السنة، نهض الأتراك بعزائم صادقة وصولية خارقة نحو أعدائهم اليونان، وأجنادهم المستولية على الكثير من بلاد الأناضول، وقد ذكرنا في العام الماضي أن اليونان بعد انهزامهم، وقفوا في مدينة إسكي شهر ومدينة أفيون قره حصار، ويدهم ما وراءهما من البلدان، والحرب لم يزل مستمراً بين الجيشين بدون تقدم من أحدهما، ولم يزل الأتراك يجمعون قواهم في خلال ذلك، إلى أن ساعدتهم الزمان، وانقضى زمن الشتاء، فأقبلوا على أعدائهم إقبال السيل من كل جانب، وأقدموا عليهم إقدام من يريد الوصول إلى أحد الأمرين: إما الظفر أو الموت تحت أقدام عدوه. فلم يطيق الجيش اليوناني الوقوف أمام تلك الصدمات والحركات على ما هو عليه من الكثرة، فقد قيل: إن جيش اليونان كان ينوف على مئة وخمسين ألف مقاتل، فولت جموعهم مذبرة، والأتراك يسوقونهم سوق الرعاة للشاه، فأسروا منهم ما لا يحصى، ومن الجملة قوادهم وأمراؤهم، واستولوا على جميع ما أعدوه، وهو الشيء الجسيم الكثير من المدافع والأسلحة والذخائر والدواب على اختلاف أنواعها، والسيارات البرية والسيارات المدرعة، وساقوا خلف من فر منهم،

[١ - ١] من عبارة «وفي فصل الربيع حتى عبارة ذوي الاحاد، لا قوة إلا بالله وله الأمر وحده» سقطت

فاستولوا على جميع ما كان تحت أيديهم من بلاد الأناضول، وأخرجوهم من مدينتها وأمصارها وسواحلها إلى أن قذفوا بهم إلى البحر، وكان هذا عملاً غير مُتَظَرٍّ ونصراً لم يسبق له مثل ولا حَلَمَ به أحدٌ حتى الأتراك أنفسهم.

ولما وصلوا من بعض الجهات إلى قرب الأستانة، هدّدوا الأستانة بالهجوم عليها، وفيها جنود الحلفاء الانكليز والفرانسة والطلين واليابان، فقامت قيامة رئيس وزراء الانجليز في ذلك التاريخ^(١)، ودعى قومه لمحاربة الأتراك، فعارضه في ذلك شيوخهم حتى أدى الحال إلى اخراجه من الوزارة، وسقوط أصحابه من الوزراء المعيّنين على قواعدهم وتشكيل حكومتهم وتعيين سواهم، ثم كان بعد هذا عقد الهدنة بين اليونان والأتراك، وكان من جملة شروط الهدنة: أن يؤجّل خروج عساكر الحلفاء إلى أن يُعقَدَ الصلح إلا أنهم اشترطوا أن يخرج اليونان من تراقيا/ وهي ولاية أدرنه، ويكون من الأتراك استلامها، وتم الأمر على هذا، وكان المؤمل أنه قد صلح الحال ما بين حكومة أنقرة، التي قام جيشها بهذه الحروب العظيمة، وبين حكومة الأستانة التي على رأسها السلطان وحيد الدين^(٢) ابن عبد المجيد بن محمود العثماني، فأظهر هذا الظفر ما في نيات أهل أنقرة عليهم وعلى سلطانهم، فإنهم أرسلوا أحد قوادهم المسمّى رأفت باشا، فدخل إلى الأستانة، وجنود الحلفاء فيها، وقصدّه الوصول إلى أدرنه لاستلامها، فرأى من إقبال الناس هنالك ما قطع به: أن الكل في

/ ٢٣١

(١) رئيس الوزراء آنذاك ا. يونارلو وكان قبله دافد لويدي جورج وهو الذي سقط وتولى بعده يونارلو رئيساً للوزراء ثم ستانلي بلدون ١٩٢٣-١٩٢٤، انظر، تاريخ أوروبا في العصور الحديثة لفسر، ٧٤٠.

(٢) السلطان محمد وحيد الدين بن السلطان عبد المجيد (١٩١٨-١٩٢٢) هو السلطان السادس والثلاثون من سلاطين بني عثمان، تلقب بمحمد السادس، ولد سنة ١٨٦٠ م وتوفي في سنة ١٩٢٦ م.

قبضته، وأنه مها شاء فعل، فأعمل التدبير في القبض على السلطان وحيد الدين، ولكن المذكور شعر بما يُرادُ به، فنجأ إلى بابور الإنجليز، ومعه بعض خواصه، تاركاً كلَّ شيءٍ في الأستانة، وقصورها، وهرب إلى بعض بلدان النصارى، ثم وصل إلى مكة، فلم يَطبُ له المقام فيها، فعاد إلى إحدى مَدِينِ إيطاليا، فسكنَ بها، ونصَّبَ الأتراكُ السلطانَ عبدَ المجيد^(١) بن مراد بن عبد المجيد، ولكنهم أبانوا ما يُكُونُونه من الانخلاع عن تعاليم الدين الإسلامي، فشرطوا عليه ما كانوا يزعمونه في متأخري سلاطين العثمانيين، من أنهم خلفاء على نحوِ خلفاء العباسية، والفائدة من إيجاده ذكره في الخطبة ونحو هذا، وأعلنوا في مجلسهم بأنقرة بأنهم قد فصلوا الدين عن السياسة، يعنون بالسياسة أمورَ الملك، وهذا الذي فعلوه تقليدٌ منهم لنصارى أوروبا، فإنهم ثاروا في وجوه أساقفتهم وبطارقتهم رؤساء الكنائس، وكان الحلُّ والعقدُ بأيديهم في أمور الملك، حتى كانوا يُنصَّبون الملوك ويخلعونهم، فالملك لا بدَّ أن يكونَ خاضعاً لإرادة أهل الكنيسة ولا يعملُ أمراً بدونِ استشارتهم، ففعلوا مثل ما فعل هؤلاء الأتراك، بأن منعوا رؤساء الديانة من الخوض في أمور الملك، ورتبوا لهم شرائع في تدبير الملك، وفصل الحقوق وإجراء العقوبات على ما يُوافق عقولهم، وهؤلاء الأتراك ظهرَ أنَّ فتنتهم هذه من أولئك الفريق، الذين هم من الملاحدة أقربُ منهم إلى المسلمين، فأظهروا ما أرادوا حين خلاهم الجوع، وصفي من المعارضين والمعارضة، وتمَّ ذلك، ولم ينتطح فيها عنزان، وكان المسلمون في أقطار الأرض هللوا لنصرتهم وفرحوا بذلك، ولكنهم / لما عرفوا ما / ٢٣٢

(١) السلطان عبد المجيد بن مراد بن عبد المجيد (خليفة فقط، رئاسة دينية) أي فصل الدين عن الدولة (١٩٢٢-١٩٢٤) ثم الغاء الخلافة وإعلان الجمهورية التركية في ٢٩ أكتوبر ١٩٢٣، وأنها دولة علمانية.

يدورُ في أفكار أولئك من التخلي عن التعاليم الإسلامية والميل إلى تعاليم الكافرين، خاب فيهم الظنُّ، وتحققوا أنهم فئةٌ، إذا دام تمكنها تحت الإسلام من قلوب الأتراك ووضعتهم في صفِّ ذوي الإلحاد^(١)، لا قوة إلا بالله، وله الأمر وحده^[١].

ودخلت سنةٌ إحدى وأربعين وثلثمائة بعد الألف:

ومولانا الإمام - عليه السلام - مقيمٌ برؤضة حاتم لتقضية فصل الخريف هنالك، والأحوال كما وصفنا، والعمال في البلاد الإمامية هم المذكورون في العام الماضي، وناجم التهائم مقيمٌ في صبيّا وجيزان، وإليه من البلاد جميع التهائم ما عدا قضاء بيت الفقيه ابن عجيل، وقضاء زبيد.

وقد كان منه عند هجوم النجديين على عسير مداراتهم، والتوقي منهم بترك ما كان تحت يده من بلاد عسير، وهو قضاء رجال ألمع^(٢)، وبعض قضاء محائل^(٣)،

(١) من الذين تغنوا بانتصارات مصطفى كمال أتاتورك، نذكر على سبيل المثال، عبد القادر حمزة، عباس محمود العقاد، صفية زغلول، عمر طوسون، عبد الحميد حمدي، أحمد شوقي، أمين محمد سعيد ثابت، وكريم خليل ثابت، وحول هذه الأحداث انظر، سيرة مصطفى كمال باشا وتاريخ الحركة التركية الوطنية في الأناضول، أمين محمد سعيد ثابت وكريم خليل ثابت، ط مجلة اللطائف المصورة، طبعة أولى سبتمبر ١٩٢٢ م.

(٢) قضاء رجال ألمع: من أقسام تهامة الرئيسية، ومن قبائلها، قيس وبنو ظالم وبنو زيد وبنو قطبة وآل صلب وبنو جونة وشحب والعوذ والبنو والبرك وفنا البحر وميناء القحمة مرفأ لها، انظر أخبار عسير، ١٤ .

(٣) محائل: في الجنوب الشرقي من القنفذة من عسير، من أقسام تهامة الرئيسية، من قبائلها بارق وآل موسى وآل مشور وآل دوريب وآل الريش والمنجحة وآل جبلي وآل موسى بن علي وربيع الطحاحين وآل سباعي وحميضة وربيعه مقاطرة، انظر أخبار عسير، ١٣، جزيرة العرب، ٢١٤، في ربوع عسير، ١٠١ .

وتسليمٌ أتاوةً سنويةً إليهم فوق ذلك إليهم، اختلفت الأقوال المنقولة في مقدارها^[١] من النقود، ولكنه تحقّق أنها مبلغٌ كثيرٌ من المال، لما حصل من المذكور من مصادرة التجار بأموالٍ كثيرة مرةً بعد أخرى عندما يصل المعينون لاستلامها منه.

وفي أوائل هذه السنة، اهتمّ مولانا الإمام، بإصلاح مجاري غيل آل أبي طالب^(١)، الذي يُسقى به في الرّوضة، وكان قد انقطع، وقلّ ماؤه في منابعه عدة سنين.

وكذلك غيل المهدي^(٢) أحمد بن الحسن، وغيل مصطفى^(٣)، واستمرّ العمل في غيل مصطفى أكثر أيام هذا العام، فتمّ اصلاحها على غاية ما يُرام، وحصل

(٢) غيل آل أبي طالب: يسقى الرّوضة، مصادره من شرق شعوب تحت قرية الخيف، أجراه طغتكين بن أيوب، والإمام القاسم بن محمد سباه باسم ولده أبي طالب أحمد بن القاسم وجعله وفقاً لقاطني بدر السلاطين في الرّوضة، ولا زال جارياً حتى سنة ١٩٢٦م انظر، The Gyaals of Sana, p.30.

(٣) غيل المهدي أحمد بن الحسن: أنشأه المهدي (١٠٧٨-١٠٩٢هـ)، ١٦٧٦م-١٦٨١م يسقى الرّوضة، وقف استحقاق لأهالي الرّوضة، ينبع من منتصف شعوب، اصلحة الوالي التركي محمد عزت ١٣٠٢هـ / ١٨٨٤، واشتراه الشيخ علي البليبي منه وقام الإمام باصلاحه، انظر، نشر العرف، ٣٠٣/٢، رحلة أثرية، ٢٦٠.

(٤) غيل مصطفى: ينسب إلى علي مصطفى الدمشقي المكي ت ١١٩٦هـ / ١٧٨٢م، ينبع من مصادر أعلى من مصادر غيل المهدي والذي أجراه إلى الرّوضة، وقد قام أحمد فيضي الوالي العثماني سنة ١٦١٠هـ بترميمه واصلاحه بعدما اشتراه الشيخ محمد البليبي انظر،

Rgeant, R.B, Costa, Paolo, Lewcock, Ronald: The Ghayls of Sana, Sana, An Arabian Islamic City, pp. 30-31, . ٢٦٠، رحلة، العظم،

[١] في س، قدرها

الانتفاع بها في سقي الأعناب التي بقيت في الروضة، وجددت روح النشاط في غرس ما قد أهمل منها.

وكانت قد وصلت مدينة الروضة إلى حالة تهول من الخراب والاضمحلال بعد حوادث الحروب التي وقعت فيها، وما تعقب ذلك من قلة المياه وانقطاع الغيول.

وقد كان عن مولانا الإمام إصلاح الماء النابع في أكام النميصان بتوسيع المنابع، ثم أحداث سواق له، ليكون وصوله إلى الروضة، وبذل في ذلك مولانا الإمام مالاً كثيراً، ولكنه تبين بعد ذلك أن الماء المذكور يسير ولا يؤمل فيه الأزياد، فترك من العمل، فعاد إلى ما كان عليه من انحصار النفع منه، على أهل المواشي بسقي مواشيهم منه، وانتفاع أهل الأموال المجاورة له على الاستقساء/ والشرب منه، ولكن لم تخل تلك الأعمال من توسيعه وتزييد^[١] الانتفاع به لمن ذكرنا.

/ ٢٣٣

وفي أوائلها^[٢] أيضاً وصل إلى الحضرة الشريفة ثلاثة أشخاص من النصارى، اثنان منهم أمريكيان والآخر فرنساوي، وكان غرضهم العثور على المعادن،^[٣] وأفاد الأمريكيان أنهما من رجال شركة أمريكية راغبة في الوفاق مع مولانا الإمام على القيام بمثل هذه الأعمال^[٤]، فلبثوا أياماً في صنعاء، ثم أصبحهم الإمام ببعض الأعوان للمرور في بعض الجهات التي يؤمل وجود المعادن فيها، وعادوا إلى عدن.

وفيها في شهر صفر ثار أهل خولان الأربعة من بلاد حجة للخلاف،

[٢] في س، وفي أوائل هذه السنة.

[١] في س، وزيادة.

[٣ - ٣] سقطت من س.

وسلوكِ طريقِ الغواية والانحراف، وأعاتهم على ذلك بعض الأجلاف، وكاد الخلاف أن يتسع ويسري إلى غيرهم، فأرسل عليهم مولانا سيف الإسلام، أحمد بن أمير المؤمنين، الأجناد، فنازلتهم وانتصفت منهم، وتمسكوا بالفرار والانحدار إلى التهائم وتلك الأغوار، واستمدوا بمن جاورهم من أعوان الضال، ناجم تهامة، وغدروا ببعض أفراد من الجند الإمامي، وحين بلغ ذلك إلى مسامع حضرة الإمام، جهز نجله الكريم المولى، سيف الإسلام، محمد بن أمير المؤمنين في طابور من الجند النظامي، وعدد غير يسير من المجاهدين، وكان المولى سيف الإسلام مقيماً في حضرة الإمام عاكفاً على القراءة.

وقد اختار الإقامة في الروضة^[١] ليخلو له الجو من حيلولة الأشغال بينه وبين الذي أراد من الاقتصار على دراسة العلوم، والانقطاع إليها^[٢] فلم يجد بدأ من الإمتثال لما أمر به الإمام، وسارع بالعزم بصحبة الجند المعين، فكانت طريقة من شبام كوكبان، ولم يتوجه إلى حجة، بل قصد بحيشه المخالفين وواقعهم، فكسر منهم شوكة طغيانهم، وزلزل أكنافهم، ونكل بهم وبمن أعانهم من ذوي الضلال وأجلى طغاتهم، ومن صمم وأصر على دوام العدوان. وأمن تائبهم وتائبهم، وأعادهم إلى أوطانهم وأصلح الأحوال ورتب الأطراف، ثم عاد إلى مقام شقيقه المولى، سيف الإسلام، أحمد بن الإمام بحجة، فاستقر بها، ولم يتيسر له العود إلى هذه الجهات.

وفيهاتم رجوع بني سعد من حجور إلى طاعة الإمام، ودخولهم في زمرة المستظلين براية الحق والإسلام، وكان بنو سعد هؤلاء قذراً أغواهم الشيطان، / ٢٣٤ فتابعوا أهل الطغيان، ومالوا إلى ناجم تهامة، وشايعوا أهل الفساد والملازمة،

[١ - ١] سقطت من س.

ومكثوا على ذلك عدة سنين، وكلما نازلهم جيش الإمام فرّوا من أوطانهم واعتصموا بالضالين، فأمدّوهم بما يحتاجون إليه من الذخائر وغيرها حتى إن الضالّ سلّم إليهم أحد المدافع، وأبقاه لديهم.

ففي هذه السنة، تبين لهم الرشد من الغي، وأنهم لم يحصلوا على طائل من جنوحهم إلى البغي، فأظهروا الندم على ما كان منهم من زلة القدم، وأعلنوا التوبة والتخلي عن تلك الحوية، وراجعوا عامل وشحة^(١) القاضي الفاضل محمد بن سعد الشريقي^(٢) وبيّنوا له مرغوبهم في الانقياد، والعود إلى ما كانوا عليه من الطاعة والرشاد، وسلّموا إليه المدفع الذي كان لديهم، وبذلوا الرهائن المختارة، وجرى قبضها منهم، فكملت طاعتهم وحسنت توبتهم وأمنوا في أوطانهم، وكبت الأعداء بإذعانهم وانتمائهم.

وفيه كمل بناء الدار السعيدة^١ التي وقع الشروع فيها في التاريخ الذي سبق^١، وأكمل أيضاً عمارة ملحقاتها من دائرة المقام الشريف ودائرة المحاسبة، ودائرة مأموري التلغراف ودياوين عكفة حضرة الإمام، فكانت أجمل بنيان، رأته العيون، وأظرف مُشيد سرّ به المحبون، وغيظ به الكاشحون، وأطلق عليها اسم دار العز، وانتقل إليها مولانا الإمام في أثناء شهر جمادي الآخرة من هذا العام، فاستقر بها ملتحفاً بعناية الله التي شملته على الدوام، ونقل أيضاً إليها

(١) وشحة: بلدة في أعلى جبل من بلاد حجور، بها مركز ناحية، يتبعها عُزل، الضاعن، وبني سعد وقارة وبني هني، انظر، معجم الحجري ٧٦٧/٢، معجم المقحفى، ٦٩٩ .
(٢) محمد بن سعد بن محمد بن عبد الله بن قاسم الشريقي ت شوال ١٣٥٢ هـ، عالم محقق في الفقه، رحل مع والده من صنعاء سنة ١٣٠٨ هـ إلى القفلة إلى عند الإمام المنصور محمد بن يحيى، ولاة الإمام المنصور أعمال قضاء حجور الشام سنة ١٣١٩ هـ، وظل عاملاً بها حتى توفي، ولد في سناع سنة ١٢٨٢ هـ، انظر، نزهة النظر، ٥٣١، هجر العلم، ٢٢٢ .

الأعوان من المحاسبين، وأموري التلغراف وغيرهم، فقاموا بالأعمال في الأماكن والدوائر التي أُعدت لهم، وكان محلُّها مع البستان الذي يُنسب إليه من أملاك المولى الحسين بن الإمام القاسم بن محمد، عليهم السلام، جدَّ حضرة مولانا الإمام، فلما عمَّر فيه دورة المتوكَّل على الله، القاسم بن الحسين بن المهدي أحمد بن الحسن^[١] عُرِف المكان المذكور ببستان المتوكَّل ثم كان من الأتراك عمارة المستشفى العسكري فيها، فهدمه مولانا الإمام كما سبق البيان عنه، وعمَّر فيه / ٢٣٥ هذه الدار السعيدة وملحقاتها، وإدراكها من النوب الجسيمية والسور الباهر والمسجد الخاص، وتفصيل ما اشتملت عليه يطول تعدادُه،^[٢] ولا يظن رائيها كاملة الإشادة إلا أنها مع ملحقاتها مما استغرقت عمارتُه الأعوام العديدة^[٣]، وقد أَرخ مولانا الإمام إكمالَ عمارتها بما هو منقوش في أحد الأبواب، وهو:

أعيذُ بنائي من عدوِّ وحاسدٍ ومِن ظالم بالله جلَّ جلالُه
 وأسأله عِمْرانه بدوي التقي وبالعدلِ حتَّى لا يُشأنَ جمالُه
 وبشرني تاريخُه أن مَنْ به يُحْتَمُّ في دارِ السلامِ مالُه

سنة ١٣٤١

ولولانا الإمام أيضاً تاريخٌ آخرُ، وهو منقوش على أحد الأبواب الخارجية بخطِّ حسن، وطرزٍ مستحسنٍ وهو:

إِنَّ قَصراً قَدْ تَسَامَى بِالتَّقَى دارُ الكرامة
 نُظِمَ البِنَاءُ فِيهِ ما حوى كُلَّ الوَسامة
 أَجَزَلَ اللهُ نَعِيماً لِذَوِيهِ وَفخامة
 هاكَ بَيْتاً بَعْدَ هَذَا فِيهِ أَرخنا خِتامه
 ادخُلوه بِسَلامٍ فَلكم فِيهِ الكرامة

سنة ١٣٤١

[١] في س، المتوكَّل على الله، القاسم بن الحسين بن الإمام المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم.

[٢ - ٢] سقطت من س.

والقد كان مولانا الإمام -عليه السلام- قد أرخ عمارة هذا الدار في العام
الماضي بقوله:

[الطويل]

بناءً له الرحمنُ حامٍ وحارسُ
تأسسَ بالتَّقوى، فقلتُ مؤرخاً
وعامرُهُ يرجو من الله عُفرانا
يشيدُ بطولِ الله للشرعِ أركاناً

سنة ١٣٤١

وقال سيدي فخر الدين، عبدُ الله بن إبراهيم بن الإمام، مؤرخاً لها في العام
الماضي قبل إكمالها:

[الطويل]

بناءً بحمدِ الله عزَّ مثاله
ولم يرتفع للخفسِ أو لتكبرِ
ولكنه بالعدلِ للعدلِ عامرٌ
ومن منّ ذي الأفضالِ أضحى مؤرخاً
يُشادُ لنصرِ الدين فهو كماله
ولا جاوَزَ القَدْرَ المرادَ حلاله
وفي بابهِ الإنصافُ كلُّ يناله
بتقويمِ شرعِ الله زينُ جماله

/ ٢٣٦

ولسيدي فخر الدين أيضاً تاريخٌ آخرٌ، أوضح أنه تاريخُ التأسيسِ النفيسِ،
وهو:

[الوافر]

بدارِ العزِّ نصرٌ للشريعة
فبُشِرى حارسِ الإسلامِ بُشرى
وردَّ عداك في الأقطارِ طراً
أدام الله في عزِّ بقاءكم
وقوى ما تشيدُ فلا تُداني
وبورك من بناءٍ للمعالي
وفي التأسيسِ أرخناه حالاً
وأركانٌ مُشيدةٌ منيعة
بنصرِ الله والمِنِّ الوسيعة
بغيطٍ: خاسرين وبالوضيعة
دوامِ الشمسِ سافرةً مطيعة
مزياهُ ورُتبتُهُ الرفيعة
به والحقُّ مرآةٌ بديعة
بدارِ العزِّ نصرٌ للشريعة

سنة ١٣٤١

[١ - ١] من عبارة «وقد كان مولانا الإمام -عليه السلام- قد أرخ إلى عبارة، فقد صدق القضاء،
إن الحقيق به أقام زماننا، لا إمام زمانه، برك الله في مدته وضاعف أعوام دولته»، ويلاحظ بأن
هناك إضافة لعلها من الناسخ، أحمد زبارة وهي: فقلت مؤرخاً «يشيد بعون الله للشرع أركاناً».

والتواريخُ في هذا الشأنِ من الأدباءِ، وذوي البيانِ كثيرةٌ، وأعلاها ما قاله الإمامُ، فهو إمامُ الكلامِ، وقد هنا مولانا الإمامُ بإكمالِ عمره هذه الدارَ والانتقالِ إليها جماعةٌ من الأعلامِ بكثيرٍ من القصائدِ الطنانةِ، وأجلُّها قصيدةُ المولى بدرِ الآلِ الأكرمينِ، سيفِ الإسلامِ، محمدِ بنِ أميرِ المؤمنينِ، وهي قصيدةُ طنانةٌ بها أجيادُ الإجابةِ مُزادنةٌ، وقد أثرتُ نقلها بكمالها فهي جديرةٌ بأن تتحلَّى هذه المجموعةُ بجمالها وهي:

[الطويل]

تلاعبَ في روضِ المسرةِ غزلانُ
وعطَّرَ أرجاءَ البسيطةِ نشره
وتَمَّ لأهلِ الحبِّ ما يطلبونه
ألم تنظروا شمَسَ البشائرِ أقبلتْ
وقد صبَّغتْ من حُنْدِسِ الليلِ حامياً
وسلَّتْ علينا مصلّاتِ جفونها
وكم عذبَ الصَّبِّ المولعَ طرفها
مهددةٌ كي لا يرى في خدورها
ومن أسودِ الأعيانِ خالٌ به خلا الـ
وتبسّمُ عن بِنِيانِ دُرٍّ وأزْضه
وفي ذلك البنيانِ من سلسيلها الـ
يُزاحُ به حُلْمُ المشوقِ وتارة
نعم فاعجبوا في ثغرِ مُصْلِيةِ الوري
على جيدِ ماسٍ قلَّدتهُ جواهرأ
إذا ردَّدَ الرائي إليه لحاظه

٢٣٧ /

ومالت به بالتية للسعد أغصانُ
وضمَّ به بدرَ السعادةِ كيوانُ
فما منهم إلا طروبٌ ونشوانُ
تهادى وبالشهبِ المنيرةِ تزدانُ
يزيدك حسناً وهو أسودُ فينانُ
زلالاً فكم قدت هنالك أضغانُ
وأشهره في ليله وهو وسانُ
من الشَّقِّ القاني المخرج ألوانُ
سرورُ عن المصنئى فها هو نذمانُ
عقيقٌ وياقوتٌ وتبرٌ ومرجانُ
— رحيقُ حيوةٍ للذي هو ولهانُ
يُردُّ إليه فهو رَوْحٌ وريحانُ
جحيمِ الهوى الفردوسِ والطرفِ رضوانُ
يبئتُ لها بدرُ السُدجى وهو حيرانُ
أصابته من نورِ المُقلَّةِ نيرانُ

وإن جالَ طزفاً حَوْلَهُ ضَلَّ عَقْلُهُ
يَجُولُ عَلَى بِيضِ السَّوَالِفِ حِينَمَا
وَفِي صَدْرِهَا مَطَرٌ^[١] مِنَ السَّحْرِ صَدْرُهُ
لَأَهْلِ الْهَوَى فِي وَصْفِ ذَلِكَ مَذَاهِبٌ
هُوَ الْعَاجُ لَكِنْ فِيهِ لَيْمُونَتَانِ مِنْ
خَتَامُهَا مِنْ لَازُورِدٍ طَرَاذُهُ
وَكَمْ مَالٌ بِالْأَلْبَابِ إِنْ مَاسَ قَدُّهَا
إِذَا صَاحَ مِنْهُ حِينَ تَمُشِي بَرِيمَهَا الـ
وَأَنْسَاكَ إِسْحَقَ النَّدِيمِ وَمَعْبَدًا
تَجَوَّرَ عَلَى الْعَشَّاقِ تَسْبِي عَقُولَهُمْ
فَجَازَاهُ مِنْهَا الرَّذْفُ بِالْجَوْرِ مِثْلَهَا
أَتْتَنَا وَحَيْثُ بِالسَّلَامِ فَعَادَ مِنْ
فَقُلْنَا لَهَا أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا
قَفِي تَجْدِي يَا شَمْسُ مَا تَطْلُبِينَهُ
فَقَالَتْ: نَعَمْ لَوْلَا حَبِيبِي فَإِنِّي
فَقُلْنَا وَمَنْ هَذَا الْحَبِيبُ فَإِنَّهُ
فَقَالَتْ: هُوَ الدِّينُ الْحَنِيفُ فَإِنِّي
فَقَدْ عَادَ بَعْدَ السُّخْطِ فِي قَالِبِ الرِّضَا
وَقَدْ عَادَ فِي ثَوْبِ الرِّفَاهَةِ رَافِلًا
وَقَدْ عَادَ فِي عَيْشِ خَصِيبٍ وَرَاحَةٍ
وَقَدْ سَكَنَ الدَّارَ الَّتِي شَادَهَا لَهُ
إِمَامُ الْوَرَى الْمُحِبِّي لَدَيْنِ مُحَمَّدٍ

/ ٢٣٨

لِطَلْسَمِ قَرِطٍ فِيهِ بِالسَّحْرِ إِعْلَانُ
يُلاَعِبُ فِيهَا عَقْرَبَ الصَّدْعِ تُعْبَانُ
فَوَاكُهُ أَمَّا الْجَرْمُ مِنْهَا فَرُمَانُ
مَقْرَرَةٌ إِيَّاكَ يَعْزُوكَ نَسِيَانُ
لُجَيْنٍ عَلَيْهِ فِي الصَّنَاعَةِ عَقِيَانُ
هَلُمَّوَا فَإِنِّي لِلْمَحَاسَنِ بُسْتَانُ
عَلَى أَنَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ طَعَّانُ
فَخِيمَ صَاحَتْ فِي فَوَادِكِ أَشْجَانُ
وَعَنَى إِلَى مَا لِلْمَحْبِبِينَ سَلْوَانُ
وَتَقْتُلُهُمْ مَا عِنْدَهَا ذَلِكَ عُدْوَانُ
لَعَمْرُكَ إِنَّ الرَّذْفَ بِالْعَدْلِ دَيَّانُ
هُوَ الْفَضْلُ فِينَا وَهُوَ بِالْحَبِّ ثَمْلَانُ
قَفِي! نَحْنُ خَدَامٌ لَدَيْكَ وَغِلْمَانُ
وَإِنْ عَزَّ مَا فِينَا لَذَلِكَ تَعْبَانُ
سَأَهْدِي إِلَيْهِ حَيْثُ لِي وَلَهُ شَأْنُ
رَيْسٍ عَلَى أَهْلِ الْغَرَامِ وَسُلْطَانُ
أَزْفُ إِلَيْهِ وَهُوَ نَشْوَانُ جَدْلَانُ
وَلَمْ يَبْقَ حَتَّى لِحْظَةٍ وَهُوَ غَضْبَانُ
وَقَدْ عَطَّرَتْ مِنْ ذَلِكَ الثَّوْبِ أَرْدَانُ
يَلُوحُ لَهُ مِنْ طَالِعِ السَّعْدِ سَعْدَانُ
إِمَامُ الْهُدَى مَنْ لَا يُسَاوِيهِ إِنْسَانُ
وَقَدْ نَسِجَتْ لِلدِّينِ مِنْ قَبْلِ أَكْفَانُ

[١] في الأصل: سطر .

إمام البرايا مَنْ أقرَّ بفضله الأ
إمام ذوي التقوى ونورُ ظلامهم
هو البحرُ علماً بل هو البُرُّ رافةٌ
هو السيدُ الهادي إلى دين أحمدٍ
هو الغوثُ إن قيل المكارهُ أقبَلتُ
هو القطبُ لولاه رحي الدين لم تدرُ
هو الفردُ فضلاً والمثنى مدائحاً
ملكٌ ترى الأملاك من هولٍ بأسه
به صارَ هذا القطرُ في أوجِ رفعةٍ
بهمتته قامَ القويمُ بساقه
وأوقفَ أهلَ الدين من سنّةِ الهوى
وعَدَلْ بالسيفِ الصّدوقِ اعوجاجهمُ
وكم رامَ باغ أن يناويءَ علوهُ
ولا غرورَ مَنْ كانَ الإلهَ نصيرهُ
ولو رامَ سَكَانَ الدُّنْيَى وَصَفَ فضله
فكم لأميرِ المؤمنين محامداً
بنى للهدى والمجدِ والعزِّ منزلاً
وشادَ قُصوراً للمفاخرِ والعلَى
وأحیی ریاضاً بالمحامدِ أثمرتُ
ووردَ العلى في سفحها فاح نُشره
وتملي أحاديث الغديرِ وإن أبى

عادي وهل للنورِ في الشمسِ كُفْرانُ
فلولاه إن الطالبی البر عیمانُ
هو الغيثُ جوداً كم بكفيه أمزانُ
به عمَّ أهلَ الأرضِ يمنٌ وإيمانُ
هو الكهفُ إن عمَّ المنيينَ أحزانُ
ولا جادَ في الأرضِ البسيطةِ هتانُ
قصاراه معروفٌ وخيرٌ وإحسانُ
مرّوعةٌ إن المحقَّ له شأنُ
تقاصرَ عنها أصفهانُ وجرجانُ
وقدَّتْ لأربابِ الضلالةِ سيقانُ
وطرفُ المعالي والمكارمِ نعلانُ
فلم يبقَ في القطرِ اليانِي فتانُ
فعاد ومثواه انتقاصُ وجرمانُ
نصيبُ أعاديه خسارٌ وخذلانُ
لعادَ المجلَى وهو للعجزِ خجلانُ
تجلّى بها فوقَ السماكينِ عدنانُ
وللفضلِ فيه للكارمِ أفنانُ
يرى بعدها في قصرِ فارسِ نقصانُ
وللمجدِ فيها أقحوانُ وسوسانُ
وحوطُ التقي فيها رطيبٌ وريانُ
عليها أبو بكرٍ وحفصٌ وعثمانُ

٢٣٩ /

وتشدو على أغصانها وُزُقٌ مَدْحِهِ
 وكم حارَ ذو العِرْفَانِ في وُصْفِ حُسْنِهَا
 بناها لإحياءِ الهدى ولنشره
 وشادَ بها الشرعَ الشريفَ فقدَ غدا
 فقل لذوي البغضا طينُ ذباهم
 ومن رامَ حَطًّا من عُلاها وقَدْرِهَا
 إمامَ الهدى هُنَيْتَ داراً بِنَيْتِهَا
 وعُمِّرَتَ فيها لابساً ثوبَ عِزَّةٍ
 وهالكَ نظاماً قَلَّتُهُ عَنْ مَوَدَّةٍ
 ولا خبيرةً بالشعرِ لكنْ تَشُوقُ
 فَإِنَّكَ مَخْتَارُ الإِلهِ لِدِينِهِ
 لئن كنتُ أدعى بالفهامةِ باقلاً
 وصلى عليك اللهُ بعدَ مُحَمَّدٍ
 وسلّمَ ما قَطُرُ السحابِ هَمِّي وما

/ ٢٤٠

فكم أَطْرَبَتْ مِنْهَا المِسامِعَ الحانُ
 فَإِنَّ لَهَا تَدَنُّو دَمَشُقٌ وَبَوَّانُ
 إِذَا ما بُنِيَ للمُلْكِ والفخرِ بُنيانُ
 ومسكنه عرشٌ وصرحٌ وإيوانُ
 سَيُسْكِنُهُ مِنْ نَظْمِ ذِي الحَبِّ طَنانُ
 فما للهدى في قلبه قطُّ عمرانُ
 تُشِيدُ بها للدينِ والمجدِ أركانُ
 نصيراً وبشراً ما ترادفَ أزمانُ
 ومالي في نظمِ الدَّراري عِرْفانُ
 لمدحك ما همِّي عروضٌ وأوزانُ
 وما أنا في قولِ القصائدِ حَسَّانُ
 فإني بمدحي للخليفةِ سحبانُ
 وعترته ما جالَ في الحربِ فرسانُ
 تلاعب في روضِ المسرةِ غزلانُ

انتهت المنظومة الفريدة، والجمانه النضيدة، وهي عالية القدر في باب الإجابة والإحسان كعلو قدر ناظمها بين ذوي العرفان، تلاعب فيها بالمعاني تلاعب ملاعب الأسنة، وأورد فيها من جيد المنظوم ورحيقه المختوم ما تصبو إليه الإنس والجنه، وإنما اختار هذا البحر والروي والمشروع المروي ناسجاً على منوال القاضي علي بن محمد العنسي^(١)، رحمه الله، فيما مدح به المتوكل على الله،

(١) علي بن محمد بن أحمد العنسي ت ١١٣٩ هـ، كان له علو في الشعر الحميني، له ديوان مطبوع بعنوان وادي الدور، نسبة إلى وادي الدور الذي ينحدر إلى تهامة من الجبال الغربية القريبة من قرية العدين، انظر شعر الغناء الصنعاني، ٣٦٤، نشر العرف، ٧٢٩٠ / ٢، ط السلفية.

القاسم بن الحسين^(١) بعد عمارته لقصور هذا البستان^(٢)، وذلك في يوم الغدير
بالقصيدة النونية الشهيرة التي مطلعها:

[الطويل]

ثنا الملك عطفاً فهو نشوانُ جدلانُ
أجلُّ إمامٍ كلِّما ذُكِرَ اسمُهُ
ملاحمٌ جَفَرٍ فيه حلٌّ رموزها
أما قيلَ في البستانِ وهو بأهلهِ
سيلبُ حياً مقفراً عن منازلِ
ويعمرُهُ من يعمرُ الدينَ عدلُهُ
بذا أخبرونا وهو بالملكِ أهلهُ
فإن كذبَ الأعدا فقد صدقَ القضا
على اليمنِ فانزلْ حيثُ شئتُ مُبجلاً
فإن زرتَ قصرَ صاحبك الهنا (الهني)
أعدتَ رِواءَ الملكِ فيه لقدنرى
وذكَّرةَ عهدِ الحسينِ سليلِهِ

بأروعَ زانَ الملكَ منه سليمانُ
تتبهُ وتزهو مرهفاتٌ ومُزانُ
ملاحمُ حربٍ والأحاديثُ أشجانُ
وبالملكِ سام لا يُدانيه غمدانُ
بها نَعَمَتْ دهرًا أسودٌ وغزلانُ
ويحيى به حيُّ الفخارِ ويزدانُ
وقد شادَهُ من لا يُوازيه إنسانُ
وإن صمُّتوا فقد فاهَ برهانُ
ليجري بما تهوى السماكُ وكيوانُ / ٢٤١
وحياك في البستانِ رُوحٌ وريحانُ
سناهُ وأنَّ النجمَ منه لغيرانُ
فلا زالَ فينا وهو في العُمَرِ لقمانُ

(١) القاسم بن حسين بن أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم، المتوكل ت رمضان ١١٣٩ هـ

بصنعاء، دعوته ١١٢٨ هـ، انظر، فرجة الهموم، ٥٧ .

(٢) بستان المتوكل انشأه الإمام المتوكل اسماعيل بن القاسم، تولى الإمامة بعد وفاة أخيه

محمد بن القاسم ١٠٥٤ هـ - ١٠٨٧، انظر، الاعلام، ١/ ٣٢٢ (بنى فيه الإمام المهدي

عباس قصرًا جميلاً، وبستان المتوكل محاط بسور تراي يفصل طرفاه بسور المدينة وعليه

أبراج كثيرة، يبعد الواحد منها عن الآخر بمقدار ٥٠ مترًا، انظر أيضاً، المادة التاريخية

في كتابات نيبور عن اليمن، ٢٣١ .

وهي طويلةٌ بليغةٌ، ونَفَسُ القاضي عليّ بن محمد العنسي ليسَ بالمجهولِ ولا المنسي، وما قاله في المتوكل وبستانه، فقد صدّق القضاء أن الحقيق به إمامُ زماننا لا إمامَ زمانه، بارك الله في مدّته وضاعفَ أعوامَ دولته.

وقد كان مولانا الإمامُ جلبَ لهذه الدارِ السعيدةِ ما كينةً الاكثريق من جيوتي مع أسلاكها وآلتها، وتولى إحكامَ ترتيبها المهندسُ جورج المجري وأعوأنه، الذين قد تخرّجوا عليه من أبناءِ البلادِ، ومُدّت أسلاكُ النورِ إلى كلِّ مكانٍ من أماكنِ الدارِ السعيدةِ، ومجالسِ المقامِ، وسائرِ ملحقاتها، وكان إنارتها بذلك النورِ الآخذِ بالأبصارِ المعيد لحكمِ النهارِ، فتزايدَ بذلك بهاءُ الدارِ، ولما كانَ مولانا الإمامُ - عليه السلام - تمرُّ عليه أكثرُ أوقاتِ الليلِ، وهو يقظانٌ، عاكفٌ على إنجازِ أشغالِ العبادِ، والإجابةِ على ما يردُّ إليه من الأعمالِ والبلدانِ، فلا يدخلُ إلى دائرةِ المبيتِ إلا بعد فراغه من الأشغالِ، والإحاطةِ بها. حلّت هذه الإنارةُ من الإعانةِ محلاً رفيعاً، وقوّت روحَ النشاطِ في أعوانِ مولانا الإمامِ، وانتظمت في سلكِ المصالحِ العامةِ والمنافعِ الهامةِ.

وفي أوائلِ هذه السنةِ، استقدمَ مولانا الإمامُ إلى حضرته الشريفة سيدي قاسمَ الوجيه^(١)، وأسندَ إليه نظرَ أعمالِ الجهةِ الرّداعيةِ، واجباتها وحكومتها، وضمَّ إليه من الأعوانِ من يحتاجُ إليه، وكان ذلك بعد أن ألحَّ السيدُ الهمامُ عليُّ بنُ محمدِ المطاعِ على مولانا الإمامِ في الإذنِ له بالوصولِ إلى صنعاءَ وإعفائه من القيامِ بأعمالِ الجهةِ الرّداعيةِ، معتلاً بانحرافِ المزاجِ، واضطراره إلى تركِ

(١) قاسم الوجيه بن عبدالله بن عبدالرحمن المتوكل ت ١٣٨١هـ، عالم محقق في الفقه والنحو والأصول والمعاني والبيان، دَرَسَ في شُهارة ثم تولى القضاء في النَّادِرة ثم عاملاً وحاكماً في رِداع ثم تولى القضاء في صَعْدَةَ ونواحيها وصنعاء ثم صُوران، ولد في شُهارة في ذي الحجة ١٣٠٦، انظر، نزهة النظر، ٤٨٤، هجر العلم، ١١١٠.

الاشغال بالأعمال، وإسعافه، بما أراد، ووصوله إلى صنعاء مكلَّل الجبين، بما أدركه من النصر والظفر، وبلوغ الوطير السَّوَادِيَّة^(١) وجهاتها، ونيله سعود القدر/ فاستقرَّ في داره، وتوجَّه العاملُ الجديدُ سيد العَلَم قاسمُ بن الوجيه مع / ٢٤٢ مَنْ تَعَيَّنَ مِنَ الْأَعْوَانِ وَالْأَجْنَادِ إِلَى رِذَاعٍ، وَبَاشَرَ أَعْمَالَ تِلْكَ الْأَصْقَاعِ، فَحَمِدَ مَنْابُهُ وَحَسُنَ انْتِدَابُهُ.

وفيهما شَبَّتْ نَارُ الْفِتْنَةِ بَيْنَ أَهْلِ قَرْوِي^(٢) وَبَيْنَ سِحَامِ^(٣) وَالسُّهْمَانِ^(٤)، وَهِيَ بَطُونٌ مِنْ خَوْلَانَ، وَكَانَ ذَلِكَ بِسَبَبِ التَّنَازُعِ بَيْنَهُمْ عَلَى الْمَرَاعِي وَالْحُدُودِ. وَوَقَعَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ قَتْلَى.

وَصَدَرَ الْأَمْرُ الشَّرِيفُ إِلَى وَكَيْلِ أَمِيرِ الْجَيْشِ سَيِّدِي عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى مَحَلَّاتِ الْمَذْكُورِينَ مَعَ طَابُورٍ مِنَ الْجُنْدِ النَّظَامِيِّ بِمَدَافِعِهِ، فَتَوَجَّهَ يَوْمَئِذٍ مَعَ الْجُنْدِ، وَلَمْ يَبْتَ إِلَّا فِي مَحَلَّاتِهِمْ، وَشَرَعَ فِي ضَبْطِ الْعُقَالِ وَالْمَشَايِخِ. وَكَانَ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَحْمَدَ الْوَزِيرِ يَوْمَئِذٍ فِي جَبَلِ اللَّوْزِ^(٥)، لِأَنَّ

(١) السَّوَادِيَّة: ناحية واسعة من بلاد البيضاء، شرقي دَمَارَ بِمَسَافَةِ ١٠٠ كَم، انظر، معجم المقحفي، ٣٣١.

(٢) قَرْوِي: عَزْلَةٌ وَوَادٍ فِي خَوْلَانَ الطَّيَالِ بِالْجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ صَنْعَاءَ، فِيهَا سَكَنَ بَنِي النُّويرة، انظر، معجم المقحفي، ٥١٣.

(٣) بَنُو سِحَام: عَزْلَةٌ وَوَادٍ فِي خَوْلَانَ الْعَالِيَةِ مُتَّصِلَةٌ بِسِنْحَانَ، بِهَا جَبَلُ اللَّوْزِ، انظر، معجم الحجري، ٤١٦/٢، معجم المقحفي، ٣٠٥.

(٤) السُّهْمَان: مِنْ قَبَائِلِ خَوْلَانَ الْعَالِيَةِ ثُمَّ مِنْ بَنِي سِحَامِ، انظر، معجم الحجري، ٤٣٧/٢، معجم المقحفي، ٣٣٠.

(٥) جَبَلُ اللَّوْز: مِنْ جِبَالِ خَوْلَانَ الطَّيَالِ مِنْ بَنِي سِحَامِ، شَرْقَ جَنُوبِ صَنْعَاءَ عَلَى بَعْدِ ٣٥ كَم، وَهُوَ ثَالِثُ أَعْلَى جَبَلٍ فِي الْيَمَنِ، وَتَعْمَهُ الْمِيَاهُ الْجَوْفِيَّةُ، انظر، حياة الأمير، ٦١٤، معجم المقحفي، ٥٧٢، حوليات الجرافي، ١٥١.

قبض واجباتِ الجبل كان بنظرِ أبيه، وهو ينوبُ عن أبيه، وقد اعترتهُ لوثَةٌ في ما ظهرَ من الأعمالِ من جهتهِ، فشجَّعَ بعضَ عُقالِ جبلِ اللُّوزِ على الامتناعِ عن الإجابةِ، ووعدَّهُم بالمدافعةِ عنهم، إن تعرَّضَ عليهم الجندُ الاماميُّ، فأرسلَ وكيلَ الأميرِ على السيدِ المذكورِ، وعلى أولئك المتمعنين عشرةً من الخيالةِ، ومثلَّهُم من مشاةِ النظامِ.

فلما عرفَ السيدُ محمدُ الجدَّ أنكرَ ما أرادَ، وخلقى ما بين العسكرِ وأولئك العُقَّالِ، فضبَطوهم إلى محطةِ الجيشِ والسيدِ محمدِ عزمَ في وقتِه عائداً إلى السَّرِّ^(١)، ولما تمَّ لقائِدِ الجيشِ مرادَه من ضبِطِ جميعِ المشايخِ والعُقَّالِ أودعَهُم الأغلَّالَ، وقد سكنتِ الفتنةُ، وارتفعَ معَ الجندِ عائداً إلى حضرةِ الإمامِ، ولما وصلَ بالعُقَّالِ والمشايخِ إلى حضرةِ الإمامِ أمره بإطلاقِهِم، ويكون بقاءَ الجميعِ في صنعاءَ، فأصلَحَ الإمامُ شأنَهُم وفكَّ نزاعَهُم.

وفيها فرَّ ثلاثة من النظامِ والتجأوا إلى بعضِ بطونِ أرحبَ، فكتبَ إليهم الإمامُ ناصحاً لهم من انتصايهِم للجوارِ المذمومِ، وزاجراً لهم عن هذا العملِ المشؤومِ ومبيناً لهم ما فيه العواقبُ الوخيمةُ، فلم يَكُنْ منهم الإنصافُ.

وعلم مولانا الإمامُ أنه إذا وقعَ التسهيلُ في ذلك، فسُدَّ انضباطُ النظامِ، وتعرَّسَ تلافي الأمرِ، فأصدَرَ مولانا الإمامُ أمرَهُ الشريفَ على وكيلِ أميرِ الجيشِ بالعزمِ في عدةٍ من طوابيرِ النظامِ إلى أطرافِ حدودِ قبائلِ أرحبَ ومناجزتِهِم بالحربِ، إن لم يحصلَ منهم الانقيادُ والإنصافُ، فتوجَّهَ الجندُ الاماميُّ مع أميرِهِ

(١) السِّرُّ: وادٍ مشهور بالشمالِ الشرقي من صنعاءَ بمسافة ٢٣ كم، وهو من ناحية حشيش، يطل عليه حصنِ ذي مرمز، كان يُقال له سر ابن الرويَّة نسبة إلى محمد بن أحمد الرويَّة، انظر، صفة، ١٧٦، اليمن الكبرى، ٧١، معالم الآثار، ١١٣، نشر العرف، ٩٥ / ٢، تاريخ الواسعي، ٣٠، الاكليل، ١٠ / ١٨١، معجم المقحفي، ٣١٠.

إلى المحلات التي بين حدود بين الحارث وأرحب، ولما عرفوا الجِدَّ من مولانا الإمام، بادروا إلى تسليم الفارين، وأذعنوا للأمر والتزموا بعدم قبول مَنْ فَرَّ من النظام، وحُسمتْ مادةٌ تعليقِ الآمالِ/ مِمَّنْ أغواه الشيطانُ على أنَّ الفرارَ إلى / ٢٤٣ أرحب منجاةً له من الطلب، وميسرٌ لرفع الخطابِ عنه، وعادَ الأميرُ مع الجندِ إلى حضرة الإمام - عليه السلام - .

وفيها انتقلَ السيدُ محمدُ بنُ علي الوزير من بيت أبيه في السرِّ إلى جبل اللوز عازماً على الخلاف، والسعي بالفساد، وركوب الاعتساف، وكان المذكورُ مِنْ قبل ذلك يحاولُ أن يكونَ مِنْ جملةِ عمالِ مولانا الإمام، ويُلمحُ في وصوله إلى تلك الأمانة، ويتوسَّلُ بكلِّ وسيلةٍ في الحصولِ عليها، ويُغريه على ذلك ما يرى عليه ابنُ عمِّه السيِّدُ الجليلُ فخرُ الدين، عبدُ الله بن أحمد الوزير، من الرئاسة، وعلوُّ الكلمةِ والجاهِ، واتِّساعِ الأعمالِ التي بنظره، وكذلك قريبهُ السيِّدُ الأميرُ جمال الدين، عليُّ بنُ عبد الله الوزير، أمير لواءِ تعز، وهو يحدثُ نفسه أنه قريبٌ منهما سنّاً ونسباً وكفاءةً فلا أقلَّ من أن يتقلَّدَ بعض الأعمالِ، ويزاحمها في الرئاسة، وهي بعيدةُ المنالِ فلم تساعدهُ الأقدارُ على بلوغِ المرام، ولا ابتسمتْ له الأيامُ، وكان المذكورُ كلِّما عرَّضَ نفسه على مولانا الإمام أمره بلزومِ المدارسِ والعكوفِ على القراءةِ الميسرةِ للتصدُّرِ، وبلوغِ مرامِ المنافسِ، فعكفَ زماناً على القراءةِ في الجامع الكبير، ولتعلقِ نفسه بالإمارة، لم يطبَّ له البقاءُ على تلك الحالِ، فتوجَّه إلى السيِّدِ الأميرِ جمالِ الدين علي بن عبد الله الوزير إلى تعز، واستعانَ به في بعض الأعمالِ، ولم يُحمَدْ منابُه، ومَلَّ الإقامةَ هنالك^[١]، فعادَ إلى السَّرِّ ثم، قصدَ الأميرَ فخرَ الدين، عبد الله بن أحمد الوزير، وعوَّلَ عليه في استنابتهِ في بعضِ الأعمالِ التي بنظره، واستأذَنَ الأميرُ فخرَ الدين، مولانا الإمام، من أجله فلم

[١] في س، تعز.

يأذن له، فبقى مدةً هنالك، ثم عادَ إلى السَّرِّ، وقد أيسَّ من الوصول إلى مطلوبه، وضاقَت الدنيا في عينه تحسراً على فواتِ مرغوبه، وقعودِ الحظِّ به، عن مساواةِ قريبه فيما نالاه، وحملتهُ نفسه على تجسُّمِ العدوانِ والسعي فيما فيه حظُّ الشيطانِ وإغصابِ الرحمن، فجمعَ حوله في جبل اللوزِ جماعةً من سفهاءِ بني جبر^(١) وخولانَ وبني هُهلُول^(٢)، وشرَع في بثِّ رسائلٍ سخيصةِ الموضوعِ والمعاني ركيكةِ المباني معترضاً بها على سيرةِ مولانا الإمام، وحبَّةِ الله في هذا العصر على بني الأيام، وهو مع ذلك يعرفُ من نفسه قِصَرَ الباعِ عن الدخولِ في ميادينِ هذا النضالِ، وأنَّ ما حصَّله لم يهدِّبْ نفسه ويؤهلها لتقلدهِ/ بعضُ الأعمالِ، فضلاً عن طموحها إلى الاعتراضِ على من تقدَّم على الجلة من أئمة الآل، ومنحَه اللهُ من الخصائصِ ما تفرَّق في كثيرٍ من الجهابذة، ذوي الكمال، وردَّدت أحاديثَ فضله ألسنة جلائلِ الأعمالِ، فكان المجدُّ في هذا القرنِ بلا نكيرٍ والقائم بالحقِّ، الحقيق بكلِّ تعظيمٍ وتوقيرٍ ما شئت من ينبوعِ معين، يتدفَّقُ بنميرِ التحقيقِ في العلومِ العقليَّةِ والنقليةِ، ويقفُ عنده ذوو التحقيقِ والتبحُّرِ مقرِّين بالعجزِ عن إدراكِ مرتبته السنيَّةِ، وأنهضيَّةً ناطحت الكواكبِ علواً وإشراقاً، ومدَّت باعها فجعلت لها من الثريا نطقاً، وصرامةً ذلَّ لها الأسودُ، وبدَّدت العادين، وما لهم من الجنودِ، وطوت ما لهم من الألويةِ والبنودِ، وأقامت قناةَ الشريعةِ وشيَّدت حصونها المنيعة، وخُلِّقَ جُبلٌ على التواضعِ للضعيفِ والمسكينِ والانتصافِ له ولو من نفسه كما هو شأنُ جدِّه الصادقِ الأمين، وسيرةُ نصبت قسطاس^[١] العدلِ

(١) بنو جبر: من بطون خولان صنعاء، انظر، تاريخ اليمن الثقافي، ١ / ٥٥، اليمن الكبرى، ١٦٦، معجم المقحفي، ٢٢٣.

(٢) بنو هُهلُول: من نواحي صنعاء في الشرق، على نصف مرحلة، يفصل بين صنعاء وبين ناحية سنحان، وفيها قرى كثيرة أشهرها غيمان من بلدان حمير، انظر، مذكرات المؤيد بالله محمد، ٥٠، معجم الحجري، ١ / ١٣١.

[١] في س، قسطاً من العدل.

بينَ العبادِ، وأمَّنتَ الحاضرَ والباد، وأَعادتْ زمانَ المرتضى، وأرثنا ما سمعناه عن سيرةِ أعلامِ الأمةِ بالقضاءِ، ومَحَّتْ رسومَ الجورِ والإجحافِ، ورفعتْ عن كاهلِ العبادِ، أثقالَ الاعتسافِ، وحفظتْ أموالَ اللهِ عن أيديِ العبثِ والإفسادِ، وصرفَتْها حيثُ أمرَ ربُّ العبادِ، وحزَمَ حاطَ دينَ اللهِ وبلادَه بسورِ، وصانَ جميعَ الثغورِ وقمعَ الشرورِ، وأدخَلَ على المؤمنينَ كلَّ سرورٍ ومنعَ الفتنَ ورفعَ المحنَ، وسدَّ أفواهَ بنادقِ الاعتداءِ، وأسكَّتْ لسانَ الخناجرِ والسيوفِ عن المناداةِ إلى الردى، ومنعها عن الولوغِ في الدماءِ المحرَّمة، والاندلاعِ على النفوسِ المسلمة، وإقدامِ أحبِّ مساعي الكافرينَ، وقد أحاطوا بالقطرِ من جميعِ نواحيه، وأجْمَهم عن نيلِ مآربهم التي قد مدُّوا إليها أعناقَ طمَعهم وعوديه. وزلزلَ البُغاةَ وماهَمَ من الأكنافِ، وأنزلهم إلى الدركِ الأسفلِ من الأَخوافِ، وبذلَ النَّفسِ والنفيسِ في مرضاةِ اللهِ تعالى وإقامةِ حدوده، وصيانةِ شرعهِ القويمِ وإعزازه بعدَ أن كان قد دُفِنَ في لُحودِهِ، وأهيلَ عليه ترابُ أخطوئِهِ، واهتمامُ بنشرِ العلومِ يشفى الكلومَ، ويزيلُ الغمومَ ويطردُ الهمومَ وينيلُ الطالبَ كلَّ ما يرومُ إلى يُمنِ نقييةٍ، دفَعَتْ كلَّ مصيبةٍ.

/ وأبرزتْ إلى عالمِ الشهودِ، حقائقَ السَّعودِ، والسعيِ المحمودِ المقرونِ / ٢٤٥
 بالنجاحِ، وتيسيرِ كلِّ صلاحِ، ورفعِ قبابِ الفلاحِ، وعنايةٍ من اللهِ تعالى جلَّتْ مواهبُها، وظهرتْ ظهورَ الشمسِ رغائبُها، واعتصامُ باللهِ وبشريعتهِ في كلِّ الأمورِ، ولو تجشمَ المخوف^[١]، وتعاظَمَ المحذورُ، فماذا عسى أن يقولَهُ مَنْ يريدُ الاعتراضَ، ويرمي بنفسِهِ إلى حضيضِ الأحماضِ، وحفرةِ الأسقامِ، والأمراضِ، ونفسُهُ تكذِّبُهُ فيما يقولُ، وترميه بالجنونِ فضلاً عن الفُضولِ، وتزجُّرُهُ عن ارتكابِ ما لا يُقبَلُ من أعمالِ الذهولِ، ولو سَرَدَتْ ما مَنَّ اللهُ بِهِ على مولانا من

[١] في س، الخوف.

الخصائص لاستغرقت مجلداتٍ قبل الوصولِ إلى درجة التمام وحسن الختام، ولم يكن هذا من موضوع هذا المجموع، وإنما حداني إلى سرد هذه النبذة ما وصفتُ به تلك الرسائل السخيفة من اشتهاها على الاعتراض، ووسمها بأنها حوث ما يدلُّ على الامتعاض، فأزلتُ ما يسبقُ إلى الأوهام من إمكان اشتهاها على ما هو من صحيح الكلام، المعبر عن الواقع لذوي الأفهام.

ولما بثَّ السيد محمد بنُ علي^[١] رسائله ونشرها في كلِّ جهة، وبلغ ذلك إلى مولانا الإمام بادرٍ إلى نُصحه بالإقلاع عن طُرُق الغواية، وإعلانه بوخامة خطيئه التي من شأنها خرقُ حُرمة الرعاية، وكذلك نصحه كلُّ عاقل، ولا سيما ذوو قرابته، عارفهم والجاهل، فأصرَّ على الاعتراض، ومتابعة هوى النفس، ومن الآثام الإصرار، وأعلن عن نفسه الاحتساب، ومدَّ يده إلى أموال الله التي بنظره، ونظر أبيه، يفرِّقها على مَنْ له من الأصحاب، وكادَ يستفحل منه الشرُّ، وقد حصلَ إليّ من إقلاعه عن أطماعه إلا إذا أُرْضِيَ بما يسدُّ نهمته من إسناد بعض الأعمال إليه، ومولانا الإمام لم يكن ممن ينزل على حكم الهوى، ولو دارت عليه الدوائر، ولا يساعده على ما لا يرى فيه المصلحة العامة، كيفما كانت عليه الأحوال من المظاهر، ولذلك صدَّر أمره^[٢] الشريف إلى وكيل أمير الجيش سيدي علي بن أحمد بن إبراهيم بعزمه مع جندي كثيرٍ من طوابير الجنود النظامية، ومنازلة السيد محمد بن علي المذكور في جبل اللوز محل إقامته والتنكيل به، وبمن أجمع لديه من السفهاء الأشرار/ فامثل الأميرُ وبادر إلى إنفاذ ما أمر به، وأمر الإمام - عليه السلام - بأن ينضمَّ إلى الجند النظامي قريبٌ من عدَّتهم من المجاهدين، أهل الحدأ والأهنوم وغيرهم، ومعهم مدفعان، فتوجه الجند المذكورون مع أميرهم قبيل المغرب من صنعاء، وأمرهم

/ ٢٤٦

[٢] في س، الأمر الشريف.

[١] في س، محمد بن علي الوزير.

الإمام بأن لا يقفوا قبل الوصول إلى جبل اللوز والإحاطة بالسيد محمد ومن معه.

وكانت تلك الليلة شديدة البرد والمسافة طويلة^[١]، فانقطع أكثر الجيش عن الوصول وأجأهم البرد إلى المبيت في بعض القرى، ووصل الأمير بمن رافقه إلى الجبل المذكور عقيب شروق الشمس من صباح تلك الليلة. فرتب الأطراف ببعض العسكر ليكون منهم منع من يريد الفرار من المذكورين، وصعد إلى الجبل بمن بقي معه. ولما أحس السيد محمد ومن معه بوصول الجند الإمامي مع الأمير، داخلهم الفشل، واستولى عليهم الجزع، وخارت فركونا إلى مبادرة الفرار قبل الإحاطة بهم، وأسرعوا في إجفالهم، وتولية الإديبار، ونزلوا من الجبل مهرولين إلى بلادهم، وسلكوا الطريق الشرقية المائلة إلى جهة الجنوب، ولم يكن بها أحد من الجند الإمامي، لأن الأمير لم يضع فيها رتبة لانقطاع الجند عنه في الطريق، ووصوله قبلهم ممثلاً لما أمره به مولانا الإمام من عدم الوقوف، إلا في الجبل، وحين عاين الأمير ومن معه مزار السيد محمد ومن معه تبعوهم فلم يدركوهم، وكانت شدة البرد من موجبات عدم الإمعان في اتباع الفارين، وعاد الأمير ومن معه، وتلاحق به الجند الإمامي كله، فنزل في المحلات التي أقام بها السيد محمد وأصحابه، وقبض على من آواه من أهل جبل اللوز، وأعيانهم وعقائهم، ورفع بالحقائق^[٢] إلى مولانا الإمام، فصدر الأمر من حضرة مولانا الإمام بإخراجه^[٣] البيوت التي نزل بها السيد محمد ومن معه، فهُدِّمَتْ إلى القرار وكان في ذلك من التنكيل بمن أوى المذكور وأصحابه ما تم به الانزجار، وجلب مزيد الاعتبار، ثم أرسل بالذين قبض عليهم إلى حضرة الإمام. ولما وصلوا إليه عاتبهم ولامهم على ما كان منهم من الاتساع للمذكور، فاعتذروا

[١] في س، بعيدة.

[٢] في س، بالحقيقة.

[٣] في س، بخراب.

بأنهم لم يميلوا عن الطاعة ولا صدقوه فيما كان يُمليه عليهم من الرقاعة، وأنه وصل إليهم على حسب العادة/ من نيابته عن أبيه في أعمال قبض الواجب من ذويه، ولم يتمكنوا بعد ذلك من دفعه ورفعته، فعذرهم الإمام، وأمر قائد الجيش بالانتقال من جبل اللوز إلى هجرة السرّ ومسكن السادة بني الوزير^(١) للإلزام أبيه بالوصول إلى الحضرة الشريفة هو وبعض أقاربه ومن يلزم من العقال، فكان ذلك.

ولما وصل والده إلى الإمام عاتبه على ماجرى من ولده، فتنصّل وأظهر عدم الرضا بما كان من ابنه، وخاض مع آخرين في مراجعة مولانا الإمام من أجل إسناد بعض الأعمال إليه، وأنه لا موجب لهذه الحركات والسكنات سوى تعذر وصوله إلى نيل المرادات^[١]، فلم يقابلهم الإمام بالردّ الجالب للإياس والإبلايس، ولزوم السكوت، وجلب الإخرايس، بل ردّ عليهم الردّ الجميل وأنّ اللازم أولاً مثوله في المقام الجليل تائباً مما كان من التحرك الويل.

ومنذ هروب السيّد محمد بمنّ معه من جبل اللوز إلى بلاد نهم، مكث مخفياً ومحتجباً عن الظهور. ولما علم بأنّ أباه وجماعة من أقاربه قد راجعوا مولانا الإمام من أجله عاد إلى الظهور بمنّ معه من السفهاء والخروج بالمرافع، فترك شأنه، فتنقل في بني جبر وبلاد نهم، واطمأن للوصول إلى بيت أبيه، واشتاق إلى زيارة أهله وذويه.

(١) هجرة آل الوزير: تقع في بني حشيش على بُعد ٣٠ كم من صنعاء شرقاً بشمال، وهي ثلاثة البلد والجديدة وبني جاسر، انظر، حياة الأمير، ٦٣٢، ولهم بيت السيّد، هجرة مهجرة تقع في ثمن الهجرة ما بين ثمن عيال مالك وثمر الابناء في وادي السرّ من ناحية بني حشيش تبعد عن صنعاء شمالاً بشرق بمسافة ٣٤ كم، وسميت بيت السيّد نسبة إلى السيد عثمان بن علي الوزير، انظر حول بيت السيّد، هجر العلم، ١٧٦ - ١٧٧.

[١] في س، المراد.

وقد كان الأمر من مولانا الإمام، إلى وكيل أمير الجيش بترصده ومراقبة حركاته، وإمكان اقتناصه وتصييده، فحين علم وكيل أمير الجيش بوصوليه إلى بيته ونزوله ومبته بادر تحت أستار الظلام بإرسال ثلثة من النظام، وأمرهم بالإحاطة على أصحابه في البيوت التي نزلوا بها، وعليه في دار أبيه^١ وكناسه وبين أناسه^١، فبادروا إلى ما أمروا به، وقاموا أتم قيام بمطلوبه، وهو بادر بعدهم بعصاية من الجنود وعدد غير يسير من ذوي الإقدام مع المدافع، فلم تُشرق الشمس عليهم إلا وقد أحاطوا بهم إحاطة أهالة بالقمر، وحالوا بينهم وبين الفرار وعلموا أنه قد تعدر، وحينئذ ناوش جماعة المذكور بالحرب، فدافعوا نحو ساعة من النهار، لم يسئل فيها دم.

ثم أذعنوا للاستسلام والخروج إلى أيدي النظام، وتم إلقاء القبض عليهم مع ما معهم من الأسلحة وفريس السيد محمد وبغلتيه وأدواته حتى أوراقه وأدواته، وفيها رسائل هديانه ومكاتباته إلى جميع أجدانه.

وفي اليوم الثاني ووجه الجنود على السيد محمد إلى داره، وشرع المدافع إليه وهو معتصم في البيت/ يحاول الامتناع وعدم الإقلاع، ويأبى الخضوع للاستسلام / ١٤٨
ويرجح الدفاع، وقائد الجيش يوجه إليه النصائح ويوالي إرسال أقاربه إليه لعدله عن ما يرومه من العدول إلى غير راجح، واختيار إنزال الأفرع بأرحامه وإسماعهم أصوات المدافع، ففي النهاية بعد الامتناع لأن منه الجانب، واستسلم إلى يد الجيش المطالب، وارتفع العسكر مع الأمير، ومن في أيديهم من أصحاب الأمير الأسير. وعادوا إلى حضرة الإمام، فأمر مولانا الإمام بإيداع السيد محمد وأصحابه دار الأدب، بالقصر السعيد، وانقضت هذه الحادثة بسلام. واضمحل ما علق بالأذهان من بعد انقضائها وجعلها من حوادث الأحلام.

[١ - ١] سقطت من س.

وكانَ هذا الواقعُ من أَلطافِ الله تعالى بالسيد محمد حيث تيسَّر قبضه قبل أن يتلَطَّحَ من حركاتِه بالدُماءِ، وإثارةِ الدهماءِ، وإجراء ما يحجُبُ عنه بابُ الإنابةِ، ويحوُلُ بينه وبين العَوْدِ بالتوبةِ إلى صَفِّ ذوي النجاةِ، ولله الحمدُ والمِنَّةُ.

وفيها في أوائلِ شهورِها، اجتمعَ لدُنْ مولانا الإمامِ كثيرٌ من الأجنادِ قصدوا حضرتهِ الشريفةَ راجين إيسافهم بإرسالهم إلى محطاتِ الجهادِ. ومطارحِ الجلالِ، وكانت المحطاتُ في أكثرِ الجهاتِ مملوءةً بالعساكرِ، فمكثوا حيناً ينتظرون صدورَ الأمرِ من مولانا الإمامِ بإعزامهم إلى حيث يريدُ من الأَصقاعِ، وهم يزيدون بَمَنْ يصلُ بعدهم، وطالت مدةُ إقامتهم، وكانوا من قبائلِ شتى، وكثيرٌ منهم من حاشدِ وخولانِ والحدأِ وجبالِ عيالِ يزيد، فترجَّحَ لدُنْ مولانا الإمامِ أن يرمي بهم جبلُ بُرُجِ، وما بقي من أطرافِ بلادِ الطَّعامِ، ومن فيها من البغاةِ الطَّعامِ.

وقد كان مولانا الإمامُ قبلَ هذا، وهو مقيمٌ بالرَّوَضَةِ، وصلَّ إليه جمعٌ كبيرٌ من رجالِ بني جَدَيْلَةَ^(١) وبلادهم وخيمةُ الهواءِ، ممثلةُ لهواءِ أطرافِ بُرُجِ وبلادِ الطَّعامِ، فاستصوبَ إرسالهم إلى عاملِ رَيْمَةِ علي أن يكونَ إرسالهم إلى عاملِ بلادِ الطَّعامِ، وإقامتهم في المحلاتِ التي طالما شكوا غيرهم من المجاهدين ضرراً هوائها، وعدمَ الطاقةِ على المقامِ بها، وكان ذلك من أكبرِ أَعذارِ ما تعاقبَ من فشلِ الجنديِ الإمامي في تلكِ الأطرافِ، ويسَّرَ لأهلِ بُرُجِ السكونَ والأمنَ مما يُخافُ، فامتثلَ عاملُ الإمامِ بَرَيْمَةَ ما أمرهُ به مولاهُ، وساقهم إلى بلادِ الطَّعامِ، وتقدَّموا في السهولِ التي بين بُرُجِ وبيتِ القابلي، ودفَعوا/ عنها الأعداءَ، وتمكَّنوا / ٢٤٩

(١) بنو جَدَيْلَةَ: قبيلة من بطون حاشد، مساكنهم شمال بلادِ عَفارِ بمحافظة حَجَّةِ، انظر، طرفة الأصحاب، ٤٨، معجم المقحفى، ١١٤٤.

من الإقامة بها ظاهرين على العدو، ومقاومين له في الرواح والغدو، وإذا أُسْعِفُوا بالأمداد من جهة بيت القابلي أمكن لهم^[١١] تطهير تلك البقاع من أدناس ذوي الضلال والأطماع، ولذلك ترجح لذن مولانا الإمام إرسال من اجتمع إليه من الأجناد من تلك الجهة، وانتخب لهم أميراً سيدي العماد يحيى بن علي الذاري، وعين معه من يحتاج إليه من الأعوان والوكلاء والكتّاب والمقادمة وعرائف الطوائف، وأمر - عليه السلام - بإعداد ما يلزم لهم من الذخائر الحربية والأقوات.

ولما تم^[١٢] ذلك برز لهم أميرهم سيدي العماد من حضرة الإمام ناهضاً إلى حيث أمر، وقد بلغت عدة من معه من الأقوام زهاء ألفي مقاتل، وكانت طريقه من الحيمة الخارجية إلى بيت القابلي، وهناك وقف برهة حتى اجتمع إليه الجيش، وهنالك رتب طوائفه وعبأهم تعبئة الحرب، وعين على كل فريق مقدماً، وتقدم بهم إلى القاع والخبب الموصل إلى بيت المنامة، والتقاهم هنالك جمع البغاة، فكانت الحرب بين الفريقين، وأسفرت عن انهزام الأعداء، وعدم اقتدارهم على الوقوف أمام الجيش القادم فضلاً عن تمكنهم من الوقوف بموقف المصادم، وما زال الجيش الإمامي سائراً في تلك الطريق مصوناً من حيل البغاة والتعويق في ظفر تام وإسعاد كافل بالمرام إلى أن وصل إلى حصن المنامة، فاستولى عليه وطرد من فيه، ومن في حواليه، فجعله الأمير سيدي العماد مركزاً لتلك المحاط، وفرق الجيش في تلك الأطراف، وشرع في مراسلة من برع من البغاة واستمالتهم، ونصحهم بالعدول عن خطتهم المعوجّة، وصيانة ديارهم من غرقها في كل وقت من جيوش الإمام في لجة البوار وأي لجة،

[١٢] في س، تم لهم.

[١١] في س، أمكنهم.

فأجاب إليه أهل المقفع^(١)، وهم فريقٌ من السادة بني الأهدل، ووصلوا إلى المحطة مظهرين للطاعة وُرغوبهم في دفع الهول والأراعة، وبذلهم المجهود في استمالة من ورائهم من سكان بُرّج، ووعدوه بوصول العقائر ممن أطاع، فلم تثمر تلك الأقاويل، ومرّت الأيام بدون جدوى ولا طائل. وفشا في الجيش الإمامي الأمراض لوخامة تلك الجهة، وظهر منهم لذلك الفزع والفسل، فألزم الأمير عصابةً من الجند بالتقدم إلى الشطبة وعطار^[١] والاستيلاء عليهما، فقاموا بما به أمروا توجهوا إليها فظفروا وتمكنوا من ترتيبهما ودفع الأعداء عنهما، ولكن أحوال الجيش قد صارت غير مرضية / لما لحقهم من الأمراض، وتسلك بعضهم للفرار ملاً من الإقامة وطولها.

وفي خلال ذلك تكاثرت وصول أعوان الضال إلى جبل بُرّج من التهاميين وغيرهم، وغص بهم، فكانت تلك المخابرات والمراجعات بين الأمير ومن وصل إليه من أهل بُرّج من نوع المخادعة، وترقب الفرصة وانتظار إمداد التهاميين، فأعمل الأمير رأيه في التدبير، وقد صار في حيرة مما ألمّ به من المصاعب والتعسير، فجس نبض الجيش بأن أمر طائفة منهم بالتقدم مدداً لمن في عطار والشطبة، وأن يكون من السابقين ومدد لهم النهوض إلى مغربة الخزاعي^(٢)، فتقدم أولئك وقد ضعفت منهم العزائم، ولما انهل عليهم مطر الرصاص من الأعداء رجعوا إلى الورا، ولم يقفوا في الشطبة وعطار، فلم يشعر الأمير ومن معه إلا بعود بعضهم إليه، وحين رأى الأعداء منهم هذا الفسل

(١) المقفع: من قرى بلاد الطرف، من ناحية بُرّج من أعمال محافظة الحديدة، انظر، معجم المقحفي، ٧٥، الاكليل، ٣٨١ / ٢، صفة جزيرة، ٢٠٥.

(٢) بنو الخزاعي: غزلة من ناحية بُرّج وأعمال الحديدة، انظر، معجم المقحفي، ٧٤، طرفة الأصباح، ٤٦، الباب، ٤٣٩ / ١، معجم الحجري، ٣٠٧ / ١.

[١] هي عثارة وهو خطأ املائي.

دَاخَلَهُمُ الطَّمَعُ فِيهِمْ، فَصَالُوا وَجَالُوا وَتَبِعُوا الْمُتَقَهِّقِينَ إِلَى مَا حَوْلَ حَصْنِ الْمَنَامَةِ، فَتَفَاقَمَ الْحَالُ وَتَزَايَدَ الْأَضْطْرَابُ وَانْضَمَّ إِلَى ذَلِكَ مَا لَمْ يُكُنْ دَاخِلًا فِي الْحِسَابِ مِنْ فِرَارِ الْجَمَاعَةِ تَلَوَّ الْجَمَاعَةُ لَا خَوْفًا مِنَ الْأَعْدَاءِ، وَلَا اضْطِرَارًا وَفِرَارًا مِنْ وَخِزِ الْأَسْنَةِ وَالضَّبَا وَلَا عَنْ أَعْوَازٍ فِي الْأَقْوَابِ وَالذَّخِيرَةِ، بَلْ تَشَوُّقًا إِلَى الْأَوْطَانِ، وَتَحَوُّفًا مِنَ الْأَمْرَاضِ فَاضْطَرَّ الْأَمِيرُ إِلَى الْإِنْتِقَالِ مِنْ هُنَالِكَ لِيَجْمَعَ مِنْ مَعَهُ وَيَعَاوِدَ الْهَجُومَ، وَأَمَرَ بَعْضَ الْجَيْشِ بِالْعُودِ إِلَى بَيْتِ الْقَابِلِيِّ، وَكَانَ الْإِنْتِقَالُ الْأَمِيرِ إِلَى أَطْرَافِ رَيْمَةِ، ثُمَّ لَمْ يَتَسَّرَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ النَّهْوُضُ عَلَى الْعَدُوِّ وَلَا اللَّحُوقُ بِمَنْ فِي بَيْتِ الْقَابِلِيِّ لِتَكَلُّبِ الْأَعْدَاءِ وَانْتِشَارِهِمْ فِي تِلْكَ الْأَنْحَاءِ، وَمِنْ تَوَجُّعِهِ إِلَى بَيْتِ الْقَابِلِيِّ تَعَرَّضَ لَهُمُ الْأَعْدَاءُ فِي الْقَاعِ، وَوَاقَعُوهُمْ فَدَفَعُوهُمْ عَنْ طَرِيقِهِمْ مَرَّاتٍ إِلَى أَنْ وَصَلُوا إِلَى بَيْتِ الْقَابِلِيِّ وَاسْتَقَرُّوا هُنَالِكَ، وَوَصَلَ إِلَيْهِمُ الْمَدْدُ مِنْ مَوْلَانَا الْإِمَامِ، وَتَلَقَّوْا مِنْ مَوْلَانَا الْإِمَامِ الْأَمْرَ بِالْبَقَاءِ هُنَالِكَ، فَلَبِثُوا أَيَّامًا، ثُمَّ أَمَرُوا بِاللِّحَاقِ إِلَى رَيْمَةِ بِالْأَمِيرِ، فَاقْتَحَمُوا الْقَاعَ وَهَزَمُوا الْأَعْدَاءَ، وَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى مَنَعِهِمْ وَلَا النِّيلِ مِنْهُمْ، وَتَمَّ لَهُمُ اللَّحُوقُ بِالْأَمِيرِ، وَقَدْ حَصَلَ الْإِيَّاسُ مِنْ إِمْكَانِ إِتْمَامِ الْعَمَلِ بِمَنْ بَقِيَ مِنَ الْجُنْدِ وَهُمْ يَزِيدُونَ عَلَى الْأَلْفِ، فَصَوَّبَ الْأَمِيرُ الْإِنْتِقَالَ لِعَدَمِ الْجُدُوى مِنَ الْبَقَاءِ، وَتَوَجَّهَ نَحْوَ رَيْمَةِ إِلَى مَرْكَزِهَا، وَمَكَثَ هُنَالِكَ أَيَّامًا، ثُمَّ أَمَرَهُ مَوْلَانَا الْإِمَامُ بِالْعُودِ إِلَى حَضْرَتِهِ، وَإِبْقَاءِ الْجُنْدِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ فِي رَيْمَةِ بِنَظَرٍ عَامِلِيهَا، وَأَمِيرِ جُنْدِهَا السَّيِّدِ الْأَجَلِ، جَمَالَ الْإِسْلَامِ عَلَيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ الشَّامِيِّ، وَلَمْ يَحْصُلِ الْمَرَامُ مِنْ حَرَكَةِ هَذَا الْعَامِ عَلَى مِثْلِ / الَّذِي جَرَى / ٢٥١ مِنْ الْحَرَكَاتِ السَّابِقَةِ الَّتِي شَمَلَتْهَا حَوَادِثُ مَا سَلَفَ مِنَ الْأَعْوَامِ، وَأَنْفَقَ فِيهَا مَوْلَانَا الْإِمَامُ جَزِيلَ الْأَمْوَالِ وَالنَّفَقَاتِ الْجَسَامِ.

وَفِيهَا وَجَّهَ مَوْلَانَا الْإِمَامُ عِمَالَةَ نَاحِيَةِ كُسَمَةَ مِنْ أَعْمَالِ رَيْمَةِ إِلَى عَهْدَةِ السَّيِّدِ

الأجلَّ عبدالله بن حسن الدَيْلَمي، والمذكور من سادة بني الدَيْلَمي القاطنين في دَمَار، ونشأ على سميت من النجابة وعلوَّ الهمة، فتولَّى في أيام الأتراك أعمالاً لهم جليلاً كالقائممقامية ونحوها، في عدة قضاوان. ثم مكث في وطنه إلى هذا التاريخ، فاستقدمه مولانا الإمام من دَمَار وأسند إليه العمل المذكور، وأمره أيضاً أن يتولَّى عمل الكشف على أعمال المأمورين في المالية هنالك، وكان قد بلغ إلى مولانا الإمام، أن في الأعمال المذكورة اختلالاً، فتوجَّه السيد المذكور إلى عمله، وقام به خير قيام، وبقي في مركز الجبى منظوراً بعين الخبرة وحسن الاطلاع معيناً للعامل في كثير من الأعمال التي يعمُّ بها الانتفاع.

وفيها كان تعيين القاضي محمد بن حسين العيزري من فقهاء ضوران حاكماً لناحية السلفيَّة من أعمال رَيْمَة، خلفاً للسيد علي بن أحمد الحملي^(١)، وقد كان السيد علي المذكور لبث فيها مدة تقارب العام، ثم جرى بينه وبين العامل نزاع في بعض المسائل أفضى إلى صدور الأمر الشريف برفعه عن الحكومة المذكورة، وانتقاله إلى الجبى، واسناد حكومة بعض المخالفين من ناحية الجعفرية إليه عن أمر الإمام - عليه السلام -.

وفيها في شهر جمادى الآخرة تمالاً جماعةً من مشاهير رجال اليمن الأسفل على الغدر بالأمر جمال الدين^(٢)، علي بن عبدالله الوزير، ولم يكن من المتمالين أحدٌ إلا وهو ممن ينتمي إلى الإمام، ويتولَّى بعض الأعمال، وبلغ أن الذين أجمعوا عليه فيما بينهم ورقموه في صحيفة لهم، أن يكون الفتك بالأمر وقتله بعد صلاة

(١) علي بن أحمد الحملي ت ١٣٤٤هـ، تولى عدة مناصب شرعية في الحيمة الخارجية والحملي نسبة إلى هجرة جبل الحمل الواقعة جنوب صنعاء، انظر، حياة الأمير، ٥٧١.

(٢) رواية المؤامرة وتفصيلاتها جاءت مختلفة في كتاب حياة الأمير، ١٧٦ - ١٩٠.

الجمعة، ثم يكون منهم الاستيلاء على الأعمال والخروج عن طاعة الإمام، والوقوف صفاً واحداً لمنع جند الإمام من النزول من سُمارة^(١)، ونُسب هذا التأليب أو التمالؤ إلى جماعة من مشاهيرهم: عامل العُدين الشيخ حمود عبد الرب، وعامل الحُجْرِيَّة الشيخ عبد الوهاب بن نعمان مقبل، والشيخ أحمد بن حسن بن علي باشا والشيخ الجنيد بن عبدالله النور، عامل جبل راس، والشيخ عبدالله بن عبد الجليل وبعض إخوانه وأولاده وغير هؤلاء، وقد كانوا شرعوا في مخابرة بعض العرائف لإفسادهم فوصل بعضهم إلى الأمير وأخبره بما قد أجمعوا عليه ودعوه/ إليه، ثم تثبت الأمير مما نُقل إليه، فكثرت الناقلون حتى / ٢٥٢

إنه حضر إليه بعض ممن كان انتمى إليهم، فأخبره بالقصة، وأنه أشار بعضهم أن القتل لا يحسن وسيؤدي إلى سفك دماء كثيرة والعاقبة منه غير مأمونة، ولكنه يحسن قتل الأمير بالسُّم، ووافق على هذا الرأي أكثرهم، وقد قيل: إن الذي أشار بهذا الرأي هو الشيخ الجنيد بن عبدالله، وصادف في ذلك التاريخ اجتماع المذكورين بتعزز عن طلب من الأمير لإجراء المحاسبة فيما تولوا قبضة من الواجبات، وقد طال مكثهم من أجل ذلك شهوراً بمدينة تعزز والأمير مشدّد في إكمال الحساب والوفاء منهم بما قبضوه، ولم يجدوا بداً من الامتثال. وقد كان من عامل العُدين قبل ظهور هذه المكيدة الإرسال لعصابة كبيرة من أهل العُدين، فوصلوا إلى تعزز، ومن رآهم يظن أن الإرسال كان عن أمر الأمير لإرسالهم، إلى بعض الجهات حسب العادة.

وفي باطن الأمر المراد من وصولهم القيام بما دبروه من المكيدة. وممن استمالوه على ما قيل جماعة النظام من اليمن الأسفل، وكان الشيخ عبدالله

(١) المقصود جبل سُمارة، وهو جبل كبير يضم عدة مرتفعات، أول اليمن الأسفل وطرفه الشمالي بداية لليمن الأعلى، فيه رأس جبل صيد قلعة، إليها ينسب نقيص صيد، انظر معجم المقحفي، ٢٣، حياة الأمير، ٦١٥، ترجيح الأطيوار، ٢٩٣.

عبدًا لجليل قد باشرَ عمارة بيتٍ مقابل لدارِ النصرِ التي بناها الأميرُ فوقَ مدينةِ تعز، فقيل: إنه لهذا المقصدِ، والحاصلُ أنه ثبتَ لدن الأميرِ جمال الدين إجماعهم على هذا الغدرِ والمكرِ، فأعملَ الخيانةَ في إلقاءِ القبضِ عليهم ودَبَّرَ ذلك، فزَجَّهم إلى السجنِ، وفتَّشَ ما في عيابهم^(١) من الأوراقِ فعثرَ على الصحيفةِ التي أجمعوا عليها مع بعضهم، ووجدَ السمَّ مع أحدهم، ولم يبقَ شكُّ في ذلك الإجماعِ، وأقرَّ بعضهم بذلك، وادَّعى أنه يقصدُ اختبارَ غيره، وما عندهم من النوايا، فكانَ منَ عنايةِ اللهِ والطفِ فيه افتضاحهم وبطلانُ سحرِ مكيدتهم وغدرهم ومعاجلتهم بالانتقامِ قبلَ أنْ يُحدثوا في جسمِ الدينِ ما لا يُبرىء من الآلامِ والأسقامِ ويتمكَّنوا من هذه القضيةِ الشنعاءِ، والغدرِ الذي لو تمَّ لكانَ به سيلُ الدماءِ، وفواتُ الآلافِ من النفوسِ المصنونةِ، وإثارةُ الدهماءِ، وقلْبُ الأمورِ ظهرًا على عقبِ، وإزالةُ ما فيه العبادُ من النعمةِ والأمانِ وإبدالها بالخوفِ والخسرانِ، ومقاساةِ شدائدِ الهوانِ، ولذلك قابلَ الناسُ جميعاً ما كانوا قد أجمعوا عليه بالسخطِ والغضبِ والتبرُّءِ منهم، ومنَ أعمالهم، وتساوى في ذلك الأبعادُ والأقاربُ، وحسُنَ موقعُ ما نالوه من العقابِ والهوانِ لدن الجميعِ، وتمنَّوا لهم كلَّ هَوْلٍ مريعِ، ولم يفضحْ سرَّهم سوى كفرانِ الإحسانِ، فإنهم كانوا أربابَ النهى والأمرِ المعدودين من خُلصِ الأعوانِ.

/ ٢٥٢

ولما رفعَ الأميرُ جمال الدين خبرَ هذه الحادثةِ إلى حضرةِ الإمامِ، صدرَ الأمرُ من الإمامِ باطلاعِ المذكورين إلى صنَّعاءٍ مع جماعةٍ من العسكرِ، فسيقوا في الأغلالِ من تعز، ولما وصلوا إلى صنَّعاءٍ، صارَ إيادعهم دارَ الأدبِ بالقصرِ السعيدِ، وقد لاقوا في طريقهم من شتمِ كلِّ مَنْ رآهم أمرَّ الهوانِ والعذابِ

(١) عيابهم: جمع عيبة وهي وعاء من آدم يكون فيها المتاع والجمع عياب، انظر، لسان العرب - مادة عيب - .

الشديد، وأمر مولانا الإمام بقبض دورهم والاحتياط بما فيها، ليكون من ذلك تدارك استلام ما في ذمهم من أموال الله. كان في النهاية انعكاس ما دبروه من اغتيال طائفة من المسلمين، فيهم من أفاضل السادة جماعة، إلى ما لا قوة من الوبال، وذاقوه من الأهوال وجروه إلى نفوسهم من سلب النعمة ومعاناة ذل النعمة، وهذه عاقبة البغي، ونهاية عمل الغي.

ألم تر أن البغي يصرع أهله وأن على الباغي تدور الدوائر

وقد وصل إلى مقام الأمير جمال الدين كثير من أشعار ذوي الفطن، منادية باستنكار ما كان، ومهنته له بالنجاة من مكر من مال عن واضح السنن،^١ ومن ذلك قصيدة بليغة جاء فيها من بديع النظام، وجزل الكلام، قوله مادحاً للأمير الجيش سيدي جمال الدين:

ما زلت تختلب القلوب بظننة
ودراية تدع الضمائر في الحجى
عما نواه الخارجون عن الهدى
تبا لرأي المارقين فإننه
كاد الزمان يوالى الحدثان في
ويجدد الخوف العظيم بكر بلا
يا للصحيفة إنهم رسموا بها
رسماً به رفض الكتاب ودينهم
أهون برأيهم الذي كسبوا به
يا عصابة النار الذين أحاهم
أرأيتمو بالحدس أن إلهكم

وَقَفَّتْ عَلَى سِرِّ الْغُيُوبِ الْمُهِمِّ
عَنْ حِيزِ الْكُتْمَانِ نَاطِقَةَ الْفَمِ
مِنْ كُلِّ مَتَسِّمٍ بِزِيِّ الْمُسْلِمِ
رَأَى ابْنَ مُلْجَمٍ فِي الْإِمَامِ الْأَعْظَمِ
تَلَكِ الْقَضِيَّةَ لِلْسَّمِيِّ عَلَى السَّمِيِّ
وَجَدَّأً بِكُلِّ مُصْرَجٍ وَمُسَمِّ
مَا فِي الصَّحِيفَةِ يَوْمَ قَطَعَ الْأَرْحَمِ
وَالشَّرْعِ رَفُضَ جَبَلَةَ بَنِ الْأَيْهِمِ
خِزْيَافاً لِكُلِّ مَفْلَكٍ وَمَنْجَمِ
مِنْ نَسْلِ عَادٍ، أَوْ بَقِيَّةِ جُرْهُمِ
يُجَلِّي الزَّمَانَ لِدِينِهِ عَنْ قِيمِ

٢٥٤ /

[١ - ١] سقطت من س.

وَجَحَدْتُمْو حَقًّا لآلِ مُحَمَّدٍ
وَمِنَ الْحَدِيثِ بَأْتَهُم سُفْنُ النِّجَا
أَجْهَلْتُمْو الرُّتَبَ الَّتِي رَفَعْتَكُمْو
إِنْ لَمْ تَكُونُوا أَهْلَهَا فَتَفَكَّرُوا
أَنْسَيْتُمْو الْحَرْبَ الَّتِي أَسْقَتْكُمْو
إِنَّ الَّذِينَ تَرْجُونَهُ مِنْ دُونِهِ
وَعَزِيمَةُ الْمَوْلَى الْإِمَامِ فَإِنَّهَا
بِالنَّقْضِ لِلنَّصْرِ الْجَلِيِّ الْمُحْكَمِ
نَصُّ الْبُخَارِيِّ فِي الصَّحِيحِ وَمُسْلِمٍ
بِالْقَدْرِ مَوْجِبَةً لَشُكْرِ الْمُنْعَمِ
بِالرَّأْيِ أَصْلَكُمْو الَّذِي لَا يَتَّمِي
حَدَّ الْمَشْطَبِ وَالْقَنَا الْمُتَحَطِّمِ
وَحُزُّ الْأَسِنَّةِ وَاجْتِنَابُ الْمُخْدَمِ
حِرْزُ الْعِنَايَةِ عُرْوَةُ الْمُسْتَعْصِمِ

ومن أبيات قصيدة أخرى في هذه الحادثة، وبينها وبين الأولى بونٌ في إجابة
البيان وحسن الإفصاح، والإتيان بما تميل إليه الأرواح: [الطويل]

كَذَا فَلْيَكُنْ أَسْرُ الْبُغَاةِ إِذَا سَعَتْ
يُرِيدُونَ غَدْرًا بِالْوَزِيرِ أَمِيرِنَا
أُمَيْرٌ يَلُودُ الْقَاصِدُونَ بَعْدَ لِه
وَشَتَّتْ شَمْلَ الْمُلْحِدِينَ وَرَدَّهُمْ
وَقَامَ بِحَقِّ اللَّهِ بِالسَّيْفِ فَاثْنَتْ
لَشَقِّ عَصَى الْإِسْلَامِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
شَرِيفِ الْمَسَاعِي نَافِذِ النَّهْيِ وَالْأَمْرِ
وَقَدْ سَدَّ ثَغْرًا لِلْأَنَامِ عَنِ الْكُفْرِ
مِثَالِ قُرُودٍ فِي الْجِبَالِ مِنَ الدُّعْرِ
بِهِ حَوْزَةُ الْإِسْلَامِ سَامِيَةَ الْقَدْرِ^١

/ وفيها اشتعلت نارُ الفتنة بين قبائل عيال سريح من بكيل وبين قبائل
حاشد، وأصلها، فيما بين سكان الحدود من الفريقين، ثم دعا كل فريق سائر
البطون من القبيلتين، وجرى بينهم الحرب، وقُتِلَ من الطرفين جماعة.

ولما بلغ ذلك إلى مولانا الإمام وإلى إرسال النصائح إليهم، ونهاهم عما
يرتكبونه من القبائح وخوفهم من غضب الله عليهم بسفك الدماء، وفعل ما لا
يرضاه ربُّ السماء، فلم ينتهوا عما نهوا عنه، ولا انزجروا وتمادوا على التحشيد

والإقبال إلى هذا المنكر برغبة وتعمد، وكلا الفريقين يعتقدان أن الآخر هو الباغي، فأعرض عنهم الأمام لما رآه من إذعانهم للشيطان، وإجابة داعي غوايته، فتزايدت الجموع من الفريقين، ولم يصل أحدهما إلى مناه، فقام رؤساؤهم باستنجد القبائل الأخره ليحضروا معهم في هذه المواقف، فحاشد دعوا قبائل همدان، وعيال سريح دعوا قبائل بكيل، وكاد الشر أن يستفحل بينهم ولا سيما إذا تم هذا التداعي من سائر القبائل، وكان مولانا الإمام - عليه السلام - قد ألم به بعض الأسقام، فانحرف منه المزاج وهو يعانیه بالتداوي، ولكن رغبته الشديدة في إصلاح أحوال المسلمين، ودفع الشرور عنهم ووقايتهم لهم من الفتنة، حملت نفسه الكريمة على التوجه إلى ديار الفريقين لحسم هذا الداء، ومحو الاعتداء، فخرج مولانا الإمام من صنعاء في سابع شهر شعبان من هذه السنة، ومعه جماعة من الأعلام، كالمولي فخرالدين، عبدالله بن إبراهيم وسيدي العلم، قاسم بن حسين أبوطالب العزى، وسيدي محمد بن أحمد بن قاسم حميد الدين وسيدي يحيى بن محمد بن المتوكل والسيد أحمد بن يحيى الكبسي، وسيدي علي بن حسين الشامي، وسيدي محمد بن محمد بن يحيى زبارة والأخ القاضي حسين بن أحمد مطهر والقاضي أحمد بن محمد الأنسي، ومن النقباء والمشايخ جماعة، فبات في المعمر^(١) من قرى همدان.

وفي اليوم الثاني بعمران، واليوم الثالث، في هجرة الصيّد^(٢) من قرى خارف، ودعا رؤساء الفريقين إلى حضرته ونصحهم وحدّرتهم / ووبخهم على / ٢٥٦ / تهاؤنهم بالنصائح وإقبالهم على ارتكاب القبائح، ولبت بين ظهرانيهم أياماً،

(١) المعمر: بلدة في الجنوب الغربي من صنعاء بمسافة ٢٣ كم، في الطريق إلى عمران،

والمعمر في اليمن كثير، انظر، معجم المقحفي، ٦١٢، معجم الحجري، ٧١٤ / ٢.

(٢) هجرة الصيّد: بلاد من حاشد من ريّدة من خارف، انظر، اليمن الكبرى، ١٧٩، صفة

جزيرة، ١٢٣، معجم الحجري، ٥٤٨ / ٢.

وهم في غيِّهم يعمهون، ولكنَّهم قد سكنوا الحربَ، إجلالاً له - عليه السلام - ثم انتقل إلى رَيْدَةَ^(١)، وهناك شدَّد عليهم الصرامةَ، وأندَرَهُم: إن لم ينقادوا أن يدوس بلادَهُم بالأقوام، ويذيقَهُم كؤوس الإذلالِ والانتقام. وكان الإمام - عليه السلام - يراعي لهم حقَّ الإيواءِ والمناصرةِ في الزمنِ السابق، فهو يعاملُهُم باللين والرِّفق، فلما شاهدوا منه الشَّدةَ خضعوا لأوامِرِهِ، وانقادوا لزواجِرِهِ، وتمَّ على يده وبجهدِ سعيِهِ عقدُ الصُّلحِ بينَ الطرفين، ورفعَ المطارحِ من الجهتين، وإسكاتُ صوتِ الشرورِ، واشترطَ مولانا - عليه السلام - وصولَ مَنْ يلزمُ مِنَ الفريقينِ في أثناءِ مدةِ الصلحِ للخوضِ في حُسمِ المادةِ التي سبَّبتْ فتحَ هذا الشرِّ، وما ترتَّبَ عليها من القتلِ والنَّهبِ، وما عمَّ من الإدراكِ الضارةِ بالفريقينِ، وزالَ عملُ الشيطانِ، وخابَ سعيُهُ، ثم عادَ مولانا الإمامُ إلى عَمْران، ومنه إلى صنعاءَ مقرَّ حضرتهِ الشريفةِ مقروناً باليُمنِ والجلالِ والنجاحِ والإقبالِ، وقد مَنَحَهُ اللهُ المُرَادَ من الشفاءِ وزوالِ الداءِ بترياقِ العنايةِ الإلهيةِ، والوقايةِ الصِّمدانيةِ،^[١] حيثُ كان إمامُ الآلامِ بجسمِهِ الشريفِ، ناشباً من كثرةِ مقاساةِ الأعمالِ، وتولِّيهِ لها بنفسِهِ الشريفةِ، وإنهاكِ قواه في أصنافِ المصالحِ العامةِ والمباشرةِ لجليلِها والحقيرِ، مع أنَّ الإبقاءَ على ذاتهِ ربِّها وصلَّ حدُّ الوجوبِ. رأى القاضي الضياءَ لطفُ بن محمدِ الزبيري حاكمُ سنحان، وأحدُ حكامِ الاستئنافِ مناسبةً مراجعةِ مولانا الإمامِ بشيءٍ من المنظومِ، يحثُّ حضرتهُ الشريفةَ على اجتنابِ ما يورث الكُلوْمَ، وترجيحِ جانبِ الاستعانةِ بصالحِي الأعوانِ، والاستغناءِ بذلك عن معاناةِ ما يكونُ سبباً لوقوعِ عالمِ الإسلامِ في

(١) رَيْدَةَ: شمال غرب صنعاء بمسافة ٤٩ كم، انظر، الاكليل، ١/ ٢٧٠، اليمن الكبرى، ٨١، ١٧٠، صفحات مجهولة، ١٩٠، قرة العيون، ٢٢٢، معالم الآثار، ٦٤، معجم المحقفي، ٢٨٠.

[١ - ١] من عبارة «وحيث كان الآلام حتى عبارة، وفي اوائل شعبان» سقطت من س.

مهاوي الأحزان، فنظم القاضي الضياء أوائل ما تراه من النظام، وأكملها جامع هذه السطور، وكان تقديمها إلى حضرته الشريفة عقيب عودته من حاشد، فحلت من الإمام بمكان الاستحسان والقبول أحسن حلول، وهي:

[السريع]

إذا اشتكى المولى إمام الهدى	اشتكى الأرض وسكانها
لأنه قلب الزمان الذي	قامت به الذات وأركانها
وهل ترى الجسم صحيحاً إذا	شين بها القلب وبنيانها
فبرؤه برؤ لكل الورى	حقيقة يسطع برهانها
وحاجة الأمة فيما نرى	طول بقاء فهو سلوانها
وهي منى العالم طراً فما	خلا عن الأذهان عرفانها
أدرك حتى الطفل مقدارها	فشأنه المعنى به شأنها
طابت لها الريح وعامت بها	سفن البديهي وربانها
وهكذا الأفكار من شأنها	في مثله تنساق أوزانها
وكل من شاهد مولى الورى	شاهد حالاً قل صنوانها
متاعب يعجز عن حملها	من الجبال الشم ثهلائها
وهمة فوق نجوم السما	فات عن الإدراك ميزانها
لا يرهب الحادث إن كشرت	أنبأه أوهال غيلانها
أما تراها وجهت عزمها	فرافق الإسعاد أيمانها
لحسم داء الشر في حاشد	حيث أضل القوم شيطانها
وفي بكيل إذ تنادى بها	دعاه جهل طال إيدانها
فاستأصل الداء وعمت به	صنوف خير سال هنانها

٢٥٧ /

شَبَّتْ بِهِ صَلْحٌ وَمَاتَتْ بِهِ شَبَّتْ بِهِ صَلْحٌ وَمَاتَتْ بِهِ
 وَعَادَ بِالْحَمْدِ يَزِفُ السَّنَا وَعَادَ بِالْحَمْدِ يَزِفُ السَّنَا
 بِصَاحِبِهِ الْيُمْنُ وَإِقْبَالُهُ بِصَاحِبِهِ الْيُمْنُ وَإِقْبَالُهُ
 مَوْلَايَ أَنْتَ الْيَوْمَ رَوْحُ الْوَرَى مَوْلَايَ أَنْتَ الْيَوْمَ رَوْحُ الْوَرَى
 يَا سَيِّدِي رَفَقاً بِنَفْسِي غَدَا يَا سَيِّدِي رَفَقاً بِنَفْسِي غَدَا
 كَذَا طَرِيفٌ وَتَلِيدٌ وَسَا كَذَا طَرِيفٌ وَتَلِيدٌ وَسَا
 رَفَقاً بِهَا مَوْلَايَ إِنَّ الدُّنَى رَفَقاً بِهَا مَوْلَايَ إِنَّ الدُّنَى
 جُرْتُمْ عَلَيْهَا بَيْقَا عَدْلِكُمْ جُرْتُمْ عَلَيْهَا بَيْقَا عَدْلِكُمْ
 حَرَمْتُمُوهَا وَهِيَ أَوْلَى بِهِ حَرَمْتُمُوهَا وَهِيَ أَوْلَى بِهِ
 وَمَا نَخَلْتُ أَفْعَالِكُمْ كُلَّهَا وَمَا نَخَلْتُ أَفْعَالِكُمْ كُلَّهَا
 إِلَّا الَّذِي عَزَّ عَلَى أَنْفِيسِ إِلَّا الَّذِي عَزَّ عَلَى أَنْفِيسِ
 فَخَفِّضُوا الْعِبَاءَ وَجُودُوا عَلَى فَخَفِّضُوا الْعِبَاءَ وَجُودُوا عَلَى
 وَاتَّخِذُوا الْأَعْوَانَ مَنْ قَدْ صَفَّتْ وَاتَّخِذُوا الْأَعْوَانَ مَنْ قَدْ صَفَّتْ
 فِي النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى أُسْوَةٌ فِي النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى أُسْوَةٌ
 عَلَيْكَ صَلَّى اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ عَلَيْكَ صَلَّى اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ
 تَعْمُ كُلَّ الْأَلِّ أَهْلِ التَّقَى تَعْمُ كُلَّ الْأَلِّ أَهْلِ التَّقَى
 مَا أَضْحَكَ الزَّهْرُ بَكَاءَ الْحَيَاءِ مَا أَضْحَكَ الزَّهْرُ بَكَاءَ الْحَيَاءِ

وفي أوائل شعبان من هذه السنة، مات ناجم تهامة السيد محمد بن علي بن
 أحمد الإدريسي بصبييا، ودُفِنَ بها، وانفقت كلمة أعوانه بعد اختلاف جرى
 بينهم على نصب ابنه السيد علي بن محمد مكان أبيه، وكان سنُّ ابنه هذا لم
 يتجاوز الخمس عشرة من الأعوام، ولم يتحلَّ بشيء من العرفان، ولكن أعوان
 أبيه أرادوا حفظ مكانة سيظرتهم وتحكيمهم، وما لهم من المصالح والمطامع،

فأظهروا نصبَ هذا الولدِ ليكونَ آلةً بأيديهم، ونادوا بإمامتِهِ عليهم، وخطبوا له على المنابر، واسكتوا كلَّ مكابرٍ.

[الوافر]

أمورٌ تُضحِكُ السفهاءَ منها وَيَيْكِي من عواقبِها الحليمُ

وكان ابتداءُ ظهورِ أبيه في أوائلِ سنةِ سبعٍ وعشرينٍ وثلاثِ مئةٍ، ومكثَ إلى هذا التاريخَ مطلعاً للفتنةِ، وجالِباً لكلِّ محنةٍ، وردءاً للكافرينَ وشجىً في حلقِ المؤمنين، كلِّما أوعزَ إليه النصارى بالقيامَ على أهلِ الإسلامِ، وأمدَّوه بالذخائرِ والأموالِ وأنواعِ الحُطامِ، بادِرَ إلى الإجابةِ وإنفاذِ ما لهم من إرادةٍ غيرِ غلابةٍ، وأنزلَ بالمسلمينَ كلَّ ضراءٍ، وأسألَ الدماءَ أنهرًا وأجرى، واشتملتِ أعوامُ فتنتهِ على معاركٍ وخطوبٍ، ونوائبٍ مثلها لا تنوب، وحوادثٍ خرقتِ حُرمةَ الدينِ وأضحكتِ / ثغورَ الكافرينَ، وشفَّتْ فيهم الآلامَ، كما أحدثتْ في جسمِ الدينِ / ٢٥٩
الأسقامَ، ولم يراقبِ اللهَ تعالى فيمن غرَّهُم من الجهَّالِ، وقادهم إلى الضلالِ واستهواهم بالأموالِ، وقادهم إلى حُفْرِ الوبالِ والذي وصلَ من آبائه إلى هذه الديارِ هو السيدُ أحمدُ الإدريسي^(١)، انتقلَ من صعيدِ مصرَ إلى مكةَ المكرمةِ، ولبثَ فيها زماناً، ناشراً لألويةِ العلومِ واشتهرَ بالرسوخِ،^{١٦} والظنُّ أن بعضَ علمائنا من معاصريه حينَ حجَّ استجازه فأجازه^{١٧}، ثم انتقلَ من هنالك، وتردَّدَ في الأطرافِ إلى أن وصلَ إلى صَبِيَّا فاستطابها ووجدَ أهلها في غايةِ من الجهلِ

(١) أحمد بن إدريس المغربي: الجد الأول للأُسرةِ الإدريسيةِ بتهامة، ولد في بلدةِ العرائش من أعمالِ القيروان، درس على الشيخِ عبد الوهاب التازي، وصل مكة سنة ١٢١٤ هـ وهناك اشتغل بالعبادةِ والتفسيرِ والسنةِ النبويةِ وصل إلى بوادي ونواحي زبيد سنة ١٢٤٥ هـ ثم انتقل إلى صبييا واستقر فيها حتى توفي في رجب ١٢٥٣ هـ، وقد صنف حسن بن أحمد عاكش في سيرته الكتاب الموسوم بحدائق الزهر في ذكر أشياخ أعيان العصر، انظر، المخلاف السليمانى، ٦٢٠.

[١ - ١] سقطت من س.

فراج حاله، وثبت قدمه بين ظهرانيهم، ورفعوه إلى درجة الولاية، فبقي هنالك إلى أن توفي ودُفِنَ بها، وأُقيم على تربته^[١] مشهداً، وخلفه في مكانه ولده السيد عليُّ بن أحمد على طريقة أبيه في الاتسام بالصلاح، وعدم مخالطة الناس، إلى أن توفي ودُفِنَ قريباً من أبيه، ونشأ ولده هذا محمد بن علي، أسود اللون حالكة، عظيم البنية كأجسم ما يكون من الرجال طويلاً وضخامة بنية، فذهب إلى مصر وصعيدها وزار هنالك قرابته، ومكث على ما قيل زماناً في الجامع الأزهر، حصل فيه طرفاً من العلوم، وتهذب تهذيباً مصرياً مشوباً بالشطارة، وحسن الخبرة بأمور السياسة والمهارة في الخداع واجتذاب القلوب، وعاد من هنالك وقد علق بفكرته إمكان الاستيلاء على صبيها وما حولها، وخامرته حُبُّ الإمارة، لأنَّ الأتراك كانوا منذ أمد بعيد مقتصرين على ضبط جيزان فحسب، ولا يعرفون من حال صبيها وأبي عريش شيئاً، فشرع في جذب القلوب إليه، ووعظ الناس حتى تم له جمع الناس حوله في صبيها، واستمدَّ من النصارى أموالاً صرفها في التأليف، ولم يدع أحداً إلى منابذة قوم أو مقاومة دولة، فبعد صيته وانتشر الحديث عنه، وأعاناه على ذلك ما مهَّد له أبوه وجدُّه من شهرتهما بالصلاح، فأقبلت قبائل تُهامة الشامية إليه أفواجا، ومما زاد في تمكُّنه أنَّ تُهامة الشام من أطراف اللُّحِيَّة إلى حدود عسير لإهمال الأتراك لها صارت فوضى، وعمَّ التعادي بين سكاينها حتى أنها لا توجد قرية من قراها إلا وهي مملوءة بالبغضاء فيما بين أهلها، وخوِّف كلُّ فريق من الآخر، وكانوا قد ملوا هذه الحال، وصاروا في حالة احتياج شديد إلى مَنْ يحسِّم داء فوضاهم ويزيل بلواهم وضراهم.

فلما ظهر المذكور وجدوا ما يتمنَّون من السكون من دون نظرٍ إلى كون

[١] في س، قبره.

داعيمهم من أهل الصلاح، أو من ذوي المساعي القباح أو كونه يقودهم إلى النار أو دار القرار. / فانتظم له حال قضاء صبييا وأبي عريش وما بين أطراف / ٢٦٠ اللحيّة وجازان، ودخلوا في طاعته، وأظهر المسالمة لمولانا الإمام، بل لم يقتصر على ذلك، فزاد إلى حالة تشبه الانتماء، ومدّ يده إلى أطراف عسير، فأدخل بعضها في طاعته، ثم ضايق الأتراك في أبها مركز عسير، فانتهب الأتراك من غفلتهم ودفعوهُ عن بلاد عسير بحراهم، ثم التفت إلى قضاء اللحيّة، وأراد إدخاله تحت حوزته، فأرسل الأتراك عليه الجنود من كل جهة، فتيسر له استماله قائد تلك الجنود المسمّى سعيد باشا وسحره - بأنّه لا يريد الخروج على حكومة الأتراك، وإنّما هو مصلح ولا يريد أمراً، فانطى عليه سحره، ورفع ذلك القائد إلى دولته بما اعتقده فيه وتصوّره أمره، وتفرقت تلك الجنود عنه، فعاد إلى طوره الأول.

وفي سنة ١٣٣٠ سوّلت له نفسه الاستيلاء على صعدة وبلادها، فأفسد جميع قبائل خولان بن عامر، ومكّنهم من سلاح الكفار، فأعلنوا الخلاف على الإمام، ولم يبق بيد عمال الإمام غير الحصون، وجرى بسببه الحروب والخطوب ما يطول شرحه، ولم يتمكن الإمام من إخضاع قبائل الشام إلا بعد مصاعب ومتاعب، وحوادث هي من كبار النوائب، حين وقعت الحرب بين العثمانيين والطلليان لاعتداء الطليان على طرابلس الغرب، أمده الطليان بالمدافع والسلاح والأموال، فنهض لمحاربة الأتراك في ثمامة، وذاقوا منه الأمرين، وكذلك كان حاله حينما وقعت الحرب العامّة، أمده الإنجليز مع حلفائه، بما لا يُحصّر من الإعانات المتنوّعة وحارب الأتراك، فكان للأتراك في أثناء تلك الحرب محطتان، إحداها، محطة لحج والآخرة في أطراف اللحيّة في مقابلة الأدرسي وأعوانه.

وقد مرَّ بك ما كان منه من الحروب والخطوب في ملحان وحرارز وبرع
 ورِيمة، ولم يقتصر على التهاميين في الإضلال، بل مدَّ يدَ شروره^[١] إلى قبائل
 حاشد وبعض بكيل، فكان يستميلهم بأموال الكُفَّارِ، ويعطي من وصل إليه
 العطاء الجَمَّ على حسابِ النَّصارى.

وما زال على تلك الحالِ إلى أن أدركته المنيَّة وفارق الحياة، وقدَّم ما قدَّم غير
 ملابس لتوبةٍ وندم، وغير غريبٍ ما كان منه، فما زالت الدنيا تتلاعبُ بعقولِ
 أهلها، وتوردُهم الأطماع فيها حياض الندامة، وترميهم عن كاهل السلامة إلا
 من رزقه الله التوفيق واعتصم به من زلَّة القدم في مزالق الزلِّ والتعويق، نسأل
 الله تعالى أن يجعلنا من هذا الفريق بمنه وكرمه، وبيده الحول والقوة، ومنه
 نستمدُّ العِصمة والسلامة من تبعه الهفوة وذلة الكبوة والنَّبوَّة.

/ ٢٦١ / وفيها كانت الحادثة بملحان، وقد سبق لنا بيان مجمل الأحوال هنالك،
 وأنَّ السيدَ فخرَ الدين، عبد الله بن يحيى أبو منصر، توجه إلى الجبل المذكور بأمر
 الإمام للقيام بعمارة الحصون اللازمة،^[٢] وشروعه في إنفاذ^[٢] ما أمر به، وإليه
 النظر فيما يكون به إصلاح الجبل، واستمالة سكَّان أطرافه الباقين على الخلاف،
 والنقيب^[٣] ومن إليه من الأعوان باقون أيضاً، وجباية الأموال بنظره.

وظهر في أوائل هذا العام انحلال أمور أهل تُهامة، والتقصير فيما اعتادته
 جماعات من المرتبين من طرفهم حول الجبل، وكانوا مؤلفين من قبائل شتى،
 ومنهم من أهل الجبال جماعة، فاضطرَّ كثيرٌ منهم لمراجعة السيد عبد الله بن
 يحيى أبو منصر، وإظهار^[٤] الرغوب في الانتماء إلى حزب الإمام، فاستأذن

[١] - ٢] في س، فيما أمر به.

[١] في س، الشريعة.

[٤] في س، وظهور

[٣] في س، والنقيب أحمد حبش.

أبومنصر مولانا الإمام في قبولهم، فأذن له بذلك، فوصلوا إليه، وجعلهم من جملة الأجناد الإمامية، وكذلك راجع إليه بعض العقال من تهامة مظهرين الطاعة، فزاحمة النقيب أحمد بن يحيى حبيش على مثل عمله، ورفع إلى مولانا الإمام بأن الزيلعي شيخ المعزبة يريد الدخول في الطاعة، وأنه قد كاتب إليه في هذا الشأن، ويريد النهوض من الجند الامامي، حتى يكون عذراً له في الالتجاء إلى الطاعة، ووسيلة لاستنقاذ أمواله من تهامة.

وكان مولانا الإمام يأمر النقيب بالاجتماع مع أبومنصر في محل واحد، وتدبير العمل النافع بما يكون عليه اتفاق الرأي منها، وعدم الانفراد من أحدهما بعمل، فقصر النقيب في امتثال ما أمر به مولانا الإمام، وظهر منه ما يشبه المنافسة لأبومنصر وحب الانفراد، ونهض إلى المعزبة^(١)، ومعه قريب من ثلاثمائة من النظام واربعمائة من غيرهم، أكثرهم من حاشد، ولما وصل إلى المعزبة، باشر من فيها بالحرب، ورمى البغاة بالمدفع، وفرّوا من المعزبة، وطرّدوا الأعداء منها، ومعهم أهلها، فرّوا أيضاً معهم، وأقامت الجنود الإمامية مكانهم. ولما كان بين النقيب أبومنصر من المنافسة شغلاً بها عن الاطلاع على ما يدبر في الخفاء بين مشايخ ملحان قاطبة، وبين أعوان الضالّ ورئيسهم محمد طاهر الموجود في باجل، ولم يشعر النقيب بأن تشويقه على الانحدار من الجبل إلى أطراف تهامة إنما كان استدراجاً منهم وحيلة لإيقاعه في شبكة اصطيادهم مع من معه من جنود الإمام ولم ينتبه/ أبومنصر لما جرى، وهو بطل الحروب، / ٢٦٢

(١) بنو معزب: من قبائل بلاد يريم في عذلة بني سيف يسكنون قرية بيت معزب، وأخرى قرية من عذلة بني السّيّاغ من ناحية الحيمة الداخلية، والمعزب، قرية في جبل خولان بن عامر من ناحية ساقين بصعدة، انظر معجم المقحفي، ٦١٠، معجم الحجري، ٧١٢ / ٢، والمعزبة يقصد بها المعازبة القبائل التي موطنها زبيد.

وضيغهم الخطوب، لإعراضه عما يجري في الجبل من الأحوال لئلا يعد ذلك منافسة للنقيب فيما إليه من الأعمال، وقد كان مشايخ ملحان ومنهم علي يحيى الأصابع قد اتفقوا على الغدر بجنود الإمام وعماله، ونكث الإيمان والعهود والخروج عن الطاعة والجماعة، وتكاتبوا هم ومحمد طاهر رضوان في هذا الشأن ووعدهم بإرسال جنود إليهم، ومتى وصل الجند إلى أطراف الجبل ثار سكان الجبل أيضاً معهم، واتفقوا على استدراج النقيب بتلك الحيلة، وإخراج الجند الإمامي من المعقل والمراتب إلى حيث لا يتمكن له الامتناع أو انتظار وصول المدد وإدراك الغارة، فلم يشعر النقيب ومن معه إلا وقد أتاهم جمع الباغين من ثهامة، وباشروهم بالحرب فدافعهم الجند الإمامي أتم مدافعة، حتى كاد أن يستظهر عليهم ويهزمهم، وبينما هم على تلك الحال إذا هم بأهل جبل ملحان قد أعلنوا الفساد، وجاءوا إليهم من فوقهم، وقطعوا الطريق عليهم، ومنعوا وصول الأقوات والماء إليهم، فترجعوا هم والنقيب إلى المحلات التي أمكن لهم الرجوع إليها في المغزبة، وانتظم نطاق الحصار عليهم من فوقهم ومن تحتهم لا يجدون سبيلاً للصعود إلى أعالي الجبل، ولا للخروج من ذلك المضيق، فمكثوا ثلاثة أيام.

وفي خلالها وصل السيد عبده جيلان عابد من سادة الزيدية^(١) سفيراً بينهم وبين أهل الجبل والأعداء، وتم الأمر على خروج النقيب، ومن معه بسلاحهم على أن يكون وصولهم إلى باجل، ومن هنالك يذهبون حيث أرادوا، ومعهم المدفع الإمامي، فلما خرجوا على تلك الصفة، توجهوا نحو باجل ولم يف لهم

(١) الزيدية: مدينة مشهورة من مدن ثهامة، على الطريق المتجه إلى حجة، يُطل عليها من الشرق جبل ملحان، شمال شرق الحديدة بمسافة ٦٢ كم، انظر، حياة الأمير، ٦٢١، اليمن الكبرى، ٩٦، اليمن الخضراء، ١/٩٠، معجم المقحفي، ٢٩٥.

الأعداء بما شرطوه لهم، فأخذوا المدفع، وأوقفوا النظام مدةً في باجل، ثم أخذوا سلاحهم ثم ساقوهم إلى الضحى^(١) من أعمال ثمامة، ومكثوا فيه برهةً، وأمروهم بالعزم إلى جيزان وفرقوهم في تلك النواحي، وفرّ منهم جماعة بعد شهرٍ، وعادوا إلى أوطانهم.

وأما السيد عبدالله أبو منصر، فإنه داهمه الخطب، وهو في العبرات من الجبل المذكور، ورأى بينه وبين النجاة مسافةً طويلةً، فقوى عزمه على اقتحام / ٢٦٣ المصاعب والمكاره مفضلًا للشهادة على الاستسلام إلى الأعداء، فجدّ في سيره من الجبل، ولم يكن معه إلا عصاةً يسيرةً، لا يقوم بهم دفاعٌ، ولا يتسير بهم الامتناع، وكلما مرّ على قريةٍ تلقاه أهلها بالحرب، ودفعهم عن طريقه، واستشهد بعض السادة من بيت أبو منصر وبعض أصحابه ولم يزل سائرًا بين هذه الخطوب إلى أن تيسرت له النجاة والخروج من جبل ملحان، وكان النقيب علي الغني، ومعه عصاةً من النظام في أطراف عزل على يحيى الأصابع، ومعهم المذكور، فحين رأى النقيب إحداق الشرّ قبض على الشيخ علي يحيى واستصحبته معه، فكان كلما هموا بالنظام منعهم الشيخ المذكور خوفًا على نفسه من النظام، لأنهم قد أعلموه أنهم قاتلوه لا محالة، إن وصل إليهم شرٌّ من أصحابه، ثم ساروا به وهو في قبضتهم إلى أن قطعوا مسافة الخطر وأطلقوه، وقد كان الوفاق بينهم وبينه على ذلك، فنجوا من شرّ أهل ملحان بما دبّروه من القبض على المذكور، ووصلوا إلى نخل أذرع^(٢) سالمين بأسلحتهم، وأطبق أهل

(١) الضحى: قرية في ثمامة بوادي سُرُدد، جنوبي الزيدية بمسافة ١٨ كم، انظر، طبقات الخواص، ١٢٤، العقود اللؤلؤية ١١ / ٣١١، معجم الحجري، ٥٥٢ / ٢، معجم المقحفي، ٣٩٥.

(٢) أذرع: أحد جبال ملحان بالمحويت، وهو خبت، انظر معجم الحجري، ٦٩١ / ٢، معجم المقحفي، ٢٣.

مَلْحَانَ عَلَى الْخِلَافِ، وَفَعَلُوا الْأَفَاعِيلَ بِمَنْ ظَفِرُوا بِهِ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ، وَتَمَّ لَهُمْ مَا أَرَادُوهُ مِنَ الْمَكْرِ وَالْغَدْرِ،^[١] وَتَوَجَّهُوا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى بَاجِلٍ، وَكَانَ وَقُوعُ هَذَا الْحَادِثِ فِي شَهْرِ رَجَبٍ مِنْ هَذَا الْعَامِ، وَقَدْ تَكَرَّرَ مِنْ أَفْعَالِ أَهْلِ هَذَا الْجَبَلِ، وَتَلَوْنِهِمْ مَا يُنْبِئُكَ عَمَّا جُبِلُوا عَلَيْهِ مِنَ الْخُدَيْعَةِ وَالْمَكْرِ^[١] وَخُبَيْثِ الطَّبَاعِ وَالْبِدَارِ إِلَى فَعْلِ الْمُنْكَرِ بِغَايَةِ الْإِسْرَاعِ.

ولما وصلت هذه الأخبارُ إلى مولانا الإمام، بادَرَ بإرسالِ الجنودِ إلى السيد عبد الله أبو منصر، وأمره بالإقامةِ مكانه في أطرافِ الخَبْتِ، فلبثَ هنالك، وسيأتي في حوادثِ العامِ الآتي ما آلت إليه حالُ الجبلِ المذكورِ وما جوَّزوا به على غدرِهِمْ ومكرِهِمْ وَخُبَيْثِ أَفْعَالِهِمْ واستيلاءِ الجنودِ الإماميةِ على الجبلِ المذكورِ وإذاقَتِهِمْ مَرَّ النكالِ، وعودِ أفعالِهِمْ عليهم بأشدُّ الوبالِ، والاستئصالِ.

وفيهما في شهرِ شعبانَ، وصل إلى الحضرةِ الشريفةِ الإماميةِ السلطانُ حسينُ بنُ أحمدِ الرصاصِ، ومعه عاملُ ناحيةِ السُّودِيَّةِ الشَّيْخُ أَحْمَدُ بنُ قَايِدِ الْجَبْرِيِّ، وَمِنْ أَصْحَابِهِ جَمَاعَةٌ، وَكَانَ وَصُولُ السُّلْطَانِ / المذكورِ إلى حضرةِ الإمامِ / ٢٦٤ / مستنجداً به على آلِ حُمَيْقَانَ^(١) الذين ضايقوه، وكادوا أن يمنعوه من الإقامةِ في ديارِهِ، وقتلوا أخاه السلطانَ صالحَ بنَ أحمدِ الرصاصِ في أثناءِ العامِ الماضي، وبذلَ مِنْ نَفْسِهِ الدخولَ في الطاعةِ، وتمكينَ الإمامِ من البيضاءِ وبلادِها متى وصل الجندُ الإماميُّ إلى تلكِ الأطرافِ، وإعانتَهُمْ على الاستيلاءِ عليها بما يستطيعه من الرجالِ والمالِ، فأكرمه الإمامُ - عليه السلامُ - وأناله صنوفَ البرِّ والإنعامِ، وتمَّت المراجعةُ فيما بينه وبين الإمامِ على وضعِ ولده رهينةً، وإرسالِهِ متى عادَ إلى رَدَاعِ، ويكونُ من مولانا الإمامِ بعدَ ذلكِ إرسالُ جنودِهِ إلى تلكِ الجهاتِ، لإجراءِ ما كانَ عليه التمامُ، ووعدَهُ الأمامُ بعمالةِ بلادِهِ متى تمَّ

(١) آل حُمَيْقَانَ: من قبائل البيضاء، انظر، معجم المقحفي، ١٩٥.

استفتاحها على مثل ما أسعفَ به الشيخ أحمد قايد الجبري، في ناحية السَّوَادِيَّة، وبعد التَّمام على ذلك، تحرَّرَ من الإمام - عليه السلام - بيده من الأوامر الشريفة ما دعت إليه الحال إلى عاملٍ ردَّاعٍ إعلاماً بما كان الوفاق عليه، وأمر بقبض رهينة السلطان المذكور متى وصلت، وإجراء ما يلزم لها من الكفایات، وصنوف الرعايات، وعاد المذكورُ ومن معه إلى ردَّاع، ومنها إلى أوطانهم، وقد رأوا من إقبال الإمام عليهم ما جذب قلوبهم وأغرائهم بالوفاء، بما اشترطه عليه مولانا الإمام، وتحققوا أنهم سيُدركون مطلوبهم.

قلت: وهؤلاء بنو الرصاص، بيت رئاسة قديمة، وقد جاء ذكرهم في سيرة الإمام المهدي أحمد بن الحسن، رضوان الله عليه، عند دخوله إلى حضر موت، وقيامه بفتح المشرق أيام سيادته في خلافة مولانا المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم - عليها السلام - ثم في تلك الوقوعات التي استشهد فيها جماعة من آل الإمام - رحمهم الله تعالى - وكذلك في أيام المهدي محمد بن أحمد^[١] بن الحسن^(١) ومصاهرتهم لهم تألفاً، وعلق بالخاطر حال التحرير أن الشاعر السَّمْحِي^(٢)، من شعراء ذلك العصر قال مقطوعاً لطيفاً ذكر فيه بني الرصاص، والمهدي صاحب المواهب، وعدم الوفاء بينهم بما وعدوه به من المصاهرة.

وكان ذلك قبل أن يتم الأمر، لأن المصاهرة تمت واحتفل المهدي بالإعراس

(١) المهدي: محمد بن أحمد بن الحسن بن القاسم ت ١١٣٠ هـ، صاحب المواهب القرية التي أسسها والواقعة شرقي دمار.

(٢) سعيد بن صالح السَّمْحِي ت ١١٢٢ هـ، شاعر، ب فقيه لغوي، مدح الإمام أحمد بن الحسن بن القاسم المنصور ومدح الأمراء وغيرهم، انظر، نشر العرف، ٧٣٧/٢ - ٧٤٢.

[١] في س، أحمد بن الحسن والأصل، أحمد بن الحسين.

٢٦٥ / الاحتفال العظيم، وزفت إليه ابنة الرصاص، وذكرها شعراء ذلك العصر

كالزئمة وغيرهم في تهاينهم للمهدي، ومقطوع السححي هو قوله: [البيسط]

لله درُّ بني الرصاصِ إنَّهُمُؤُ
لأغْيَرِ النَّاسِ فِي بَدْوٍ وَفِي حَضْرٍ
مَنُّوا الإِمَامَ بِأَنْشَى مِنْ كَوَاعِيهِمْ
وَأَصْدَقُوا وَعَدَهُ بِالصَّارِمِ الذِّكْرِ

ومدح الزئمة^(١) المهدي في هذا الإعراس بقصيدته الفائية البليغة، وهي من أجود شعره، وكان زفاف ابنة الرصاص إليه وهو في مدينة الحضري، من أعمالٍ مخالفٍ العرش، فلذلك جاء في قصيدته المذكورة: [الطويل]

فها هي بلقيسُ وذا العرشُ عرشُها
وأنتَ سليمانُ الكريمُ الذي وَفَى

و^{١١} لما وصل سيدي العماد يحيى بن عليّ الذاري إلى الحضرة الشريفة، وقد ذكرنا أن وصوله كان بأمر مولانا الإمام، وذلك قبيل شهر الصيام، رفع إلى مولانا الإمام قصيدة بليغة من نفسه اللطيف، ونظمه الظريف ومستهلها:

[الكامل]

بِمَطَالَعِ لَجْبِينِكَ الْبَدْرِي
وَبَوْرَدِ خَدَيْكَ النَّدِيِّ وَمَا
لَا حَتَّ لَنَا مِنْ غَيْهَبِ الشُّعْرِ
فِي اللَّحْظِ مِنْ جَوْرِ وَمَنْ سِحْرِ
وَبِشْهَدَةِ أَضْحَى تَرَكُّدُهَا
بَيْنَ الْعَقِيقِ وَلَوْلُو الثَّغْرِ

(١) الزئمة: هو أحمد بن أحمد بن محمد الأنسي القهدة المعروف بالزئمة اليميني الشاعر المشهور بأيام الإمام المؤيد بالله محمد بن المتوكل على الله اسماعيل والمهدي صاحب المواهب محمد بن أحمد بن الحسن ت ١١١٥ هـ منفيًا في زيلع، وكان قد جمع ثروة طائلة، كان حاد الطبع، سريع الانحراف، انظر، طبق الحلوى، ٢٤٥، انظر، نشر: العرف، ١/ ٧٤ - ٨١، البدر الطالع، ١/ ٣٦ وفيه توفي سنة ١١١٩.

[١ - ١] من عبارة «ولما وصل سيدي يحيى بن عليّ الذاري حتى عبارة، بعد النبي وآله الغر» سقطت من س.

وبدُمِيَةِ الْجِيَدِ الَّتِي غَنِيَتْ
وَبِمَا أَجْتَنَّهُ الْغَلَائِلُ مِنْ
بِرْشَاقَةِ الْقَدِّ الْمُهْفَهَفِ
وَبطَيْبِ دَبَا نَشْرِهِ عَبَقُ
قَسْمًا بِهَا قَسْمًا أَبْرُ بِهِ
أَسْلُو هَوَاكِ وَوَقْفَةً سَلَفَتْ
يَا خِلْسَةً سَمَحَ الزَّمَانُ بِهَا
وَمُعَانِقِي سَيْفٍ يُدَاعِنَا
وَالْقَلْبُ يَجْذِبُهُ وَيَحْفِزُهُ

عَنْ عَقْدِ عَقِيَانٍ وَعَنْ دُرِّ
لِيمِ النَّهْوِدِ وَفَائِحِ الزَّهْرِ
وَالرُّدْفِ لِثَقِيلِ وَدِقَّةِ الْخَصْرِ
أَذكى مِنَ النَّسْرِينَ وَالْعَطْرِ
مَا حَلَّتْ عَنْ عَهْدِ الْهَوَى الْعُدْرِي
بَيْنَ الْأَرَاكِ وَدَوْحَةِ السُّدْرِ
صَادَقْتُهَا مِنْ ظَبْيَةِ الْفَقْرِ
عَنْ ضَمَّةٍ تَشْفِي جَوَى الصِّدْرِ
شُغْلُ يَقُودُ الْعَسْكَرَ الْمُجْرَ

٢٦٦ /

عَنْ رَأْيِ مَوْلَانَا الْإِمَامِ
الذَائِدِ الْحَامِي الذَّمَارِ وَمَنْ
السَّابِقِ السَّاقِي الْعُدَاةَ رَدَى
وَجَحَافِلِ مَلَأَ الْفَضَاءَ بِهَا
أَحْيَى الْأَلَّةُ بِهِ الْهُدَى وَتَفَى
أَرَاؤُهُ كَسَهَامِهِ نَفَذَتْ
فَتَكَاتُهُ مَشْهُورَةٌ شَهَدَتْ
دَفَّاعُ مُعْضَلَةٍ إِذَا دَهَمَتْ
طَوْدُ الْوَقَارِ فَلَا يُزْعِزُهُ
حَمَّالُ أَعْبَادٍ لَهُ هِمَمٌ
لَشْتِيَتْ أَنْوَاعَ الْعُلُومِ حَوَى
أَخْلَاقُهُ كَالرُّوْضِ بَاكِرَةٌ
رَبُّ الْفَضَائِلِ وَالْفَوَاضِلِ وَالْمَجْدِ الْأَثِيلِ وَوَارِثُ الْفَخْرِ

مَن رَامَ أَنْ تُحْصَى مَنَابِقُهُ
 يَا ابْنَ النَّبِيِّ وَنَجَلَ حَيْدَرَهُ
 أَعْطَاكَ رَبُّكَ مِنْ مَوَاهِبِهِ
 فَاشْكُرْ إلهَكَ ذَا الْجَلَالِ فَمَا
 وَتَهَنَّ شَهْرًا قَادِمًا بَرَضِي
 وَأَسْلَمٌ وَدُمٌّ مَا عَشْتِ مَرْتِدِيًا
 وَإِلَيْكَهَا تُجَلِي عُرُوسُ خِيَابِ
 عَرَبِيَّةٌ بَدَوِيَّةٌ كُفَيْتِ
 وَعَلَيْكَ صَلَّى اللهُ خَالِقُنَا
 رَامَ الْمُحَالَ وَجَاءَ بِالْأَمْرِ
 سَيْفَ الإِلهِ وَقَاصِمَ الكُفْرِ
 وَحَبَاكَ بِالإِحْسَانِ وَالْبِرِّ
 أَوْلَى الإِلهِ بِوَأَجِبِ الشُّكْرِ
 شَهْرَ الصَّيَامِ وَمَوْسِمَ الأَجْرِ
 ثَوْبَ العُلَى وَالْعَزِّ فِي العَمْرِ
 نَسَجَتْ مَطَارِفَهَا يَدُ الفِكْرِ
 بَخْسِ الحِطْوَظِ وَجَفْوَةِ الدَّهْرِ
 بَعْدَ النَّبِيِّ وَآلِهِ الغُرِّ

/ ٢٦٧

وفيها وصل إلى مقام المولى، سيف الإسلام، وأكبر أنجال مولانا الإمام
 سيدي العماذ يحيى بن محمد بن الهادي^(١)، صاحب المداير، والمومى إليه من
 أعيان السادة القاسمين، وذوي الفطنة الوقادة، وكان حاكماً في جبل يزيد من
 طرف الإمام، وقد سبق له من المناصرة مواقف محمودة، إلى أن هفأ بالتوجه إلى
 ثمامة، وقصد الأدرسي ومكثه هنالك برهة لم يُعثر عليه في أثنائها التلبس بأمر
 يجلب الندم، ويوجب زلة القدم، ثم تاب إلى رشده، ورجع إليه من سداد
 مدده، فقصد مولانا سيف الإسلام، نادماً على ما كان، واستمد من سيف

(١) يحيى بن محمد بن يحيى الهادي: ولد سنة ١٣٠١ هـ، شاعراً بليغاً، خطيباً فصيحاً، تولى
 ١٣٧٢ هـ عالم في الفقه أحد قادة الامام يحيى الذين شاركوا في محاربة العثمانيين، تولى
 الخطابة بقفلة عذر ثم في السودة، وتولى القضاء في ناحية جبال عيال يزيد، فر سنة
 ١٣٣١ هـ، إلى سوح الأدرسي حاكم عسير ثم عاد والتحق بأمر لواء تعز، علي بن
 عبدالله الوزير فعينه حاكماً شرعياً في ناحية جبل صبر، ثم تولى القضاء في العدين، انظر،
 نزهة النظر، ٦٤٤، هجر العلم، ١٩٩١.

الإسلام مراجعةَ حضرة الإمام في العفو عنه، وإعادته إلى ما كان عليه من العُدِّ في خُلص الأعوان، فمنَّ الإمام - عليه السلام - عليه بما أراد، وتوجَّه بالإسعاد إلى نيل المراد وكان المومى إليه قد رفع إلى مقام الإمام قصيدةً بليغةً، يتنصَّل بها من تلك الهفوة،^١ وهي كما تراها في قالب الإِجادة والأحسانِ مجلَّوةً، وعلى منابر البلاغةِ والفصاحةِ متلَّوةً، ومستهلُّها قوله:

[الكامل]

برح الخفيا قلبي بكم متعلِّق
قد كنت أكتُم حُبِّكم حتى بدت
فذبول جِسْمِ واصفراؤُ ظاهر
عن خنصري قد كان ضاقُ خويمي
لوزج بي في مُقلَّةِ وسنانةِ
والنرجس استولت عليه صُفرتي
والنجم عن قلبي استعار خُفوقه
قل للمُحِبِّين الذين تقدّموا
يا أيها الركبُ السَّراةُ أخذتمو
بالله مُروا بالحبيبِ وسلّموا
قولوا له بالله هل من عودة
لله من عُررِ الليالي لئلا
في الروضة الغنّاء فيها ساجع
في كفه كأس يدور على النداء
ففعالها من مُقلتيه ولوئها
مُطارحين فنون هو فاتت الماء

وعلى هوائِ شهود دَمعي تنطق
مني عليه أدلّة تتحقّق
والمقلّة العبرى، وقلبُ يخفق
واليوم صرتُ بخاتمي أمتطق
ما هبَّ صاحبها ولا هو بارق
وبعين من أهواه نحوي يرمق
والبحر من عيني غدا يتدفق
إننا لقينا في الصبابة ما لقوا
قلبي فمن لي بالبقية تلحق / ٦٨
مني عليه وشرح حالي حققوا
للوصل والواشي طريدُ محنق
مرت لنا أنوارها تتألق
يشدو وساق بالنضار مُقرطق
مى بها صرْفُ السُلافِ مُعقّق
في وجنتيه المسكُ منها يعبق
مون قديماً والجداول تصفق

[١ - ١] من عبارة «وهي كما تراها في قالب الإِجادة والإحسان إلى عبارة والآل ما غيبت همت

أمرانه». سقطت من س، وهي تصل إلى ست صفحات.

والشادنُ الشادي يحقُّ لصوتهِ
 ما نحنُ إلا ناظرٌ شمساً على
 يا حبذا من ليلةٍ قصرتُ بنا
 بمُهَنَّدِ الصُّبحِ المنيرِ كأنَّه
 يحيي الذي أحيا معالمَ ديننا
 القائمُ المتوكلُ الملكُ الذي
 سودُ الدفاتيرِ أخبرتُ عن بيضه
 من بين أغبرِ قسطلٍ عالٍ على
 نورٍ براه اللهُ جلَّ جلالهُ
 من دوحَةٍ مُضريَّةٍ قُرشيَّةِ
 سرِّ الخِلافةِ والنُّبوةِ كلِّه
 بلَغَتْ بنو الزهراءِ بها أمالها
 / ٢٦٩ وأعادَ أيَّامَ النُّبوةِ ذاتها
 تُغنيه عن راياتهِ آراؤه
 بسكونِ رأيٍ ثاقبٍ رايائهُ
 لو كنتُ كلِّي السنأُ وأناملاً
 لعجزتُ عن إحصاءِ بعضِ خِلاله
 أنسيمُ، إن يَممتَ صنعاً زائراً
 ما قصرُ غمُدانٍ وما إيوانُ ما
 فهناك مولانا ومالكُ أمرنا
 أقرئهُ عنى ألفَ ألفِ تحيَّةِ
 لكن زماني من زماني صرفه

إسحقُ يسجدُ والهمومُ تفرِّقُ
 غُصنِ يَميسُ به نُضيءٌ وتُشرقُ
 لما غَدَتِ أثوابها تمزقُ
 سيفُ الإمامِ إذا وعاه مُفرِّقُ
 وبذاك ألسنةُ المدافعِ تنطقُ
 بقيامه قعدَ الملوكِ وأطرقوا
 بالأحمرِ القاني غدا يترقُّ
 جثتِ الأعادي قد أثارَ الفيلقُ
 من نارِ موسى نورهُ متألِّقُ
 نبويَّةِ فرعٍ عظيمٍ مُورقُ
 فيه وفي هذا الفخارُ المطلقُ
 وله توالى الشؤدُذُ المتفرِّقُ
 فكأنما المختارُ حيُّ يُرزقُ
 ويُطيعُهُ غرْبُ الدنى والمشرقُ
 في خافقي هاتي البسيطةِ تحفُّقُ
 تبني النظامَ بمدحِهِ ونمقُ
 حَسبي بأني عارفٌ ومُصدِّقُ
 دارَ السعادةِ وهي قصرُ مُونقُ
 قصرُ الخورنقِ بالنجومِ مُطوقُ
 وعليه أنوارُ الإمامةِ تبرِّقُ
 وأفذه أني بالولا مُتعلِّقُ
 ففرزتُ والقلبُ المتيِّمُ مُحرقُ

وَطَفِقْتُ أبعثُ مَنْ يُرَجِي نفعه
مُتَفَنِّئاً مُتَنَقِّلاً مِنْ بعدِ ذا
حتى تولّاهَا الإمامُ بِنَفْسِهِ
إِنَّا أولوا الأرحامِ حقاً بعضنا
والعفوُ مِنْ شيمِ الملوكِ فإنهم
مولايَ يا مولايَ إني جئتكم
ألقيتُ أعباءَ الذنوبِ ببايكم
وكأنتي بجماعةِ الواشينَ قد
سَعياً بنا أقفاهم المولى كما
قلنا: نعم، غيرَ الأئمةِ ربّما
أمّا الأئمةُ - لا جئتم - إنهم
لا تَطْمَعُوا أَنْ تَفْرُقُوا ما بيننا
يا آلَ طه فاقبلوا عُذري وَمَنْ
أرحامنا أرحامكم ونفوسنا
وبما نحبُّ مِنَ الإله فجد لنا
ثمَّ الصّلاةُ على النبيِّ وآلِهِ

يَرِفُو الذي كانَ العدى قد فَتَقُوا
هذي وما أدري رَفُوا أم مزَقُوا
وإننا إلينا منه عفوٌ مُطلقٌ
أولى ببعضِ في الكتابِ وأزفُقُ
قومٌ إذا ملكوا البريّةَ أعتقوا
وإننا بكلِّ السيئاتِ مُطَوِّقُ
وَرَجَوْتُ رِفقا منكمُ ولي فارفقُوا
كتبُوا وقالوا ما يسوءُ ونمقُوا
قالوا لنا بطشُ الملوكِ مُحَقَّقُ
بطشوا وعقولهم يقيناً أصدقُ
مِنْ غيرِ رَحمةِ ربِّنا لن يُخلَقُوا
لَنْ تَفْرُقُوا ما بيننا ونفَرَّقُوا
يهواةُ قلبي مِنّةٌ وتصدقُوا
أنتم بِكم رَوْضُ الرّحامةِ مُورِقُ
مولايَ واسلمَ ما ينوحُ مُطَوِّقُ
والصّحبِ ما نظمي بِمدحكِ يُشْرِقُ

٢٧٠ /

وبعد، هذا وصل الى مقام مولانا الإمام - عليه السلام - وقابله أحسن
مقابله واحترام، وسوغه مزيد الأنعام، وانتشى بلبل تغريده وغرد، وصاح طرباً
بمديح مولانا الإمام وتمجيدته فجود، وأجال جواد يراعته في ميدان النظام فأبعد
في شوطه واقتنص اللطيف من الانسجام، ورفع إلى مولانا قصيدته الآتية،
وهي في بابها غاية، ودرجتها في رتب الإجابة عالية، وقد أثبتتها بكمالها دلالة على
سببه ومهارته وحذقه وهي:

[الكامل]

مذ شِمتُ بَرَقاً شاقني لَمعَانُهُ
تَهْمِي على سَفْحِ اللّوى أُمزَانُهُ
غَيْثاً كَطَرْفِي قَدْ هَمَّتْ أَجْفَانُهُ
وَطَمَى بِهِ مِنْ دَمْعِهِ طوفَانُهُ
في لُجَّةٍ مِنْ دَمْعِهِ إِنْسَانُهُ
يَنْضِبُ تَوَالِي بَعْدَهُ مُرْجَانُهُ
أَرْقُ فَإِنَّ الحُبَّ هَذَا شَأْنُهُ
سَكَّنُوا اللّوى ووميضه بُرْهَانُهُ
لَمَّا غَدَتْ في سَوَاحِ أَعْدَانُهُ
رَبَعاً تَمِيسُ بِجَانِبِيهِ حِسَانُهُ
لكن سَبَتْنِي بالهوى غِزْلَانُهُ
كَمْ صِدَنَ مِنْ مَلِكٍ تَعَالَى شَأْنُهُ
قَدْ فُقِنَ حُسْناً رَاجِحاً مِيزَانُهُ
وَحُدُورِهَا لَمْ يُؤْوِهِ إِيْوَانُهُ
عَنْهُنَّ مُنْهَدِماً بِهِ إِيمَانُهُ
عِنْدَ السُّجُودِ لَمَّا أَبَى شَيْطَانُهُ
مَلِكُ المِلاحِ وَكَلْهَنَّ قِيَانُهُ
وَأَضَاعَهَا فِيمَا أَرَى رِضْوَانُهُ
غُضِنَ النَّضِيرِ الوَصِلِ هَذَا أَنَّهُ
فَالنَّوْمُ مِنْ عَيْنِي خَلَّتْ أوطَانُهُ
مُتَطَارِحِي لهُوَ عَلَّتْ أَلْحَانُهُ

مَا زَالَ قَلْبِي دَائِماً حَفَقَاتُهُ
لَمْ لَا وَقَدْ وَشَى السَّحَابُ طِرَازَهُ
يَسْقِي اللّوى وَالسَاكِنِيهِ فِي الدُّجَى
لَا غُرُوقَ إِنْ رَحَلَ الكَرَى عَن نَاطِرِي
مِنْ بَعْدِ أَنْ رَحَلَ الأَحِبَّةُ لَمْ يَزَلْ
يَنْهَلُ مِنْهُ لُؤْلُؤُ رَطْبٍ فَإِنْ
يَا بَرَقُ لُحْ قَدْ زِدْتَنِي أَرْقاً على
يُومِي إِلَيَّ البَرَقُ أَنْ أَحَبَّتِي
إِنَّ اللّوى قَلْبِي بِهِ مُتَعَلَّقُ
أَهْوَى اللّوى أَهْوَى بِمُنْعَرَجِ اللّوى
مَا إِنْ أُشِيبُ بِاللّوى مِنْ أَجْلِهِ
غِزْلَانُ إِنْسٍ لَمْ يُصْصِدَنَّ وَإِنَّمَا
غِزْلَانُ إِنْسٍ مِنْ سُلَالَةٍ يَعْرُبُ
فَلَوْ أَنَّ كِسْرَى طَافَ بَيْنَ خِيَامِهَا
أَوْ لَوْ رَأَهَنَّ ابْنَ أَدْهَمَ لَانْتَنَى
أَوْ كَانَ مِنْهَا عِنْدَ آدَمَ غَادَةً
بَرَحَ الحُفَا أُمَّانُوا فِإِنَّهَا
حوراءُ مِنْ رَوْضِ الجِنَانِ تَعَجَّلَتْ
يَا طَلْعَةَ القَمَرِ المُنِيرِ وَقَامَةَ الـ
عُودِي إِلَى نَهْجِ الوَصَالِ كَمَا مَضَى
كَمْ لَيْلَةٍ بَشَّابَهَا فِي غِبْطَةٍ

/٢٧١

ما نالها مَلِكٌ بِمَلِكٍ قَاهِرٍ
 في خير رَوْضٍ فيه زَهْرٌ بِاسْمٍ
 وَالْوُزُقُ تَخْطُبُ في مَنَابِرِ دَوْحِهِ
 رَوْضٌ كَأَنَّ اللَّهَ أَهْدَاهُ لَنَا
 وَالكَاسُ شَمْسٌ في يَدِ السَّاقِي بِهَا
 يَا حَبْنًا مِنْ لَيْلَةٍ طَابَتْ لَنَا
 لَيْلٌ يَصُولُ عَلَى النَّهَارِ لِحَنِيبِهِ
 لما بدا ضَوْءُ الصَّبَاحِ كَأَنَّهُ
 يَحْيِي الَّذِي جَلَّى عَلَى أَقْرَانِهِ
 مَلِكٌ بِهِ تَاهَتْ أَزَالُ عَلَى الدُّنْيَى
 وَمَهَابُ التَّنْزِيلِ وَدَّتْ أَنَّهُ
 طَوِي أزالُ عَلَى المَدَائِنِ وَالْقُرَى
 طَوِي بنورِ اللَّهِ وَالْمَلِكِ الَّذِي
 إِنَّا اليَمَانِيونَ^[١] الكِرَامِ لِمَعْشَرٍ
 إِذْ خَصَّنَا بولاءِ آلِ مُحَمَّدٍ
 فينا الهدايةُ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ
 مَجْدٌ يَدومٌ وَإِنَّهُ في عَصْرِنَا
 بِإِمَامِنَا خَيْرِ الوَرَى المَلِكِ الَّذِي
 وَبِهِ عَلَى المَلِكِ الإِمَامَةُ قَدْ عَلَّتْ
 مَلِكٌ هُوَ العَلَمُ الشَّرِيفُ وَإِنَّهُ الـ
 فَالِدَّهْرُ وَدَّ بَأَنَّهُ عَمْرٌ لهُ
 مَلِكٌ بِهِ افتخرتْ قَرِيشٌ أَنَّهُ

فيها مَضَى وَلَوْ أَنَّهُ نُعْمَانُهُ
 وَالرَّوْضُ قَدْ ماسَتْ بِهِ أَغْصَانُهُ
 وَالْمَاءُ قَدْ فاضَتْ بِهِ غُدْرَانُهُ
 مِمَّا حَوَتْهُ لِلنَّعِيمِ جِنَانُهُ
 ما دَوْنَهُ خَمْرٌ حَوَتْهُ دِنَانُهُ
 وَضَلَّأَ زَهَى ما شَابَهُ ما شَانَهُ
 لَكِنْ تَلاشَى وَاحْيَى سُلْطَانُهُ
 وَجَهُ الإِمَامِ يَزِينُهُ عِرْفَانُهُ
 لما كَبَّتْ في شَأْوِها أَقْرَانُهُ
 وَتَوَدُّ مِصرُ أَنها أوطانُهُ
 فيها يُنيرُ بسَوْجِها دِيوانُهُ
 يَأبَى العُلَى المَلِكِ الرَفِيعِ مَكَانُهُ
 يَحْوِي المَعَالِي سِيفُهُ وَسِنَانُهُ
 فُزْنَا بِمَسْجِدٍ قَدْ عَلا بِنِيانُهُ
 وَبَنَصْرِهِمْ رَبُّ تَعَاظَمَ شَانُهُ
 شِيدَتْ وَعِلْمٌ وَاضِحٌ بُرْهَانُهُ
 قَدْ طَالَ حَتَّى لا يُنَالُ عِنانُهُ
 جَلًّا فَضَلَّتْ خَلْفَهُ أَقْرَانُهُ
 وَتَطَاطَأَتْ قَهْرًا لهُ تِيجَانُهُ
 عَدْلُ الَّذِي في كَفِّهِ مِيزانُهُ
 وَالنَّاسُ طُرًّا أَنَّهُمْ أَغْوانُهُ
 مِنْها وَتاهَ عَلَى الزَّمانِ زِمَانُهُ

٢٧٢ /

[١] هنا خطأ، والصحيح: اليمانيين.

مَلِكٌ بِهِ افْتَخَرْتُ لَوْ يَبْلُ بِهِ افْتَدَى
نَسَبٌ تَعَالَى فِي ذُؤَابِهِ هَاشِمٌ
بِالْمُصْطَفَى بِمُحَمَّدٍ خَيْرِ الْوَرَى
بِأَبِي الْبَتُولِ وَزَوْجِهَا وَابْنَيْهَا
نَسَبٌ كَعَقْدِ الدُّرِّ فِي جِيدِ الْهُدَى
هَذَا هُوَ الْفَخْرُ الطَّوِيلُ وَغَايَةُ الْـ
خَضَعَتْ لَهُ كُلُّ الْعَشَائِرِ لَمْ تَزَلْ
مَلِكٌ لَهُ الْمَلِكُ اسْتَبَّ عَلَى بَنِي الْإِسْدِ
وَالْعَرَبُ عَادَتْ فِي قَدِيمِ حَيَاتِهَا
أَطْفَى الضَّلَالَ بِهَدْيِهِ وَعِلُومِهِ
يَا حَائِزَ الْمَجْدِ الْعَرِيضِ أَفْقٍ لِمَا
مَدَحًا مَجُودٌ بِهِ الْقَرِيحَةُ مِنْ أَخِي
أَرْجُو بِهَا حُسْنَ الْخِتَامِ وَمَحْوَمَا
إِنَّ الْإِمَامَ خَلِيفَةَ لِلْمُصْطَفَى
وَحَبِيبِهِ وَوَجْهِهِ وَنَصِيرِهِ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ بَعْدَ نَبِيِّهِ

/ ٢٧٣

سَخَرْتُ عَلَى كُلِّ الْوَرَى عَدْنَانُهُ
وَبِأَحْمَدٍ قَدْ شِيدَتْ أَرْكَانُهُ
مَنْ كَانَ نَوَّهُ بِاسْمِهِ قُرْآنُهُ
عَدَدٌ تَوَلَّى مَدْحَهُ فُرْقَانُهُ
وَأَيْمَةُ الْآلِ الْكِرَامِ جُهَانُهُ
مَجْدِ الْأَثِيلِ فِي الْكِتَابِ بَيَانُهُ
تَمَشِي بَظِلِّ رُؤُوقِهِ قَهْطَانُهُ
سَلَامٌ لِمَا زَانَهُ إِحْسَانُهُ
بِقِيَامَةٍ وَتَفَرَّقَتْ إِخْوَانُهُ
مِنْ بَعْدِ مَا كَانَتْ غَلَّتْ نِيرَانُهُ
يُومِي الْقَرِيضُ وَمَا أَفَادَ بَيَانُهُ
مِقَّةٌ حَادَاهُ لِنَظْمِهِ إِيْمَانُهُ
قَدَّمَئْتُهُ مِنْ رَبِّنَا سُبْحَانُهُ
يَهْدِي الْأَنَامَ وَإِنِّي حَسَانُهُ
وَمُجِيبُهُ وَلِسَانُهُ وَسِنَانُهُ
وَالْآلِ مَا غِيثٌ هَمَّتْ أُمْرَانُهُ^[١]

وفي غرة ذي القعدة الحرام من شهور هذا العام، جهَّز المولى سيف الإسلام أحمد بن أمير المؤمنين أخاه المولى سيف الإسلام، محمد بن أمير المؤمنين من حجة مع جندي كثيف إلى حصن كحلان الشرف وبلاد الجَمِيمَةِ^(١) وأطراف

(١) الجَمِيمَةُ: قرية في مَبِينِ حَجَّةٍ من عُزلة الظفير، والجَمِيمَةُ، اسم مشترك لعدد من المواضع منها، قرية في سيران الشرقي من بلاد شُهارة، وقرية في عُمَّة وناحية من نواحي حَجَّة، وجبل الجَمِيمَةِ في بني حِشيش، انظر، معالم الآثار، ٣٣، معجم المقحفى، ١٢٩.

حجور، وكانت أحوالها مضطربةً وأمورها غير مرتبة، وكثيرٌ من بدوها باقون على الخلاف، وموالاة الإدريسي، فتمَّ بحميدٍ سعي المولى بدرالدين إصلاح الأحوال، وإزالة الاختلال والاعتلال، واستمالة جميع رجال مسروح^(١) وأسلم^(٢) وعبس^(٣) وبني نوس^(٤) وغيرهم من بدو تلك الجهات، وإدخالهم إلى حظيرة الطاعة، وأرقاؤهم إلى عُرف الصلاح، ومتاجرثهم بأربح بضاعة، واستولى سيف الإسلام، حفظه الله، على المدفع الكبير الذي كان لديهم من مدافع الإدريسي المسمى برق لاح، فنقله إلى مقر شقيقه المولى، سيف الإسلام بحجة، واستولى على غيره من المدافع، ونقلها أيضاً إلى حجة، وحصل المراد من إزالة الاضطراب، ومحو طريقته المعوجة، وأبدل أهل تلك الجهات مما كانوا عليه بسلوك واضح المحجة، وأقبل عليه الناس أفواجا لما جُبل عليه من لين الخطاب وسهولة الجناب، وحسن التواضع، ومكارم الأخلاق العذاب، واستقر هنالك متنقلاً بين ظهرانيتهم للإرشاد، وتتبع ما به السداد، وقلع أصول الإفساد وقتل جرائم العناد والاضطهاد/ على طريقة آبائه - عليهم السلام - وقد تلقى / ٢٧٤ سيف الإسلام التهاني على ما تم له من الظفر،^١ ومن هنا الأمير جمال الدين، علي بن عبد الله الوزير، فأرسل قصيدةً بديعةً مطلعها:

-
- (١) مسروح: من بلاد حجور في محافظة حجة، انظر، معجم الحجري، ٥٩١.
(٢) أسلم: ناحية من قضاء الشرفين بالشمال الشرقي من مدينة عبس بمسافة ٣٠ كم، انظر، معجم المقحفي، ٣٠.
(٣) عبس: مدينة بالشمال الغربي من حجة بمسافة ١١٣ كم، بها مركز ناحية عبس التابعة لمحافظة حجة، انظر، معجم المقحفي، ٤٢٥، الاكليل، ٢/ ٤٥٠، صفة الجزيرة، ١٣٥، ١٨٥.
(٤) بنو نوس: نوسان: عزلة من ناحية كحلان الشرف، بالشمال الشرقي من حجة بمسافة ٢٤ كم، انظر، معجم المقحفي، ٦٦٨.

[١ - ١] من عبارة «ومن هنا الأمير جمال الدين حتى عبارة، وبذرتة الفكرة فزكى نباته». سقطت من س.

[الوافر]

أماناً فالغنيمةُ في السّلامة
وفي تركي علامتها علامة
وكم ردت مواضعها غرامه
وأدركت في حشاشته صرامه

أقول أرى الهلال له قلامه
سوى نجل الخليفة والزّعامه

وأجد من غدا للمجد هامه
وأصبح ذروة العلياً مقامه
كما أروت بسالته حسامه
كما أحما بهمتيه ظلامه

ودرة تاج من حمل الإمامه
وفلك النور من هول القيامة
فقد نال السّلام مع السّلامه
وأحب من تتوجّج بالزّعامه

وهي طويلة نفيسة النفس كريمة الأصل ونجيبة المغرس، وقد أجاب
المولى سيف الإسلام على الأمير بقصيدة من حجر الإمامة والملكة خرجت،
فأبدعت ما شاءت وأبهجت وفي أولها إيحاء وتوجيه / يُفطنُ له النبيه ومستهل

/ ٢٧٥

[الوافر]

أم البدر الذي نحى لثامه
روته الرّيح عن روض الخزامه

خذوا لي من لواحي ريم رامه
فقد أعيت عجائبها عتوبلاً
فكم أزدت مصارعها هماماً
وكم ضربت بصارمها عميداً
ومنها في التخلص إلى المديح:

إذا ما قيل خلك مثل بذر
وليس لوصف غرته شبيهة
ومنها:

وأحمد من غدا للمدح أهلاً
رقي في العلم شأواً لا يضاهي
فكم أورت فطانتها علوماً
وكم أجلي بصارميه ظلاماً
ومنها:

أليس أبوك كعبه كل فخر
وباب الله غاية كل قصد
وحبل من تمسكه بصدق
وإنك فلذة النّجباء طراً

الجواب:

أبرق لاح من خلف الغمامه
أم العطر الذكي وروح مسك

أم الطاووس مدله جناحاً
 أم الدر الثمين بجيد ظبي
 أم النظم البديع وأي نظم
 نظام يسحر الأبواب لطفاً
 هو السحر الحلال يشوق معنى
 ومنها في المديح:

أمير الجيوش من حاز المعالي
 ومن قهر العداة بكل صنع
 وناب عن الإمام مناب صدق
 وقابل كل معضلة بعزم
 ومقدام الجهاد أخو الكرامة
 فأفناهم وجرعهم حسامة
 وإخلاص فقلده زعامه
 ورأي مجرب وشبا صرامه

ولها بقية يدل عليها ما وقع إثباته، وبذرتة الفكرة فزكى نباته^[١].

وفيها في شهر ذي القعدة المذكور، اشتعل بجيزان نحو ثمانين برميلاً من البارود الذي تركه الأدرسي من بقية ما كان النصارى يمدونه به لفعل العظام بالمسلمين، وإثارة الفتنة بين الموحدين، وتلف باشتعاله عدد من النفوس، وكان ذلك مصاباً جسيماً عند أعوان الضال محق لهم كثيراً من الآمال والمآل.

^١ وفيها كان توجية إدارة الأموال في جهات رداغ إلى عهدة الحاج محمد بن لطف السرحي، فتوجه إلى محل عمله، ومعه من رجح مولانا الإمام تعيينه معيناً له، فحمد أثره، ودق فيها نظره^[١].

وفيها توفي الشيخ صالح بن صالح الطيري باشا بعد مرض طال به منذ عوده / من السوادية، وكان المذكور شهماً هماماً، ونال في زمن الأتراك حطوة / ٢٧٦

[١- ١] سقطت من س.

سَمَتْ بِهِ إِلَى أَنْ لَقَّبُوهُ بِالْبَاشَا، وَهِيَ مِنَ الْأَلْقَابِ الْعَالِيَةِ لَدَيْهِمْ.

وَمَا أَقْبَلَتْ دَوْلَةُ الْإِمَامِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَقْبَلَ عَلَى الطَّاعَةِ بِنُصْحٍ وَرَغْبَةٍ، وَتَمَّ عَلَى يَدِهِ فَتْحُ نَاحِيَةِ جُبَيْنَ^(١) وَنَاحِيَةِ السُّوَادِيَةِ الْمَذْكُورَةِ قَرِيباً، وَهِيَ آخَرُ أَعْمَالِهِ. وَأَوْصَى لِمَوْلَانَا الْإِمَامِ بِبَعْضِ خِيُولِهِ النَّجِيبَةِ، فَرَعَى مَوْلَانَا الْإِمَامُ لَذَوِيهِ حَقَّ نُصْحِهِ، وَأَبْقَى شَيْخَ مَخْلَافِ الْعَرْشِ^(٢) تَحْتَ نَظَرِهِمْ بَعْدَ تَحْقُوقِ مِيلِ سَكَانِ الْمَخْلَافِ الْمَذْكُورِ إِلَى إِبْقَاءِ رِئَاسَتِهِمْ عَلَيْهِمْ.

وَفِيهَا فِي شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ الْحَرَامِ، تَكَاثَرَ جَمْعُ أَهْلِ تَهَامَةَ، فِي مِلْحَانَ، وَانْضَمَّ إِلَيْهِمْ أَهْلُ الْجَبَلِ الْمَذْكُورِ وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَشْرَارِ أَهْلِ الْعِنَادِ، وَكَانَتْ مَحَاطَ الْأَجْنَادِ الْإِمَامِيَّةِ فِي الظَّاهِرِ مِنْ مَخْلَافِ الْخَبْتِ، وَفِي أَدْرَعِ مِنَ الْمَخْلَافِ الْمَذْكُورِ، وَمَا زَالَ الْحَرْبُ مُسْتَمِرّاً بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْبُعَاةِ، وَلَكِنَّهُ مَقْصُورٌ عَلَى الْمُنَاوَسَةِ، وَكَثِيراً مَا حَاوَلَ مَشَايخُ مِلْحَانَ اسْتِمَالَةَ أَهْلِ الْخَبْتِ^(٣) وَحُفَّاشِ إِلَى جَانِبِهِمْ لِيَتَمَّ لَهُمْ بِذَلِكَ جَعْلُ الْمُعَادِي فِي غَيْرِ بِلَادِهِمْ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْرِفُونَ أَنَّ مَوْلَانَا الْإِمَامَ لَا يَتْرَكَ قِتَالَهُمْ وَإِخْضَاعَهُمْ، فَلَمْ يَتَيْسَّرْ لَهُمْ مَا أَرَادُوهُ مِنَ الْخُدَيْعَةِ وَالْمَكْرِ بِمَنْ جَاوَرَهُمْ، فَأَلْحَوْا عَلَى أَهْلِ تَهَامَةَ بِلُزُومِ الْاسْتِيْلَاءِ عَلَى الْخَبْتِ وَحُفَّاشِ عِنُودَ، وَإِزَالَةِ مَنْ فِيهِ مِنْ جُنُودِ الْإِمَامِ تَوْصِلاً مِنْهُمْ لِتِلْكَ الْبُعْغِيَّةِ. وَكَانَتْ جُنُودُ الْإِمَامِ فِي الظَّاهِرِ

(١) جُبَيْن: مَدِينَةٌ مِنْ قِضَاءِ رَدَاعِ بِالْجَنُوبِ الْغَرْبِيِّ مِنْهَا، انْظُرْ، صَفْةَ جَزِيرَةٍ، ٣١٥، مَعَالِمِ الْآثَارِ، ٩٣.

(٢) مَخْلَافِ الْعَرْشِ: عَزْلَةٌ مِنْ نَاحِيَةِ رَدَاعِ فِي الْجَنُوبِ مِنْهَا، انْظُرْ، الْيَمْنَ الْكَبْرَى، ١٨١، مَعَالِمِ الْآثَارِ، ٥٩، مَعْجَمِ الْمُحَقَّقِي، ٤٣٨.

(٣) الْخَبْتِ: يَقَعُ فِي نَاحِيَةِ الْمُحَوَيْتِ وَيَنْقَسِمُ إِلَى عِدَّةِ عُزَلٍ مِنْهَا، عَزْلَةٌ بَنِي عِمَارَةَ وَجَبِيعِ وَالظَّاهِرِ وَعَنْسٍ وَنَمْرَةَ، وَيَحْدُهُ الْمُحَوَيْتُ غَرْباً وَمِلْحَانَ جَنُوباً وَوَلَاعَةَ وَالطُّورَ شِمَالاً، انْظُرْ، حَيَاةَ الْأَمِيرِ، ٦١٨.

وأذرع وأطرافِ حُفَاشٍ غيرِ يسيرةٍ، فتقدمتْ جموعُ الباغين عليهم من ملْحانٍ، وقصدوا مَنْ في الظاهرِ وفي أذرعِ وفي حُفَاشٍ في يومٍ واحدٍ، واستمرَّ الحربُ أياماً بينَ الفريقينِ في تلكِ المحطاتِ، ومنَّ اللهُ على المجاهدينِ بالنَّصرِ فهزموا الأعداءَ في جميعِ الجهاتِ إلى أنْ أرجعَهم، إلى ملْحانٍ، وقُتِلَ منهم عددٌ كثيرٌ، ولمْ يصلُوا مما أجمعوا عليه إلى مرامٍ غيرِ تيقنهم بأنهم سينالون جزاءَ غدرهم ومكرهم ونكثهم للعهودِ وتجاسرهم على ما يُغضبُ الرَّبَّ المعبودَ، وأنهم لا يقدرُون على دفعِ الجنودِ الإماميةِ، إنْ داهمتهم، وصدَّهم عن الارتقاءِ إلى جبلهم المنيعِ، ولذلك وجَّهوا اهتمامهم إلى تحصينِ الطرقِ المُدخلةِ إلى الجبلِ، وعمَّروا فيها المراتبَ القويَّةَ، والمحلاتِ المستحكمةَ، وظنَّوْا أنهم بذلك سينالون ما ابتغوه منْ / الامتناعِ ومغالبةِ اللهِ تعالى ذي القدرةِ والإبداعِ.

٢٧٧ /

وفيها جرى بينَ سيدي العمادِ وبينَ أهلِ عزلةِ البُكْرَةِ^(١) من مخلافِ عَمَّارٍ اختلافٌ من أجلِ الواجباتِ، وجبايتها، فأدَّى ذلك إلى امتناعهم عن إجابةِ داعيه، وإرجاعِ مأموره منْ لديهم، وإخراجه من محلاتهم، وترتيبها من طرفهم، فأرسلَ عليهم الأميرُ العمادُ سيدي يحيى بن محمد بن عباس جماعةً من المجاهدينِ فقابلوهم بالحربِ، ووقعَ في المجاهدينِ القتلُ منهم، فرفعَ الأميرُ حقيقةَ الحالِ، إلى مولانا الإمامِ، واستمدَّ الأمرَ بما يجريه في شأنهم، ولمْ ينحصرِ الخلافُ في عزلةِ البُكْرَةِ، بل تعدَّى إلى غيره، وكادَ الشرُّ أنْ يستفحلَ، فأمرَ مولانا الإمامُ السَّيِّدُ الأميرَ عبدَ اللهِ بن أحمدِ الوزيرِ بأنْ يُرسلَ جُنُوداً يَمُنُّ لديه من الأنصارِ، وكذلك صدرَ الأمرُ إلى سيدي العمادِ، فأتتْهم الجنودُ من كلِّ جانبٍ،

(١) البُكْرَةُ: عَزْلَةُ البُكْرَةِ من ناحية الرَضْمَةِ، شرقِ يريمِ بمسافة ٣٤ كم، انظر معجم المحقفي، ٢٦٩، والبُكْرَةُ أيضاً، قرية في خَوْلانِ الطيَالِ من عَزْلَةِ بني شِدادِ، انظر نفس المرجع السابق، ٨٣.

واستولى المجاهدون على المحلات التي رتبوها بعد مناوشةٍ يسيرةٍ، ولم يسعَ أشرارٌ أولئك غيرُ الفرارِ، وكانَ مولانا الإمامُ قبلَ هذا قد وجهَ إليهم رسائله الناصحةَ لهم، فأجابوا بأنهم باقون على الطاعة، وإنما هم يريدون منع سيدي يحيى بن محمد بن عباس من المداخلَةِ في أمورِ مِخلافِهِم، ولا يشكُّون منه سوى ضيقِ الأخلاقِ، فلم يرَ إسعافهم إلى ما أرادوا، لما في ذلك من الإخلالِ بالمصالحِ العامَّةِ، وجلبِ المفسادِ، على أنَّ المباشرةَ بالحربِ وقتلَ المجاهدين لا يكونُ بمثلِهِ طلبُ رفعِ العاملِ، فلذلك صاروا في حاجةٍ إلى تقويمِ المعوجِّ من أخلاقِهِم وتأديبِهِم، وكانَ ما ذكرنا من إرسالِ الجنودِ عليهم وقبضِ أعيانِهِم وأشرارِهِم، وانتهاجِ المحلاتِ التي استولى عليها الأجنادُ عُنوةً وإلزامِهِم بديّاتٍ من قتلوه من المجاهدين، وأُرسلت منهم جماعةٌ إلى حضرةِ الإمامِ، فوبَّخَهُم وعاتبَهُم، وبينَ لهم قُبْحَ ما ارتكبوهُ، فاعترفوا بذنوبِهِم، وطلبوا العفوَ من مولانا الإمامِ، فعفى عنهم وردَّهُم إلى أوطانِهِم، وقد أُعيدَ إلى مِخلافِ عَمَّارِ ما كان عليه من الصِّلاحِ والسكونِ الجالبِ للمبتغي من الفلاحِ.

وفي هذه السنة كان حادثُ معملِ الباروتِ،^١ وذلك أن مولانا الإمامَ -
 ٢٧٨ / أيده الله - مما وجهَ إليه عنايته معملُ الباروتِ وترقيَةُ صناعتِهِ لِيتمَّ بذلك /
 الاستغناء عن الباروتِ الإفرنجي، لأنَّ صناعةَ الباروتِ في اليمنِ لم تنزلْ على ما
 كانت عليه في الأزمنةِ القديمةِ من الانحطاطِ، وما يُستخرجُ بها من الباروتِ لا
 يُجدي نفعاً في سوقِ رصاصِ البنادقِ وقُللِ المدافعِ العظيمةِ في أسرعِ وقتٍ إلى
 المسافاتِ البعيدةِ، وكانَ إسعادُ الإفرنجِ إلى تمكينِ التجارِ من جلبِهِ من قبيلِ
 المُحالِ، حتَّى أتمَّ كانوا يبنون على انقطاعِ ذخائرِ الحربِ لدن مولانا الإمامِ

[١ - ١] من عبارة «وذلك إن مولانا الإمام - أيده الله حتى عبارة فلم يبال بخطر قرب» سقطت

الآمال، وأنه إذا كَمَل ما في يدِ الأمام مما تركهُ الأتراكُ فيما يجري من الحروبِ اضطرَّ مولانا الإمامُ إلى مخابرتهم بطلبِ ذلك، وجاءَ أوانَ تحكُّمهم واضطُّرارُ الإمامِ للنزولِ على إرادتهم، فكانت العنايةُ التي بذلها الإمامُ في هذا السبيلِ واقيةً من الوقوعِ - والعياذُ بالله - في أزمةِ الاحتياجِ إلى ما في أيدي الإفرنج.

ولعلَّه قد سبقَ ذكرُ أنَّ الذي قامَ بأمرِ صناعةِ الباروتِ رجلٌ من الأتراكِ اسمه شوكت بك، وكذلك الطبيبُ حسني بك، وكانَ لكلٍّ منهما محلٌّ مخصوصٌ وأعاونٌ من أهلِ البلادِ يقومون بما يرشُدُّهم إليه استأذهم. وفي النهايةِ انفردَ بأعمالِ الباروتِ شوكت بك وأعاونُهُ، وترقَّتْ صناعتُهُ إلى أن وصلَ إلى درجةِ الباروتِ الإفرنجيِّ وقوَّتِهِ، وتمَّ بذلك المرادُ بعونِ ربِّ العبادِ، واختيرَ محلاً لصناعتِهِ والقيامِ بأعمالِهِ طرفٌ من أبنيةِ المستشفى البلدي، وهو غيرُ المستشفى العسكري، بالقربِ من بستانِ دارِ مولانا الإمامِ، وجلبَ إليه مولانا الإمامُ مكابنٌ تقومُ بدقِّ الباروتِ حالَ صناعتِهِ بمدقَّاتٍ عظيمةٍ لا يقدرُ على رفعِها والدقِّ بها الجماعةُ من الرجالِ، وإنما أمكَنَ ذلكَ بواسطةِ الآلاتِ الهندسيةِ التي تُحرِّكها ماكينةُ النارِ، واستمرَّ العملُ بها إلى أن طلبَ الإذنَ شوكت بك المذكورُ بالعزمِ إلى بلادهِ، وكانَ به ضعفٌ ظاهرٌ من أثرِ إصابةِ رصاصةٍ وقعت فيه في بعضِ الحروبِ التي حضرها أيامَ الحكومةِ العثمانيةِ، وكُمنَت في جسدهِ، واعتدَرَ بتزايدِ ضعفِهِ وألحَّ في ذلك، معَ أنه قد قامَ بتعليمِ أعاونيه إلى أن صاروا يقومون بأعمالِ المعملِ مِنْ دونِ حضورِهِ، فأذنَ له مولانا الإمامُ بالرحيلِ إلى ديارِهِ.

وقامَ الرجالُ المستخدَمونَ بأعمالِ المعملِ المذكورِ، وقد كانَ عظمَ الانتفاعِ بهِ إلى غايةِ، فوقَ المؤمِّلِ، وكثُرَ قدرُ ما يُصنَعُ فيه من الباروتِ يوميًّا على صفةِ

وكان مولانا الإمام عظيم التفويض لله عزوجل في جميع الأمور، فلم يبالي بِخَطَرٍ^١ قُرِبَ ذَلِكَ المَعْمَلِ من دارِهِ السعيدة^١، وقد مَنَّ اللهُ سُبْحَانَهُ بِوَقَايَةِ خَطَرٍ ما جرى في المَعْمَلِ المذكور، فإنه في بعضِ أيامِ هذه السنة عقيبَ الظهْرِ، ومولانا الإمامُ قد دخلَ إلى الدارِ لتناولِ طعامِ الغداءِ، فلم يشعُرْ إلا بصوتِ قارحِ الباروتِ من المَعْمَلِ المذكور، وقد هُدِمَ بِنِيانِ المَعْمَلِ المذكور، فأمرَ مولانا الإمامُ بالمبادرةِ إلى إنقاذِ مَنْ فيه، فذهبَ لذلكِ جمعٌ كثيرٌ، فأنقذوا مَنْ بقيَ فيه رمقُ الحياةِ، واستخرجوا مَنْ كانَ تحتَ الهدمِ، وقد كانَ في ناحيةٍ من المَعْمَلِ المذكورِ كميةٌ كبيرةٌ من الباروتِ تأخَّرَ نقلها إلى القصرِ السعيدِ، فلو اتَّصَلَ الاشتعالُ بها لكانَ الخَطْبُ جسيماً، وربَّما وصلَ إلى الدارِ السعيدةِ، وما بجوارِهِ من البيوتِ، ولكنَّ وقايةَ اللهُ تعالى حَجَبَتْهُ عن الاشتعالِ، ولم يشتعلْ غيرُ ما كانَ من المدقاتِ، ولم يتَّضحِ سببُ ذلكِ تمامَ الوضوحِ لوفاةِ المباشرينَ للمَعْمَلِ حالِ الاشتعالِ، وقد قيلَ: إِنَّهُ لتفصيرٍ مَنْ يُراقِبُ حالَ الباروتِ الذي في المدقاتِ، فإنه يتعاهدُه حالَ الدقِّ بالتحريكِ والتنديةِ، ولولا ذلكِ لتولَّدتِ النارُ بينَ آلةِ الدقِّ وقوابلِها لِثِقَلِ الآلةِ وشدَّةِ وقوعِها في قوابلِها، فكأنَّه قصَّرَ المراقِبُ في ذلكِ، فتولَّدتِ النارُ واشتعلَ الباروتُ الذي في المدقاتِ، وكانَ ما ذُكِرَ، والذينَ تلفوا تحتَ الهدمِ وبالباروتِ أحدَ عشرَ شخصاً، ودُفِنوا في ذلكِ اليومِ.

^٢ وَمِنْ أَلطافِ اللهِ تعالى وسعادةِ مولانا الإمامِ أنَ رُئِيسَ العَمَلِ وهو الذي عليه المداوُ سَلِمَ من الفوتِ، وأصيبتْ إحدى رجليه إصابةً كانَ يُظنُّ منها حصولُ تلفِهِ، فعولجَ وبرىءَ ممَّا أصابه^٢، وقد جدَّدَ مولانا الإمامُ بعدَ هذا الحادثِ بناءَ المَعْمَلِ المذكورِ في الصافيةِ العدنِيةِ بجهةِ الجنوبِ من صنعاءَ،

[١] في س، والمجاور لجدار بستانها من جهة الغرب. [٢ - ٢] سقطت من س.

وبمحلّ نازح من العمران، وجَعَلَ فيه مكانَ السَّقوفِ صفائحَ من ظروفِ القازِ المُسمّى بالتَنكِ، لأنّه تبيّن أنّ أكثرَ الضّررِ كانَ من انهدامِ السَّقوفِ على مَنْ تحتها بترابها وأخشابها، وما عليها من الأحجار،^[١] وعاد المعملُ بهمةِ مولانا الأمامِ إلى ما كانَ عيه من القيامِ بأعمالِه، ورعى الإمامُ الأرحامَ الذين تلفوا تحتَ الهدمِ حقَّ الخِدْمَةِ، وفلمَ يزلُ يصلُّهم بالإحسانِ والتفقُّدِ الناشيءِ عن الشفقةِ ومحضِ الحنانِ، ومثُلُ ما جرى كثيرُ الوقوعِ في المحلّاتِ التي توجدُ فيها المعاملُ الكبيرةُ كبلدانِ الإفرنجِ، فقدُ بلغَ إلينا/ أنّه وقعَ في معملٍ من المعاملِ المذكورةِ / ٢٨٠ اشتعالٌ وانفجارٌ تلفٌ به آلافٌ من النفوسِ ومنَ المعلومِ أنّ السببَ الجزئيَّ الحقيقِ في مثلِ هذا يتكوّنُ عنه الحادثُ الخطيرُ، فاجتنابُ الحزمِ في مثلهِ والاحتياطُ نوعٌ من الزلّيلِ يوقِعُ في الخَطَلِ، وما لا يقبلُ التلافي من الضّررِ والوجلِ^[١].

وفيها كانت بينَ المجاهدينِ وأهلِ بُرْجِ وأعوانِ الإدريسي حروبٌ متعدّدةٌ حوالي بُرْجِ وأطرافِ بلادِ الطّعامِ من بعدِ ارتفاعِ الجيشِ الذي تحتَ قيادةِ سيدي يحيى بن علي الذاري عن تلكِ الأطرافِ، ولمَ يزلُ نازُ الحربِ مشتعلةً بينَ الفريقينِ على الدّوامِ، والنصرِ في جميعها لحزبِ الحقِّ إلاّ أنّه لم يتيسّرَ من وراءِ ذلكِ الوصولُ إلى بُرْجِ، بل اقتصرَ المستفادُ من ذلكِ الجهادِ على منعِ سريانِ الفتنةِ إلى بلادِ الطّاعةِ، وإصلاحِ بعضِ العزّلِ التي كانَ أهلُها مائلين إلى المخالفينِ، وعن الرشادِ منحرفين حيثُ رأوا أنّ لا منجاةَ لهم في غيرِ الانقيادِ ومجانبةِ أهلِ العنادِ والفسادِ.

وفي هذه السّنةِ، في يومِ السبْتِ، السادسَ عشرَ، وقيلَ في يومِ الأحدِ السابعِ

[١ - ١] من عبارة «وعاد المعملُ بهمةِ مولانا الإمامِ حتى عبارة، التلافي من الضّررِ والوجلِ» سقطت

عشر من شهر ذي القعدة الحرام، كان الغدر بحجاج بيت الله الحرام من أهل اليمن الأعلى والأسفل من طرف جنود أمير بلاد اليمامة ونجد، عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود في وادي تنومة^(١) وسدوان^(٢) الأعلى والأسفل من بلاد بني شهر وأعمال عسير على مسافة ستة عشر يوماً من مدينة صعدة.

وقد ذكرنا فيما سلف من حوادث آخر السنة الماضية أن الأمير حسن بن علي بن محمد بن عايش ثار بأصحاب ابن السعود في عسير وقتك بهم وطردهم عنها.

وفي أوائل هذه السنة وجّه ابن سعود جماعة من أمرائه وأجناداً كثيفة إلى عسير لإخضاعها، والانتقام من الأمير حسن المذكور، فجرت بين الفريقين حروب أسفرت عن هزيمة أهل عسير مع أمرائهم، واستيلاء جنود ابن سعود على عسير، وإخضاع أهلها لطاعته، وفرار الأمير حسن إلى خارجها، وتقدمت بعد ذلك جنود ابن سعود إلى بلاد بني شهر، وكانوا من قبل ذلك هم وما وراءهم بمعزل عن تسلط ابن سعود عليهم، ولهم انتماء إلى شريف مكة الحسين بن علي بن عون، قيل لصهارة بينه وبين بيت الرئاسة فيهم، فكانت بين جنود ابن سعود وبين أولئك حروب، استولى فيها جنود ابن سعود على بعضها وجيشه باقي على المرابطة بها.

ولما وصل أمير الحجاج إلى أطراف البلاد الإمامية مع الحجاج، كتب إلى أمراء النجديين مستوضحاً عن حال طريق الحجاج، وإمكان الاجتياز منها بقصد التثبيت في الأمر

(١) وادي تنومة: في بلاد بني شهر، موطن غامد: في تهامة (عسير)، على مسافة ٢٨٠ كم من صعدة تبعد عن أباها بمسافة ١٥٤ كم شمالاً، انظر، صفة جزيرة، ٢٦١، قلب جزيرة العرب، ١٨٧.

(٢) سدوان الأعلى والأسفل: وادي في بلاد بني شهر.

/ والدخول في تلك البلاد، وعلى بصيرةٍ ويقينٍ تامٍّ من تعدي أحدٍ عليهم، وإلا / ٢٨١
فالأحوال فيما بين الإمام - عليه السلام - وبين أميرِ نجدٍ لا يُشَمُّ منها رائحةُ
الإرادةِ لأيِّ عدوانٍ.

وقد وصلت من الأميرِ عبد العزيز بن إبراهيم^(١) قائد جيشِ النجديين إلى
حضرةِ الإمام، بعد استيلائه على عسير، كُتِبَ تفيدهُ اهتمامهم بتأمينِ طريقِ
الحجاجِ وتيسيرِ مرورهم، وتسهيلِ سفرهم، وأتمهم لا خوفَ عليهم مما يجري في
أطرافِ عسير. وعلمَ أميرُ الحاجِ بذلك، وكثيرٌ من الحجاج، فعادَ الجوابُ عليه
من المذكورين مؤكداً لما سبقَ من التأمينِ، وأن يكونَ سلوكهم في الطريقِ
المعتادةِ، فلا يُوجَدَ ما يمنعُ الحجاجَ من مرورهم منها، ويوجبُ تحوُّلهم إلى
غيرها. وأن أميرهم قد سبقَ منه البيانُ وهم واثقون باندفاعِ الأخطارِ عنهم في
سلوكهم تلكَ الجادة.

وحين وصلوا أطرافَ البلادِ التي تحتَ حوزتهم، تلقَّاهم بعضُ أفرادِ
النجديين تلقي المسالمةِ، فزادَ اطمئنانهم إلى أن توغَّلوا في بلادِ عسير، وصاروا
على مقربةٍ من اجتيازها، وقد بلغهم أن جيشَ النجديين أمامهم، فاخترَ
بعضهم العُدولَ إلى الطريقِ التي من الساحلِ وانفردوا عن أصحابهم، ولم يكنْ
بالساحلِ أحدٌ من النجديين فنَجَّوا من الأخطارِ ووصلوا إلى مكة.

وأما معظمُ الحجاجِ، وفيهم الأميرُ وغيره فسلكوا الطريقَ المعتادةِ، وحرَّطتْ
القافلةُ الأولى منهم في وادي تنومة، والثانيةُ والثالثةُ في سدوان، وبينما هم في

(١) عبدالعزيز بن إبراهيم، تولى الإمارة على أباها بعد وفاة أميرها سعد بن عفيصان، وقد
وصف بحزمه الإداري، وقد عزله الملك عبدالعزيز اثر شكايته تقدم بها عبدالله بن
مفرح وعلي بن مشيبة اللذين رافقا بن عائض في عودته إلى الرياض سنة ١٣٤٢هـ،
وفي عهده وقعت حادثة الحجاج اليميني في وادي تنومة، انظر، أخبار عسير، ١٨٤.

أشغالهم مستغرقون إذ وصل إليهم جماعة من النجديين يحثونهم على تعجيل شداد أثقالمهم على دوابهم لينتقلوا.

وفي أثناء اشتغالهم بذلك، طلعت عليهم ألوف من جنود ابن سعود وأحدقوا بهم من أعلى الوادي وأسفله، ومن رؤس الجبال، ومنهم على خيولهم وإبلهم، ودنوا ممن بوادي تنومة، وتابَعوا على مَنْ به الرمي ببنادقهم من كل جهة، فاستشهد معظم من كان بهذا الوادي من الحجاج، وقُتِلت أكثر دوابهم، وأخذت أموالهم، ولم يفر إلا اليسير منهم، وكان من بعضهم المدافعة عن أنفسهم، ولكن ذلك لم يُغن شيئاً، لأن أكثرهم عُزل من السلاح، ثم عطفوا على القافلتين / اللتين بسدوان، وفعلوا بها كما فعلوا في الأولى، إلا أن القتل في الأولى كان أكثر من الأخرتين، واستولى أولئك العادون على جميع ما كان في أيديهم وأثقالمهم ودوابهم، ومن أدركوه من الحجاج قتلوه صبراً، ومن نجا منهم بعد هذه الأهوال، تلقاه أهل القرى القريبة من محل الواقعة وسلبوا ما عليهم من الثياب. وجرى على الحجاج ما لم يجز على الحجاج حين داهمهم أبوطاهر القرمطي^(١)، وفعل ما فعل، وكان في هؤلاء الحجاج جماعة من العلماء وفضلاء السادة وكثير من الضعفاء، رزقهم الله الشهادة، وزفهم إلى عرف السعادة، وقل أن تخلو قرية من قرى اليمن عن مصاب بعض أهلها بين هؤلاء الحجاج، ولم يتحقق قدر الشهداء حتى الآن. إلا أن المعلوم أن غالب أولئك الحجاج عمهم القتل.

/ ٢٨٢

(١) أبوطاهر القرمطي: سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابي، أبوطاهر ت ٣٣١هـ، تسلم قيادة الحركة القرمطية سنة ٣١٠هـ في البحرين، كانت له معارك في البصرة والإحساء والحجاز، قتل الحجاج ونهب مكة والحجر الأسود سنة ٣١٧هـ، وارتكب خلالها فظائع ومجازر ضد الحجاج، انظر، القرامطة لعارف تامر، ١٤٢، الكامل، ٨/ ٥٦٢٧، ٦٥، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٢٥، فوات الوفيات: ١/ ١٧٥.

ولما وصلَ هذا الخبرُ إلى هذه الأقطارِ، قوبلَ بالغضبِ الشديدِ والحزنِ العامِ، واهتمَّ لها مولانا الإمامُ اهتماماً عظيماً، وأخذَ في تدبيرِ ما يكونُ به الانتصافُ مع ملاحظةِ بُعدِ الشقَّةِ، وأنَّ الخصمَ من أقصى نجدٍ مجهولِ الصفةِ.

وفي أثناء ذلك وصلَ من أميرِ عسيرٍ ما أفادَ التبرُّو من ذلك العملِ القبيحِ، وأنَّ وقوعه كانَ بغيرِ اختيارٍ من أحدٍ من الأمراءِ.

ومثُلُ هذا وصلَ أيضاً من أميرِ نجدٍ ابنِ سعودٍ، وأفادَ أنَّه قد أمرَ بإرجاعِ ما أخذَ على الحجاجِ، وطلبَ من مولانا الإمامِ إرسالَ من يقبضُ ذلك، وكانَ هذا الإرسالُ في أوَّلِ العامِ الآتي. وقد وصلَ المرسلونَ من طرفِ مولانا الإمامِ ببعضِ المنهوباتِ من دوابِّ ومنقولاتِ، وبعضِ قيمِ السَّمَنِ، وما زالوا مُصرِّينَ على استنكارهم الواقعَ وتنصُّلهم من تبعه ما جرى، ونسبته إلى فريقٍ من بدو نجدٍ يُقال لهم آلِ العطعوطِ، وأنهم باذلونٌ للإنصافِ، ومولانا الإمامُ رأى المصلحةَ في تحكيمِ ابنِ سعودٍ فيما جرى، ولعلَّه بمنَّ اللهُ تعالى يتمُّ الانتصافُ ممَّن فعلَ هذه الأفاعيلَ، وقد سبقَ / لنا ذكرُ بعضِ أحوالِ هؤلاءِ الطائفةِ وأفعالهم في / ٢٨٣ حروبهم، وأنَّ أعظمَ ما يشنُّعُ عليهم من مذهبيهم تكفيرُ أهلِ القبلةِ منذُ قرونٍ عديدةٍ.

وقد كانت لهم في أوائلِ القرنِ الثاني عشرِ صولةٌ عظيمةٌ إلى أن أمرَ سلطانُ العثمانيين في ذلك التاريخ محمد علي باشا الأرنؤوطي^(١)، والي مصرَ، بالتجهيزِ

(١) محمد علي باشا بن إبراهيم آغا بن علي، المعروف بمحمد علي الكبير ت ١٢٦٥هـ، مؤسس آخر دولة ملكية في مصر، الباني الأصيل، من قوله، احترف تجارة الدخان فأثرى، صعد حتى أصبح والي مصر سنة ١٢٢هـ ثم انفرد بحكم مصر، انتدبته الدولة العثمانية لقتال حركة التوحيد الوهابية، في الجزيرة العربية، انظر سيرته لعدد من المؤلفين، تاريخ مصر السياسي لمحمد رفعت، ٧٤.

عليهم ومحاربتهم، فطردهم من الحجاز، وساق الجيوش عليهم إلى نجد، وحاصر ابن سعود جدّ هذا في الدُرعيّة^(١) وضايقه إلى أن خرج مستسلماً إلى أيدي جنوده، فأرسله إلى الأستانة وقُتل هناك صبراً، وحمّدت جمرتهم.

وفي أوائل هذا القرن تحرّكوا للظهور عندما أحسّوا بوهن الأتراك، ولكنهم لم يتحركوا من نجد، وانتموا إلى الانجليز ومصادقتهم، فلم يتعرّض لهم الأتراك، إلاّ أنّهم قوّوا جانب ابن الرشيد^(٢) في حائل^(٣)، وجعلوه كالضدّ للمذكور وجيله إلى أن طوّيت سلطة الأتراك من العراق والحرمين، فمدّ يده إلى ابن الرشيد وبلاّده، فطواه وأدخّله في خبر كان.

ثم كانت بينه وبين الشريف^(٤) واقعة في تربة^(٥) من أطراف الحجاز، فأوقع بجند الشريف واستأصلهم قتلاً، ولم ينبج أمير جند الشريف، وهو ابنه الشريف عبد الله، إلاّ في نفر يسير، وقد قيل أن قتلى هذه الواقعة زهاء أربعة آلاف قتيل، وبعدها كان ما ذكرناه من وقائع عسير ويام، وما وقع بالمحمل اليميني هذا العام.

(١) الدُرعيّة: قرية من نجد، منها انطلقت حركة محمد بن عبد الوهاب، عاصمة الدولة السعودية الأولى، هدمت عام ١٢٣٣هـ / ١٨١٨م اثر هجوم محمد علي باشا وإلى مصر عليها، أعيد بناؤها اليوم انظر، قلب جزيرة العرب، ١٥٤.

(٢) ابن الرشيد: كان أمير آل رشيد، محمد بن طلال بن نايف بن طلال، وآخر من استسلم لقوات الملك عبدالعزيز، نقل إلى الرياض أسيراً، انظر، تاريخ نجد ومحلقاته، ٢٩٨.

(٣) حائل: عاصمة آل رشيد آنذاك، في نجد.

(٤ - ٥) تربة: كانت وقعة تربة في شعبان ١٣٣٧هـ بين عرب نجد (الاخوان) وجيش الأمير عبدالله بن الحسين، هزم فيها الأمير، نجا وبضعة من رجاله، وتربة على مقربة من الطائف، مفتاح الطائف، انظر، ملوك العرب، ١ / ٥١، تاريخ نجد وملحقاته، ٦٩، ٢٤٤ - ٢٥٧، أسرار الثورة العربية الكبرى، ٣١١، ٣٢١ - ٣٢٣.

وبلغ أن الانجليز عقدوا بين هذا أمير نجد، وبين ملك العراق الشريف فيصل معاهدة من مقتضاها: [الإبقاء على كل] ما تحت يده من البلاد، وبتمام هذا وقف جواد القلم مستريحاً من بيان حوادث هذه السنة والماضية بمعظم ما حصل فيها من الوقائع والحروب.

و^{٦١}نمنا وقعت عليه من شعر الفقيه الأديب أحمد بن صالح الجلال في هذا العام مادحاً للإمام - عليه السلام - قوله من قصيدة يشكو في أوائلها ضائقته واضطراره إلى أن قال:

أُعاني الخطوبَ والله قَدَ مَنْ
 ذِي الْمَقَامِ الرَّفِيعِ وَالْمَنْبَرِ الْعَا
 الْعِمَادِ الْمَرَادِ ذِي الشَّرَفِ الْأَعْـ
 خَيْرِ مَنْ فِيهِ أَوْدَعَ اللَّهُ سِرًّا
 الْإِمَامُ الْجَلِيلُ قَدْرًا وَجَدًّا
 ومنها:

٢٨٤ /

فهُوَ لِلْخَلْقِ كَالْحَيَا الْمِذْرَارِ
 حَيٌّ يَحْيَى وَمَنْ بِهِ الْحَقُّ يَحْيَا
 جَ دُونَ الْأَنْبَامِ تَا جَ الْفَخَارِ
 أَنْتَ مَنْ جَاءَ بِالْعُجَابِ وَمَنْ تُوِّ
 وَيَكُمُ يَا ذَوِي الْفَخَارِ انْتِصَارِي
 طَابَ مِنْ طَيْبِكُمْ نَهَارِي وَلَيْلِي
 بَ وَقُوفَ الْحَجِيجِ هَذَا اخْتِيارِي
 وَوَقُوفِي إِذَا وَقَفْتُ عَلَى الْبَا
 سَادَتِي مِنْ حَرِيقِ نَارِي فَرَارِي
 وَإِلَى ذَوِي الْجَلَالِ ثُمَّ إِلَيْكُمْ
 إِذَا هَاجَتِ الْأَسْوَدُ الضُّوَارِي
 لَمْ تَزَالُوا الْكِرَامَ سَلْمًا وَفِي الْهَيْجَا
 طَابَ لِلزَّائِرِينَ خَيْرٌ مَزَارِ
 وَبِكُمْ تَكشَفَتِ الْكُورُبُ وَفِيكُمْ

[١] في س، الحسين بن علي بن عون.

[٢ - ٢] من عبارة «ومما وقعت عليه من شعر حتى عبارة ومن توفي شهيداً في هذا العام في واقعة

تنومة وسدوان» سقطت من س.

وله من قصيدة أخرى مطلعها:

[الطويل]

وخيرُ مَزُورٍ في الكِرامِ يَزُورُ
غدا الحقُّ يجيى والضلالُ يَبُورُ
وذي الفضلِ وجهُ الفضلِ فيه منيرُ
إذا عمَّ أربابَ الكمالِ قُصورُ
وأنتَ بسبِقِ السابقين جَدِيرُ
فما ضَرَّ أن العَصْرَ منك أخيرُ

سلامٌ على المولى الإمامِ سفورُ
سلامٌ على يجيى الذي بحيوتهِ
سلامٌ على ذي المكرماتِ وذي النهى
أَقَمْتَ إمامَ الحقِّ كلَّ كريمةِ
سبقتَ إلى الميِّدانِ سبقَ مُبرِزِ
وزاحتَ أهلَ السَّبِقِ في فضلِ سَبِقِهِم
ومنها: وهو حسنٌ:

وكلُّ عظيمٍ في سِوَاهُ حقيرُ
وكلُّ كبيرٍ في مِدادِكَ صَغِيرُ
ومالكُ في الأقطارِ قَطُّ نظيرُ
وأنتَ بأنواعِ الأمورِ بصيرُ
ومالكُ بالإعراضِ عنه شعورُ
المحققين مجرى العَدْلِ لستَ تجورُ
لَقَبَلِكَ في أيدي الطَغاةِ أسيرُ
ومن نورِكَ الأسنى تُنيرُ بدورُ
وبالسيفِ أخرى والكبارُ تخورُ
عليكَ من اللِّه العسيرُ يسيرُ
تدورُ مع الإسلامِ حيثُ يدورُ
حصينٌ وسيفٌ لا يكُلُّ وسورُ
وأنتَ على الدينِ الحنيفِ غيورُ

أيا بدرٌ تمَّ يصغُرُ البدرُ عندهُ
لك الشرفُ الأعلى على كلِّ فاضلِ
إليك انتهى المعروفُ والجودُ والندى
ظفرتَ بأنواعِ المكارمِ والعلَى
شعارِكَ تقوى اللهِ جلَّ جلاله
وانتَ إمامُ المتقينَ وسيِّدُ الموحدينَ
علايكَ هذا الأمرُ رُكناً وإنه
أيا قمرَ الإسلامِ طُبَّتْ مُطالِعاً
حميتَ حمى الإسلامِ بالمرَّتِ مرَّةً
ودوَّختها شاماً وشرقاً وعكسَ ذا
إذا حورِبَ الإسلامُ قُمتَ بأمره
وأنتَ لِدِينِ اللّهِ دِرْعٌ ومَعْقِلٌ
وأنتَ الذي تسعى السعادةُ نحوهُ

/ ٢٨٥

لَقَدْ سُدَّتْ سَادَاتِ الْوَرَى وَمُلُوكَهَا
دَعَوْتَ إِلَى دَارِ النَّعِيمِ إِذَا دَعَى
وَأَنْتَ دَلِيلُ الْخَيْرِ إِنْ غَارَ مَاؤُهُ
لَقَدْ طَبَّتْ أَخْلَاقًا حَسَنًا جَاهِلَهَا
مَقَامُكَ مُحَمَّدٌ شَرِيفٌ مَقْدَسٌ
رَعَى اللَّهُ مَوْلَانَا وَمَالِكَ أَمْرِنَا
وَلَيْسَ بِمَحْتَاكِجٍ إِلَى عِلْمٍ غَيْرِهِ
لَقَدْ زَانَهُ حِلْمٌ وَعِلْمٌ أَمَا تَرَى
إِمَامَ الْهُدَى عُنْدَافِي مُقَصِّرٌ
حَمَاكَ إِلَهَ الْعَالَمِينَ كَمَا حَمَى

لَكَ الْفَخْرُ تَاجٌ وَالصَّلَاحُ وَزِيرٌ
إِلَى النَّارِ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ كَفُورٌ
وَمَا عَشْتَنِي قَطُّ لَيْسَ يَغُورُ
إِلَى نَعْتِ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ يُشِيرُ
وَعِرْضُكَ مِنْ حُسْنِ الثَّنَاءِ عَطِيرٌ
لَدَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ الْغَزِيرِ نَمِيرٌ
وَكُلُّهُ إِلَى عِلْمِ الْإِمَامِ فَقِيرٌ
تَوَاضَعَهُ لِلْقَوْمِ وَهُوَ خَطِيرٌ
وَإِنَّ لِسَانِي عَنْ مَدَاكٍ قَصِيرٌ
بِكَ الدِّينَ فَهُوَ الْيَوْمَ مِنْكَ نَصِيرٌ

٢٨٦ /

ولها بقية، وله من قصيدة أخرى في مديح مولانا الإمام - عليه السلام -
ومستهلها:
[الرملة]

أَيُّهَا السُّدَاعِي إِلَى خَيْرِ سَبِيلٍ
يَا ابْنَ أَرْبَابِ الْمَعَالِي وَالتَّقَى
يَا إِمَامًا مِنْ إِمَامٍ فَاضِلٍ
طَبَّتْ فَيَمَنْ طَابَ مِنْ أَبَائِكَ النَّجْبِ الْأَقْطَابِ أَعْلَامِ الْفَحْوَالِ
كُلُّكُمْ مَا بَيْنَ دَاعٍ مُرْشِدٍ
مِنْ إِمَامٍ ذِي قِيَامٍ وَمَقِيلٍ
ومنها:

أَنْتَ مَنْ فُاقَ وَمَنْ رَاقَ وَمَنْ
أَيُّهَا الْبَدْرُ الَّذِي جَلَّ الدُّجَى
إِنَّمَا أَنْتَ سَرَّاجٌ نِيرٌ
بَلَّغَ الْغَايَةَ مِنْ كُلِّ جَمِيلٍ
لَسْتَ بِدِرَّأٍ ذَا طَلُوعٍ وَأَفْوَلٍ
صَادَعُ فِي كُلِّ صَبْحٍ وَأَصِيلٍ

أنت ذو رأيٍ سديدٍ صائبٍ في ذهابٍ وإيابٍ وقفولٍ
أنتَ خيرُ الناسِ طُوراً لم يَزَلْ منكَ وصفُ الخَيْرِ ذا شرحِ طويلٍ
لستَ في الإقدامِ والإحجامِ والـ عَقْدِ والحلِّ لعُمري بجهولٍ
ومنها:

يا فريدَ العصرِ ما في عصرنا
يا حليفَ العلمِ والفِطنةِ يا
يا إمامَ العصرِ يا ذا الفتحِ والنَّصرِ
يا طَبَّ العليلِ أنتَ يا يحيى عليهم بـوكيلِ
جَاهِدَ الكُفَّارَ بالسَّيفِ وما
أنتَ في نصرٍ من الله بـه
غايةُ الغنيةِ عن نصرٍ يـكيلِ
لم تَزَلْ في مَدَدٍ مِنْ عَدَدِ
قَدِ مَلَكْتَ الشَّرْقَ والغربَ معاً
يا نزيلَ الفضلِ والخيراتِ في
أنتَ مَنْ عنها أزالَ البأسَ والبُوسَ
والإلباسَ يا خيرَ مُزِيلِ
شَرَفَتْ صَنعاً بـيحيى مِثلها
شَرَفَتْ طيبةُ بالهادي الجليلِ
زادَهُ اللهُ ثباتاً مَعَهُ
دَرَكَ الخيراتِ في ظلِّ ظليلِ
في مقامِ بالمعالِي قائمٌ
وصلاةُ اللهُ تغشى المصطفى
وعلى الكَرارِ نفسُ المصطفى
وعلى الآلِ مصابيحُ السُّدجى
ومَقِيلِ حَسَنِ خَيْرِ مَقِيلِ
خيرةُ الخيرةِ مِنْ خَيْرِ قَبِيلِ
وأخيه المرتضى زَوْجَ البتولِ
سادةِ الساداتِ أطوادِ الجميلِ

/ ٢٨٧

وَمِنْ مَدَحِ مولانا الإمام - عليه السلام - في أثناءِ هذا العامِ القاضي الأجلِّ
الهُمامِ محمدُ بنُ يحيى بنِ محمد بنِ عبد الله الإرياني، حاكمِ ناحيةِ جُبِن، فإنه رَفَعَ

إلى الإمام ما تراه من النظام:

[الرمل]

كهرباً شوقي لنومي قد أطارا
إذ دعاني في الحمى داعي الهوى
فانشى طرفي إليه ناظراً
فسقاني من معاني لفظيه
وتجاذبنا أحاديث الهوى
ونظمتهاها بسلك المدح في
الإمام المتقى من حيدر
ملك للملك أوري زنده
خائض الحرب التي نراها
علم أذكي مصابيح الهدى
لودعي حاز علماً وتقى
نشر العلم الذي كف البلى
أنقذ الله به الدين وقد
فنفى عنه غرابيب الدجى
لو أعار البدر في نقصانه
لا يحل الجود إلا عنده
كلما أنفذ جيشاً للعدي
فترى أعداءه يوم الوغى
فهمو بين أسير مؤثق
وملوك الأرض لما عرفت

ورمى بين ضلوعي منه ناراً
وبطرفيه إلى نحوي أشاراً
وصبا قلبي فلباه جهاراً
بكؤوس الحب من فيه عقاراً
دراً تفتض منهن العذارى
وصف مولانا الذي حاز الفخاراً
فالق الهام إذا ما النقع ثارا
وبنى للمجد فوق النجم داراً
تتلظى بطل يحمي الذماراً
بمواضي عزمه حتى استناراً
المعي جل قدراً واقتداراً
قد طوته وتسامى أن يجارى
طبّق الجهل على الدين الغباراً
بصباح الحق إذ عم انتشاراً
من سناه ما شكك البدر الساراً
ويسير المجد إلا حيث سارا
شحد النصر من السيف القراراً
في ضلال لا يطيقون الفراراً
وقتل في ثراها قد توارى
عجزها عن حربيه قامت بداراً

٢٨٨ /

نحوهُ تَخِطِبُ مِنْهُ وُدَّهُ
 وَإِذَا رَامَ عِنَاداً خَصْمُهُ
 وَلَقَدْ حَازَ الْعَالِي وَالْعُلَى
 أَيُّهَا الْعَادِلُ دَعْنِي أُجْتَنِي
 يَجْلِبُ الْمَعْنَى لِفِكْرِي نَعْتَهُ
 يَا إِمَامَ الْعَصْرِ يَا ذَا الْفَضْلِ يَا
 لَيْسَ إِلَّا فَيْكَ شِعْرِي قَدْ جَرَى
 فَأَقْلَنِي سَيِّدِي مِنْ عَثْرَتِي
 هَاكِهَذَا عَقْدَ لَالٍ صُغْتُهُ
 فَحَسِبْتُ الصَّبْحَ مِنْهَا طَالِعاً
 فَاعْفُ عَمَّا قَصَّرْتَهُ فِكْرَتِي
 وَبَقِيَتِ الدَّهْرَ غَوْثاً لِلْوَرَى
 رَاقِياً أَعْلَى مِنْصَّاتِ الْوَرَى
 وَبَعِينِ اللَّهِ مَحْرُوساً عَلَى

/ ٢٨٩

وَتُرَجِّي مِنْهُ قُرْباً وَجِوَاراً
 جَالٌ فِي أَحْشَائِهِ السَّيْفُ وَغَاراً
 فَغَدَا فَوْقَ السَّمَاكِينِ مَنْاراً
 مِنْ رِيَاضِ الْمَدْحِ لِلْمَوْلَى ثِمَاراً
 فَأَرَى الْأَلْفَاظَ نَحْوِي تَبَارَى
 مُفْرَعِ الْخَلْقِ إِذَا مَا الْخَطْبُ دَاراً
 عَذْبُهُ مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ قَطَاراً
 وَتَدَارَكُنِي فَإِنَّ الدَّهْرَ جَاراً
 وَظِلَامُ اللَّيْلِ يَزْدَادُ اعْتِكَاراً
 بِضِيَاءِ مَدْحِكَ إِذْ فِيهَا أَنْاراً
 زَادَكَ الرَّحْمَنُ حِلْمًا وَوَقَاراً
 فِي الْمَلِيَّاتِ وَكَهْفًا مُسْتَجَاراً
 تَسْحَبُ الْمَطْرَفَ عِزًّا وَافْتِخَاراً
 أَمَدِ الْأَيَّامِ لَيْلًا وَنَهَاراً

ومما وقعت عليه لمولانا إمام الزمان - أطال الله مدته، وحرس مهجته -
 جواباً على تهنته، وصلت إليه من الأمير جمال الدين، سيدي علي بن عبد الله
 الوزير، ولم أعثر عليها حال التحرير، والجواب المذكور هو ما تراه إماماً للكلام،
 لأنه من كلام الإمام - عليه السلام: -
 [البسيط]

لِلَّهِ مَا رَقَمْتَ يَمْنَاكَ مِنْ كَلِمٍ
 بَعَثَتْ فِيهِ هِنَاءً جَلَّ مَوْقِعُهُ
 وَفَاحَ مِنْهُ أَرِيحُ اللَّطْفِ وَابْتَسَمَتْ
 فِيهَا تَلَاءً دُرُّ الْقَوْلِ مُنْتَظِمًا
 حُسْنًا وَطَابَ الَّذِي أَهْدَاهُ مُنْسَجِمًا
 لَهُ ثَغُورُ الثَّنَا وَازْدَانُ مَا رَقَمًا

فَلْيَهْنِكِ الْعَيْدُ لَا زَلَّتِ الْمَوْقِفَ فِي كَلِّ الْأُمُورِ وَلِلْإِقْبَالِ مُلْتَزِمَا
وَجَدَّدَ اللَّهُ أَعْيَادَنَا وَلَكُمْ تَكُونُ لِلنَّصْرِ عَنَوَانًا وَخَتْمًا
ثُمَّ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ كُلِّ أَوْنِيَةٍ وَرَحْمَةُ اللَّهِ مَا أَنهَلَ الْحَيَا وَهَمِي

وَمَنْ تُوْفِي شَهِيدًا فِي هَذَا الْعَامِ فِي وَاقِعَةِ تَنْوِمَةِ وَسُدْوَانَ سَيِّدِي الْعِمَادِ يَحْيَى
بْنِ أَحْمَدَ بْنِ قَاسِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ حَمِيدِ الدِّينِ، رَحِمَهُ اللَّهُ، نَشَأَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَأَقْبَلَ عَلَى
طَلَبِ الْعِلْمِ، وَاحْتَصَلَ عَلَى الْمَشَايخِ الْأَعْلَامِ - كَالْمَوْلَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ وَغَيْرِهِ،
وَقَدْ كَانَ أَشْرَفَ عَلَى النَّبُوغِ، وَهُوَ فِي سَنِّ الشَّبَابِ، فَقَصَدَ الْحَجَّ فِي هَذَا الْعَامِ -
فَتُوْفِي شَهِيدًا مَظْلُومًا عَلَى أَيْدِي أَوْلِيَّكَ الْمُعْتَدِينَ^[١].

وتوفي أيضاً، الفقيه الفاضل الورع ذو التقوى، والزهادة والأعراض عما
سوى العبادة، وملازمة التدريس والإفادة الأخ أحمد^[٢] بن أحمد السياغي
الحيتمي^(١)، شهيداً في الواقعة المذكورة، كان المذكور منقطعاً إلى التدريس
ومنقبضاً عن المخالطة، لا يهمة غير علم يمليه أو يستمليه، وعكوفاً على كتاب
الله وترديد مثانية، وقرأ على جميع المشايخ العظام، منهم: والدته / شيخنا الفقيه / ٢٩٠ /
العلامة المجتهد أحمد السياغي والقاضي العلامة علي بن حسين المغربي، رحمهما
الله تعالى، والمولى العلامة قاضي القضاة الحسين بن علي العمري، فسح الله
مدته وأدام بركته، والمولى شيخ الإسلام، القاضي العلامة علي بن علي اليماني

(١) أحمد بن أحمد بن محمد بن يحيى السياغي ت ٦ ذي القعدة ١٣٤١ في وقعة تنومة
وسدوان كان غاية في الزهد والورع، فقيهاً، ملازماً للدرس والتدريس، ولد سنة
١٣٠٣، نزهة النظر، ٥٠، تحفة الاخوان، ٤٥، المقتطف من تاريخ اليمن، ٢٢٣، هجر
العلم، ١٥٣٠.

[١ - ١] سقطت من س.

[٢] وردت أخباره في س، في سطر واحد. «كان منقطعاً للتدريس، رحمه الله والمؤمنين وكافة
الشهداء».

وبلغ شأواً رفيعاً من التحقيق، وانتفع به الكثير من الناس.

وفي هذه السنة عزم لإداء فريضة الحج وعدلته كثيراً من عارفيه عن العزم من طريق البر، وأرشدوه إلى سلوك طريق البحر، لأنها أقرب مؤنة وأقل كلفة ومشقة، فصمم على القصد من طريق البر، وقوى منه الإرادة، فكتب الله الشهادة، وسنة لم يصل إلى الأربعين من السنين، رحمه الله تعالى، وأكرم نزلته وأهلك من اعتدى على مثله وأهله.

^١ ومما بلغ إلينا من حوادث الآفاق، ما كان في البلاد المصرية، فإن الانجليز من قبل نحو ثلاثين عاماً، لما وقعت فتنة عرابي باشا^(١) توسلوا بإخمادها إلى وضع أيديهم على الأقطار المصرية، وأبقوا جيشاً سمّوه جيش الاحتلال في القاهرة، وصار الخديوي ووزراؤه في حكم المحكوم عليهم، لا ينفذون إلا ما طابق هوى الانجليز، وأبقي اسم السيادة للدولة العثمانية، ولهم من حاصلها مبلغ تسلّمه الحكومة المصرية إلى خزينة الدولة العثمانية في كل عام، ولدوام السكون في

(١) المقصود أحمد عرابي بن محمد عرابي بن محمد وافي بن محمد غنيم ت ١٣٢٩ هـ / ١٨٤١ م، زعيم مصري، كان له دور بارز في تاريخ مصر الحديث، بلغ رتبة أمير الآي في الجيش المصري سنة ١٢٧١ هـ، رفع مطالبه ونفر من الضباط ضد تسلط المماليك الجراكسة سنة ١٢٩٨ هـ، إلى رياض باشا رئيس النظار حوكم ورفيقه بسبب ذلك إلا أن رفاقه في الجيش حاصروا ديوان المحكمة وأخرجوهم، واطر تواصل حركته الاصلاحية، احتل الانجليز مصر سنة ١٢٩٩ هـ / ١٨٨٢ م بعد معركة التل الكبير، وألقي القبض على أحمد عرابي ونفي إلى سيلان حيث أمضى ١٩ عاماً، وعاد إلى مصر زمن الخديوي عباس سنة ١٣١٩ هـ ولد في قرية هرية رزنة من قرى الزقازيق انظر، الاعلام، ١/ ١٦٨، اعلام الجيش والبحرية، ١/ ١٢٨.

[١ - ١] من عبارة «ومما بلغ إلينا من حوادث الآفاق حتى عبارة ودخلت سنة ١٣٤٢» سقطت

من س.

تلك الجهات، وخصب أراضيها تمكّن المصريين من بلوغ ثروتهم العامّة درجةً تُوازنُ ثروة أغنى دول الإفرنج، وأكثروا من زراعة الأقطان، حتى صار القطنُ المصريُّ يُحمّلُ إلى العالم، وتزايد عددُ النفوس في ذلك القطر، فبعد أن كان عددُ نفوسهم في أول إحصاءٍ وقع في أيام الخديوي محمد علي باشا قبل نحو مئة عام، مليونين وخمسة مئة ألف، تزايد عددُ نفوسهم إلى أن بلغ في هذا الزمن أربعة عشر مليوناً من النفوس، وهذا المقدارُ مبلغٌ عظيمٌ وإطرادُ الزيادة إلى هذا الحدّ نادرُ المثال.

ولما وقعت الحربُ العمومية، حمّلتهم الانجليزُ على إعلان قطعِ العلاقة مع الدولة العثمانية، وإعلان الاستقلال، وخلع الخديوي عباس حلمي^(١) باشا بن محمد توفيق بن إسماعيل بن سعيد بن محمد علي، ونصّب الانجليزُ مكانه عمّه حسين كامل^(٢) بن إسماعيل، وأطلقوا عليه لقبَ السلطان والمليك.

(١) الخديوي عباس حلمي الثاني باشا بن محمد توفيق بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي ت ١٣٦٣هـ / ١٩٤٤م تولى الخديوية بعد وفاة والده في ٨ يناير ١٨٩٢، حاول أن ينتهج سياسة إصلاحية بتقريبه إلى الحركة الوطنية ومقاومة الاحتلال الانجليزي، اثر نشوب الحركة الكونية الأولى وسفره إلى استانبول طلب الانجليز منه عدم العودة ورفضوا الحماية على مصر في ديسمبر ١٩١٤م بعد عزل الخديوي في ١٩ سبتمبر ١٩١٤م ولد سنة ١٢٩١هـ / ١٨٧٤م، انظر موسوعة حكام مصر، ناصر الأنصاري، دار الشروق، مصر، ١٩٨٧، ١٢٤، مشاهير الشرق، ٥٢، صفوة العصر، ٧٠ / ١، الاعلام، ٢ / ٢٦٠.

(٢) السلطان حسين كامل بن إسماعيل باشا بن إبراهيم بن محمد علي ت ١٣٣٦هـ / ١٩١٧م، تولى السلطنة في ١٩ ديسمبر ١٩١٤م واعترف به سلطاناً، قبلها تولى نظارة الأشغال العمومية ثم نظارة المالية فرياسة مجلس شورى القوانين، في عهده وقعت مصر تحت الحماية البريطانية، ولد سنة ١٨٥٣م، ودرس في باريس، أول السلاطين بعد الخديوية، انظر، موسوعة حكام مصر، ١٢٤، الاعلام، ٢ / ٢٥٢.

واستعانَ الانجليزُ بالمصريين في أثناءِ الحربِ حتى قيلَ إنَّه استعانَ منهم بما يزيدُ عنَ عشرِ مئةِ ألفٍ من النفوسِ، وهو المليون ما بينَ مُحاربٍ وعاملٍ .

ولما انقضتِ الحربُ، قرَّرَ الانجليزُ في مجلسِ صلحِهِم مع الدولِ الأخرى / ٢٩١ إعلانَ الحمايةِ على المملكةِ المصريةِ / ومعنى الحمايةِ واضحٌ في عُرْفِهِم، لأنَّه عبارةٌ عنَ تشكيلِ حكومةٍ في البلادِ التي تُوضَعُ تحتَ الحمايةِ، تكونُ تحتَ سيطرةِ الدولةِ الحاميةِ، ويكونُ حقُّ التمثيلِ والتكلمِ عنها مع سائرِ الدولِ، من حقوقِ الدولةِ الحاميةِ، وكذلك الدفاعُ عنها، ويُسمَّونَ هذا الشكلَ من الحكوماتِ بأنَّه عبارةٌ عنَ استقلالٍ داخلي، ومقابلتهُ الاستقلالُ التام، وهو الاستقلالُ الداخلي والخارجي، وعدمُ الاستقلالِ رأساً، وهو وُضِعَ اليدُ على البلادِ فعلاً، وصادفَ في ذلكَ الحينِ وقوعُ وفاةِ حسينِ كاملِ المذكورِ، فكانَ نصَّبَ ابنه فؤادَ الأول^(١) مكانه، وهبَّ فريقٌ من رجالِ مصرَ، على رأسِهِم سعد زغلول^(٢) باشا، للمطالبةِ

(١) فؤاد الأول: فؤاد الأول بن إسماعيل باشا بن إبراهيم بن محمد علي ت ١٩٣٦م، سلطان مصر، ثم ملك مصر، تقلد الأمور في ٩ أكتوبر ١٩١٧، قامت في عهده ثورة ١٩١٩ بقيادة سعد زغلول، حيث اضطر الانجليز لرفع الحماية بموجب تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢، في مارس ١٩٢٢م أعلن نفسه ملكاً وأصدر الدستور، تولى رئاسة الوزراء في عهده سعد زغلول، انظر، موسوعة حكام مصر، ١٢٥ .

(٢) سعد إبراهيم زغلول ت ١٣٤٦هـ / ١٩٢٧م، زعيم نهضة مصر، وأكبر خطبائها في عهده، درس في الأزهر واتصل بجمال الدين الأفغاني، اشتغل بتحرير الوقائع المصرية، ثم معاون بنظارة الداخلية، وشارك في الثورة العُرابية سنة ١٢٩٨هـ / ١٨٨١ - ٨٢، حيث قبض عليه وسجن، عمل في المحاماة، تولى فيما بعد وزارة المعارف والحقانية، سنة ١٣٣٧هـ / ١٩١٩ انتخب رئيساً للوفد المصري للمطالبة بالاستقلال نفاه الانجليز إلى مالطة ثم إلى سيشل سنة ١٩٢٢، تولى رئاسة مجلس الوزراء سنة ١٩٢٤، ورئاسة مجلس النواب فيما بعد، ولد سنة ١٢٧٣هـ / ١٨٥٧م. انظر، مرآة العصر، ٣ / ١٠٠، الأعلام الشرقية، ١ / ١٣٩، المجلد في التاريخ المصري، ٤٢١، الأعلام، ٣ / ٨٣.

بالاستقلال، وإظهارِ عدم الرِّضا بالحماية، وأنهم لا يعترفون بها، وشايَعَهُمْ في طلبِهِم هذا جميعُ أهلِ مصرَ من المسلمين والقِبْط. وحصلَ اضطرابٌ عامٌ سكَّنهُ الإنجليزُ بحبسِ أولئك الفريق، ونفيِ بعضهم ثم أطلقوهم، وأذِنوا لهم بما أرادوه من تشكيلِ وفدٍ منهم يطوفُ عواصمَ دولِ الإفرنج مطالباً بذلك على قواعِدِهِم، في استحقاقِ العنصرِ الذي قد بلغَ أشدَّهُ من المدينةِ أن يحكُمَ نفسَهُ بنفسِهِ، ومرادُهُم من ذلك ضمُّ أصواتِ العالمِ إلى صوتِهِم في القولِ بأنَّ قضيتَهُم عادلةٌ. وما زالت آثارُ الاضطرابِ في المدنِ المصريةِ باديةً.

وفي كلِّ وقتٍ وهم - أعني المصريين - يغتالون رجالاً من الانجليز ولا يقفون على مَنْ فعلَ ذلك، وتتابعُ سقوطُ الوزاراتِ في حكومةِ مصرَ إلى أنَّ فقدوا مَنْ يتصدَّر من المصريين لقبولِ رئاسةِ الوزارة، وحملِ الحكومةِ على عاتِقِهِ حتى تخابروا مع عبدالحالِق ثروت^(١) باشا من المصريين، ووافقهم على قبولِ الوزارة بشرطِ إلغائِ الحماية والاعترافِ بأن حكومةَ مصرَ، دولةٌ مستقلةٌ لها الحقُّ بتمثيلِ نفسها في الخارجِ، وتمسَّكوا بما سَمَّوهُ تحفظات، وهو أن تبقى جنودُهُم الموجودةُ في الديارِ المصريةِ، على ما كانت عليه، وأن يبقى الخليجُ الذي تمَّ به الانفصالُ بين البحرِ الرومي والبحرِ الأحمرِ تحتَ أيديهم، وكذلك الأراضي السودانيةِ الواسعةُ إلى أن تصيرَ المفاوضةُ فيها إلى أجلٍ مسمى.

(١) عبدالحالِق ثروت بن إسماعيل عبدالحالِق ت ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م، من رجال السياسة بمصر، درس الحقوق، وتولى وزارة الحَقَّانية ١٩١٤ - ١٩١٩م ثم وزارة الداخلية، ١٩٢١م ثم رئيساً للوزراء سنة ١٩٢٢ - ١٩٢٣م، في عهده صدرَ تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢، برفع الحماية عن مصر، حيث تحولت مصر من سلطنة إلى مملكة، أصيب بمرض السكر فاعتزل السياسة حتى توفي فجأة في باريس، ولد سنة ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م، انظر، الاعلام الشرقية، ١/ ٨٨، الاعلام، ٣/ ٢٩١، كتاب في أعقاب الثورة المصرية، ١/ ٦٣، ٧٠ و ٢٧٠.

وهذا في الحقيقة عين ما كان قبلاً، إلا أنهم أتحفوههم بأسماء عارية عن معانيها، ولما تقلد الوزارة عبد الخالق المذكور اتخذوه آلة لإنفاذ الصرامة في المصريين، فنقوا منهم جماعات إلى الهند وغيرها من البلاد التي تحت أيديهم، ومن الجملة سعد زغلول ورفاقه، بعلّة أنّ حركاتهم مخرّجة بالأمن، فلم تبرد الثورة، وبقي الحال على ما كان عليه من الاضطراب.

وتكرّرت حوادث الاغتيال، وفي آخرها ترك عبد الخالق المذكور المنصب / ٢٩٢ المذكور اضطراراً، ولم يجد الانجليز من يتصدّر لذلك من المصريين مسلميهم والمسيحيين منهم، فاضطروا إلى إعادة المنفيين إلى أوطانهم، وإطلاق سراحهم، وإعلان رفع الإدارة العرفية، وهذه الإدارة في عرفهم، يكون إعلانها في زمن الاضطراب، ويكون من مقتضاها إبطال القوانين، ورفع السلطة من أيدي رجال المحاكم وغيرهم، ووضع الإدارة في أيدي قواد الأجناد، يتشكّل منهم مجلس يكون إليه إنفاذ العقوبات المختلفة على ما يرى أهل المجلس المذكور، وأذنوا لهم بتشكيل مجلس النواب ومجلس الشيوخ، وكل هذه الأساليب في الدولة، وكيفية الملك من أساليب الافرنج. وانتقلت عنهم إلى من جاوَرَهُم من الأمم.

وبهذه الحالة، تمكّن المصريون - نوعاً ما - من إدارة بلادهم، وتصدّر سعد زغلول لرئاسة الوزارة في الحكومة المصرية، وهم الآن يُعالجون كيفية رفع جيش الاحتلال الانجليزي من البلاد المصرية، واستخلاص الأراضي السودانية من أيديهم، والخليج الذي ذكرناه. ولم يكونوا قد ظفروا بما يدل على إمكان وقوع ذلك.

وإنما سردتُ هذا، ليعلم المتأمل حال الأقطار الإسلامية، وما آلت إليه من تلاعب أُمم الإفرنج بها، فإنَّ الأقطار المسماة في عُرف المتأخرين ببلاد تركستان، تشتمل على سكانٍ من أُمم متعدّدة، ومن جملتها بُخارى^(١)، وفيها حكوماتٌ إسلاميةٌ وكلُّها تحت تسلُّط أُمم الروس الإباحيين، والهند وهو تحت تسلُّط الإنجليز، ويُقال إن مجموع مَنْ في أقطار الهند من المسلمين نحو سبعين مليوناً من النفوس، وفاس ومراكش وبلاد الجزائر ومنها تلمسان^(٢) وكذلك بلاد تونس التي توجد فيها خرابة مدينة القيروان^(٣) التي عمرها عقبة بن نافع الفهري، كلُّ هذه تحت حماية الفرنسية، وطرابلس الغرب، وجبال برقة^٤ تحت يد الطليان، وحال العراق والشام، وما إليها قد عرّفته ممّا سلف، وكذا حال الأقطار المصرية، وهي حال الغربية التي أشارت إليها الأحاديث النبوية، قيّض الله للمسلمين فرجاً، مما داهمهم من الأخطار في جميع الأقطار بحوله وطوله، إنّه على كلّ شيء قدير وبالإجابة جدير^٥.

ودخلت سنة اثنتين وأربعين وثلثماية بعد الألف ومولانا الإمام - عليه السلام - مقيماً بداره السعيدة بمحروس الروضة لتمضية فصل الخريف، والعمال في الجهات المذكورون فيما مضى، وأحوال البلاد الإمامية في سكون تام

(١) بُخارى: أعظم مدن ما وراء نهر جيحون في أوزبكستان، يرتبط اسمها بالإمام البخاري، ولذا يطلقون عليها اسم بُخارى الشريفة، منها تمر طرق الحرير، انظر، معجم البلدان، ١/ ٣٥٣، نزهة المشتاق، ٢١٣، صفحات من تاريخ الاسلام والمسلمين في بلاد السوفيت، طه الولي، ط بيروت، ٢٣٧.

(٢) تلمسان: مدينة جزائرية، في سفح جبل علي بعد ١٥٠ كم من وهران، جنوباً وغرباً، انظر، الاستبصار، ١٧٦، معجم ما استعجم، ٧٦، الروض المعطار، ١٣٥.

(٣) القيروان: مدينة في البلاد التونسية، أول من اختطها عقبة بن نافع الفهري، جنوب تونس، الروض المعطار، ٤٨٦، الاستبصار، ١١٣.

٢٩٣ / وأمانٍ ترادفت به النعمُ الجسامُ/ وأحوالُ تُهامةٌ التي تحت يدِ الإدريسي وعُمَّالِهِ في اضطرابٍ ، والتعادي فيما بين أهلها قد عادَ إلى ما كان عليه فيما مضى من الأحقابِ ، وعدنٌ تحت قبضةِ الإنجليز، والحكمُ في كَحَج وأبين ، وتوابعِهما والشحرِ والمكلاَ ومن فيها من السلاطين خاضعون لإرادتِهِم، ومندوبُ مولانا الإمام القاضي عبدالله بنُ أحمدَ العرشي باقي في عدن. ولم تزلِ المخابرةُ والمراجعةُ بينهم وبينه مستمرةً في شأنِ الوصولِ إلى ما يكونُ عليه الوفاقُ بينهم وبين الإمام، ولم تصلِ المراجعةُ إلى درجةِ الختامِ والنهايةِ، لأنهم يريدون الوصولَ من مسعاهم إلى ما يُعدُّ ظَفراً لهم، ومولانا الإمامُ - عليه السلامُ - لا يلينُ لهم إلى شيءٍ يخالفُ مرادَ الله عزَّ وجل، أو يكونُ به إعطاءُ الدنيَّةِ، ولذلك لم تُسفرِ المراجعةُ عن نتيجةٍ مُرضيةٍ، خلا أن مندوبَ مولانا الأمامِ كان عيناً للإمامِ هنالك، يرفعُ مهمَّ الأخبارِ، فكان قعوده هنالك غيرَ خالٍ عن المصلحةِ العامَّةِ، والقيامِ برعايتها التامة.

وفي شهرٍ محرم الحرام من هذا العام، أمرَ مولانا الإمامُ أميرَ الجيشِ سيدي، جمالَ الدينِ عليَّ بنَ عبدالله الوزير بتجهيزِ الأجنادِ إلى قضاءِ المخا وجمعها إلى هنالك، ونصحَ الشيخَ ناصرَ العنبري، شيخَ قريةِ الشيخِ سعيد^(١) الواقعةً بالقرب من بابِ المندبِ على الشاطيءِ بالدخولِ في الطاعةِ، وكانَ الشيخُ المذكورُ قد كبرَ اسمه، وكثرت مدهائتُهُ للأتراكِ أيامَ حكمِهِم، وشاعَ عنه مداخلته للإفرنج، وميلُهُ إليهم. وبهذا السببِ، وهو الاتِّصالُ بينه وبينَ الإفرنج لم يكنُ من عمالِ الأتراكِ تحريكِ ساكنةٍ خوفاً من اتساعِ الخرقِ، وحصولِ ما لا يقدرُون على دفعِهِ من تحكُّمِ طوائفِ الإفرنج.

(١) الشيخ سعيد: على مضيق باب المندب، قرب عدن، موقع حصين يصل ارتفاعه إلى ٣٠٠٠ متر انظر، معجم المقحفى، ٣٧٠، حياة الأمير، ٦٢٣.

ولمَّا بقيَ القضاءُ المذكورُ تحتَ نظرِ الشيخِ عليِّ عثمان، لم يتعرَّضَ للمذكورِ وبلدِه بشيءٍ، وكذلك ناحيةُ ذُبَاب^(١) المتصلةُ بها، فبقيَ على ما كانَ أيامَ الأتركِ.

ورأى مولانا الإمامُ أنَّ إهمالَ أمرِ تلكِ الناحيةِ، وكذلك بابُ المندبِ مخلٌّ بالمصلحة العامة، وليسَ من الحزمِ في شيءٍ، فلذلك صدرَ الأمرُ الشريفُ بما ذكرناه وكان من الأميرِ جمالِ الدين المُسارعةُ بتجهيزِ الأجنادِ، فاجتمع هنالك زهاءُ ألفيِّ رامٍ من رجالِ / القتالِ وأبطالِ النزالِ، وجعلَ قيادَتَهُم إلى الأميرِ / ٢٩٤ المهامِ صَمصامَ توفيق بن عبد الله مملوكِ مولانا الإمامِ، وعامله على قضاءِ المخا، وراسلَ العنبريَّ ونصحَهُ، فلم يقبلِ النَّصحَ والإرشادَ ولا مالَ إلى رشادِ وسدادِ، بل سلكَ مسلكَهُ السابقَ من إدعاءِ الطاعةِ الاسميةِ، والانقيادِ الوهميِّ، معتذراً بيدادةِ أصحابِه، وأنَّ من صنفِ الخواتين^(٢)، ونحو هذا من الكلامِ الباطلِ والخداعِ القاتلِ.

وكانَ المذكورُ وأصحابُه ومَن في ذُبَابٍ على غايةٍ من الجهالةِ وتضييعِ أمورِ الديانةِ، وواجباتِها وارتكابِ منتهايتها، ولم يبقَ لديهم من الإسلامِ إلا رسمُه الدارسُ، وطلُّه^[١] الذي عفا بما مرَّ عليه من الرِّوَامسِ، فلَمَّا تبيَّنَ إصرارُه على ما هو عليه من الغوايةِ، ولم تنجحْ فيه وسائلُ الإرشادِ إلى الهدايةِ، أمرَ الأميرُ جمالُ الدين الأميرَ صمصامَ بالتقدُّمِ مع مَن معه من الأجنادِ على تلكِ الناحيةِ، فانتشرَ الجيشُ في تلكِ الجهةِ، وهاجموا مَن فيها من أهلِ البغيِ والفسادِ وأربابِ

(١) ذُبَاب: قرية على ساحل البحر الأحمر، قرب ميون (بريم) على بعد ٥٧ كم من المخا جنوباً، وعلى بعد ٣٦ كم من باب المندب، انظر، معجم الحجري، ١/ ٣٣٩، اليمن الكبرى، ٣٨، صفة جزيرة، ١٥٦، معجم المقحفي، ٢٤٨.

(٢) الخواتين ج، خاتون، لقب يطلق على النساء.

[١] في س، وطلاله.

العناد، وجرت بينهم حروبٌ وخطوبٌ أسفرت عن هزيمتهم، وركوبهم إلى الفرار، وهرب العنبري إلى جيبوتي، وركوبه البحر إلى هنالك، واستولى الجند الإمامي على ذُباب والشيخ سعيد وباب المنذب، وعشروا على ثلاثة من المدافع الكبار التي محققها الطليان في خروجهم على باب المنذب، وإخراهم لما كان فيه من القلاع، وكان محققهم للمدافع المذكورة بإدخال القل بها وسدّها بها، ثم نادى الأمير بالأمان لأهل تلك الناحية، فعادوا إلى أوطانهم، وصلحت أحوالهم إلا العنبري، فإنه استمر على فراره. وأمر مولانا الإمام بإصلاح القلاع التي في باب المنذب وعمارتها، فأعيدت إلى ما كانت عليه من العمارة، وتم ضبط تلك الجهة وترتيبها على ما يرام، وأخذ الرهائن اللازمة، وقد صار نقل المدافع المذكورة وإصلاحها بهمة مولانا الإمام، والتمكّن من الانتفاع بها في مصالح الإسلام، وهي من المدافع النافعة التي ترمي إلى مسافة بعيدة، ولا يخفى على المتأمل / ما لباب المنذب من الأهمية والمكانة في نظر دول الإفرنج، فإن مضيقه مما كوّنته يد القدرة الإلهية، وتحكيمه من طرفيه المقابلين يمكن من الاقتدار على قطع الطريق على أمم الإفرنج فيما بينهم وبين ممالكهم الهندية والصينية والشرق الأقصى كجاوا وغيرها، وجزائر البحر المحيط التي منها مملكة أستراليا الانجليزية، وما من دولة من دول الإفرنج إلا ولها ممالك تحتاج في الوصول إليها أي المرور من هذا المضيق ببوابيرها التي تشقّ عباب البحر، ولا يماثل هذا المضيق إلا مضيق بحر سبّنة^(١) الكائن تحت جبل طارق من بلاد الأندلس، ولم يهّن على الانجليز بقاؤه تحت يد دولة إسبانيا من دول الإفرنج، وهي التي استولت على بلاد الأندلس، بل أعمل الحيلة حتى تمكّن من

٢٩٥ /

(١) سبّنة: مدينة مغربية في مضيق جبل طارق في المتوسط، تقابل الجزيرة الخضراء، انظر، معجم ما استعجم، ١٠٢، الروض المعطار، ٣٠٣.

الاستيلاء عليه، وصارت تحت قبضته، وهذا المضيق - أعني مضيق سبتة - هو في طرف البحر المتوسط المسمى قديماً بالبحر الرومي، ومن ورائه البحر الكبير المسمى الآن بالبحر المحيط الأطلسي في عُرف الجغرافيين، ولعنایاتهم بالمضائق إلى هذه الدرجة، تعرف ما لهذا، وهو مضيق باب المندب، من الأهمية، ولم يجرسه من غدرهم إلا ما بينهم من التنافس عليه، وذلك من أطفاف الله تعالى وتيسيره، فما جرى ضبطه وإصلاح قلاعِهِ يُعَدُّ في نظر كلِّ مفكِّر عاقلٍ ناظرٍ للعواقب فتحاً عظيماً، وأثراً صالحاً من مآثر مولانا الإمام، واهتمامه بما الناس غافلون عنه من تقوية شأن الإسلام، وإصلاح أحوال الأنام، ولو تم - والعياذُ بالله - لإحدى الدول الإفريقية الاستيلاء على المضيق المذكور لعمرؤا فيه القلاع المحكَّمة^١ التي لا تتأثر من رميها بمدافع البوابير الجسيمة، ووضعوا فيه من آلاتهم الجهنمية ما يتعدَّر معه الدنوُّ منه^١، وسرى من ذلك تطاول أيديهم، إلى المخا وجهاته كما فعلوا في عدن، فإنَّ الانجليز إنما احتلَّوه بعذر الاحتياج إلى جعله مخزناً للفحم الحجري الذي يُوقَدُ به في البوابير، ومرَّت عليهم السنون والأعوام / وهم لا يفترون عن اصطیاد البلاد واستمالة رؤسائها، حتى صاروا / ٢٩٦ يدعون - في هذا الزمان - أنَّ لحج وبلادها أبتن وبلادها وحضرموت بأجمعها مربوطة بهم. وقد كانوا من قبل دولة مولانا الإمام يدعون أيضاً النواحي التسع كالحواشِبِ ويافع والضالع وأكثر بلاد المشرق، ويزعمون أنَّهم تحت حمايتهم، فانظر إلى مكرهم وشدته، وكيف يسرون في البلاد سريان النار في الهشيم، ويتذرعون بكلِّ الوسائل للاصطياد وقهر العباد، فما بالك لو تمكَّنوا من مضيق باب المندب، وقد عمَّر الانجليز في الجزيرة القريبة منه المسماة بريم، مباني وشيئودها وأسكنوا فيها ثلثة من جنودهم وجماعة من أمرائهم، وكل ذلك اهتماماً

[١ - ١] سقطت من س.

منهم بالمضيق المذكور لا سوى، دفع الله عن المسلمين مكائدهم، وحجب عنا مصائدهم.

وفيها في المحرم أيضاً، تم بمساعي أهل ملحان استمالة فريق من مشايخ أهل حُفّاش إلى الخلاف معهم، والخروج عن الطاعة، وقد بينا فيما سبق، أنهم كانوا يجدون في استمالة من حولهم كأهل الحبت وحُفّاش وغيرهم، وأن مرامهم من ذلك صون بلادهم من معارك الحروب، ونقلها إلى بلاد غيرهم، فلم تتم لهم الحيلة إلا على هذا الفريق من الحُفّاشيين، كأهالي عزلة الشويح وقِيهمة وما جاورها. فأعلن أولئك الخلاف، وثاروا بمن لديهم من المجاهدين. وسلكوا مسالك أهل الإعتساف، ودعوا إليهم بعض أهل ملحان، وجمعاً من تُهامة، وصالوا وجالوا في ميادين غيهم، وكانت بينهم وبين من هنالك من جند الإمام حروب، أسفرت عن منع الفتنة من السريان إلى غير أولئك المغرورين.

ولما بلغ ذلك إلى مولانا الإمام اهتم له ورأى من الحزم سرعة إرسال الإمداد إلى من بحُفّاش، فأمر مولانا الإمام، سيدي الجليل والصارم الصقيل جمال الدين، علي بن حمود بن محمد بن يحيى بن محمد بن محمد بن الحسين^(١) بجمع المقاتلة من قضاء كوكبان والمبادرة بالتوجه إلى حُفّاش، فجمع نحو ألف وخميس مئة رام من سكان القضاء المذكور، وبادر بالتوجه إلى حُفّاش، والتقدم على المخالفين وجموع الباغين ومنازلتهم بصرامة وشدة وبأس وإقدام أورث جمع الأعداء أي إبلايس، فطارر التهاميون والملحانيون وولوا سراعاً يؤمّون

(١) علي بن حمود بن محمد بن يحيى بن محمد شرف الدين ت شعبان ١٣٧٠ هـ، عالم محقق، في الفقه والأصوليين وعلوم العربية، تولى القضاء في الطويلة، ثم عاملاً على قضاء زبيد، ثم تصدر للتدريس في كوكبان والطويلة، ثم كاشفاً للأموال، ولد سنة ١٣١١، انظر، نزهة النظر، ٤٢٨، تحفة الاخوان، ٩٨، هجر العلم، ١٩١٢.

بلادهم لا يصدّقون بالنجاة/ وانهمم معهم أهل حُفّاش واستولى الجندُ الإماميُّ / ٢٩٧
على عزلة الشويع ومخلاف قَيْهمة وغيرها، وطهّروها من أدناس البغاة ورفعوا
عنها وضّر الغوأة، وأصاب أهل حُفّاش من البلاء ما لم يعرفوه، وجنّوا من ثمر
البغي ما مرّ وكان ذلك جزاءً وفاقاً لما افترقوه، فإنّهم انحدروا بأهلهم وأولادهم
إلى طرفٍ تُهامة، وتفرّقوا فيها، وأتاهم من أمر الله ما لم يحسبوه، فكثرت منهم
الموتى، وفشت فيهم الأمراض، وعمّهم الذهاب حتى قيل إنهم لم يرجعوا بعد
الأمان إلا وقد تلف منهم ما يزيد على الألف، وانتهبت أموالهم، وتناولت أيدي
الاختطاف ثمارهم، وكانت حينئذ دانية الجناء، سهلة الاقتطاف والاقتناء. وكثرت
من الأعداء في هذا الحرب عدد القتلى على عكس ما كان عليه الحال لادن
المجاهدين.

وبعد إحرار حزب الحق لهذا النصر العظيم، ورفع خطب الخلاف
الجسيم، اقتضى رأي مولانا الإمام توجيه سيدي العلامة، سيف الإسلام، أحمد
بن قاسم بن عبدالله حميد الدين وإلزامة بالعزم إلى المحويت لجمع شمل
المقادمة الذين بحفّاش والخبث وحوالي ملحان، وتوحيد الرأي، وأناط مولانا
الإمام به تدبير تلك الجنود، فتوجّه إلى المحويت، واستقرّ بها وباشر الأعمال
وأمن أهل حُفّاش الفارين. فعادوا من تهامة، وقد ذاقوا من الأهوال ما عظم به
عليهم الوبال والنكال.

وفي أواخر أيام العام المنصرم دارت المراجعة بين المولى صفي الدين، سيف
الإسلام، أحمد بن أمير المؤمنين، وبين الشيخ صالح مسعود، شيخ أحد أرباع
بني قيس في دخوله تحت طاعة الإمام، وتم ذلك بوصولهِ إلى حضرة المولى
سيف الإسلام، وقبض رهينة الطاعة، وعاد إلى بلده مجللاً مكرماً قد كبت

حَسَادُهُ، وَنَالَ مِنَ الْإِكْرَامِ مَرَادَهُ، وَانْتَضَمَ فِي سَلَكِ طَاعَتِهِ أَصْحَابُهُ، وَسَرَّهُمْ ذَهَابُهُ وَإِيَابُهُ، فَتَأَلَّبَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثَةُ أَرْبَاعِ الْقَبِيلَةِ وَرُؤَسَاؤُهُمْ وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَجْنَادِ الضَّلَالِ وَاخْرَابِ الضَّالِّ، وَبَاشَرُوهُمْ بِالْحَرْبِ، وَأَدَارُوا عَلَيْهِمْ كُؤُوسَ الْكَرْبِ، فَاسْتَمَدَّ الشَّيْخُ الْمَذْكُورُ الْإِعَانَةَ مِنَ الْمَوْلَى سَيْفِ الْإِسْلَامِ، أَحْمَدَ بْنِ الْإِمَامِ، وَالْمَوْلَى سَيْفِ الْإِسْلَامِ، رَفَعَ بِالْحَقِيقَةِ إِلَى مَوْلَانَا الْإِمَامِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَأَمَرَ مَوْلَانَا الْإِمَامَ السَّيِّدَ الْمَقْدَامَ وَأَسَدَ الصَّدَامِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى أَبُوْمَنْصُرٍ، وَهُوَ حَيْثُنَا مَقِيمٌ بِالظَّاهِرِ/ مِنْ الْخَبْتِ، وَكَانَ مَوْلَانَا الْإِمَامُ قَدْ رَادَفَ إِسْرَالَ الْأَجْنَادِ إِلَيْهِ حَتَّى كَثُرَتْ عَدَّتُهُمْ تَأْهِبًا لِلْقُدُومِ عَلَى مَلْحَانٍ. وَمِنْ جَهْلَةِ الْأَجْنَادِ رَجَالُ الْحَدَا، فَإِنَّ مَوْلَانَا الْإِمَامَ أَمَرَ عَامِلَهُ عَلَى نَاحِيَةِ الْحَدَا بِجَمْعِ الرِّجَالِ مِنْ بَطُونِهَا، فَأَسْرَعَ فِي التَّلْبِيَةِ، وَجَمَعَ الرِّجَالَ الْأَثْبَاتِ، وَأَصْحَبَهُمْ بِجَمَاعَةٍ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ كَالْقَوْسِيِّ وَالْبَخِيْتِيِّ وَغَيْرِهِمْ وَأَرْسَلَهُمْ إِلَى حَضْرَةِ الْإِمَامِ، وَأَمَرَهُمُ الْإِمَامُ بِالْعَزْمِ إِلَى ظَاهِرِ الْخَبْتِ تَقْوِيَةً لِمَحْطَةِ الظَّاهِرِ، وَلِيَكُونُوا تَحْتَ قِيَادَةِ السَّيِّدِ عَبْدِ اللَّهِ أَبُوْمَنْصُرٍ، وَكَانَتْ عَدَّتُهُمْ تَنُوفٌ عَلَى الْأَلْفِ.

/ ٢٩٨

فَلَمَّا وَصَلَ أَمَرَ الْإِمَامُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِلَى الْأَمِيرِ الْمَذْكُورِ مُلْزِمًا لَهُ بِإِسْرَالِ الْأَجْنَادِ إِلَى بَنِي قَيْسٍ إِعَانَةً لِلشَّيْخِ صَالِحِ مَسْعُودٍ، انْتَدَبَ لِهَذَا الْمَرَامِ جُنْدَ الْحَدَا وَأَمَرَهُمُ بِالْإِنْحِدَارِ إِلَى بَنِي قَيْسٍ، وَكَذَلِكَ أَمَرَ الْإِمَامُ نَجْلَهُ الْمَوْلَى سَيْفَ الْإِسْلَامِ بِإِسْرَالِ جُنْدٍ مَمَّنْ فِي حَضْرَتِهِ، فَتَوَجَّهَتْ الْجُنُودُ الْمَذْكُورَةُ عَلَى رَايَاتِهِمَا مِنَ الْجَهْتَيْنِ، تَقَدَّمُوا عَلَى جَمُوعِ بَنِي قَيْسٍ، وَمَنْ لَدَيْهِمْ مِنَ الْبَاغِينَ، وَأَذَاقُوهُمْ مِنْ مَرَارَةِ الصَّدَامِ وَشِدَّةِ الْإِقْتِحَامِ مَا أَذْهَلَهُمْ، وَقَلَّ جَمْعُهُمْ وَكَسَرَ شُوكَتَهُمْ، وَهَدَّتْ قُوَّتَهُمْ وَزَلَّزَلَهُمْ فَتَفَرَّقُوا وَانْهَزَمُوا، وَتَشْتَتُوا فِي الْخَبُوتِ وَالرَّمَالِ، وَاسْتَوْلَى الْجُنْدُ الْإِمَامِيُّ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ مَحَلَّاتِهِمْ، وَانْتَهَبُوا مَا فِيهَا، وَغَنِمُوا مِنْهُمْ غَنَائِمًا عَظِيمَةً،

وأحرقوا كثيراً من محلاتهم، وأزالوا عن الشيخ صالح مسعود وأصحابه ما أحرق بهم من الأخطار، وما نواه بهم جمع الأشرار، ولم يتكّنوا من الوقوف في تلك الجهات لخلوّها عن معدات الإقامة، فعادت قبائل الحدا إلى مخلاف الخبت عن أمر من الإمام - عليه السلام - .

ولما تكاملت وسائل الاستعداد للقدوم على ملحان، أمر مولانا الإمام المولى، سيف الإسلام، سيدي العلامة، أحمد بن قاسم حميد الدين بإجراء ذلك، والمبادرة بإذاعة الباغين سم المهالك، فألزم رؤساء الأجناد بالتأهب لذلك، وكانت محاط جنود الإمام في الظاهر وأذرع، من بلد الخبت، وفي أطراف حفاش. وبعد تمام المراجعة وإعمال التدبير في مهاجمة الباغين، وفل جمعهم الكثير، تقدّم الجند الإمامي من جهتين على جبل ملحان، بصحبة النصر، / ٢٩٩ / وتهب عليه ريح الظفر كالسيل الجرّار المتدفق، فمرّ في السهول الموصلة إلى الجبل كالبرق المتألق، والتقى بجموع الباغين، فأعاد قوتهم أثراً بعد عين، ورماهم من بأسه بالحين، وأقدم عليهم إقدام الأسود الضواري، ووالى هجومه عليهم إلى مراتبهم ومحلات تحصينهم، وكانوا قد أحكموها، وظنوا أنها مانعتهم من جنود الحق، ولم يتهيّب الجند الإمامي ما رآه أمامه من صعوبة الصعود إلى الجبل في مضيق تلك الطرقات، ولا خشي من نيران بنادقهم، وما كانوا يقذفونه من الأحجار والصخور، فزلزلهم بذلك الإقدام، وأخرجهم من مراتبهم ومعاقليهم قسراً وشردهم قتلاً وأسراً، ففروا لا يلؤون على شيء، وتمكن بذلك جند الإمام من تسنم ذروات الجبل الشاخحة والاستيلاء على حصونه المنيعه، والتوغل في المحلات واغتنام ما فيها من مصون الأموال. وكانت كثيرة جداً، لأن أهل الجبل الناكثين مراراً والمعادين للحق سراً وجهاراً، لم يستطيعوا تهريب أموالهم

وقراشهم، حيث أعجلهم المجاهدون وأبلوهم من الحرب، بما لا يظنون، ورأوا في أفواه بنادقهم وبريق سلاحهم، ريب المنون، وزادهم خبالاً ووجلاً معرفتهم بما كان من الغدر في العام الماضي. وما فعلوه من الأفاعيل الخبيثة، فأحبط الله أعمالهم وخذلهم، وانتقم منهم للمؤمنين، وحزب الحق المبين ومن على الجنود الإمامية بالنصر العظيم والفتح الجسيم، وقتل منهم جم غفير، وفر منهم من فر إلى خبوت ثمامة ورمالها، فجرى عليهم من مهالك النفي والتغريب أشد تعذيب، فكان ما نالوه من الهوان بعض ما استحقوه لجرائمهم على العصيان.

وكان هذا الفتح في سابع شهر صفر من هذه السنة، ووردت البشائر بذلك إلى مولانا الإمام، وهو مقيم بمحروس الروضة، فعمم بهذا الفتح السرور، واندفعت عن الصدور حرارة الحنق التي أثارها ما فعله أولئك الطغاة من الشرور، وأمر مولانا الإمام مقادماً الجند بالأمان لمن أقبل على الطاعة، ومراسلة أهل الجبل بذلك، وإعلامهم بعمو الإمام عنهم / على عادته - عليه السلام - في حب العفو وكره الانتقام.

/ ٣٠٠

ولما أعلن أمر الإمام بالأمان، تراجع أهل الجبل إلى أوطانهم زمراً، وبقيت طوائف منهم في أطراف الجبل من جهة ثمامة على الخلاف، لتأخر الجنود الإمامية، عن الانحدار إليهم، وسيأتي إن شاء الله تعالى بيان ما آلت إليه أحوالهم.

وفي هذا الشهر أيضاً، حصل بمن الله فكاك النظام من الأسر، بعد أن مكثوا في أطراف ثمامة كجيزان وميدي وصيبا والليث^(١) من حين الغدر بهم في ملخان، في أثناء العام الماضي، ووصلوا إلى حضرة مولانا الإمام في اليوم التاسع

(١) الليث: على بعد ١١٢ كم من مكة، انظر جزيرة العرب في القرن العشرين، ٨٨.

والعشرين من شهرِ صفرِ المذكورِ، فكساهم مولانا الإمامُ، وصرفَ لهم ما كانَ لهم من المعاشِ، وأمرَهُمُ بالإقامةِ في العرضي السعيدِ من جملةِ الأجنادِ، وأجرى عليهم المعتادَ من الكفایاتِ، وأعادَ تسليحَهُم، وأذِنَ بالترخيصِ لهم لزيارةِ أهلِهِم.

وفيها وصلَ إلى حضرةِ مولانا الإمامِ الشيخِ كاملِ القصاب^(١) من علماءِ دمشقِ الشامِ، ومعه رفيقٌ له اسمه [حياتي]^[٢] بك، كانَ من قوَّادِ الجنودِ العثمانيةِ في رتبةِ أميرالاي، فأنزلهما مولانا الإمامُ دارَ ضيافتهِ، وبالعِ في إكرامِهِما وإيناسِهِما، وتبيَّنَ أنهما من أعضاءِ الجمعيةِ العربيةِ الساعيةِ في توحيدِ كلمةِ العربِ، وأنهما موفدانَ من قبَلِها للسعيِّ لدنِ الامامِ في هذا الشأنِ، وعرضَ ما عندَ الجامعةِ المذكورةِ من النظرِ في الوسائلِ الموصلةِ إلى ذلك، وظهرَ من حديثِهما أنهم يربِّحونَ طريقةَ الوفاقِ فيما بينَ الإمامِ وأميرِ نجدِ ابنِ سعود^[٣]، وأنها أقربُ الطرائقِ الموصلةِ إلى ذلك المرامِ، فكانَ من جوابِ الإمامِ - عليه السلامُ - أنَّ الوفاقَ مرغوبٌ فيه ولا سيما السلامةُ من عدوانِ أممِ الإفرنجِ متوقفةٌ على ذلك، ولكنَّ ما حصلَ من عدوانِ جنودِ أميرِ نجدِ على جماعةِ الحجاجِ يحولُ دونَ الشروعِ في التوصلِ إلى ذلك، والأمرُ المقدمُ والركنُ الأهمُّ تقديمُ الإنصافِ الموعدِ به في شأنِ ذلك العدوانِ، ومتى تمَّ ذلك، وزالَ من

(٢) محمد كامل القَصَّاب: ١٢٩٠ هـ - ١٣٧٣ هـ (١٨٧٣ م - ١٩٥٤ م).

محمد كامل بن أحمد بن عبدالقادر القَصَّاب، من زعماءِ الحركةِ الاستقلاليةِ، من أعضاءِ جمعيةِ العربيةِ الفناةِ السريةِ، تنقلَ بينَ الشريفِ حسينِ والملكِ عبدالعزيز آل سعودِ حيثَ تولى إدارةَ المعارفِ واستقرَ بفلسطينِ، ألفَ بالاشتراكِ مع عزالدينِ القسامِ، النقدَ والبيانَ، في البدعِ المنهي عنها، انظر، ما رأيتُ وما سمعتُ، ١٤، منتخباتِ التواريخِ لدمشق، ٩١٣، الاعلام، ١٣/٧.

[١] الإضافة من فرجةِ الهمومِ، ٢٦٥ وهي بياض في النسختين.

[٢] في س، عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود.

٣٠١ / إلى الوفاق على أساس متين من الاتحاد، ونبذ الشقاق بإزاء / أطماع طوائف الإفرنج، والسعي في إنقاذ ما وقع تحت محالبهم من البلاد العربية، فرأيا جواب مولانا الإمام - عليه السلام - هو الصواب الذي عليه يُعول، واستمدا من مولانا الإمام كتباً إلى جميع شعَب الجمعية العربية، فحررَ لهما مولانا الإمام ما أراد، ثم مكثاً برهةً في الحضرة الشريفة، وعادا إلى ديارهما، ومن عزمهما المسير إلى الرياض^(١) مقرَّ إمارة نجد، والسعي في هذا المرام،^[١] والتوصل إلى تحقيق هذه الأحلام^[١].

وفيها وصل إلى حضرة الإمام أحد رجال الإنجليز المسمى جيكب^(٢)، وهو محرّف لفظ يعقوب باللغة الإنجليزية، ومعه رجل آخر منهم ملامحه تدل على أنه من أمراء جنودهم^[٢]. وجيكب هذا كان أراد الوصول إلى حضرة الإمام في أثناء سنة سبع وثلاثين، وخرج من الحديّدة إلى باجل، فكان من بعض ذوي

(١) الرياض: من نجد، تقع على وادي حنيفة، على علو ٥٢٠ متراً عن سطح البحر، حاضرة المملكة العربية السعودية، أصبحت العاصمة بعد خراب الدرعية سنة ١٢٣٢هـ / ١٨١٨م، انظر، جزيرة العرب، ١ / ١٥٠.

(٢) جيكب: اللفتانت كولونيل هارولدف. جيكوب. ك. س. آي. الضابط في الجيش البريطاني الحائز على وسام جوقة الشرف الفرنسي، مستشرق، عمل لأكثر من عشرين سنة في عدن والمحميات، وكان المساعد الأول للمندوب السامي البريطاني ثم كان المعتمد البريطاني في تلك المحميات خلال الحرب الكونية الأولى عمل بوظيفة المستشار الأول بمصر لكل من المندوبين الساميين ريجنالد ويجنت، وفسكونت اللنبي، نجح في جلب محمد بن علي الأدرسي لصف الحلفاء، حيث أبرم معه معاهدة، أعلن الأدرسي بموجبه الحرب على الدولة العثمانية، زار سورياً ولبنان متخفياً باسم مستعار. انظر كتابه ملوك شبه الجزيرة العربية، (المترجم)، ٩.

[١ - ١] سقطت من س. [٢ - ٢] سقطت من س.

المآربِ الايعازُ إلى قبائلِ القُحريِّ بالقبضِ عليه، ومنعِهِ عن الوصولِ إلى حضرةِ الإمامِ، ووافقَ ذلكَ مرآمَ مولانا الإمامِ وحمدَ اللهَ تعالى على حصولِ منعِهِ، لأنَّ المذكورَ كانَ موصوفاً بالدهاءِ والمكرِ والخديعةِ، فكانتِ السلامةُ في حصولِ المانعِ من تمكُّنِهِ من الوصولِ، ولبثَ في باجلِ برهتهُ، ثم عادَ إلى الحُدَيْدَةِ، ومنها إلى عَدَنَ، وكانَ حينئذٍ مستخدماً لَدُنِ الانجليزِ باسمِ معاونِ واليِ عَدَنَ، وقد لبثَ في هذهِ الوظيفةِ أعواماً كثيرةً، واكتسبَ مزيدَ الخبرةِ، والاطلاعَ على أحوالِ الجزيرةِ العربيةِ، وصارَ موصوفاً لَدُنِ الانجليزِ بذلكَ، ولما عادَ إلى عَدَنَ، بلغَ درجةَ التخلي عن الوظيفةِ واستحقاقِ المعاشِ بدونِ عملٍ، فانفصلَ من وظيفةِ معاونِ واليِ عَدَنَ، وتعدَّدتْ منه الكتبُ إلى مولانا الإمامِ بطلبِ الإذنِ له بالوصولِ إلى الحضرةِ الشريفةِ، فأذنَ له مولانا الإمامُ بالوصولِ، وكانَ وصولُهُ كما ذكرنا، وظهرَ من حديثِهِ ومسعاهُ مع رفيقِهِ المذكورِ، بأنه مؤفِّدٌ من شركةِ انجليزيةِ تجاريةٍ قد سمَّتْ نفسها بالشركةِ الزَيْدِيَّةِ تقرُّباً بهذهِ التسميةِ للوصولِ إلى مآربها، وأنَّ مرآمَ الشركةِ المذكورةِ التي أوفدتها القيامَ بأعمالِ التجارةِ في اليمنِ، كمدِّ السككِ الحديديةِ واستخراجِ المعادنِ ونحوِ ذلكَ، واستخدامِ أموالها في هذهِ الأغراضِ، وطلبَ الموافقةَ من مولانا الإمامِ على ذلكَ على شروطٍ معقولةٍ، فأفادهما مولانا الإمامُ، بأنَّ الخوضَ في هذا الأمرِ متوقَّفٌ على حصولِ المعاهدةِ بينَ دولةِ مولانا الإمامِ، وبينَ حكومةِ الانجليزِ، ولم يتمَّ ذلكَ، ومنَ المعلومِ أنَّ الدخولَ في هذهِ الأمورِ والنظرِ في المقبولِ منها والمرفوضِ يتوقَّفُ على إبرامِ المعاهدةِ / وإلاَّ كانَ ذلكَ داعياً للنزاعِ، والدخولِ فيها لا تُحمَدُ عُقباهُ، / ٣٠٢

فقنِعَ المذكورانِ بهذهِ الإفادةِ. وعلمنا أنَّ حضرةَ مولانا الإمامِ لا يتزحزحُ عن ذلكَ الموقفِ،^١ فعَاداً من حيثُ جاء، على أنَّهما، يسعيانِ لدى حكومتيهما في إبرامِ

[١ - ١] من عبارة «فعاد من حيث جاء إلى عبارة، ومضاعفة أعوامه» سقطت من س.

المعاهدة مع حضرة مولانا الإمام، ومّا أطلعنا حضرة مولانا الإمام عليه أثناء إقامتها صورة مصغرة للمراكب البرية البخارية وسككها الحديدية، وكيفية مرور تلك البوابير على سككها فعلاً، وذلك بعد أن مكثنا نحو أربعة أيام يشتغلان فيها بمدّ وفرش قطع صغار من الحديد. ولما شوهدت صورة المراكب البرية وجدت مكتوباً عليها أسم الشركة الزيدية، وذكرت بهذا ما حكى عن الانجليز في ابتداء دخولهم إلى الإقليم الهندي، أنه كان في المباني باسم التجارة وتأليف شركة سموها الشركة الهندية، وما زالت تتسع أعمالها إلى أن استعان ملوك الهند بها في محاربة بعضهم على البعض الآخر، وكان منها تشكيل فرقة من الجنود اسمتها الفرقة الجعفرية إرضاءً للشيعة، وأخرى سمّتها بالفرقة العمرية، إرضاءً للسنة، وفي النهاية تخلت الشركة المذكورة عن أعمالها وسلّمتها إلى يد الحكومة الانجليزية حتى تمّ لها الاستيلاء على نحو نيّف وسبعين دولة في البلاد الهندية ما بين مسلمة ووثنية، صارت كلّها تحت حمايتها، وصار ملك الانجليز يلقب بملك ملوك الهند، فانظر إلى ما لديهم من الأطماع، وما مروا عليه من المكر والخداع، وكيف يسترون ما هم من المآرب تحت مظاهير المنافع التي لغيرهم والمطالب، والله الحمد والمنّة إذ كان حضرة مولانا الإمام ممن لا تنظلي عليه زحارف تمويهاتهم، ولا يغتر بمظاهير توشلاتهم، وقد عرف ما هم عليه مجبولون، وأتهم القوم الماكرون، فلم تُرجّج لديه لهم بضاعة، ولا نفّدت لهم فكرة خداعة، بل كلّما ظنّوا الوصول إلى المآرب بإسلوب مخترع، قابلهم بالإقناع معللاً ذلك بما يُعدّونه موجباً ومصححاً لأحقية ذلك الامتناع، بارك الله للمسلمين في أعوامه ومضاعف أيامه^١.

وفيهما في شهر محرم الحرام، استقدم مولانا الإمام السيد الأمير فخر الدين، عبد الله بن أحمد الوزير إلى حضرته الشريفة من ذمار، وكان الباعث على ذلك

الطلب، ما تكرر العَرَضُ من الشيخ أحمد قايد الجبري، عامل السُّوَادِيَّةِ والسلطان حسين بن أحمد الرصاص بأنه قد أوصل السلطان المذكور الرهينة التي تمَّ الوفاقُ عليها، وأنة يطلبُ إنفاذَ الجيشِ لدفعِ أعدائه عنها، فوصلَ الأميرُ الفخريُّ إلى حضرة الإمام^(١). [لتوليهِ القيامَ بهذا الأمر، وإنفاذِ ما كان الوعدُ به للسلطانِ حسين، وقد لبثَ الأميرُ المذكورُ مدَّةَ جريِ أثناءها إكمالَ المراجعاتِ وأخذَ الأهبةِ وتدبيرِ ما يحتاجُ إليه من الذخائرِ الحربيةِ والمدافع، وجميع ما يلزم من الجنودِ النظامِ وغيرهم، وإرسالِ أكثرهم إلى ذمارَ إرسالاً، وعادَ الأميرُ مع من بقيَ من الجندِ إلى ذمار. وودَّعَهُ الإمامُ وزوَّدَهُ بالدعاء، ما ظهر أثرُ قبولِهِ في نجاحِ الأعمالِ، وتذليلِ الصعبِ من الآمالِ، وتهوينِ الشاقِّ من الأقوالِ، فبقيَ الأميرُ في ذمارَ، يتأهَّبُ للمسيرِ ويستعدُّ حتى وصلَ إليه من طلبِهِ النقيبُ الماجدُ الهامُّ المجاهدُ قايد بن راجح البعداني سكناً والخولاني أصلاً مع عصابةٍ من خولانَ وأهلِ بَعْدَانَ وغيرهم، وجمع من أهلِ حُبَيْش، واستنابَ الأميرُ مكانَهُ أخاه محمدَ بن أحمد الوزير، ثم توجهَ في جمعٍ غفيرٍ وجندٍ كثيرٍ وموكبٍ شهيرٍ من ذمار في يومِ الثاني عشر من صفر من هذه السنة قاصداً الجهةَ التي أمرَ بالتوجهِ إليها، فباتَ في الميفع من بلادِ عَنَس، جوارَ مشهدِ الإمامِ الشهيد أبي الفتح الديلمي^(١)، وفرقَ الجندَ في المحلاتِ القريبة من الطريق ومنعَهُم عن أذيةِ الرعيَّةِ.

وفي اليومِ الثاني نهضَ إلى ملح^(٢) من مخلاف العَرَشِ وباتَ فيه، ودخلَ في

(١) أبو الفتح بن ناصر بن الحسين بن محمد الديلمي، الإمام الناصر ت قتل سنة ٤٤٤ هـ، نشأ في بلاد الديلم من جيلان، دعا لنفسه بالامامة سنة ٤٣٠ هـ، ساح في الأرض ودخل مكة ومنها انتقل إلى صَعْدَةَ، ثم سار إلى صنعاء واستولى عليها، جعل محل إقامته في ذيبين، حاربه علي بن محمد الصليحي فقتله، انظر، مصادر الفكر الإسلامي، ٥٣١، فرجة الموم، ١٣٤٦ (قبره بردفان).

(٢) ملح: ما ورد في معجم الحجري، ٣٦٣، قرية ملاح من قرى مخلاف العرش.

[١] إلى هنا وقفت المخطوطة الأصل والتي رمزنا لها بالحرف ص.

يوم الرابع عشر منه مدينة رَدَاع، فتلقاه عاملها سيدي العلامة قاسم الوجيه، وأراه أهلها وأعيان بلادها، ولبث فيها مع الجند إلى يوم التاسع عشر منه مشتغلاً بجلب ما تحتاج الجنود من الأقوات ومعدات السفر، ونهض في اليوم المذكور إلى السَّوَادِيَّة، واستصحب معه مدفعاً من المدافع الإمامية التي برَدَاع، وقد كان أخذ مدفعاً من المدافع التي في ذَمَار، فبات بالقاهر من السَّوَادِيَّة لدى عاملها الشيخ أحمد بن قايد الجبري، وكان يترفق بالجنود مع المسرة وإنزالهم في الأماكن اللَّائِقَة، وأضاف الجميع أحسن ضيافة فأكرمهم غاية الإكرام، وأحسن صنيعه مع المخدم والخادم بنفس طيبة وسلامة خاطر.

وفي يوم العشرين من الشهر المذكور، رفع الأمير عبد الله الوزير من قرى ناحية السَّوَادِيَّة إلى المحطة حول حكومة الناحية المذكورة، وبقي الأمير في دار الحكومة، وطلب آل منصور^[١] الملاجم^(١) منه الأمان فراراً من الهوان، بعد ترغيبهم للطاعة يكتب منه، فوصلوا إليه ورهنوا وأطاعوا وتبعهم الشيخ سالم أبوبكر^[٢].

انتهيت بحمد الله [من] زبر ما وجدت من كتبية الحكمة من سيرة إمام الأئمة، أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، ودره تاج الأئمة الهادين مولانا الإمام المتوكل على الله المعين أبي أحمد يحيى بن الامام المنصور بالله رب العالمين محمد بن يحيى حميد الدين، ضاعف الله أيامه، وأدام سلطانه وسلامه جمعه الفقير إلى عفو ربه وغفرانه القاضي عبد الكريم بن أحمد بن عبد الله مطهر، الكاتب الكبير والشاعر الشهير، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الأكرمين، بركة عام ١٣٦٣، كتبه المفتقر إلى عفو الله ومغفرته أحمد بن علي أحمد زبارة.

(١) الملاجم: آل منصور من قبائل مراد، موطنهم في رَدَاع، انظر معجم المقحفي، ٣٦٤/١.

[٢] إلى هنا وقفت النسخة س أيضاً.

[١] الأصح، منصور والملاجم.

ملحق الفهارس
والوثائق والمصادر والمراجع

الوثائق والمصادر والمراجع

١- الوثائق غير المنشورة

الوثائق المحفوظة في دور الحفظ والمكتبات البريطانية والتي جاءت مصورة في
Records of Yemen, Editors, Doreen Ingrams, من نسقها كل من

Leila Ingrams. Vol. 5-6 (1900-1914), (1914-1923). : From Vol. 6: وهي

6. 07. Relations between the British and the Imam, 1917-1918

- PRO FO371/ 3045

- IOR L/ P & S /10/683, 11/135

- PRO FO 371/3408

6.09 Turkish evacuation 1918 -1920

- IOR R/20/A/ 1432

- PRO FO406/42

- PRO FO 371/4171, 4162

- IOR R/20/A/ 1534

- PRO FO 40b/42

- PRO FO 371/4212

- IOR P/10793

6.10 Imam Yahya attempts to reunite the Yemen.

- PRO FO 406/42

-IOR L/P&S/10/790

- PRO FO406/42-3

- PRO FO371/5145-7

- IOR P/10794

- IOR L/P&S/11/174

- PRO FO371/5287, 5148-9

- IOR L/P&S/10/963

- PRO CO 725/1

6.12 Anglo - Yemeni negotiations for a treaty

- PRO CO 725/1,4, CO537/661

- PRO FO406/52

Vol. 5

5. 06 The accession of Imam al-Mutawakkil yahya b. al-Mansur Hamid al -
Din 1905

PRO FO 406/20

- ٢- الوثائق الخاصة، غير المنشورة، مقتنيات أسرية (خاصة).
- رسالة من الإمام يحيى بن محمد حميد الدين إلى محمد بن منصور المؤيدي .
- رسالة ثانية بتاريخ رمضان ١٣٢٥هـ .
- رسالة الثالثة إلى عز الدين محمد بن المنصور المؤيدي .
- رسالة رابعة بتاريخ ١١ محرم ١٣٢٤هـ .
- رسالة خامسة بتاريخ شهر ذي الحجة ١٣٢١هـ .
٣- وثائق يمنية مصورة في منشورات يمنية دون قراءة أو دراسة .
- رسالة الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين إلى سعد بن محمد الشرقي .
- منشور البلاغ الذي أصدره محمد بن علي الوزير ضد سيرة الإمام يحيى ابن محمد حميد الدين .
- رسالة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين إلى ولده سيف الإسلام الحسين ابن يحيى بن محمد حميد الدين متبرعاً بمبلغ ١٣٠٠ جنيه لصالح جمعية إعانة منكوبي فلسطين ومبلغ ٢٥٠ جنيهاً لجمعية إعانة منكوبي الفيضان حوالي دمشق .
- رسالة ترقية النقيب عزيز بن يحيى إلى رتبة ملازم ثان .
٤- وثائق يمنية منشورة مدروسة
- رسالة من الإمام يحيى بن محمد حميد الدين إلى الأخ العلامة قاسم بن حسين أبو طالب بشأن العلامة أحمد بن عبدالله الكبسي .

٥- المخطوطات

- الجنداري، أحمد بن عبدالله ،
الجامع الوجيز بوفيات الأعلام ذوي التبريز، المكتبة الغربية، بجامع صنعاء
الكبير رقم ٣٧ تاريخ
الدرة المنتقاة من سيرة الإمام المتوكل على الله وخصاله المرتضاة، المكتبة
الغربية، بجامع صنعاء الكبير رقم ٢٥٢١ تاريخ .
- الحجري، علي بن أحمد،
العقد الثمين في شمائل أمير المؤمنين يحيى بن محمد حميد الدين،
المكتبة الغربية، بجامع صنعاء الكبير، رقم ٢٣٩٥ تاريخ
- الحداد، يحيى بن علي بن ناجي،
عمدة القارئ في سيرة إمام زماننا، المتوكل على الله يحيى بن محمد
حميد الدين، المكتبة الغربية، بجامع صنعاء الكبير، رقم ٢٥٩٤ تاريخ
- الحضراوي، أحمد بن محمد،
الجواهر المعدة في تاريخ جُدَّة، مكتبة جستریتی، دبلن، رقم ٣٧٢٢
- الشَّرقي، سعد بن محمد،
تقييد حوادث انشاء الجهاد الثاني، المكتبة المصادرة بمدينة تعز، رقم ٣٣
(مصورة بالميكروفيلم لدى الباحث) .
- قاطن، أحمد بن محمد،
تحفة الإخوان بسند ولد عدنان، المكتبة الغربية، بجامع صنعاء الكبير،
رقم ١٩ مصطلح حديث .
- مجهول،
من ذكر المصيبة العظمى التي حدثت لأهل اليمن في الحج، عام ١٣٤١هـ المكتبة
الغربية، بجامع صنعاء الكبير، رقم مجموع ٤٨ جديد .
- المطيب الحنفي، محمد بن يحيى،
بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام، المكتبة الأهلية بباريس، رقم ١٦٥١
عربي .

- يحيى بن محمد حميد الدين، الإمام المتوكل،
إجازة من الإمام يحيى للشيخ عبد المعطي السقا، أحد علماء الأزهر
الشريف، المكتبة الغربية، بجامع صنعاء الكبير، رقم مجموع ٤٨ جديد.

٦- المصادر

- الأنسي، عبدالرحمن بن يحيى،
ترجيح الأطيوار بمرقص الأشعار، ط صنعاء، ١٩٨٥ م
- ابن الأثير، علي بن محمد،
اللباب في تهذيب الأنساب، ط مصر، ١٣٥٦هـ - ١٣٦٩هـ، ٣ مجلدات
- الإيراني، علي بن عبدالله،
سيرة الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين، الدر المنشور، ط
عمان، ١٩٩٦، مجلدان
- الإيراني، يحيى بن محمد،
هداية المستبصرين بشرح عدة الحصن الحصين، ط دمشق، ١٩٧٧ م
- أمين محمد سعيد،
أسرار الثورة العربية الكبرى، ط بيروت . د . ت
ملوك المسلمين المعاصرون، ط مصر، ١٩٣٣ م
- أمين محمد سعيد وثابت كمال،
مصطفى كمال باشا وتاريخ الحركة الوطنية في الأناضول، ط مصر،
١٩٢٢ م
- البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق،
مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط مصر، ١٩٥٤، مجلدان
- البريهي، عبد الوهاب بن عبدالرحمن،
طبقات صلحاء اليمن، ط بيروت، ١٩٨٣ م
- البيهقي، أحمد بن الحسين، أبو بكر،
مناقب الشافعي، ط القاهرة، ١٩٧١ م، جزءان
- الترمذي، محمد بن علي، الحكيم،

- الأمثال من الكتاب والسنة، ط القاهرة، ١٩٧٥ م
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة،
الجامع الصحيح، سنن الترمذي، ط القاهرة، ١٩٢٧، ٦ أجزاء.
- الجرافي، عبدالله بن عبدالكريم،
المقتطف من تاريخ اليمن، ط القاهرة، ١٩٥١ م
- الجعدي، عمر بن علي، ابن سمرة،
طبقات فقهاء اليمن، ط القاهرة، ١٩٥٧ م
- الجندي، محمد بن يوسف، بهاء الدين،
السلوك في طبقات العلماء والملوك، ط صنعاء، ١٩٨٣ م
- ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي، أبو الفرج،
تاريخ عمر بن الخطاب، ط بيروت، ١٩٨٢ م
- الجهشياري، محمد بن عبدوس،
الوزراء والكتاب، ط مصر، ١٩٣٨ م
- الحجري، محمد أحمد،
مجموع بلدان اليمن وقبائلها، ط صنعاء، ١٩٨٤ مجلدان في ٤ ج.
- الحرازي، محسن بن أحمد،
رياض الرياحين، ط دمشق وصنعاء، ١٩٨٦ م
- ابن حزم الأندلسي، علي بن محمد،
المحلى بالآثار في شرح المحلى بالاختصار، ط القاهرة، ١٩٧٢، ١١ مجلداً
- حمود بن محمد الدولة،
زورق الحلوى في سيرة قائد الجيش وأمير اللواء، منشورات العصر
الحديث، ١٩٨٨ م
- الحموي، ياقوت بن عبدالله،
معجم البلدان، ط بيروت، ١٩٧٧، ٥ مجلدات
- ابن حنبل، أحمد بن حنبل، الإمام
المسند، ط القاهرة، ١٩٤٨، ٢٢ مجلداً

- الخزرجي، علي بن الحسن،
العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، ط صنعاء، ١٩٨٣، جزءان
- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، أبو بكر،
تاريخ بغداد، أو (مدينة السلام)، ط القاهرة، ١٩٣١م، ١٤ مجلداً
- الخطيب الشربيني، محمد بن أحمد،
مغني المحتاج إلى شرح المنهاج، ط القاهرة، ١٩٢٣م، مجلدان
- ابن خلكان، أحمد بن محمد، شمس الدين،
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ط بيروت، ١٩٧٢، ٩ مجلدات
- دعثم، أبو فراس،
السيرة المنصورية (سيرة الإمام، عبدالله بن حمزة)، ط بيروت، ١٩٩٣م،
مجلدان
- ابن الديبع، عبدالرحمن بن علي،
الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، ط الكويت،
١٩٨٤م
- قُرة العيون في أخبار اليمن الميمون، ط بيروت، ١٩٨٨م، مجلدان
- الرازي، أحمد بن عبدالله،
تاريخ مدينة صنعاء، ط دمشق، ١٩٧٤م
- الرافي، عبدالرحمن،
في أعقاب الثورة المصرية، ط مصر، ١٩٤٧م
- ابن رسول، عمر بن يوسف، الملك الأشرف،
طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، ط دمشق، ١٩٤٩
- الريحاني، أمين،
ملوك العرب، ط بيروت، ١٩٦٢م، جزءان
- نجد وملحقاته وسيرة عبدالعزيز آل سعود، ط الرياض، ١٩٨١م
- زيارة، محمد بن محمد،
أئمة اليمن في القرن الرابع عشر، القاهرة، ١٣٧٦هـ-١٣٧٩هـ، ٣ أجزاء

- (الإمام الهادي شرف الدين)
- (الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين)
- (الإمام المتوكل على الله يحيى بن محمد بن يحيى حميد الدين)
- شرح ذيل أجود المسلسلات، ط صنعاء، ١٣٦٣هـ.
- لامية نبلاء اليمن الذين ماتوا بالقرن الرابع عشر، ط القاهرة، د. ت.
- نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر، ط صنعاء، د. ت.
- نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف، ط القاهرة، ١٣٧٧هـ، جزءان
- نيل الوطر في تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر، ط القاهرة، ١٣٤٨هـ، جزءان
- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني،
- تاج العروس من جواهر القاموس، ط مصر، ١٣٠٦هـ-١٣٠٧هـ، ١٠ مجلدات
- زخورا، الياس،
- كتاب مرآة العصر، ط مصر، ١٩١٦م
- الزركلي، خير الدين،
- الأعلام، قاموس وتراجم، ط بيروت، ١٩٧٩، ٨ مجلدات
- ما رأيت وما سمعت، ط مصر، ١٣٤٢هـ.
- زكي، عبد الرحمن،
- أعلام الجيش والبحرية في مصر، ط مصر، ١٣٦٦هـ.
- زكي فهمي،
- صفوة العصر في تاريخ ورسوم ومشاهير رجال العصر، ط مصر، ١٩٢٦م
- زكي محمد مجاهد،
- الأعلام الشرقية في المئة الرابعة عشر الهجرية، ط مصر، ١٣٦٨هـ-١٣٧٤هـ، ٣ أجزاء
- زيدان، جرجي،
- تراجم مشاهير الشرق، ط بيروت، د. ت، مجلدان

- السخاوي، محمد بن عبدالرحمن،
الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ط القاهرة، ١٩٥٥م، ١٢ جزءاً
- الشرجي الزبيدي، أحمد بن أحمد،
طبقات الخواص، أهل الصدق والإخلاص، ط القاهرة، ١٣٢١هـ
- الشهيد العاملي محمد بن مكي،
اللمعة الدمشقية، ط النجف، ١٩٦٦م، ٩ مجلدات
- الشوكاني، محمد بن علي،
البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ط القاهرة، ١٣٤٨هـ،
مجلدان .
- السييل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، ط القاهرة، ١٩٧٠م
نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، ط مصر، ١٩٣٨، ٨ مجلدات
- الصفدي، خليل بن أيك، صلاح الدين
الوافي بالوفيات، ط بيروت، ١٩٦٢م – ١٩٩٣م، ٢٢ مجلداً
- ابن عاصم الغرناطي
كتاب البهجة لأبي الحسن التسولي (شرح تحفة الحكام)، ط بيروت،
د.ت
- العباسي العلوي، علي بن محمد،
سيرة الهادي إلى الحق، ط دمشق، ١٩٧٢م
- العبدلي، أحمد فضل بن علي محسن،
هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، ط بيروت، ١٩٨٠م
- العظم، نزيه مؤيد،
رحلة في العربية السعيدة، ط بيروت، ١٩٨٦م
- ابن فرج، عبدالقادر بن أحمد،
السلام والعدة في تاريخ بندر جدة، ط بيروت، ١٩٨٣م
- ابن فرحون، إبراهيم بن علي،
تبصرة الحكام في أصول الأقضية، ط القاهرة. د.ت

- ابن قدامة، عبدالله بن محمد، موفق الدين،
المغني في شرح مختصر الخرقي، ط القاهرة، ١٩٧٠، ١٠ أجزاء.
- القرطبي، محمد بن أحمد،
الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، ط القاهرة، ١٩٦٧، ٢٠ جزءاً.
- القلقشندي، أحمد بن علي،
صبح الأعشى في صناعة الانشا، ط القاهرة، ١٩٦٣، ١٣ جزءاً
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر،
أعلام الموقعين عن رب العالمين، ط القاهرة، ١٩٧٦، ٤ أجزاء
- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ط القاهرة، ١٩٦١ م
- الكاساني، أبو بكر بن مسعود،
بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط بيروت، ١٩٧٤، ٧ أجزاء
- ابن الكتبي، محمد بن شاكر،
فوات الوفيات، ط بيروت، ١٩٧٣، ٥ مجلدات
- كحالة، عمر رضا،
معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط بيروت، ١٩٧٨، ٥ مجلدات
- مالك بن أنس،
المدونة الكبرى، ط القاهرة، ١٩٢٦، ٤ أجزاء
- ابن المجاور، يوسف بن يعقوب،
صفة بلاد اليمن (تاريخ المستبصر)، ط لندن، ١٩٥١. جزءان.
- المقحفي، إبراهيم أحمد،
معجم البلدان والقبائل اليمنية، ط صنعاء، ١٩٨٨ م
- مسلم بن الحجاج القشيري،
صحيح مسلم، ط الاستانة، ١٩١١ م، ٨ مجلدات
- المؤيد بالله، محمد بن إسماعيل،
مذكرات، ط بيروت، ١٩٩١ م

- ابن منظور، محمد بن المكرم، أبو الفضل،
لسان العرب، ط بيروت، ١٩٥٥م، ١٥ مجلداً
- النُّعْمِي، أحمد بن أحمد،
حوليات النُّعْمِي التهامية، ط دمشق، ١٩٨٧م
- أبو نُعَيْم الأصبهاني، أحمد بن عبدالله،
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط القاهرة، ١٩٦٧م، ١٠ مجلدات
- الهمداني، الحسن بن أحمد،
الأول : الإكليل، ط القاهرة، ١٩٦٣
الثاني : ط بغداد، ١٩٧٧م
الثامن : تحقيق نبيه أمين فارس، ط لندن، ١٩٤٠م
صفة جزيرة العرب، ط الرياض، ١٩٧٤م
- الهمداني، محمد بن أبي عثمان،
عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب، ط القاهرة، ١٩٧٣م
- الواسعي، عبد الواسع بن يحيى،
تاريخ اليمن، فرجة الهموم والحزن، ط القاهرة، ١٣٤٦هـ
- الوزير، علي بن عبدالله،
طبق الحلوى وصحائف المن والسلوى، ط صنعاء، ١٩٨٥
- الوشلي، إسماعيل،
نشر الثناء الحسن، ط صنعاء، ١٩٨٢م
- وهبة ، حافظ،
جزيرة العرب في القرن العشرين، ط القاهرة، ١٩٧٠م
- يحيى بن الحسين بن القاسم،
غاية الأمان في أخبار القطر اليماني، ط القاهرة، ١٩٦٧، جزءان .
- اليعقوبي، أحمد بن واضح،
البلدان، ط ليدن، ١٨٩١م

- اليمني، عمارة بن علي،
المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، ط القاهرة، ١٩٧٦م
- ٧- المراجع والدراسات
- الأصبحي، أحمد بن محمد،
إطلالة على البحر الأحمر والنزاع اليمني – الإريترى، ط بيروت، ١٩٩٦م
- الأكوغ، إسماعيل بن علي،
البلدان اليمنية عند ياقوت الحموي، ط الكويت، ١٩٨٦م.
جامع صنعاء، مقالة ضمن كتاب مصاحف صنعاء، ط الكويت، دار الآثار
الإسلامية، د. ت.
- حياة عالم وأمير، ط صنعاء، ١٩٨٧م
المدارس الإسلامية في اليمن، ط صنعاء، ١٩٨٠م
هجر العلم ومعاقله، ط دمشق، ١٩٩٥-١٩٩٦م، ٥ مجلدات
اليمن الخضراء، ط القاهرة، ١٩٧١م
- الأنصاري، ناصر،
موسوعة حكام مصر، ط القاهرة، ١٩٨٧م
- البردوني، عبدالله،
رحلة في الشعر اليمني، ط بيروت، ١٩٨٧م
- الثور، عبدالله أحمد،
هذه هي اليمن، ط القاهرة، ١٩٦٩م
- الجاسر، حمد،
معجم البلدان السعودية، الرياض.
- الحبشي، عبدالله،
مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، ط صنعاء، ١٩٨١م
- الخترش، فتوح،
تاريخ العلاقات السعودية – اليمنية، ط الكويت، ١٩٨٣م
- دلال، محمد راغب،

- مطالعات في المؤلفات التاريخية اليمنية، ط القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
- سالم، سيد مصطفى،
تكوين اليمن الحديث، ط القاهرة، ١٩٨٤م
وثائق يمنية، ط القاهرة، ١٩٨٢م
- السبحاني، جعفر،
بحوث في الملل والنحل، ط بيروت، ١٩٩٤م
سيد، أيمن فؤاد،
مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، ط القاهرة، ١٩٧٤م
- السياغي، حسين،
صفحات مجهولة من تاريخ اليمن، ط صنعاء، ١٩٧٨م
معالم الآثار اليمنية، ط صنعاء، ١٩٨٠م
- الشامي، أحمد بن محمد،
رياح التغيير في اليمن، ط ١٩٨٤م
– شرف الدين، أحمد بن حسين.
تاريخ اليمن الثقافي، ط القاهرة، ١٩٦٧م
اليمن عبر التاريخ، ط القاهرة، ١٩٦٣م
- الشماحي، عبدالله عبد الوهاب
اليمن، الإنسان والحضارة، ط القاهرة، ١٩٧٢م
– الصائدي، أحمد قايد،
المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن، ط بيروت، ١٩٩٠م
– العرشي، حسين بن أحمد،
بلوغ المرام في شرح مسك الختام، ط بيروت، ١٩٠٠م
- العقيلي، محمد بن أحمد،
تاريخ الخلف السليماني، ط الرياض، ١٩٨٢م، مجلدان
– العمري، حسين عبدالله،
مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني، ط دمشق، ١٩٧٨م

- غانم محمد عبده،
 شعر الغناء الصنعاني، ط بيروت، ١٩٨٠م
 – الكتاني، عبدالحى بن عبدالكبير،
 فهرس الفهارس والأثبات، ط بيروت، ١٩٨٢، ٣ أجزاء
 – لقمان، حمزة بن علي،
 تاريخ القبائل اليمنية، ط صنعاء، ١٩٨٥م
 – المحضار، حامد بن أبي بكر،
 ترجمة حسين بن حامد المحضار، ط جدة، ١٩٨٣م
 – المروني، محمد بن عبدالمملك،
 الثناء الحسن على أهل اليمن، ط بيروت، ١٩٩٠م
 – المسعودي، عبدالعزيز بن قايد
 معالم تاريخ اليمن المعاصر، ط صنعاء، ١٩٩٢م
 – مسفر، عبدالله بن علي،
 أخبار عسير، ط دمشق، ١٩٧٨م
 السراج المنير في سيرة أمراء عسير، ط بيروت، ١٩٧٨م
 – المليح، محمد سعيد وأحمد محمد عيسوي،
 فهرس مخطوطات المكتبة الغربية بجامع صنعاء الكبير، ط الاسكندرية،
 ١٩٧٨م
 – ناجي سلطان،
 التاريخ العسكري لليمن، ١٨٣٩-١٩٦٧م، ط عدن، ١٩٧٦م
 – الهاجري، يوسف،
 السعودية تبتلع اليمن، ط لندن ١٩٨٨م
 – الوزير، أحمد بن محمد بن عبدالله،
 حياة الأمير علي بن عبدالله الوزير، منشورات العصر الحديث، ١٩٨٧م
 – الويسي، حسين،

اليمن الكبرى، ط القاهرة، ١٩٦٢م

- اليافعي، صلاح البكري،

تاريخ حضرموت السياسي، ط القاهرة، ١٣٧٤هـ

٨- المراجع الأجنبية المعربة

- انكارين، ج،

مذكرات دبلوماسي في اليمن، ترجمة قائد طربوش ومحمد إسماعيل

سليمان، ط، القاهرة، ١٩٩٣م

- بولدري، جون،

العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن، ترجمة سيد سالم، ط القاهرة،

١٩٨١م

- أبو نثي، سلفادور،

مملكة الإمام يحيى في بلاد العربية السعيدة، ترجمة طه فوزي، ط

القاهرة، ١٩٤٧م

- هارولد . ف، يعقوب،

ملوك شبه الجزيرة العربية، ترجمة أحمد المضواحي، ط بيروت، ١٩٨٨م

٩- مراجع بالعثمانية والتركية

- حجاز تيمور يولي،

منشورات حجاز تيمور يولنك ١٣٢٧هـ، ط دار السعادة (استانبول)،

١٣٢٨هـ

Red house, Yeni- - Turkce - Ingilizca. Sozluk, Istanbul, 1981

١٠- مراجع باللغات الأوروبية

- Brice, william,

An Historical ATLas of Islam, Leiden, 1981

- Helevy, Joseph,

Travels in Yemen, Jerusalem, 1941

- Neibuhr. Mg

Travels through Arabia, London, 1792. z. Vol.

- Regeant, R.B. Costa,

The Gyals of Sana, (SANA, Arabiam city)

- Tritton, A.S,

The Rise of the Imamms of Sana, oxford, 1925

١١ - دوريات

- صحيفة الحضارة،

العدد ٩، ١٩ شوال ١٣٢٩هـ، ١٢ تشرين الأول، ١٩١١م

- مجلة المقتطف المصرية، العدد الأربعون .

الفهارس

- الآيات القرآنية
- الأحاديث النبوية الشريفة
- الأقوال المأثورة
- الظواهر الفلكية
- الأعلام
- القبائل والأمم والشعوب والبطون وغيرها
- الأعلام الجغرافية
- فهرس الشعر
- مصطلحات حضارية وألفاظ
- الآلات والأدوات
- الوظائف والمناصب
- الحيوان
- النبات ومشتقات الحيوان والنبات

فهرس الآيات

١- فهرس الآيات

- سورة البقرة، وكم من فئة قليلة، ٢٤٩
سورة المائدة، اليوم أكملت لكم دينكم: ٢٩٧
سورة الشعراء، فأخرجناهم من جنات: ٥٧.
سورة القصص، وما كان ربك مهلك: ١٧٨

٢- الأحاديث النبوية

- إن الله يبعث لهذه الأمة: ٧
ما تركت شيئاً يقربكم: ٢٩٧

٣- الأقوال المأثورة

- تفرقوا أيدي سبا: ٩٩
تفرقوا شذر مذر، ١٥٨
عقر الصلاح كما عقر الناقة
أشقى ثمود: ٢٠٣
قبل أن يتسع الخرق على الراقع: ١٥٤
لم ينتطح في ذلك عنزان: ٩٦
ما لداء أنجع من دواء السيف: ٢٠٥
مكره أخاك لا بطل: ٨
مناطقة النجوم بالمنكب: ١٣

٤- ظواهر فلكية

- خرنجم من السماء: ١٧٥
رمي الشهب في السماء: ١٧٥

فهرس الأعلام

- إبراهيم بن أحمد : ١٧٢
 أحمد بن أحمد الجرافي : ٤٩ ، ٣١١ ، ٣١٣ ، ٣٤٧
 أحمد بن علي الحيفي : ٣١٦
 أحمد بن علي السياغي : ١٠٩ ، ٢٤٤
 أحمد بن علي الصّعدّي : ١٣٢ ، ١٣٩ ، ٢٠٦
 أحمد بن أحمد السياغي الخيمي : ٤٢٩
 أحمد بن أحمد محمد (الزّئمة) : ٤٠٠
 أحمد بن علي عاطف : ٤١
 أحمد بن علي عبد الجبار باشا : ٣٨ ، ١٩٧
 أحمد توفيق باشا : ١٩ ، ٢٤ ، ٣٣ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٥٨
 أحمد بن علي المنصور : ١٩٨
 أحمد فتيني جنيد : ٣٢٣
 أحمد بن قايد الجبري : ٣٤٢ ، ٣٤٤ ، ١٣٠
 أحمد بن الحسن بن القاسم : ٣٩٩ ، ٣٤٤ ، ٣٨٣
 أحمد بن حسن بن علي باشا : ٣٨٣
 أحمد بن قاسم بن الحسين : ٤٢
 أحمد بن قاسم بن عبدالله بن الإمام : ١٨ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٢ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ١٠٦
 أحمد بن درّاج القسطلّي : ١٠٦
 أحمد بن زيد بن علي الديلمي : ٧١
 أحمد بن صالح الجلال : ١٨١ ، ١٨٤
 أحمد بن محسن الشعاب : ١١٧
 أحمد بن صلاح : ٣٤٤ ، ٣٤٥
 أحمد بن محمد الإدرسي : ٣٩١
 أحمد بن عبدالرحمن الأنباري : ٧٦
 أحمد بن محمد الأنسي : ٨٤ ، ١٢٢ ، ٢٥٦
 أحمد بن عبدالعزيز المجاهد : ٢٥٦
 أحمد بن محمد الكرّيم حجر : ٢٤٤
 أحمد بن محمد بشر : ١٧٢
 أحمد بن محمد مداعس : ١٧٤
 أحمد بن محمد الحسيني : ٢٠١
 أحمد عرابي باشا : ٤٣٠
 أحمد نعمان : ٢٤٨
 أحمد عزت باشا : ٢٣ ، ٣٣ ، ٣٢٤

أحمد بن يحيى حبيش: ٣١٥، ١٦٤، ٣٨٣	٣٩٥، ٣٩٤
جورجي (المهندس) ٣٦٨، ٥٦، ٥٥	أحمد بن يحيى الكبسي: ٣٨٧، ١٢٨
جيكوب: ٤٤٦	أحمد بن يحيى بن محمد حميد الدين
حزام بن عبدالله الصعر: ١٦١	(الإمام): ٣٥، ٦٨، ١٦١، ١٦٢
حَسَّان (شيخ الصوفية): ٩١	٣٥٩، ٤٠٨، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٧.
حسن بن أحمد الشوكاني: ٥١	إسحاق بن عبدالله المجاهد: ٢٤٤.
حسن بن حسن الحداد: ٢٣٣	إسماعيل بن إسماعيل ناصر الدين
حسن شرف: ١٣٢	المروني: ١٧٥، ١١٦
حسن بن عبد الوهاب الوريث: ٨٩	إسماعيل الأسود: ٦٦
١٦٥	إسماعيل بن حسن الوادعي: ٩٨
حسن بن علي بن محمد بن عايش:	إسماعيل بن عبد الرحمن الذيبيني:
٤١٨، ٣٥٣، ٣٥٢، ١٨٩	١٦٦
حسن بن علي المغربي: ١٦٧	إسماعيل بن القاسم: ٣٩٩
حسن بن قاسم أبو راس: ١٨٠	إسماعيل بن محمد باسلامة: ٤٢، ٣٨
حسن بن قاسم بن عبدالله الوزير: ٢٥٣	٨٣
٣٨٠، ٣٣٦، ٣٣٥	إلياس بك الجركسي: ٨٧
حسن مصادم: ١٧٢	أبو الفتح بن ناصر الديلمي: ٤٤٩
الحسن بن هانئ: ١٠٦	أبو بكر بن علي الحداد: ١٦٧، ١٦٦
حسن بن يحيى القاسمي الضحيانى:	أبو بكر بن علي النقيب: ٢٢٧، ٢٢٥
٢٣٠	أمين الريحاني: ٣١٧
حسني بك: ٤١٥، ٥٩	البعوي: ١٧٢
حسين بن أحمد بن إبراهيم: ١٢٥	البوني: ٢١٢
حسين بن أحمد حنش: ٣٤٤، ١٠٧	الجنيد بن عبدالله النور: ١٥٥، ٧٧
حسين بن أحمد الرصاص: ٤٤٩، ٣٩٨	

حميد بن علي باشا: ١٥٤	حسين بن أحمد مطهر: ٣٨٧
الحميقاني: ٣٤٦	حسين جبالة: ١٥٦، ١٥٧، ١٨١
حياتي بك: ٤٤٥	حسين حسن السُّوادي: ٣٤٣، ٣٤٤
الخصيب بن عبد الحميد: ١٠٦	حسين بن عبد الله الصعر: ١٧١
راجح بن راجح بن سعد: ٢٤٠	حسين بن علي الحيفي: ٢٣٨، ٢٤٠
راجح بن سعد، ظهير الدين: ١٢، ٤٢٠	حسين بن علي عبد القادر: ١٧، ١٩
ابنة الرصاص: ٤٠٠	٥١، ٧٠.
رأفت باشا: ٣٥٤	الحسين بن علي العمري: ١٨، ٣٧
ابن زُكا: ١٧٧	٣٣٠، ٤٢٩
زيد بن علي بن الإمام: ١٥٥	الحسين بن علي بن عون: ٢٨، ٢٩، ٣٢
سالم أبو بكر: ٣٤٤، ٣٤٥، ٤٥٠	١٥٣، ٢٤٢، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٠٢
سعد زغلول: ٤٣٢، ٤٣٤	٣١٨، ٤١٨، ٤٢٢
سعيد بن أبي بكر معوضة: ١٥٥	الحسين بن القاسم بن محمد: ١٣٩
سعيد باشا: ٢٤، ٣٥، ٤٢، ٤٤، ٤٥	٣٦١
٣٩٣، ٦٥، ٤٦	حسين كامل بن إسماعيل: ٤٣١، ٤٣٢
سعيد بك (قومندان): ٢٢٠	حسين بن محمد حبيش: ٢٠٨
سعيد بن صالح السمحي: ٣٩٩	حسين بن ناصر الغزي، ١٧١، ١٧٧
سعيد المرقب: ٢٢١	حسين النزيلي: ١٣١
سليمان بك: ٥٩	حمود الدايلي: ١٣٠
سليم بن با يزيد: ٢٨	حمود بن عبد الرب بن قايد بن سنان:
شاهر بن قايد: ٢٥٠	٨١، ٩٢، ١٢٣، ١٥٤، ٣٣٥، ٣٨٣
شايف بن نصر: ٣٠٥	حمود بن غالب بن الإمام: ١١٣
شَمَّسان عبد الله: ٢٧٩، ٢٨٥	حمود بن محمد بن أحمد الدولة:
شوكت بك: ٤١٥	٢٥٦، ٢٨٢

عبد الدائم السادة: ١٦٦	صالح بن أحمد ردّمان: ١٣٤
عبد جيلان عابد: ٣٩٦	صالح بن أحمد الرصاص: ٣٩٨، ٣٤٤
عبد حسن قاسم: ١٧٨	٣٤٥، ٣٤٦
عبد الرحمن (الشيخ): ٧٦، ٩٩	صالح بن سعد العبادي: ٢٩٠، ٢٩٣
عبد الرحمن بن أحمد المعلمي: ١٦٥	صالح بن صالح الطيري: ٣١١، ٣٤٢
عبد الرحمن بن حسين المحبشي: ١٧	٣٤٦
عبد الرحمن بن عبد الله المزجاجي (أبو الخير): ١٦١	صالح مسعود: ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣
عبد الرحمن بن علي الحداد: ٣٨، ٤٢	صالح بن علي الوصابي: ١٧٢
١٦٦، ٣٢٤، ٣٢٥	صالح بن عمر البكري: ٢٢٥
عبد الرحمن بن علي عبد القادر: ١٩	ابن الصباح: ٢٩
٧٠	صمصام توفيق: ٢٠٦، ٢١٠، ٤٣٧
عبد الرحيم البرعي: ١١٤	ضيف الله علوي: ٣٤٣
عبد العزيز بن إبراهيم: ٤١٩	طالب بن أحمد: ٣٤٣
عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود: ٤١٨، ٣٥٣، ٢٦٩، ٢٢٩، ١٨٩	عباس حلمي (الخدوي): ٤٣١
٤٤٥، ٤٢٢، ٤٢١	عباس بن عبد الله المؤيد: ١١
عبد العزيز بن عبد الواسع نعمان: ٢٥١	عباس بن علي بن أحمد: ١١، ١٣٣
عبد العزيز بن يحيى المجاهد: ١٦٦	١٦٣، ١٦٤، ١٦٩
١٦٧	عباس بن محمد بن المنصور: ١٥٤
عبد القادر بن أحمد الأهدل: ٢٣٣	عبد الجليل بن أحمد بن علي عبد الجبار: ٢٨٠، ٢٥٨، ٢٥٦
عبد الكريم بن إسماعيل الكوكباني: ٣٤٧، ٣١١	عبد الحميد بن عبد الحميد: ٣٠
عبد الكريم فضل العبدلي: ٢٩٠	عبد الخالق ثروت: ٤٣٣، ٤٣٤
	عبد الخالق بن غالب بن علي القائنص: ١٧٥

عبدالله بن إبراهيم بن أحمد : ٣١٩ ،	عبدالله بن قاسم بن الإمام : ٧٢ ، ١٢٥
٣٨٧ ، ٣٦٢	عبدالله مبارك : ٧٦
عبدالله بن أحمد العرشي : ١٢٨ ، ٢٥٩ ،	عبدالله بن محمد الضمين : ٥٢ ، ١١٧ ،
٤٣٦	١٣٤ ، ١٧٣ ، ٢٣٥ ، ٣٢١
عبدالله بن أحمد ناصر الرماح : ٢٩٠	عبدالله بن محمد يونس : ٧٢ ، ١٦٥
عبدالله بن أحمد الوزير : ٣٦ ، ٤٧ ،	عبدالله بن يحيى بن عبد الجليل : ٢٥٦ ،
٧٤ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٩٤ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ،	٢٥٨ ، ٣٣٥ ، ٣٨٣
١٥٤ ، ١٥٩ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ٢٢٣ ،	عبدالله بن يحيى أبو منصور : ٩ ، ١٧ ،
٢٢٤ ، ٣٢٣ ، ٣٧١ ، ٤١٣ ، ٤٤٨ ،	١١٤ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ٣١٥ ،
٤٥٠	٣١٦ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ،
عبدالله بشر : ١١٥ ، ١١٦ ، ١٦٣ ،	٤٤٢ .
١٦٤ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ،	عبد المجيد بن مراد بن عبد المجيد : ٣٥٥
١٨٠ ، ٢٣٥	عبد الواسع بن نعمان مقبل : ٣٩ ، ٤٨ ،
عبدالله باشا الجركسي : ٦١	٢٤٩ ، ٢٥٠
عبدالله بن حسن الديلمي : ٣٨٢	عبد الولي بن محمد بن سعيد الذهب :
عبدالله بن الحسين بن علي : ١٩٤ ، ٤٢٢	٣٤٠
عبدالله بن الحسين العمري : ١٨	عبد الوهاب بن حسين أبو حليقة : ٣٤٦
عبدالله بن حمود : ١٩٩	عبد الوهاب بن نعمان مقبل : ٤٨ ، ٩٦ ،
عبدالله الخضر : ٣٤٤	٢٤٩ ، ٣٨٣
عبدالله بن سعيد الجبيري : ٢٥٣	عزير بك : ٥٩
عبدالله الصائغ : ١٢٥	عزي بن عطاء الله : ٦٩ ، ١٢٤ ، ١٧٢
عبدالله عثمان : ٩٤ ، ١٦٧ ، ٢٥٦ ،	عُقاب : ١٥٧
٣١٤	عُقبه بن نافع الفهري : ٤٣٥
عبدالله بن علي عبد القادر : ١٩	عقيل الزيلعي : ١١٧ ، ٣١٧ ، ٣٩٥

- علوي بن حسن الجفري: ٢٩٦، ٢٩٠
- علي بن أحمد بن إبراهيم: ٨٠، ٦٩، ٨٠، ١٢٤، ١٢٦، ٣٦٩، ٣٧٤
- علي بن أحمد الإدريسي: ٣٩٢
- علي بن أحمد جرعون: ٣٤٠، ٢٢١
- علي بن أحمد الحملي: ٣٨٢، ٦٥
- علي بن أحمد الحمري: ٢٣٣
- علي بن أحمد صلاح الدين: ١٦٤، ٢٧
- علي بن أحمد قطيع: ٢٢٠، ٢٠٦
- علي بن إسماعيل: ١٦٧
- علي بن حسن الرصاص: ٣٤٤
- علي بن حسين الشامي: ١٦٨، ١٦٣، ٣٨٧، ٢٢١
- علي بن حسين المغربي: ٤٢٩، ١٠٧
- علي بن حمود بن غالب: ١٩٩
- علي بن حمود بن محمد بن يحيى: ٤٤٠
- علي بن دحان الأحمر: ١٣٩، ١٣١
- علي طه: ١٤٥
- علي طاهر: ١٠٠، ٩٩
- علي بن عبدالله الأكوخ: ٢٠٦، ٤٣
- علي بن عبدالله جباح: ١٢٤، ١٢٣
- علي بن عبدالله بن سعيد: ٢٥٦، ٣٩، ٣٣٥
- علي بن عبدالله الشهاري: ٢٥٣
- علي بن عبدالله الوزير: ٨٠، ٤٢، ٣٥، ١٨٠، ١٥٤، ١٢٣، ٩٥، ٩١، ٨٥، ١٨١، ٢٨٦، ٢٧٩، ٢٥٧، ٢٤٨، ١٨١، ٣٣٨، ٣٣٧، ٣٣٥، ٣٣٤، ٣٣٣، ٣٧١، ٣٨٢، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٩٩، ٤٢٨، ٤٣٦، ٤٣٧
- علي عثمان: ٩٥، ٩٤، ٩٠، ٨٨، ٨٦، ٤٣٧، ٣١٣
- علي بن علي السراجي: ٢٩٨، ١٩٥
- علي بن علي الشرفي: ١١٣
- علي بن علي اليماني: ٤٢٩، ٢٣١، ١٨
- علي عمر المقداد: ٢٠٠، ١٩٨، ١٩٧، ٣١٢، ٣١١، ٢٠١
- علي غانم بن مهدي: ٣٤٢
- علي الغني: ٣٩٧
- علي فقيه السنفي: ١٧٣، ١٧٢
- علي بن محسن شيام: ١٩٠
- علي بن محمد بن أحمد: ٢٨١
- علي بن محمد الأنسي: ٢٤٢
- علي بن محمد الإدريسي: ٤٠٩، ٣٩٠، ٤١١، ٤١٧، ٤٣٦
- علي بن محمد الشامي: ٢١٥، ١١٢، ٣٨١، ٣٤٧، ٣١٢، ٣١٠

محمد بن أحمد بن قاسم حميد الدين :	٣٨٧
محمد بن لطلال بن نايف (ابن الرشيد) :	٤٢٢
محمد بن أحمد المقداد: ٣٢٢	٣٣٣، ٢٤٩
محمد بن أحمد نعمان: ٢٤٩، ٣٣٣،	٣٣٤
محمد بن أحمد الوزير: ٤٨، ٧٣، ٤٤٩	٣٤٣
محمد البليلي: ١٣	٢٥٧
محمد بن حسن البروي: ١٧٦	١٦٧
محمد بن حسن الرماح: ١٤٠، ١٤١	١١٢
محمد بن حسن القاسمي: ١٣٦،	١٧٤
محمد بن أحمد الوادعي: ١٠٩	٢٢٤، ١٦٤
محمد بن حسين العيزري: ٣٨٢	٣١٥
محمد بن حسين الكبسي: ١١٣	محمد وحيد الدين بن عبد المجيد: ٣٤٥،
محمد بن سليم أبو لعثة: ١٩٠	٣٥٥
محمد بن زيد الحريبي: ١٤١، ٢٢٧	محمد عبد الواحد بن محمد بن قاسم:
محمد بن سعد الشرقي: ١١١، ٣٦٠	٣٩
محمد بن سعيد الذهب: ٣٣٩، ٣٤٠	محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن
محمد بن صالح القطيبي: ١٥١، ٢٢٩،	قاسم: ٣٩، ٨١، ٩٢، ٣٤٢
٣٠٥، ٣٠٩، ٣١٠	محمد عصيدة: ١٠٦، ١٠٧
محمد طاهر رضوان: ١٦٩، ١٧٠،	محمد بن علوي السقاف: ٢٩٥، ٢٩٦
١٩٦، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٣٣،	محمد بن علي بن أحمد الوزير: ٣٦٩،
٢٣٤، ٣٩٥، ٣٩٦	٣٧١، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٧، ٣٧٨
	محمد بن علي الإدريسي: ٥٤٠، ٢٥٠،
	٥٧، ١٠٠، ١١٢، ١١٨، ١١٩،
	١٢٠، ١٢٤، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠،

محمد بن غالب خليل: ١٧١	١٣١، ١٣٢، ١٣٧، ١٣٧، ١٣٩
محمد بن غالب القديمي: ١٦٢، ١٦٠	١٤٠، ١٤١، ١٦٠، ١٦١، ١٦٩
ابنة محمد بن قاسم الظفري: ٢٠	١٧٢، ١٧٤، ١٧٩، ١٩٩، ٢٠١
محمد بن قاسم الظفري: ٧١، ١١٥	٢٠٤، ٢٠٥، ٢١٢، ٢١٨، ٢٢٠
٢٣٨، ١٦٣	٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٧٣، ٣١٢
محمد بن قايد الجبري: ٣٤٢	٣١٥، ٣٢٣، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٨٠
محمد بن قروش: ١٢٠	٣٩٠، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٥
محمد بن لطف السرحي: ٤١١	محمد علي باشا: ٤٢١، ٤٣١
محمد أمين بن محمد أحمد: ١٩٥	محمد بن علي بن إسحاق: ١٥٠، ٢٢٥
٢٠٤، ١٩٦	محمد بن علي الجهمي: ٢٢١، ٣٤١
محمد بن محمد بن أحمد الشامي:	محمد بن علي الحلالي: ٣١٦
١٤٥	محمد بن علي الذاري: ٧٣، ٧٤، ٧٥
محمد بن محمد بن أحمد غمضان	٢٢٣
الكبسي: ٢٢٣	محمد بن علي ردمان: ٢٤٠، ٢٤١
محمد بن محمد جحّاف: ٢٤٣	محمد بن علي الرماح: ١٧١، ١٧٦
محمد بن محمد زبارة: ١٦١، ٢٩٦	محمد بن علي الشامي: ٤٠، ١١٢
٣٨٧	١٦٨
محمد بن محمد الكبسي: ١١٠، ١٦٢	محمد بن علي الصديق: ١٦٩
محمد بن مساوي الأهدل: ١١٦، ١١٧	محمد بن علي بن عبد الكريم المجاهد:
محمد بن مفضل الوزير: ١٥٤	١٦٦
محمد ناصر البخيتي: ٢٠٢	محمد بن علي مكرم: ٢١١
محمد ناصر مقبل: ٣٩، ٦٥، ٨٩، ٩٠	محمد الكبير بن علي النهاري: ١١٤
٢٥٧، ٢٤٢، ١٨٠، ١٦٥، ٩٦	١٩٩
محمد بن الإمام الهادي شرف الدين:	محمد عمر: ١٧٢

- المنصور بن أبي عامر (الحاجب): ١٠٦
- ناجي بن صالح القوسي: ٢٠٢
- ناجي بن ناصر العسل: ١٩٧
- ناصر بن حسين الأحلسي: ١٣٦، ١٧١
- ناصر الدرّة: ١٦٧
- ناصر بن شكر: ١٥٣، ٢٤٢، ٢٩٥
- ناصر العسل الأرحبي المرهبي: ١٩٧
- ناصر العنبري: ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨
- ناظم بك: ٥٥، ٥٦
- نصر بن شايف: ١٤٤، ١٤٩، ١٥١،
- ٢٢٦، ٢٢٥، ١٥٢
- النعمان بن بشير: ٣٢٦
- نعمان مقبل: ٣٢٦
- نعمان مقبل: ٩٠
- نور الدين بن حَسَّان: ٩٠، ٣٣٧
- أبو الهادي: ٢٠١
- هادي صلاح مريط: ١٧٥
- هادي بن يحيى الكحلاني: ٢٠٨،
- ٢٠٩، ٢١١
- هارون الرشيد: ٢٢٣
- هاشم بن يحيى المرتضى: ٧٣، ١٥٤
- يحيى بن أحمد الكبسي: ١٢٦
- يحيى بن أحمد بن قاسم حميد الدين:
- ٤٢٩
- ١١٠، ٢٣٠، ٢٣٢
- محمد بن هاشم المذحجي: ٢٥٠
- محمد بن يحيى بن محمد حميد
- الدين: ٦٩، ٢٧٣، ٣٢٢، ٣٥٩،
- ٤٠٨، ٤٠٩
- محمد بن يحيى شريف: ٣٤٦
- محمد بن يحيى العزي: ١١٠
- محمد بن يحيى مداعس: ٢٢٤
- محمد بن يوسف الكبسي: ٦٧، ١١٣،
- محمود بك: ١٩
- محمود بن محمد الزبيري: ١٦٤،
- ٣١٤، ٣١٣
- محمود نديم: ٢٤، ٣٣، ٤٤، ٤٧، ٧٦،
- ٢٠٥، ٢٠٦، ٣٢٤
- محمود النهاري: ١١٣، ١١٤، ١٩٩
- محيى الدين باشا: ١٨٩
- مساوي بن عبد الرب: ١٦٩، ٢٣٣
- مصطفى عاصم: ٢٤٧
- مصطفى بن علي الإدريسي: ١١٨.
- مصطفى كمال باشا: ١٩٣
- مطهر بن يحيى بن محمد حميد الدين:
- ٣١٩
- مقبل عبد العليم: ١٥٥، ١٥٦
- مقبل بن حسين هراش: ٢١٩

يحيى بن حسن الوريث: ١٦٥

يحيى بن خالد بن برمك: ٢٢٣

يحيى الضلعي: ٢٠١

يحيى بن علي الإرياني: ٧١

يحيى بن علي الذاري: ٧٣، ٢٢٠،

٢٢٢، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٧٩، ٤٠٠،

٤١٧

يحيى علي علاو: ٣٣٩، ٣٤٠

يحيى بن ناصر شيبان: ١٥٩، ١٦٢

يحيى بن محمد بن عباس: ٤٢، ٧٩،

٨٤، ١٢٢، ١٤٣، ٢٢٦، ٣٠٥،

٤١٣، ٤١٤

يحيى بن محمد بن الهادي: ٣٨٧،

٤٠٢

يحيى بن محمد الوداعي: ٢٨٠

يحيى بن محمد بن يحيى حميد الدين

(المتوكل على الله، الإمام): مواضع

كثيرة

القبائل والأمم والشعوب والبطون

الأربعوس: ٢٢٦	٣٢٢
الأجعود: ١٤٩، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٨،	بنو الأهدل: ٢٠٥، ٣٨٠
٣٠٥	الباطنية: ٣٦
بنو أحمد: ١٥٢	بنو بُوْحَيْت: ٤٠، ٤١
الإخوان: ٢٣٢	بشر: ٢٠٨
أرحب: ٣٧، ٦٧، ١٩٨، ٢٠١، ٢٤١،	آل بصير: ٣٤٣
٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٩، ٣٤٢، ٣٤٥،	البكري: ٣٠٥
٣٧٠، ٣٧١.	بكيل: ١٠، ١٢٢، ١٣١، ١٣٤، ١٣٦،
الأزارق: ١٨٠، ١٥٢	٢٠٥، ٢٠٦، ٢٤١، ٣٣٥، ٣٤٧،
بنو إسحاق: ١١٧، ١٧٠، ٢٠٦	٣٩٤
بنو إسماعيل: ١٣١، ٢٠٦	بنو بهلول: ١٢٨، ٣٧٢، ٣٨٦، ٣٨٧
أشراف الجوف الحمزات: ٥٢	البلغار: ٢٥
ألمان: ٣١، ٣٤، ٢٧٠	آل بهجة: ٣٤٤
أمريكي: ٣٥٨	الترك: ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٤،
الانجليز: ٢٥، ٢٦، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢،	٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤٢، ٤٥، ٤٦، ٤٨،
٣٣، ٣٤، ٣٩، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥،	٤٩، ٥١، ٥٢، ٥٦، ٦٦، ٩٦، ٩٩،
٤٦، ٥٠، ٥٤، ٥٥، ٦٤، ٧٨، ٩٤،	١٠٨، ١١٥، ١٤٤، ١٥٨، ١٨٨،
١١٢، ١١٨، ١٤٤، ١٩٠، ١٩٢،	١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٦، ٢٣٠،
١٩٤، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٩، ٢٧٠،	٢٣٢، ٢٣٥، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٤٨،
٢٧١، ٢٧٢، ٢٩١، ٣٢٤، ٣٢٥،	٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٣، ٣١٨، ٣٢٤،
٣٥٤، ٣٥٥، ٣٩٣، ٤٢٣، ٤٣٠،	٣٢٥، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦،
٤٣١، ٤٣٤، ٤٣٦، ٤٤٧.	٣٦١، ٣٨٢، ٣٩٣، ٤١١، ٤١٥،
أنسس: ٢٤، ٤٨، ٤٩، ٣١١، ٣١٣،	٤٢٢، ٤٣٦

خارف: ٣٨٧، ٣٤٢	بنو جبر: ٣٧٦، ٣٧٢، ٢٥٣
الحوارج: ٢٩	الجرايح: ١٣٧
خَوْلان: ١١٧، ٨٠، ٧١، ٤٨، ٣٧	بنو جرّين: ١٤١، ١٣٩، ١٣٨، ١٣١
١٤٢، ١٤٩، ١٧١، ٢٠٣، ٢٢٩	١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٦، ١٧٩
٢٣١، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٤٢، ٣٥٨	٢٠٦، ٢١٨، ٢١٩، ٢٣٣
٣٦٩، ٣٧٢، ٣٧٨، ٣٧٨، ٣٩٣	بنو جُشم: ٢٣٩
٤٤٩	بنو جُماعة: ٢٢
بنو الخياط: ١٣٩، ١٣٦	الحيّاري: ١٧٣
آل خير: ٣٤٤	بنو الحارث: ٢٤٥، ١٩٩، ٥٠
الداؤدي: ٢٢٥	حاشد: ٩، ١٠، ٣٧، ٤٢، ١١٩
الدواسر: ١٩٠	١٢٢، ١٢٨، ١٣١، ١٣٤، ١٣٦
بنو الديلمي: ٣٨٢	١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٦٠، ١٦١
أهل الذمة: ١٣	١٧٠، ١٩٨، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٨
آل أبي راس: ١٨١، ١٨٠	٢١٠، ٢١٩، ٢٤١، ٢٤٥، ٣٠٧
بنو الرصاص: ٣٩٩	٣١٧، ٣٣٥، ٣٤٢، ٣٤٧، ٣٧٨
الروس: ٤٣٥، ١٢٨	٣٨٦، ٣٨٧، ٣٩٤، ٣٩٥
رُفيدة: ١٨٩	بنو حسن: ٢١٦
الزرائيق: ٣٢٤، ٦٨	حراز: ١٣٩
الزرائيق الشامي: ٣٢٣	حشيش: ٥٠
الزرائيق اليماني: ٣٢٣	بنو الحمادي: ١٣٦، ١٣٠، ١٢٠
زهران: ٣٤٤	حميقان: ٣٩٨
السادة: ٦٥، ٦٤، ٥٤، ٢١، ١٣، ١٢	الحواشب: ٣٣٧، ٣٣٦، ٢٥٨، ١٥٢
٩٢، ٩٤، ٩٥، ١٤٠، ٢٠٥، ٢٣٠	٣٣٩، ٤٣٩
٢٣٤	بنو الحوت: ٢١٦

بنو أبي الضيف: ٢٠٢	السادة القاسميون: ٨٩
الطاهرية: ٣٤٤	سحام: ٣٦٩
الطليان: ٢٥، ٢٧١، ٣٥٤، ٣٩٣،	آل سرحان: ٣٤٣
٤٣٨، ٤٣٥	بنو سعد: ١١٧، ١١٩، ١٢٠، ١٧٠،
بنو عبد: ١٤٩، ٣٠٧	١٢٩، ١٣٠، ١٣٦، ١٣٩، ١٧٢،
أهل عبد الله: ٢٢٩	٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢،
بنو العبدلي: ٢٦، ٤٤	٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٣٥٩
عَبَس: ٣٤٣، ٤٠٩	بنو سعود: ٢٩، ٢٠٨
بنو عثمان (العثمانيون): ٢٨، ٢٩،	آل السلاسل: ٣٤٣
٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٨، ٤٤، ٤٥، ٥٤،	سنحان: ٥٠، ١٣٦، ١٣٨، ٢٤٥، ٣٨٨،
٥٥، ٥٨، ٥٩، ٧٥، ٧٨، ٨٢، ٨٦،	السنة: ٤٤٨
٨٧، ٨٩، ٩٣، ١٠٨، ١١٨، ١٨٠،	الشاذلية: ٩١
١٨٨، ١٩٣، ٢٤٥، ٢٧٠، ٣٥٥،	الشاعري: ١٤٣
٣٩٣، ٤١٥، ٤٣٠، ٤٣١	الشافعية: ٩١
أشراف أبي عريش: ١١٩	بنو شرعب: ١٢٦، ٢١٦
آل العطعوط: ٤٢١	أهل الشطارة: ٩٨
بنو العقاب: ٨٢	بنو الشويشي: ١٢٠
العلوي: ١٤٩	الشيعة: ٤٤٨
بنو علي: ١١٩، ٢٤٧	بنو صريم: ٣٤٢
العناق: ٢٢٦	بنو الضبيبي: ٢٠٢
عَنَس: ١٥٤، ٤٤٩	الضالع: ١٤٤، ١٤٥، ١٤٨، ١٥٠،
بنو عمر: ٢٢١	١٥١، ١٥٢، ١٦٨، ١٩٧، ٢٢٦،
عمد: ٣٤٣	٢٢٨، ٢٢٩، ٣٠٥، ٣٠٧، ٣٠٩،
عواض: ٣٤٤	٤٣٩

بنو عيسى: ٤١	الكرُد: ١٣٦
آل غنيم: ٣٤٥، ٣٤٣	مجري: ٥٥
الغورية: ٢٨	آل محسن يزيد: ٢٢٠
ذو غيلان: ٢١١، ٢١٧	بنو مروان: ٢٥
الفرقة الجعفرية: ٤٤٨	المسارحة: ١٧٠، ١٧٩
الفرقة العمرية: ٤٤٨	المعاصلة: ٧٦، ٩٩، ١٧٢
الفرنج: ٢٥، ٢٨، ٣١، ٥٠	المفالحة: ٢٢٥
١٧٥، ٥٤، ٥٧، ٦١، ٩٤، ١١٨، ١٥١	المكارمة: ١٧٥
١٩٠، ١٩٢، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٧٠	الملاجم: ٣٤٥، ٤٥٠
٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٣٣٦، ٣٣٧	آل منصور: ٣٤٥، ٤٥٠
٣٣٨، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٧، ٤٣١	أهل الوسطة: ٢٢٥
٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٧، ٤٣٨	بنو ميمون: ١٢
٤٣٩، ٤٤٥، ٤٤٦	بنو ناحت: ٢٠٣
بنو القانص: ١٧٨	ذو ناعم: ٣٤٥
الْقَحْرِي: ١١٨، ١٢٤، ١٢٥، ١٣٠	النصارى: ٢٥، ٣٢، ٥٨، ١٢٩، ٢٢٤
١٣٦، ١٣٧، ١٤١، ١٧٠، ١٧١	٢٢٦، ٢٤٨، ٣٠٨، ٣١٧، ٣١٨
١٧٢، ٢١٨، ٤٤٧	٣٥٥، ٣٥٨، ٣٧٥، ٣٩١، ٣٩٢
قحطان: ١١٨، ١٩٠	٣٩٤، ٤١١
القرادع (القرداع): ١٣٠، ٢٠٩، ٢١٠	آل النعمي: ٢٤٢، ٢٤٣
قروي: ٣٦٩	بنو النور: ٧٧
القبط: ٤٣٣	بنو النويرة: ٢٤١
بنو قُطَيْب: ١٥١	بيت النهاري: ١٤
القوازعة: ١٢٠، ١٣٠، ١٤٨، ١٥٠	نهم: ٣٧، ٨٠، ١٢٢، ١٤٩٠
بنو قَيْس: ٤٤١	همْدَان: ٢١٢، ٢٣٨، ٢٤٠، ٣٨٧

هندي : ٢٩١

الهدوية : ٢٣٨

بنو الوزير : ٣٧٦

يام : ١٩٠ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٦٩ ، ٤٢٢

يافع : ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ٢٢٤

٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٤٣٩

يهود : ١٩٤

الأعلام الجغرافية

أضنة: ١٩٣، ٢٧٢	(المدن، البلدان، الأمصار، الجبال، الأنهار
أفيون قره حصار: ٢٧١، ٣٥٣	وغيرها)
الأكاحلة: ٢٤٩، ٣٣٨	آيدين: ٢٧٠
أكمة: ٣٣٨	إب: ٣٣، ٣٨، ٤٢، ٦١، ٦٥، ٧١
أكمة خليفة: ١٧١، ١٧٩، ٢١٩	٧٣، ٧٥، ٨٢، ٨٣، ٨٨، ١٥٧
أكمة شيبان: ١٧٢، ١٧٣	١٦٧، ٢٢٣، ٢٢٤، ٣٢٤
أكمة عاصم: ١٧٣	أبها: ١٨٩، ٣٥٣
أكمة النميصان: ٣٥٨	أبين: ٣١٠، ٤٣٠، ٤٣٩
ألمانيا: ٢٥	الأحكوم: ٢٤١
الليث: ٤٤٤	أدرنة: ١٩٣، ٢٧٠، ٣٥٤
أمريقا: ٢٥، ٣١٧	أذرع: ٣٩٧، ٤١٢، ٤١٣، ٤٤٣
أندلس: ١٠٦، ٤٣٨	أردن: ١٩٤
أناضول: ١٩٢، ١٩٣، ٢٧٠، ٢٧٢،	أرضة: ٢٢٨
٣٥٤، ٣٥٣	أريحا: ٣١
أنطاكية: ٢٧٢	إزمير: ١٩٣، ٢٧٠
أنقرة: ١٩٣، ٢٧٠، ٢٧٢، ٣٥٤، ٣٥٥	أسبانيا: ٤٣٨
الأهنوم: ٢٢، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٠٩،	استانبول (الاستانة)، القسطنطينية:
٢٣٠، ٢٣٢، ٣٧٤	٢٦، ٤٥، ٥٤، ٥٥، ٦١، ٦٣،
أوروبا: ٣١٧، ٣١٩، ٣٥٥	١٩٣، ١٩٤، ٢٧٠، ٣٥٤، ٤٢٢
أستراليا: ٤٣٨	أسكدار: ٦٣
إيطاليا: ٣٥٥	إسكى شهر: ٢٧١، ٣٥٣
باب الثلوث: ٢٠٠	أسلم: ٤٠٩
باب العين: ١٣٤، ١٣٥	الأشبوط: ٢٥١، ٢٥٢

باب القارة: ١٣٤، ١٣٦، ١٣٧	٤١٧، ٣٩٤، ٣٨٠
باب القاع: ١٢٦	برقة: ٤٣٥
باب المحيام: ١٢٦	بروسة: ٢٧٠
باب المنذب: ٩٤، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨	بريم: ٩٤، ٤٣٩
٤٣٩	بر اليمين: ٦٣
باجل: ١١٨، ١١٩، ١٢٤، ١٧٠	بُستان: ٥٠، ٨٠، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢
١٧٢، ١٨٠، ١٩٦، ٢٠٤، ٢١٤	١٧٦، ١٩٥، ٢٩٠، ٣٦١
٢٣٣، ٢٣٤، ٣٢٣، ٣٩٦، ٣٩٧	بستان المتوكل: ٢٣٢، ٣٦١
٣٩٨، ٤٤٦، ٤٤٧	البصرة: ١٩٢
بادية الشام: ١٩٤	بعدان: ٤٢، ٦٦، ٧٩، ١٩٢، ٢٢٦
باقم: ١٠٩	٤٤٩، ٢٦٩
البحر الأبيض المتوسط: ٢٩	البكرة: ٤١٣
البحر الأحمر: ٢٩، ٣٠، ٥٥، ٧٨	بيت إبراهيم أحمد: ٢١٢، ٢١٣
البحر الرومي: ٢٩، ٦٣، ٤٣٩	٢١٨، ٢١٩، ٢٣٣
بحر القلزم: ٢٩	بيت أحمد: ٢١٤
بحر مرمرية: ٢٦	بيت أنعم: ٢٣٩
البحرين: ٢٩	بيت الحداد: ١٤٢
البيح: ١٣٤، ١٣٥	بيت الذيب: ٢٤٥
بحيرة طبرية: ٣١	بيت شمّران: ١٧٢
بخارى: ٤٣٥	بيت الفقيه ابن عجيل: ٣٢٤، ١١٤
بدر: ١٩٠، ٢٣١	٣٥٦
بُرع: ١٢٤، ١٢٦، ١٢٨، ١٤٠، ١٤١	بيت القابلي: ١٢٥، ١٤٢، ١٤٣
١٦٨، ١٧٠، ١٩٥، ٢٠٩، ٢١٠	٢١٥، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨١
٢١٥، ٣١٢، ٣٢٢، ٣٧٨، ٣٧٩	بيت الله الحرام: ٢٨

٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢١٧، ٢٢٠،	بيت المزايدة: ٢١٣
٢٣٤، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٨٥، ٣١٤،	بيت المشرقى: ١٣٣، ١٣٩، ٢٠٨،
٣١٥، ٣١٧، ٣٥٦، ٣٥٩، ٣٨٠،	٢٠٩، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٩،
٣٩٠، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٧،	بيت المقدس: ٣١، ١٩٤،
٤٠٢، ٤١٢، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٣،	بيت المنامة: ١٤١، ١٤٢، ٣٧٩،
تُهامة الشام: ١٢٩، ١٣٧، ٣٩٢،	بئر الجامع الكبير: ٢٣٥،
تُهامة اليمن: ١٢٩،	بئر العَرب: ٣٧، ٦٤، ٦٩، ١٦٣،
تونس: ٤٣٥،	٣١٧، ٣١٨،
ثُلا: ٣١٥،	البيضاء: ٢٠١، ٣٤٦، ٣٩٨،
الجابون: ٢٥،	بيروت: ٣٢، ٦٣،
الجامع الأزهر: ٣٩٢،	تراقيا: ٣٥٤،
جامع الرُوضة: ٢١،	تربة: ٤٢٢،
الجامع الكبير صنعاء: ٣٧، ٦٣، ٢٣٥،	تركستان: ٤٣٥،
٣١٩، ٣٧١،	تعز: ١٩، ٣٨، ٤١، ٤٢، ٦٠، ٦١،
جامع كُحلان: ٢٤٥،	٦٢، ٦٥، ٦٦، ٨٣، ٨٥، ٨٨،
جاوا: ٤٣٨،	٩٢، ٩٥، ١٢٣، ١٥٤، ١٥٦،
الجاهلي: ٢٨٢،	١٥٨، ١٦٦، ١٦٧، ٢٤٢، ٢٤٨،
الجبى: ٦٨، ١٩٦، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠،	٢٤٩، ٢٥٥، ٢٥٨، ٣١٤، ٣٢٤،
٢٠١، ٢٠٢، ٣١٣، ٣٨٢،	٣٢٤، ٣٣٥، ٣٣٩، ٣٧١،
جبل بُرع: ٦٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٩،	٣٨٣، ٣٨٤، ٤٣٥، ٤٢٩،
٢١٨، ٣٧٨،	تُهامة: ٤٥، ٤٦، ٥٤، ٦٨، ٨٢، ١٠٠،
جبل جُحاف: ١٤٥،	١١٩، ١٢٠، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٧،
جبل جِراش: ١٤١، ١٤٢،	١٢٨، ١٣١، ١٣٥، ١٣٧، ١٦٠،
جبل حبشي: ٨٧، ٩٠، ٢٥٣، ٣٣٧،	١٦٢، ١٦٨، ١٧٧، ١٧٩، ١٩٩،

جبل بني غراف: ١٧٨	٣٣٨
جبل العقاب: ٨٢	جبل حبيش: ١٤٥
جبل عيال يزيد: ١٠، ١٤، ١٤٢،	جبل حرير: ١٤٥، ١٤٦، ١٥١، ٢٢٦
٤٠٢، ٣٧٨، ٢٠٦، ١٤٩	جبل الحُشا: ١٦٥
جبل اللوز: ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢،	جبل حقلة: ٣٠٦، ٣٠٨
٣٧٤، ٣٧٦	جبل الخضراء: ٣٠٥
جبل مَدَوَل: ١١٥، ١١٧، ١١٩، ٢٠٨،	جبل دُبَّاس: ٧٧
جبل المقاطرة: ٢٤٨	جبل راس: ٧٧، ٩٣، ١٥٥، ١٦٧،
جبل مَلْحَانَ: ١١٩، ١٢٩	٣٨٣
جل منيف: ٢٥٤	جبل رَدْفَان: ١٤٩، ٣٠٨، ٣١٠
جبل ودنة: ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨،	جبل الرديف: ٣٠٦
جبل يابس: ١٣٤	جبل رَيْمَةَ: ١١٣، ١٦٧، ١٩٥، ٣٠٢
جَبَلَةُ: ١٦٧، ١٦٨، ٢٢٣	جبل الزَّعْلَا: ٢١٦
الجبلين: ٩١، ٩٢	جبل سُوَيْد: ١٣٤
جُبَيْن: ٤٧، ٢٢٦، ٢٢٨، ٤٢٦	جبل الشرق: ٣٢٢
جُبَيْن: ٤١٢	جبل الشَّرْقِي: ١٣٦
جحاف: ١٥٢	جبل شَمْسَانَ: ٢٨٢
جُدَّة: ٣٠، ٢٩٦، ٣١٨	جبل صَبْر: ٨٧، ٩٥، ٩٦، ١٥٦،
جديلة: ٣٧٨	١٥٩، ١٦٧، ٢٨١، ٣١٤
الجرن: ١٤٢	جبل صَعْفَانَ: ٤٣
الجرواح: ١٧٢، ١٧٥	جبل طارق: ٤٣٨
الجزائر: ٤٣٥	جبل الطرف: ١٣٣، ١٣٩
جزيرة العرب: ٢٨، ٥٠	جبل الطرواح: ١٣٠، ١٣٦
الجعفرية: ٦٨، ١١٣، ١١٤، ٣١٢،	جبل بني عبد الرحمن: ١١٧

الجليلة: ١٥٢، ١٥١، ١٤٣	٢٨٤، ٢٨٠، ٢٧٩، ٢٥٦، ٢٥٣
الجُمَام: ٢١٦، ١٩٦	٣٨٣، ٣٣٣، ٢٨٥
الجمجمة: ١٣٦، ١٣٠، ١٢٠	حجور: ٤٠٩، ٣٥٩، ١١٢
جمعة المسخن: ٢١٦، ٢١٥	حجور الشام: ١١١، ٢٣
جناق قلعة: ٢٦	حجور اليمن: ١١٢
الجميمة: ٤٠٨	الحَجَّيْلَة: ٤٣، ١٤١، ١٧٦، ٢٠٦
الجند: ٩٤	٢١٩، ٢١٠
جيبوتي: ٤٣٨، ٣٦٨، ٩٤، ٧٨	الحدأ: ٤٠، ٤١، ٧٢، ١١٢، ١١٧
جيزان: ٣١٤، ٢٠٤، ١٧٢، ١٣١	٢٠٠، ٢٠١، ٣٧٤، ٣٧٨، ٤٤٢
٤٤٤، ٤١٩، ٣٩٧، ٣٩٣، ٣٥٦	٤٤٣
جهران: ٧٠	الحُدَيْدَة: ٤٦، ٥٠، ٦١، ٦٣، ٧٨
حارة الأبهر: ٢٣٦	٩٩، ١١٢، ١١٨، ١٢٤، ٣١٤
حارة الجامع: ٧٦	٤٤٧، ٤٤٦، ٣١٩
حائل: ٤٢٢	حَرَّاز: ٢٤، ٣٥، ٣٦، ٤٣، ٦٠، ٧١
حبس شُهارة: ١١	١١٦، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٩
حُبَيْش: ٣٩، ٧١، ٧٢، ٧٩، ٨٠، ٨١	١٦٩، ١٧١، ١٧٣، ١٧٧، ٢٠٥
٤٤٩، ٢٢٤، ٩١، ٨٨، ٨٣، ٨٢	٢٠٦، ٢١٠، ٣٩٤
الحجَّاز: ٣٠٢، ٣٠٠، ١٥٣، ٢٨	الحُشا: ٨٩
٤٢٢، ٤٢١، ٣٠٣	حصن أعتام: ١٧١
حَجَّة: ١٦١، ١٦٠، ١٠٩، ٢٤، ٢٠	حصن أعفاد: ١٧٣
٤٠٨، ٣٥٩، ٣٥٨، ٣٤٧، ٣٢٢	حصن التميدني: ٢٨٤، ٢٨٣، ٢٨٢
٤٠٩	حصن حالين: ١٥٠
الحَجْرِيَّة: ٩٦، ٩٠، ٨٩، ٤٨، ٣٩	حصن حب: ٤٢
٢٥١، ٢٤٩، ٢٤٨، ٢٤٧، ١٥٩	حصن حماطه: ١٣٦، ١٣٥

- حصن عقّار: ٣٤٤
حصن اللّيم: ٢٨٣، ٢٨٢
حصن عيال إبراهيم: ٨٢
حصن موت: ٣٩٩، ٤٣٩، ٢٩
الحَصْن: ٢١٦، ٢١٥
حُفّاش: ١٢١، ١٢٠، ١١٩، ١١٤،
٤٤٣، ٤٤١، ٤٤٠، ٤١٣، ١٦٤
حلب: ٢٧٢، ٣٢
حمّاطة: ٢٣٣
حُمَر: ٢٥٧
الحُمرة: ١٣٩، ١٣٢، ١٣١، ١١٩
حمص: ٣٢
الحَنَكَة: ٢١٩، ٢٠٧، ٢٠٦
الحوري: ١٨١
حَيْس: ٢٢٤، ١٦٤، ٩٣، ٧٨، ٧٧
٣١٣
الحَيْمَة: ١٢٦، ١١٧، ١١٦، ١٠٩،
١٣٨، ١٣٦، ١٣٤، ١٣٢، ١٣٠،
١٧٣، ١٤٣، ١٤٢، ١٤١، ١٣٩
٢٠٩، ٢٠٨، ٢٠٦، ١٧٩، ١٧٤
٣٧٩، ٢٣٥، ٢١٩، ٢١٣، ٢١٠
الخَبْت: ١٣٥، ١٢٨، ١٢٧، ١٢٦
٣٩٨، ٣٧٩، ٣٠٩، ٢٤٠، ٢١٤
٤٤٢، ٤٤٠
- حصن بني الخُزاعي: ١٤١
حصن الرُّكَب: ١٥٥
حصن الزعلا: ٢١٠
حصن السنارة: ٢٤٤
حصن شبام: ٤٣.
حصن شُكع: ١٤٧.
حصن شلول: ١٣٩
حصن غراس: ٢٠٦، ١٧٠
حصن القاهرة: ١٧٥، ١٧٢، ١٧١،
٤٥٠، ١٧٦
حصن قرن الملح: ٣٤١
حصن كُحلان تاج الدين: ٢٤٤
حصن كحلان الشرف: ٢٤٣
حصن متوّح: ١٧١
حصن مَدوَل: ٢٠٨
حصن مسار: ١٧٢
حصن مسعود: ٢٠٢
حصن مشحم: ٢٠٢
حصن المعفاري: ١٥٢
حصن المقفل: ١٣٩، ١٣٢، ١٣١
حصن النّامة: ٣٨١، ٣٧٩، ٢١٧، ٢١٥
حصن نعمان: ١٦١
حصن الهادي: ٢٠٩، ١٤٠، ١٣٩
حصن شاهر: ٢٥٠

دمشق: ٣٠، ٣١، ٣٢، ١٩٠، ٤٤٥	خداد دوندكار: ٢٧٠
الدهمشة: ٢٥٢	خَدِير: ٢٥٣
دهو الدار: ٢٣٣	خراسان: ٢٢٣
ذاهبة: ٣٤٣	الخزفار: ٣٨٣
ذباب: ٤٣٨، ٤٣٧	الخضري: ٤٠٠
الذباح: ١٧٩	خليج السويس: ٢٩، ٤٣٣
ذرحان: ٢١٦	خليج القسطنطينية: ١٩٣
ذَمَّار: ٢٠، ٢٤، ٣٣، ٣٦، ٤٨، ٦١،	خَمْرٍ: ٨، ٩، ١٠
٨٩، ٩٠، ٩٥، ١٠٨، ١٦٥، ٢٢٤،	خميس المخروط: ١١٩، ١٢٠
٣٢٩، ٣٤١، ٣٨٢، ٤٤٨، ٤٤٩	خُمَيْس مذيور: ٦٠
ذي جِبَلَة: ٦٦	خوخة: ٧٨
ذي سفال: ٩٤، ١٨٠، ١٨١،	دار الأدب: ١٦٠، ١٦١، ٢٢١، ٣٧٧،
ذي شراق: ١٨٠	٣٨٤
رازح: ٢٢، ١٠٩	دار الاعتقال: ٢٢١، ٢٤٠، ٣٤٠
الرايس: ٢٠٨	دار الصنائع: ٦٤
رايم: ٢٠٨، ٢١٢	دار العز: ٣٦٠
رجال المع: ٣٥٦	دار الفتوح: ١٦٣
الرحبة: ١١٥	دار النصر: ٣٨٤
رداع: ٧١، ٩٧، ٢٢٠، ٣٣٩، ٣٤١،	الدنَّ: ٧٥
٣٤٢، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٦٨، ٣٩٨،	الدُّرعية: ٤٢٢
٣٩٩، ٤١١، ٤٥٠	الدُّرَيْجَة: ٣٣٧
رِدْفَان: ٢٢٩، ٣٠٩	دَعَان: ١٠، ١١
رقاب: ١٢٥، ١٢٦، ١٢٨، ١٢٩،	دعوة: ٢٠٧
١٤٠، ١٤٢	دَمَّت: ٣٣٩، ٣٤٠

الزُهيريّة: ٣٤٥، ٣٤٤	الرُّكْب: ١٥٥، ١٥٤، ١٥٣
الزَيْديّة: ٣٩٦، ١١٢	الرَّوْضَة: ٣٥، ٢٢، ٢١، ١٩، ١٣، ١١
الزَيْلَة: ٣٣٥	٢٨٥، ٢٧٣، ٢٤٥، ١٩٥، ١٨٤
ساقين: ١١٠	٤٣٥، ٣٧٨، ٣٥٩، ٣٥٨، ٣٥٦
سبّنة: ٤٣٩، ٤٣٨	٤٤٤
سبّرة: ١٦٥	الرياض: ٤٤٦، ١٨٩
سدوان: ٤٢٩	رِيَّانُه: ٧٧
سدوان الأسفل: ٤١٨	رَيْدَة: ٣٨٨
سدوان الأعلى: ٤١٨	رَيْمَة: ١٩٨، ١٦٨، ٦٨، ٦٧، ٦٦
السّرّ: ٣٧٦، ٣٧٢، ٣٧١، ٣٧٠	٢١٦، ٢١٥، ٢٠٤، ٢٠١، ١٩٩
السَّلْفِيَّة: ٣٨٢، ١٩٨، ١١٣	٣١٣، ٣١١، ٣١٠، ٢١٨، ٢١٧
سُمارة: ٣٨٣	٣٩٤، ٣٨٢، ٣٨١، ٣٧٨، ٣٤٧
سَمهر: ٢١٢، ١٣٨، ١٣٦، ١٣١	الزاهر: ٢١١
٢٣٣، ٢٢٠، ٢١٩	زبيد: ٧٧، ٧٦، ٧٥، ٧٣، ٣٣، ١٩
السنارة: ٢٤٤	١٥٤، ١٥٣، ١٠٠، ٩٩، ٩٤، ٧٩
سهام: ١٣٨	٢٢٣، ١٦٧، ١٥٦، ١٥٦، ١٥٥
السُّهْمَان: ٣٦٩	٣٥٦، ٣٢٣، ٣١٣، ٢٢٤
السُّوَادِيّة: ٣٤٦، ٣٤٣، ٣٤١، ٢٢٠	زَرَاجَة: ١١٢
٤١٢، ٤١١، ٣٩٩، ٣٩٨، ٣٦٩	الزَّرِيْقَة: ٢٨٥، ٢٢، ٢٥١
٤٥٠، ٤٤٩	الزعازع: ٢٨٥، ٢٥٢، ٢٥١
السودان: ٤٣٤، ٤٣٣	الزَعْلَا: ٢١٢، ٢٠٨، ١٧٥، ١٣٦
السُّوْدَة: ١٤٤، ٦٩، ٢٣، ١٠، ٩، ٨	٢١٩، ٢١٥، ٢١٣
سور صنعاء: ٥١	الزعيمة: ٢٥٢، ٢٥١
سوق وادي حار: ١١٥	الزهرة: ٤٥

٤٤١، ٤٤٠	سيفر: ١٩٢
الصفافية: ٢٠٦	الشامة: ١٩٦
صبر: ٢٥٨، ٨٦	الشام: ٢٨، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٢٦٩
صباح: ٣٣٩، ٣٤٠	٢٧٣، ٢٦٩، ١٩١، ٣٤
صَبِيَا: ٢٤، ١١٢، ٣٥٦، ٣٩٠، ٣٩١	٤٣٥، ٣١٨، ٣١٧
٤٤٤، ٣٩٣	شيام: ٣٥٩، ٣١١
الصَّبِيْحَة: ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧	الشحر: ٢٩
٣٣٩	الشيخ سعيد: ٤٣٦، ٤٣٨
صَعْدَة: ٢٢، ١٠٩، ٢٢٩، ٢٣٢	شرف الجاهلي: ٢٥٢
٤١٨، ٣٩٣، ٣٤٦، ٢٧٣	شَرْجَب: ٢٥٢
صَعْفَان: ٧١، ١١٥، ١١٦، ١١٧	شرعب: ٨٦، ٩٤، ٩٦، ١٦٥، ١٦٧
١٦٤، ١٦٣، ١٤١، ١٤٠، ١٣٩	الشرف: ١٣١، ١٣٦، ٢٤٢
١٧٦، ١٧٥، ١٧٢، ١٧٠، ١٦٩	الشرف الأعلى: ١٧٢، ١٧٣
٢٠٦، ١٩٥، ١٨٠، ١٧٩، ١٧٧	الشرفين: ٢٣، ١١٢، ٢٤٣، ٣٤٧
٢٣٣، ٢١٨، ٢١٠، ٢٠٩	الشرق الأقصى: ٢٥، ٩٤، ٤٣٨
صعيد: ٣٩٢، ٣٩١	الشطبة: ١٢٦، ١٢٧، ١٢٩، ٢٠٩
صُهَبَان: ٨٩	٣٨٠، ٢١٧
صنعاء: ١٣، ١٨، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٤	الشعر: ٢٢٦، ٣٠٩
٤٤، ٤٠، ٣٨، ٣٧، ٣٦، ٣٤، ٣٣	الشُعَيْب: ١٢٢، ١٤٦، ١٤٨، ١٥٠
٦١، ٦٠، ٥٦، ٥٥، ٥٠، ٤٦، ٤٥	١٧٢، ١٧٥، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧
١٠٦، ٨٠، ٧٠، ٦٧، ٦٣، ٦٢	٢٢٨
١٦٥، ١٥٩، ١٢٦، ١٢٥، ١٠٨	شهاره: ٦٩، ١١٠، ١٦١، ١٦٢
٢٣٩، ٢٣٨، ٢٣٥، ٢٠٥، ١٧٦	بني شهر: ٤١٨
٣٥٨، ٣٢٥، ٣٢٤، ٢٩٦، ٢٤٥	شويح: ١١٦، ١٣٨، ١٦٩، ٢٠٩

٢٠٩، ٢٠٨	٣٨٤، ٣٧٤، ٣٧٠، ٣٦٩، ٣٦٨
العاقبة: ١٢٣، ١٢٢	٤١٦، ٣٨٧
عُبال: ١٣٤، ١٣١، ١٢٩، ١٢٧	صنمات: ١٥٦
١٣٩، ١٣٨، ١٣٧، ١٣٦، ١٣٥	الصوالحة: ٢٥٥، ٢٥٤
٢١٧، ٢١٢، ٢٠٩، ١٩٦، ١٤٠	صور: ٣٢
٢٢٠، ٢١٨	صيدا: ٣٢
العَبَسِيَّة: ١٢٧	الصين: ٤٣٨، ٩٤
عُتْمَة: ١٩٨، ١٥٤، ٧٤، ٤٨	الضامر: ٢١٠، ٢٠٦
عَدَن: ٥٠، ٤٦، ٤٤، ٣٣، ٢٩، ٢٧	الضحى: ٣٩٧
١١٢، ٩٤، ٨٢، ٦٦، ٦٥، ٦٤	ضُلاع: ٢٣٩
٢٥٩، ٢٥٨، ٢٢٤، ١٥١، ١٤٤	ضوران: ٣٨٢، ٣١٢
٣١٤، ٢٩٦، ٢٩١، ٢٩٠، ٢٨٤	طرابس: ٣٢
٣٥٨، ٤٤٧، ٣٣٧، ٣٣٦	طرابلس الغرب: ٤٣٥، ٣٩٣
العُدَيْن: ٩٢، ٩١، ٨٦، ٨١، ٤٢، ٣٩	الطَّرَف: ١١٩، ١١٨، ١١٧، ١١٥
١٥٩، ١٥٤، ١٢٣، ١١٢، ٩٣	٢١٨، ٢٠٩، ١٨٠، ١٧٠، ١٣١
٣٢٩، ٢٨٢، ٢٥٥، ٢٥٣، ٢٢٤	الطَّعَام: ٢١٥، ١٩٦، ١٩٥، ١٦٧
٤٣٩، ٤٣٦، ٣٨٣، ٣٣٥	٣١٢، ٣١١، ٢٧٣، ٢١٨، ٢١٦
العَر: ١٣٧، ١٣٤، ١٣٣، ١٣٢، ١١٦	٣٧٨
١٧٤، ١٧٣، ١٤١، ١٤٠، ١٣٩	الطفة: ٣٤٥، ٣٤٤، ٣٤٣
٢١٠، ٢٠٨، ٢٠٦، ٢٠٥، ١٧٥	بنو الطَّلِيَّي: ٢٤١، ٢٤٠، ٢٠٣
٢٣٥، ٢٢٠، ٢١٤، ٢١٣	الظاهر: ٤٤٣، ٤٤٢، ٤١٣، ٤١٢
العراق: ٤٢٢، ٢٦٩، ١٩٢، ٣٤، ٢٨	ظلمة: ٨٢، ٨١، ٧٣
٤٣٥، ٤٢٣	ظُلَيْمَة: ٢٠٩، ٢٠٦، ١١٠
العَرش: ٤٤٩	العارضة: ٢٠٧، ١٧٢، ١٧٠، ١٣١

العريش: ٣١	الغولة: ٢٤٥
أبو عريش: ٢٤، ١١٢، ٣٩٢، ٣٩٣	غيل آل أبي طالب: ٣٥٧
العُرْضِي: ٥١، ٦٦، ٤٤٥	غيل مصطفى: ٣٥٧
عُزلة همدان: ٩٨	غيل المهدي، أحمد بن الحسن: ٣٥٧
عسير: ٣٤، ١٨٩، ٣٥٣، ٣٥٦، ٣٩٢	فاس: ٤٣٥
٣٩٣، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢١، ٤٢٢	فرانسا: ٢٥، ٣١، ٣٤، ٩٤، ١٩٠،
عصب: ٧٨، ٩٤	١٩١، ١٩٣، ٢٧٢، ٣٥٤، ٣٥٨،
عطار: ١٢٦، ١٢٧، ١٢٩، ١٤٢	٤٣٥
٢٠٩، ٢١٧، ٣٨٠	الفرشة: ٣٣٥، ٣٣٦
عَفَّار: ٢٣، ٣٤٣، ٣٤٥	فلسطين: ٣١، ١٩٤
العقبة: ٣٠	الفيوش: ١٧٧
عكا: ٣٠	القاع: ٣٧٩، ٣٨١
عَمَّار: ٨٤، ٢٢٦، ٣٠٩	القاعدة: ٦٥، ٨٨، ٢٨٣
عُمَان: ٢٩	القارة: ١٣٥
عَمْران: ١٢، ٢٤، ٤٨، ٣٨٧، ٣٨٨	القاهرة: ٤٣٠
عينتاب: ٢٧٢	قالي قلا: ١٩٣
العُود: ٢٢٥	القَبِيْطَة: ٢٥٣، ٣٣٣، ٣٣٥
عيال إبراهيم: ٨٢	قرن الملح: ٣٤٠
عيال سُريح: ١٢، ٣٨٦، ٣٨٧	القرون: ١١٧، ١٧٠
العيان: ١٧٦	القصبة: ٢٠٧
العين: ١٣٤	قَعْطِيَة: ٨٤، ٨٥، ٨٩، ١٢٢، ١٤٣،
غدير: ١٨٤	٢٤٢، ٢٢٦
غزة: ٣١	قلعة المقاطرة: ٢٥١، ٣٠٧
غمدان: ٣٥، ٣٦، ٣١٩	قلعة المنصوري: ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٣٩

القماصرة: ٣٩، ٦٥، ٨٩، ٩٦، ١٦٥،	مُبين: ١٦٢
٢٥٧، ٢٤٢، ١٨٠	مَثْنَة: ٦٠
قنال السويس: ٣١	مَثْوَح: ١١٥، ١٦٣، ١٧١، ١٧٢،
القيروان: ٤٣٥، ٢٢١	١٧٨، ١٧٣
قَيْفَة: ٣٣٩	المجر: ٥٥
قَيْهَمَة: ١١٩، ١٣٢، ٤٤٠	محائل: ٣٥٦
كُحلان تاج الدين: ٢٣، ١٦٠	الحويت: ٩٨، ١١٤، ١٦٤، ٤٤١
كُحلان الشرف: ٤٠٨	المحيط الأطلسي: ٤٣٩
كُسْمَة: ٦٨، ١١٣، ١٩٩، ٢٠٤،	المخا: ٢٤، ٨٦، ٩٠، ٩٤، ٩٥، ٣١٣،
٣٨١، ٣١٣، ٣١١	٤٣٩، ٤٣٧، ٤٣٦، ٣١٤
كومان المحرق: ٧٢	المخادر: ٨٠، ١٦٩، ٢٢٤
كوكبان: ٢٠، ٢٤، ١٠٨، ١٦٠،	مخلاف البعدان: ٩٣
٤٤٠، ٣١١	مخلاف بَعْدان: ٢٢٤
الكويت: ٢٩	مخلاف الجند: ٦٥، ٦٦
لحج: ٢٦، ٢٧، ٣٣، ٣٥، ٣٩، ٤٠،	مخلاف الخبت: ٤١٢، ٤٤٣
٤٤، ٥٤، ٥٥، ٦٦، ١٤٤،	مخلاف المزاحن: ٩٣
٢٩٠، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٢٤، ٣٣٤،	مخلاف الشعر: ٨٤
٣٣٧، ٣٣٨، ٣٩٣، ٤٣٦،	مخلاف الشوافي: ٢٢٣
٤٣٩	مخلاف العريش: ٣٤٢، ٤١٢
اللُحْيَة: ٢٤، ٤٥، ٥٧، ٧٨، ١١٢،	مخلاف عَمَّار: ٤١٣، ٤١٤
الليخة: ٢٠٨، ٣٩٢، ٣٩٣،	مخلاف عنس: ٣٤١
لندن: ٢٦٩	مخلاف العود: ٢٣، ٨٤
لؤلؤة: ٢٣٩	مخلاف قَيْهَمَة: ٤٤١
ماوية: ٦٦، ٢٥٧، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩،	المدان: ٢٣٠

المُدجِرة: ٢٥١	المُشِيرِق: ٨١
مَدَوَّل: ١١٦، ١١٧، ١١٩، ١٣١،	مِصر: ٢٨، ٢٩، ١٠٦، ٣٩٢، ٤٢١،
١٣٦، ١٧٠، ١٧٦، ١٨٠، ٢٠٦،	٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤،
٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١١،	مِصوَع: ٢٠٤، ٣١٤،
٢١٢، ٢١٣، ٢١٨، ٢١٩، ٢٣٥،	المِعاِجِلة: ١٧٣،
٣٢١	مِعاَدِن: ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٩،
المِدينة المَنورَة: ٣٠، ٣١،	مِعاَن: ٣٠، ٣١،
مَدَيِّهِن: ١١٧، ١٢٠، ١٣٩، ٢٠٨،	مَعْبِر: ٦١،
٢١٩، ٢٠٩	مِعْرَبَة: ٣٩٥، ٣٩٦،
مِراكَش: ٤٣٥	المِعْمَر: ١٢، ٣٨٧،
المِراوِعة: ٢٣٣	مِغْرِب: ١٧٥، ١٧٩،
المِريا: ١٧٣، ١٧٤،	مِغْرِبَة الخِزَاعِي: ٣٨٠،
المِرزَمَة: ١٧٥، ١٧٦،	المِغْفاَلِيس: ٢٥٣،
مِرْعَش: ٢٧٢	مِفْحَق: ١٢٦،
المِرقوَع: ١٢٠، ١٣١، ١٣٤، ١٣٥،	المِغْلُحِي: ١٤٦،
مُرَيِّس: ٨٥، ١٢٢،	المِقاَطِرة: ٢٤٧، ٢٥١، ٢٥٧، ٢٧٩،
مَسَار: ١٧٢، ١٧٣، ١٩٥،	٢٨٩، ٣٣٣، ٣٣٧،
المِستَشفَى البَلَدِي: ٥٩، ٤١٥،	مَقْبَنَة: ٨٦، ٨٧، ٩٦، ١٦٧، ٣١٤،
المِستَشفَى العِسْكَرِي: ٥٩، ٣٦١، ٤١٥،	المِقْرِبَة: ٢١٩،
مِسْرُوح: ٤٠٩،	المِقْفِع: ٣٨٠،
المِسيْجِد: ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣،	المِقْفَل: ١٣٩،
المِشْنَة: ٢١٩،	مِقْوَارَة عَجَب: ٢٠٨،
المِشْهَد: ٢٢،	المِكاِبِرَة: ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٧٩،
مِشْوَرَة: ٣٤٠،	مِكا: ٣٠، ٢٩٦، ٣٠٠، ٣٥٥، ٣٩١،

نعامة: ١٤٥	٤١٩، ٤١٨
التمسا: ٥٥، ٢٥	المكلا: ٢٩
نهر صقاريا: ٢٧١	ملح: ٤٤٩
بنو نوس: ٤٠٩	ملحان: ٣١٥، ١٢١، ١١٤، ٩٨
هجب: ١٤٢	٣٩٨، ٣٩٧، ٣٩٦، ٣٩٤، ٣١٦
هجرة الصيّد: ٣٨٧	٤٤٣، ٤٤٢، ٤٤٠، ٤١٢
الهند: ٩٤، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٨، ٤٤٨	مناخنة: ١٣٣، ١٧١، ١٧٧، ٢٠٥
هوزان: ١٧٥	٢١٠، ٢٠٩، ٢٠٦
الهويشة: ٢٥٢	المنواب: ٣١٧
وادي تنومة: ٤١٨	موزع: ٣١٤، ٣١٣
وادي حار: ١١٧، ١٤٠، ١٧٦، ٢٠٦	الموصل: ١٩٢
٢١٩، ٢٠٩	ميددي: ٤٤٤، ٢٤٢
وادي الحارث: ١٣٤	الميراب: ٨٧
وادي المرقوع: ١٣٠	الميفع: ٤٤٩
وادي سردد: ١٣٢	نابلس: ٣٢
وادي طفيح: ٣٣٦، ٣٣٥	النبادرة: ١٢٢، ٨٤، ٩، ٤٢، ٢٤
وادي عمد: ٣٤٤	١٥١، ١٤٣
وادي عرافة: ٢١٢	نجد: ٢٩، ١٨٩، ١٩٠، ٢٢٩، ٢٣٠
وادي القصبه: ١٣٠	٤١٨، ٣٥٦، ٣٥٢، ٢٣٢، ٢٣١
وادي المكابرة: ٢٥٤	٤٤٦، ٤٤٥، ٤٢٢، ٤٢١، ٤١٩
وشحة: ٣٦٠	نجران: ٤٣١
وصاب: ١٩٨، ٩٣، ٨٢، ٧٤	النجيشة: ٢٥٥، ٢٥٤
وصاب السافل: ١٥٤، ١٥٣، ٧٣	النشة: ١٤٨
١٦٧، ١٥٥	النظير: ١٠٩

وصاب العالي: ٧٣، ١٥٤

وصابين: ٧٣

وقيد: ٢١٦

اليابان: ٣٥٤

يريم: ٢٠، ٢٣، ٢٤، ٣٣، ٦١، ٤٨،

١٠٨

يزيد الظاهر: ٩

يفرس: ٢٤٩، ٣٣٨

اليمامة: ٤١٨

اليمن: ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٣٣، ٣٤، ٤٥،

٤٦، ٥١، ٥٢، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٩،

٦١، ٧٨، ٨٨، ١٠٩، ٢٧٣، ٢٩٦،

٤١٤، ٤٤٧

اليمن الأسفل: ٣٣، ٦٤، ٧٢، ٨٠،

٨٢، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٦، ١١٢،

٢٥٧، ٣٨٢، ٣٨٣، ٤١٨

اليمن الأعلى: ١١٢، ٤١٨

اليونان: ١٩٣، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٢،

٣٥٣، ٣٥٤

فهرس الشعر

الصفحة	الشاعر	البحر	القافية	
٣٠٣	محمد بن أحمد مطهر	الكامل	حياءُ	نادت علي
٢٦١	أحمد بن صالح الجلال	مجزوء الرمل	الأطايبُ	أيها البدرُ
١٨٣	أحمد بن صالح الجلال	الكامل	ولبابُ	الناس قشر
١٨١	أحمد بن صالح الجلال	الكامل	الرتب	عذبت ذوقاً
٢٢٢	يحيى بن علي الذاري	السريع	غريب	عمري لقد
	المتوكل على الله، يحيى بن محمد			لا ومن
٢٩٣	حميد الدين	الرمل	صبا	
٢٩٤	صالح بن سعد العبادي	الرمل	الزرى	من تثنى
١٨٣	أحمد بن صالح الجلال	الكامل	جوابي	مالي وقفت
١٨١	أحمد بن صالح الجلال	الرمل	ذهب	الجين خالص
٢٧	علي بن أحمد صلاح الدين	الكامل	المهجع	بشرى بإقبال
٣٣١	عبدالكريم بن أحمد مطهر	الطويل	نرجو	سبحان من
٢٣٧	محمد بن عبدالرحمن شرف الدين	المتقارب	الرشاد	إمام الأنام
٢٤٦	محمد بن عبد الرحمن شرف الدين	الطويل	عسجدا	هلال الشهر
٢٨١	علي بن محمد بن أحمد	الطويل	صاغره	تقدم فقد
٣٨٦	مجهول	الطويل	والحبرُ	كذا فليكن
٤٢٤	أحمد بن صالح الجلال	الطويل	يزورُ	سلامٌ علي
١٠١	عبد الكريم بن أحمد مطهر	الطويل	وأدورُ	سريت وبى
١٦٣	علي بن حسين الشامي	الخفيف	الشورورُ	نعمت الدار
٤٢٦	محمد بن يحيى بن محمد الإيراني	الرمل	ناراً	كهربا شوقي
٣٤٩	أحمد بن صالح الجلال	الرمل	ونصيراً	سيدي ما
٣٢٨	علي بن علي اليماني	الرجز	الأشهر	أعقدُ در
٤٠٠	الزئمة	البسيط	حضر	لله درّ

٣٥٠	محمد بن أحمد مطهر	الخفيف	السدير	حد ثاني عن
٤٠٠	يحيى بن علي الذاري	الكامل	الشعر	بمطالع
٢٨٦	عبد الوهاب أحمد بن علي	الطويل	الشكر	نهني جمال
٤٢٣	أحمد بن صالح الجلال	الخفيف	المختار	أتعاني
٣٤٨	أحمد بن صالح الجلال	الخفيف	الأعراس	الإمام الهمام
٣٤٧	أحمد بن صالح الجلال	الخفيف	اقتباسا	حي من
٦	٦		يتضوع	أعد ذكر
٢٧٧	المتوكل على الله يحيى بن محمد	الطويل		أماناً فمن
	حميد الدين		شرعا	
٢٧٧	سيف الإسلام، محمد بن يحيى	الطويل		همام إذا
	بن محمد حميد الدين	الطويل	لما	
٢٧٤	محمد بن يحيى حميد الدين	الطويل	يرعى	نسيم الصبا
١٨٢	أحمد بن صالح الجلال		وأعيا	يا نبي المصطفى
٢٩٦	مجزوء الخفيف المتوكل على الله، يحيى بن محمد			فما بالنا
	حميد الدين	المتقارب	النجف	
٤٠٠	الزئمة	الطويل	الذي وفي	فهاهي بلقيس
٣٢٥	مجهول	جز	ومصطفاه	الحمد لله وصل
٤٠٢	يحيى بن محمد بن يحيى الهادي	الكامل	تنطق	برح الخفاء
٢٦٤	عبد الكريم بن أحمد مطهر	الطويل	التقل	حديث الهوى
٤٢٥	أحمد بن صالح الجلال	الرمل	الطويل	أيها الداعي
١٨٤	عبد الكريم بن أحمد مطهر	الرمل	سلا	قسماً والحب
٢٨٦	إسماعيل بن عبد الرحمن الأكوغ	الطويل	بافضال	إلهي لك الحمد
٢٩٨	الإمام يحيى	الطويل	ثاكل	مغلغلة منشورة
٣٠١	فؤاد الخطيب	الطويل	لعاذل	دعوت وقد
٣٦١	الإمام يحيى	الطويل	جلاله	اعيد بنائي

٣٦٢	عبدالله بن إبراهيم بن الإمام	الطويل	كماله	بناءً بحمد
٢٩١	صالح بن سعد العبادي	الطويل	ومحرم	إلى الركن
٣١٩	عبد الكريم بن أحمد المطهر	المتقارب	الملا	لك الحمد
٤٢٨	الإمام يحيى	البسيط	منتظما	لله ما
٣١٩	قسطنطين يني	الخفيف	الأقواما	هذه حال
٣١٨	قسطنطين يني	الخفيف	الكلاما	اخفض الطرف
٣٢٩	حمود بن محمد	الرجز	العلم	الحمد لله
٣٨٥	أحد ذوي الفطن	الكامل	المبهم	ما زلت تختلب
٣٦١	الإمام يحيى	مجزوء الرمل	الكرامة	إن قصراً
٤١٠	الإمام أحمد بن يحيى	الوافر	لثامه	ابرق لاح
٤٠٩	علي بن عبدالله الوزير	الوافر	السلامة	خذوا لي
٣٦٢	عبدالله بن إبراهيم بن الإمام	الوافر	منيعه	دار العز
٢٧٧	عبدالله بن إبراهيم بن الإمام	المتقارب	المنن	تفرّد بالفخر
١٤	عبد الكريم بن أحمد مطهر	الطويل	وعنوان	مواهب حسن
٣٦٣	سيف الإسلام محمد بن يحيى	الطويل	أغصان	تلاعب في روض
٣٦٦	علي بن محمد العنسي	الطويل	سليمان	ثناء الملك
١٨٢	مجزوء الخفيف أحمد بن صالح الجلال		دانيا	يا كريماً بفضل
٢٨٨	علي بن عبدالله الشامي	البسيط	وألوانا	يا منزل
٢٨٨	علي بن عبدالله الشامي	البسيط	عصيانا	ما للمقاطرة
٢٨٨	إسماعيل بن أحمد الجماعي	البسيط	انسانا	لله در أمير
٣٨٩	لطف بن محمد الزبيري	السريع	وسكانها	إذا اشتكى
٢٦٠	محمد بن عبدالرحمن شرف الدين	الطويل	أشجاني	رويداً بقلب
٢٦٢	مجزوء الكامل أحمد بن صالح الجلال		الأغاني	أضربت عن

مصطلحات حضارية وألفاظ

إجازة: ٥٤	الراتب الشاذلي: ٩١
احتساب: ٣٧٤	ريال: ١٧٧
استقلال: ١٩١، ١٩٢، ٢٦٩، ٤٣١،	الزكاة الباطنة: ٢٢٣
٤٣٣	ساعة فلكية: ٨١
استقلال تام: ٤٣٢	الشركة الزيدية: ٤٤٧
استقلال داخلي: ٤٣٢	الشركة الهندية: ٤٤٨
إدارة عرفية: ٤٣٤	شعبة الطيران: ٣١٨
افتاء: ١٠٨	الشيفرة: ٣٣، ٣٤
بيت المال: ١٠، ٧٩، ١٧٨، ١٧٩،	الصاع: ١٠٧
٣٤٠، ٣١٥، ٢٣٢، ٢٢١	طاغوت: ٤١، ٢٤١
جامكية: ٣١١	الطب: ٥٩
جباية: ١٧١، ١٨٨، ٢٢٤، ٣١١	الطب القديم: ٥٩
جرايات: ٥٨	عقيرة: ٤١، ٦٧، ١٢٧، ١٧٨، ٢١٦،
جريدة: ٣٠٠	٣٨٠
الجمعية العربية: ٤٤٥، ٤٤٦	عكفة (عقفة): ٦٣، ٢٠٧، ٣٦٠
الحماية: ١٩٢، ٤٣٢، ٤٣٣	عمامة: ٩١
فرص الواجبات: ٢٤٠	غرامة: ١٠٠
خزنة: ١١٩، ١٤٣	فن الرمي: ٥٣
داء: ٧١	فن الطب: ٦٠
دواء: ٥٩، ٦٠	قُبُع: ٩١
دائرة التلغراف: ٣٦٠	قراش: ١٢٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٤٤٤
دائرة تعليم الفنون العسكرية: ٣٢٣	قسطار: ٢٣٦
دائرة المحاسبة: ١٦٠، ١٨٨، ٣٦٠، ٣٨٣	قوة اليقتريقية: ٦١، ٦٢

مصطلحات كثيرة الورد

مصطلحات كثيرة الورد	المانخوليا: ٢٣٨
بارود، باروت	المالية: ١٨٨، ٢٢٤، ٢٤٢
بندق	مجلس تدقيق الأحكام: ١٦٦
ذخيرة	مجلس الشيوخ: ٤٣٤
رصاص	مجلس النواب: ٤٣٤
سلاح	المحمل اليمني: ٤٢٢
رامي	مخزن: ٤٣٩
رتبة	معزاب: ١٣٣
بلوك: ٥٢، ٦٤، ١٣٢، ١٥٨، ١٥٩، ١٧٣، ٣٠٦، ٣٠٧	معمل: ٥٦، ٥٨، ٦٤، ٤١٤، ٤١٦، ٤١٧
جبخانة: ٩٠، ١٣٤، ٢٠٦	مكتب تعليم التلغراف: ٦٣
ذميت: ٢٢٥	مكتب تعليم الرمي: ٣٢٣
رهينة: ١٠، ٧٥، ٨٥، ٩٢، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ١١٦، ١١٩، ١٢١، ١٢٢	مكتب حربي: ٣٢٣، ٥٤
١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٨، ١٥٠، ١٧٢، ٢٢٩، ٢٨٠، ٣٢٣، ٣٤٦	ملكي (مدني): ١٢
٣٦٠، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٤١، ٤٥٠	منهل: ٢٣٦
زانة: ٨٠، ٨٦، ٩٥، ٩٦، ١٢٨، ٢١٨	ميل: ٥٣
سرية: ١٧٤	النفير: ٥٣، ١٥٩، ٢١٣
طابور: ٥١، ٥٢، ٦٣، ٦٤، ١٥٨، ٣٧٠، ٣٥٩	نقد: ٣٥٧
طبجية: ٥٣، ٦٤، ١٧٢، ٣٤٦	واجبات: ٨٥، ١١٥، ١١٦، ١٢١، ١٥٦، ١٦٠، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٢٤
عنوة: ١٧٣، ٢٠١، ٢١٣	٣٦٨، ٣٤٧، ٣٧٠، ٣٧٦، ٣٨٣

آلات وأدوات

فيلق: ١٥٩، ٥١	بوق: ٦٣، ٥٣
قابسون: ٥٧، ٥٥	تلغراف: ٣٣، ٣٥، ٦٠، ٦١، ١٧٤،
قلعة: ٧٦، ٢٩	٣٦١، ٣٤١
قُلَّة: ٣٣٨، ٢٥٥، ٥٧، ٥٦، ٥٤	تلغراف لاسلكي: ٦٢
٤٣٨، ٤١٤	التنك: ٤١٧
كمين: ١٤٢	حديد: ٢٧١، ٥٦، ٣١، ٢٥
متر اليوز: ٢٧١، ٢١٩، ٢٠٩	خنجر: ٣٧٣
مدفع: كثير الورود	دفتر: ١٦٠
مدفع الأبوس: ١٦١	ذراع: ٣٤٥
مدفع انجليزي كبير: ٥٧	الرحى: ١٧٦
مدفع برق لاح: ٤٠٩	ساقية: ٢٣٦
مدفع صغير (عادي الجيل): ٥٧	سُرج: ٥٨
مدفع كبير: ٤٣٨، ٤٠٩، ٨٦، ٦٤، ٥٨	سفن: ٢٥
النوبة: ٣٤٤، ٣٠٦، ١٧٤	سكة حديد: ٣٠، ٣١، ٤٤، ٦٢،
هاون: ٦٤	٤٤٨، ٤٤٧

آلات وأدوات

آلات الطحن البخارية: ٥٥	سلك: ٦١
آلات هندسية: ٤١٥، ٢٥	سيارة: ٣٥٣، ٢٩١، ٢٩٠، ٢٧١، ٥٧
الأتومبيل: ٢٩٠	سيف: ٣٧٣، ١٤٥، ٨١
بابور: ٦٢، ٤٦، ٤٣، ٣١، ٣٠، ٢٥	شمندوفار: ٣١
٤٤٨، ٤٣٨، ٣٥٥، ٢٩٦	طبل: ٦٣
البرق: ٦١	طيارة: ٣٣٨، ٣٣٧، ٢٥
بريد: ٢٢٣، ٦١	ظرف زجاج: ٥٩
	عجلة: ٦٤

٢٥٠، ٢٤٩، ٢٤٨، ٢٣٥، ٢٢٨	عمود المخرط: ٥٧
٢٨٤، ٢٨٣، ٢٨٠، ٢٥٥، ٢٥٢	عَيْبَة: ٣٨٤
٣٧١، ٣٦٩، ٣١٤، ٣٣٦، ٣١٠	فانوس: ١٧٦
٤١٣، ٣٩٢، ٣٨١، ٣٨٠، ٣٧٥	فحم حجري: ٤٣٩
٤٤٩، ٤٤٥، ٤٢٢، ٤٢١، ٤١٨	فولاذ: ٢٥
أميرآلای: ١٥٨، ٥١	قارورة: ٥٩
أمير بلوك: ٥٤	لجام: ٥٥
أمير الجيش: ٥٢	مرافع: ٣٧٦
أمير القصر السعيد: ٤٨	مركب بري بخاري: ٤٤٨
أمير طابور: ٥٢	مركب بغل: ٥٧
أمير حال الحرب: ٥٣	مشعل: ١٧٦
أمين: ٣٨	مصباح: ٥٦
بطريق: ٣٥٥	مكشط: ٥٧
بيطري: ٥٨	مكينة: ٥٦، ٥٧، ٦٠، ٦١، ٤١٥
بكباش: ٥٢	منارة: ١٧٧
جراح: ٥٩	مولد القوة الكهربائية: ٦٢، ٣٦٨
حكيم: ٦٠	الوظائف والمناصب
خدام: ٥٩، ٦٠	أستاذ: ٥٧، ٥٩
رئيس الأطباء: ٥٩	أسقف: ٣٥٥
رئيس بلدية صنعاء: ٧٠	أمير: ١٢، ١٣، ٣٧، ٤٠، ٤٤، ٥٢
رئيس العلماء: ١٠٧، ١٠٨	٥٨، ٥٩، ٦٣، ٨٧، ١٢١، ١٢٢
رئيس مجلس التدقيقات: ٣٢٤	١٣٢، ١٣٥، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٨
شاوش: ٥٢، ٥٣	١٥٠، ١٥٢، ١٥٦، ١٥٨، ١٧٤
صدر الأعظم: ٣٤	٢٠٧، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٦، ٢٢٧

صيدلي: ٥٩، ٦٠	معاون متصرف: ١٨٨
ضابط: ٥٤، ١٣٢، ١٤٠، ٣٢٦	معاون والي: ٤٤٧
عاقل: ١٠، ٣٧، ١٧٢، ١٩٠، ٢٣٠	مفتي: ٣٢٤
٢٣٩، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٦، ٣٢٣	مفتي الحنفية: ١٦٧
٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧٥، ٣٩٥	مقدم: ٦٨، ١٢٠، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩
عريف: ٥٢، ١٣٩، ١٤٢، ٣٧٩، ٣٨٣	١٣١، ١٣٣، ١٣٦، ١٤٠، ١٦٣
عامل: مواضع كثيرة	١٧٨، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٣، ٢١٧
قاضي: مواضع كثيرة	٢٢٠، ٢٣٣، ٢٥٣، ٣٠٦، ٣٣٥
قائد: ٢٣٤، ٣٣٥، ٣٤٥، ٣٧٦، ٣٧٦	٣٤٥، ٣٤٥، ٣٧٩، ٤٤٤
٣٧٧، ٤١٩	ملازم أول: ٥٢
قائد الجيوش التركية: ١٩، ٢٤	ملازم ثان: ٥٢
قائم مقام: ٦٥، ١٩٥، ٢٤٨، ٣٨٢	منصب: ٢٠٥، ٢٣٣
قومندان: ٤٣، ٥٣، ٢٢٠	ناظر: ٢٤٤
كاتب: ٥٨، ٢٥٧، ٣٧٩	ناظر الأوقاف: ٢٣٢
كاشف: ١٣٣، ٢٢١، ٢٢٣، ٣٨٢	ناظر جماعة: ١١٠
مأمور: ٦٠، ١١٣، ١٨٨، ٢٢٤، ٢٥٥	ناظر رازح: ١١٠
٣١٦، ٣٦١، ٣٨٢، ٤١٣	ناظر ساقين: ١١٠
متصرف: ٨٧، ٩٩، ٣٢٥	ناظر السنارة: ١٠٩
محاسب: ٣٦١	نقيب: ٥٢، ١٩٧، ٢٢٦، ٢٤١، ٢٥٣
مدير: ٣١٨	٣٠٦، ٣١٥، ٣١٦، ٣٤٢، ٣٤٦
مدير المال: ٤١١	٣٨٧، ٣٩٤، ٣٩٦، ٤٤٩
مشيخ (شيخ): ٣١٢، ٣١٦، ٣٢٤	هيئة أركان الحرب: ٥٢
٣٤١، ٣٤٢، ٣٦٩، ٣٨٧	والي: ١٩، ٢٨، ٤٤، ٤٦، ٥١، ٢٠٦
مشير: ٦١	٢٥٨، ٤٢١

دهن: ٥٦	وزير: ٥١، ٣٤
دهن النفط: ٥٦	وكيل: ٣٧٩، ١٢٥
زيت: ٥٦	وكيل الأمير: ٣٧٧، ٣٧٤، ٣٧٠
سُم: ٣٨٤	وكيل الخارجية: ٣٠٠
سمن: ٤٢١	يوزباشي: ٥٢
الغاز: ٥٦	الحيوان
قات: ١٥٨	أسد: ٢٢٧، ١٣٧، ١٢٢
قاز (كاز): ٤١٧، ٥٦، ٢٩	بغل: ٦٤، ٥٨، ٥٥، ٤٤
قطن: ٤٣١	بقر: ١٧٣
القضب: ٢٤٠	ثعلب: ١٢٢
القهوة: ١٨١	جلد: ٥٨
لباد: ٥٨	خيل: ٤١٢، ١٣٥، ٦٤، ٦٣، ٥٨
	ذئب: ٢٢٧، ١٥٢
	راحلة: ٣١
	شاة: ٢٢٧
	غنم: ١٧٣، ١٣٣
	قرد: ٤١٣
	كلب: ١٥٢
	نسر: ٢٥٥
	النبات ومشتقات الحيوان والنبات
	بتروول: ٢٩٠
	بنزين: ٢٩٠
	البن: ١٨١، ١٧٨، ١٧١
	حبوب: ١٧٣

خريطة اليمن



